الأكثر مبيعاً 1 في أمريكا

دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

الشقيقات

Sisters



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

الفصل الأول

كانت جلسة التقاط الصور الفوتوغرافية متواصلة منذ الساعة الثامنة من صباح ذاك اليوم. شغل طاقم التصوير بمعداته وتقنييه مكاناً حول إحدى البرك ذات النافورة، ووقف إلى جانبهم شرطي فرنسي بدا ضجراً لدى مراقبته لما يجري، فيما وقفت عارضة الأزياء في البركة لساعات متواصلة وهي تقفز، وترشّ الماء، وتضحك، وترجع رأسها إلى الوراء بابتهاج متقن، وفي كل مرة قامت فيها بذلك بدت مقتنعة بما تقوم به. كانت ترتدي فستان سهرة رفعته إلى مستوى ركبتيها ومعطفاً من فرو المنك. بينما عملت مروحة ضخمة تعمل على البطارية على تطيير شعرها الطويل الأشقر إلى الوراء.

كان المارة يتوقفون ويحدّقون باندهاش بخبير المكياج الذي يرتدي قميصاً وسروالاً قصيراً، ويقفز إلى داخل البركة وخارجها ليحافظ على روعة مكياج العارضة. بحلول الظهر كانت العارضة لا تزال تبدو في أبهى حلة، وبدا عليها أنها تمضي أروع الأوقات، فقد كانت تضحك للكاميرا وللمصور ومساعديه بين اللقطات. كانت السيارات التي تمرّ بجانبهم تخفّف من سرعتها. وفجأة توقّفت مراهقتان أميركيتان وحدّقتا باندهاش لدى مرورهما بمحاذاتهم، وعرفتا العارضة.

قالت إحدى الفتاتين بتعجب: "يا الله إنها **كاندي** يا أمي". كنّ قد وصلن من شيكاغو إلى باريس لتمضية عطلة، ولكن حتى الباريسيين كان

باستطاعتهم معرفة **كاندي** بسهولة، فهي العارضة الأكثر نجاحاً وشهرة في أميركا، وعلى الصعيد العالمي. فقد حققت هذه الشهرة منذ كانت في السابعة عشرة من عمرها، وهي تبلغ الآن إحدى وعشرين سنة، وقد جمعت ثروة جراء عملها في مجال عرض الأزياء في نيويورك، وباريس، ولندن، وميلانو، وطوكيو، وعشرات المدن الأخرى. وبالكاد تتمكّن وكالة الأزياء من إدارة حجم مشاركاتها الكثيفة. فهي تظهر على غلاف مجلة فوغ مرتين في السنة على الأقل، كما أنّ الطلب عليها متواصل. تُعتبر **كاندي** من دون أدنى شكّ أروع عارضة في ميدان عرض الأزياء، ويعرفها الجميع حتى ذوي الخبرة المحدودة في مجال عرض الأزياء.

اسمها بالكامل **كاندي آدامز**، ولكنها لم تستخدم أبداً شهرتها وإنما **كاندي** فحسب. إذ لم تكن بحاجة إلى أكثر من هذا الاسم. فالجميع يعرفونها، ويعرفون وجهها، واسمها، وشهرتها كواحدة من أبرز عارضات الأزياء في العالم. لقد أفلحت في جعل كل شيء يبدو مرحاً، سواء أكانت تركض على الثلج حافية القدمين، أو ترتدي بذة سباحة في جو قارس البرودة في سويسرا، أو تسير على الأمواج المتكسرة مرتدية ثوب سهرة خلال فصل الشتاء في لونغ آيلاند، أو ترتدي معطفاً طويلاً من الفرو تحت أشعة الشمس الحارقة في تلال توسكان. كانت **كاندي** تبدو في قمة الاستمتاع مهما كان الشيء الذي تقوم به. لذا بات الوقوف في البركة ذات النافورة في بلاس دو لا كونكورد في شهر تموز أمراً سهلاً، بالرغم من الحرّ الشديد وأشعة الشمس الحارقة، وأثناء واحدة من موجات الحرّ الصيفية المعتادة في باريس. كانت الصور تُلتقط لغلاف مجلة فوغ عدد تشرين الأول، ممّا يشكّل ظهورها الثاني على الغلاف هذا العام. وكان المصور **مات هاردينغ** أحد أبرز المصورين في مجاله. كانا قد عملا سوياً لمئات المرات على مدى السنوات الأربع الأخيرة، وأحبّ جداً تصويرها.

على عكس العارضات الأخريات اللواتي يساوينها أهمية، كان التعامل مع **كاندي** يتّسم دوماً بالسهولة، فقد امتازت بكونها طيبة، ومرحة، وغير متكلفة، ولطيفة، وعلى نحو مثير للاستغراب ساذجة، نظراً للنجاح الذي حظيت به منذ بداية مسيرتها. إنها مجرد إنسانة ودودة وفائقة الجمال. تبدو رائعة في الصور من كل الزوايا بلا استثناء. بحيث يبدو وجهها الخالي من أي عيب أو نقص رائعاً أمام الكاميرا، لقد اتّسمت بجمال رائع فهي تتمتّع بسمات وكأنها مرسومة بدقة، وينسدل على كتفيها شعر مستعار أشقر وطويل جداً، اعتادت على وضعه على رأسها معظم الوقت، كما وامتازت بعينين واسعتين زرقاوين بلون السماء. أدرك **مات** أنها تحبّ حضور الحفلات حتى وقت متأخر من الليل، والمثير للدهشة أن السهر الطويل لا يؤثّر سلباً على وجهها في اليوم التالي. فهي من ضمن القليلات المحظوظات اللواتي يمرحن بأوقاتهن، وينفدن بجلدهن دون أن يبدو عليهن التعب في اليوم التالي. ما كانت لتتمكّن من فعل ذلك والنفاد بجلدها إلى الأبد، ولكن حتى هذه اللحظة ما يزال بوسعها ذلك. فما كانت إلاّ وتزداد جمالاً يوماً بعد يوم. ورغم أنها في الحادية والعشرين من عمرها، إلاّ أنه يصعب على المرء أن يتخيّلها متأثرة سلباً بمتاعب الحياة، ولكن بعض العارضات الأخريات قد بدأت تظهر عليهن علامات الزمن حتى في هذا السن المبكر. أما **كاندي** فلم يبدُ عليها أي من هذا. وما تزال تتمتّع بطيبتها الفطرية تماماً كما كانت في اليوم الأول الذي التقاها فيه عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها، وقام بالتقاط أولى صورها لمجلة فوغ. لقد أحبّها كحال الجميع. ليس هناك من رجل أو امرأة في مجال عملها إلاّ وكان يحبّها.

يبلغ طولها 180 سنتم، وأقصى وزن لها يصل إلى 58 كلغ. وقد أدرك **مات** أنها لا تأكل أبداً، ولكن مهما كان السبب وراء نحافتها فإنها تبدو رائعة. ورغم أنها تبدو في الواقع نحيفة إلاّ أن الصور التي التقطها

لها لطالما بدت مذهلة. إنه يَعتبر **كاندي** عارضته المفضلة، تماماً مثل مجلة فوغ التي أحبّتها جداً، وكلّفته بالتقاط هذه المجموعة من الصور لها.

انتهى التصوير عند الساعة الثانية عشرة والنصف، وخرجت من النافورة رغم أنها لم تلبث فيها سوى عشر دقائق بدلاً من أربع ساعات ونصف. أرادوا أخذ صور أخرى لها في منطقة قوس النصر في ذاك المساء، وصور أخرى في تلك الليلة عند برج إيفل، حيث سيعمدون إلى إطلاق ألعاب نارية من خلفهم. لم تتذمّر **كاندي** قطّ من الظروف الصعبة أو ساعات العمل الطويلة، وهذا كان أحد أسباب حبّ المصورين للعمل معها. إضافة إلى استحالة أخذ صور بشعة لها. إنها تتمتّع بالوجه الأكثر سماحة على سطح الأرض، ويُعتبر الأكثر طلباً.

سألها **مات**: "إلى أين تودّين الذهاب لتناول طعام الغداء؟" في حين كان مساعدوه يلملمون كاميراته والمنصب، ويضعون الفيلم جانباً، أما **كاندي** فكانت تخلع رداء الفرو الأبيض، وتنشّف رجليها. كانت تبتسم وكأنها استمتعت بالتصوير إلى أقصى حدّ.

فاقترحتْ بابتسامة: "لستُ أدري ما رأيك بمطعم لافينيو؟" امتازت بسهولة المراس. كان لديهما متسع من الوقت، فسيأخذ المساعدون نحو الساعتين ليتمّوا التحضيرات للتصوير التالي في منطقة قوس النصر. كان قد سبق وناقش كل التفاصيل والزوايا معهم في اليوم السابق، بحيث لم يعد هنالك من ضرورة لتواجده معهم إلى أن يتمّوا تجهيز المكان. ممّا منحه و**كاندي** ساعتين ليتناولا فيهما طعام الغداء. اعتادت كثير من العارضات وروّاد عالم الأزياء على ارتياد مطعم لافينيو إضافة إلى كوستس، وبودا بار، ومان راي، وعدد من الأماكن الباريسية. أحبّ هو الآخر لافينيو القريب من المكان الذي سيصوّرون فيه عند ذاك المساء. أدرك أنه لا يهمّ إلى أي مكان سيذهبان، فما كانت ستأكل الكثير على أي حال، فجلّ ما تفعله هو شرب الكثير من الماء كحال جميع العارضات اللواتي يغدقن

الماء في جوفهن حتى لا يسمنّ ولا حتى غراماً واحداً. وعلى أي حال أنّى لورقتي الخس اللتين تتناولهما عادة أن تزيدا من وزنها! بل على العكس لم تزدد إلاّ نحافة سنة بعد أخرى. ولكنها بدت متمتّعة بالصحة والعافية، بالرغم من طولها الفارع ووزنها الخفيف جداً. بدت جميع عظام كتفيها، وصدرها، وأضلاعها ظاهرة للعيان. إن **كاندي** التي تُعتبر أكثر شهرة من جميع منافساتها، تُعتبر أيضاً أكثرهن نحافة. هذا ما أثار قلق **مات** عليها في بعض الأحيان، حيث إنها كانت تكتفي بالضحك عند اتهامه لها بالإصابة باضطراب في تناول الطعام. لم تستجب **كاندي** أبداً للتعليقات حول وزنها. فمعظم العارضات يعانين من مرض فقدان الشهية أو ما هو أسوأ من ذلك، إنها ضريبة النجاح التي يتمّ دفعها في مجال عرض الأزياء. فالبشر لا يبقون بهذا الوزن بعد سن التاسعة. إن النساء البالغات اللواتي يأكلن نصف مقدار ما كانت تأكله، لسن بهذا القدر من النحافة.

كانت بانتظارهما سيارة يقودها سائق ليقلّهما إلى المطعم في جادة مونتاني. عندما وصلا، وجدا المكان محتشداً كعادته في ذاك الوقت من السنة. إذ نظراً لأن عروض الأزياء الراقية ستبدأ في الأسبوع المقبل، بدأ المصممون والمصورون وعارضات الأزياء بالتقاطر إلى المكان. بالإضافة إلى ذلك، كان موسم السياحة في باريس في أوجه. أحبّ الأميركيون ذاك المطعم، كحال الباريسيين الأنيقين، فلطالما امتاز بمنظر جميل. على الفور وقع نظر أحد المالكين على **كاندي**، فأرشدهما إلى طاولة تقع في الغرفة المغطاة بالزجاج، والتي كانوا يرمزون إليها بالفرندا. أحبّت جداً الجلوس في ذاك المكان، فقد أعجبتها فكرة أن بوسعها التدخين في أي مطعم في باريس، فهي لم تكن تُعتبر من عداد المدخنين، ولكنها كانت تدخّن من وقت إلى آخر، وأحبّت أن تحظى بحرية التدخين دون التعرّض لتعليقات لاذعة أو نظرات مقيتة. علّق **مات** عليها قائلاً إنها إحدى النساء القليلات اللواتي جعلن من عادة التدخين تبدو جميلة. كانت تقوم بكل شيء

برشاقة، حتى أنه بوسعها لفت الأنظار إليها بمجرد ربطها لشريط حذائها. فهي تتمتّع بأسلوب ساحر خاص بها.

طلب **مات** شراباً قبل الغداء، وطلبت **كاندي** قارورة ماء كبيرة، حيث إنها كانت قد تركت قارورة الماء العملاقة التي تصطحبها معها عادة في السيارة. طلبت صحن سلطة للغداء خالياً من مرق التتبيل، وطلب **مات** صحن لحم نيئ، وأرجعا ظهريهما إلى الوراء ليرتاحا، في حين انصبّت عيون الناس من حولهما عليها، فقد عرفها جميع من في المكان. كانت ترتدي بنطالاً من الجينز، وبلوزة، وتنتعل صندلاً فضياً من دون كعب، كانت قد اشترته السنة الماضية من بورتوفينو وهو المكان الذي اعتادت على شراء صنادلها منه أو من سان تروبيز الذي كانت تقصده كل صيف كعادتها.

سألها **مات**: "هل ستذهبين إلى سان تروبيز في عطلة نهاية الأسبوع هذه؟" مفترضاً أنها ستفعل. "هنالك حفلة على متن يخت فالنتينو". كان يدرك أن **كاندي** من أوائل المدعوات وأنها نادراً ما ترفض أية دعوة، وبالتأكيد ما كانت لترفض هذه الدعوة. في العادة، كانت تنزل في فندق بيبلوس مع أصدقائها أو على متن يخت أحد ما. لطالما تجد **كاندي** أمامها العديد من الخيارات، كما وأن الطلب عليها شديد جداً كونها من المشاهير، وامرأة، وضيفة. تمنّى الجميع لو يتمكنون من القول إنها ستحضر إلى المكان حتى يشجّعوا الآخرين على المجيء. استخدمها الناس كدليل على رفعة مكانتهم الاجتماعية. مثّل هذا الأمر عبئاً يثقل حمله، وغالباً ما كان يتخطّى الحدّ إلى درجة الاستغلال، ولكن لم يبدُ أن لديها أي مانع، فقد اعتادت على هذا الأمر، اعتادت على الذهاب حيثما شاءت وحيثما حسبت أنها ستمضي أوقاتاً ممتعة، ولكنها هذه المرة فاجأته. فهي على الرغم من شكلها المذهل كانت امرأة ذات أوجه متعددة، وليست مجرد المرأة الجميلة، والسطحية، والخفيفة العقل التي قد يتوقّعها المرء. لم تكن **كاندي** فاتنة

الجمال فحسب، بل محترمة أيضاً ولامعة جداً، بالرغم من كونها ما تزال ساذجة وصغيرة في السن حتى مع النجاح الباهر الذي حقّقته، أحبّ **مات** ذلك فيها. لا يوجد أي شيء يدفع **بكاندي** إلى الضجر، بل كانت تستمتع بكل ما تفعله مهما كان. قالت: "لا أستطيع الذهاب إلى سان تروبيز". وهي تأكل ببطء شديد من طبق الخس. حتى الآن لم يرَها تأكل سوى لقمتين.

"ألديكِ مشاريع أخرى؟"

قالت ببساطة وهي تبتسم: "أجل، عليّ الذهاب إلى منزل والديّ. فأهلي يقيمون كل سنة احتفالاً بمناسبة الرابع من تموز، وقد تقتلني أمي إن لم أحضره. يجدر بي وبأخواتي الحضور". كان **مات** يدرك أنها مقربة من عائلتها. لم تكن أي من أخواتها من عارضات الأزياء، وحسبما يذكر يعتقد أنها الأصغر سناً. فلقد كانت تُكثر الحديث عن عائلتها.

"ألن تشاركي في عروض الأزياء في الأسبوع المقبل؟" كانت تُعتبر عروس شانيل، وفي السابق كانت عروس سان لوران قبل أن يقفلوا. ويا لها من عروس مميزة جداً.

"ليس هذه السنة سآخذ عطلة لمدة أسبوعين، فلقد وعدتُ بذلك. عادة أذهب إلى المنزل من أجل الاحتفال، وأعود وقت العروض بالضبط. أما هذه السنة فخطر في بالي البقاء في المنزل مدة أسبوعين والاستمتاع بوقتي. فأنا لم أجتمع بأخواتي منذ العيد الماضي. الأمر عصيب جداً بغياب الجميع عن المنزل، وخصوصاً لأنني أغيب في معظم الأحيان. أنا لم أذهب إلى نيويورك منذ شهر آذار وأمي تتذمّر من ذلك كثيراً، لذا سأبقى في المنزل لمدة أسبوعين، ومن ثم عليّ الذهاب إلى طوكيو للقيام بحملة تصوير لمجلة فوغ اليابانية". وهو المكان الذي جنت فيه معظم العارضات الكثير من المال وخصوصاً **كاندي** التي جنت أكثر منهنّ جميعاً. كانت مجلات الأزياء اليابانية تكثر من الطلب عليها. فلقد أحبّوا شقارها وطولها الفارع.

أضافت: "تغتاظ أمي كثيراً عندما لا أذهب إلى المنزل". فضحك لكلامها.

"ما المضحك إلى هذه الدرجة؟"

"أنتِ. أنتِ العارضة الأشهر في هذه المهنة، وتقلقين إذا ما غضبت أمك منك في حال لم تحضري إلى المنزل لحضور حفل الشواء أو النزهة أو ما شابه. هذا ما أحبّه فيك، فأنت فعلاً ما تزالين طفلة صغيرة". فهزّت كتفيها تعبيراً عن لامبالاتها، وابتسمت.

قالت بصراحة: "أحبّ أمي وأخواتي. تغضب أمي كثيراً عندما لا نذهب إلى المنزل في المناسبات. في إحدى المرات فوتّ الذهاب إلى مناسبة من المناسبات، وظلّت توبّخني طيلة سنوات. برأيها الأولوية للعائلة، وأظنّها محقة. أريد أن تكون عندي هذه الأولوية أيضاً عندما أنجب أطفالاً. شؤون العمل هذه ممتعة، ولكنها لا تدوم للأبد. أما العائلة فتدوم". ما تزال **كاندي** تحمل القيم نفسها التي تربّت عليها، والتي آمنت بها بشدة، على الرغم من رغبتها الشديدة بأن تصبح عارضة أزياء مشهورة. بنظرها تُعتبر عائلتها أكثر أهمية من الرجال القليلي العدد الذين مرّوا في حياتها حتى الآن، والذين لم يصمدوا معها في علاقة راسخة. يرى **مات** أن هؤلاء الرجال كانوا مجرد خرقى، فلقد كانوا إما صغاراً في السن يحاولون التباهي بالخروج معها أو أكبر سناً ويرسمون لأنفسهم خططاً شريرة. لقد كانت **كاندي** مثل العديد من الشابات الجميلات الأخريات تجذب الرجال الذين ينوون استغلالها عادة من خلال التواجد معها على مرأى من الناس، والاستمتاع بجذوة نجاحها. آخرهم كان شاباً إيطالياً لعوباً اشتهر بخروجه مع النساء الجميلات، لحوالى دقيقتين من الوقت. وقبله قابلت لورداً بريطانياً شاباً، بدا طبيعياً وإنما تبيّن لاحقاً أنه شاذ الأطباع، بحيث اكتشفت أنه يتعاطى المخدرات ومنحرف جنسياً. فصُعقت **كاندي** ولاذت بالفرار، رغم أنها لم تكن المرة الأولى التي تواجه فيها مثل هذا الوضع. في السنوات الأربع الأخيرة مرّ عليها الكثير من

الظروف المشابهة، اتّسمت معظم علاقاتها بقصر فتراتها. لم يكن لديها لا الوقت ولا الرغبة بالاستقرار، والرجال الذين كانت تقابلهم لم يكونوا من النوع الذي ترغب بالاستقرار إلى جانبهم. لطالما قالتْ إنها لم تقع في الحب بعد، رغم معرفتها بكثير من الشبان، ولكن لم يستحق أي منهم الوقوع في حبه بعد ذاك الشاب الذي ربطتها به علاقة في المدرسة الثانوية. ما يزال حتى الآن يدرس في الجامعة، ولم يتواصلا منذ ذاك الوقت. لم تدخل **كاندي** الجامعة قطّ. فقد حظيت بفرصتها الكبيرة الأولى لعرض الأزياء في السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية، ووعدت أهلها بالعودة إلى الدراسة لاحقاً. أرادت استغلال الفرص التي كانت تأتيها. وقد ادّخرت الكثير من المال رغم أنها صرفت الكثير منه على شقة اشترتها في نيويورك وعلى الكثير من الملابس الرائعة والتسالي المذهلة. أما الجامعة فباتت تبدو خطة مستبعَدة. فهي لم ترَ جدوى منها. كما أنها كانت دوماً تشير لعائلتها بأنها لم تكن بقدر ذكاء أخواتها أو هكذا ادّعت. استنكرت أمها وأخواتها ذلك، وما يزلن يعتقدن بوجوب دخولها إلى الجامعة عندما تستقرّ حياتها بعض الشيء، هذا إن استقرّت. ولكن حياتها وحتى هذه اللحظة ما تزال تنطلق بسرعة الصاروخ، وهي تحبّ كل لحظة فيها. كانت تتقدّم بسرعة فائقة، وتستمتع إلى أقصى حدّ بثمار نجاحها الباهر.

قال **مات**: "أنا لا أصدق أنك ستذهبين إلى المنزل للمشاركة في نزهة بمناسبة الرابع من تموز أو ما شابه". من ثم سألها آملاً بإقناعها: "هل أستطيع إقناعك بالعدول عن الذهاب؟" كان لدى **مات** صديقة حميمة، ولكنها لم تكن موجودة في فرنسا، ولطالما كان **وكاندي** من أعز الأصدقاء، حيث إنه يستمتع برفقتها ومن شأنهما أن يستمتعا جداً في حال بقيت معه في سان تروبيز لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. فأجابت على نحو حاسم: "لا، قد ينفطر قلب أمي. لا أستطيع أن أفعل ذلك بها. كما أن أخواتي سيغضبن جداً. سيحضرن جميعهن إلى المنزل أيضاً".

"نعم ولكن هذا أمر مختلف. أنا واثق أن حفلتهنّ لن تضاهي حفلة يخت فالنتينو".

"لا، ولكن سأستمتع هناك أيضاً، فنحن جميعاً نذهب إلى المنزل في الأعياد مهما كلّف الأمر".

قال ساخراً وممازحاً إياها: "يا للوفاء". في حين كان الناس يواصلون المرور بمحاذاة طاولتهما، ويحدّقون فيها. كانت **كاندي** ترتدي بلوزة شفافة تكشف ما تحتها. فلقد اعتادت على الإكثار من ارتداء مثل هذه القمصان دون الحاجة إلى ارتداء أي شيء تحتها، لقد سبق وقامت **كاندي** بثلاث عمليات لتكبير صدرها، بحيث بدا متناقضاً جداً مع شكل جسدها النحيف. لم يكن حجم صدرها الجديد كبيراً جداً، وإنما بدا شكله مميزاً ومتقن التنفيذ. كان ملمسه ناعماً على عكس الصدور التي يتمّ تكبيرها، وخصوصاً تلك التي تكون كلفتها أقل. فلقد أجرت عملية تكبير لصدرها على يد أفضل جراح تجميلي في نيويورك، في ظل خوف أمها وأخواتها الشديد. ولكنها شرحت لهنّ أنها بأمسّ الحاجة إلى إجراء العملية من أجل عملها. لم يخطر أبداً لأمها أو لأخواتها إجراء عملية كهذه، كما ولم تكن اثنتان منهما بحاجة إلى ذلك. كانت والدة **كاندي** تتمتّع بقوام جميل رغم بلوغها سن السابعة والخمسين.

تُعتبر جميع نساء العائلة رائعات، رغم أنهنّ يختلفن عن بعضهن البعض في الشكل. لم تشبه **كاندي** أياً من نساء العائلة فهي أطولهنّ، وإنما تشبه والدها من حيث الشكل والطول. أما والدها فهو رجل وسيم جداً، وكان يلعب كرة القدم في فريق يال. يبلغ طوله 190 سنتم، وكان شعره حين كان صغيراً أشقر اللون تماماً مثل شعرها. سيبلغ **جيم آدامز** الستين من عمره في شهر كانون الأول. بدا والداها أصغر من سنهما الحقيقي، وما يزالان زوجين رائعين. إن لون شعر **تامي** أحمر تماماً مثل لون شعر والدتهنّ. أما لون شعر **آني** فكستنائي مع خصل نحاسية، ولون شعر

سابرينا أسود غامق. كان شعر كل واحدة منهنّ مختلفاً عن شعر الأخرى، بحيث يطلق والدهنّ الدعابات بهذا الشأن. كانت الفتيات في صغرهنّ يبدونَ مثل دعايات بريك القديمة، واحدة شرقية، وأخرى أرستقراطية، وأخرى مميزة، وأخرى جميلة. كانت الفتيات الأربع يبدونَ جميلات في صغرهنّ، وغالباً ما كنّ يثرن التعليقات، وما يزلن كذلك عندما يخرجن سوياً حتى مع أمهن. لقد كانت **كاندي** أكثر من يجذب الانتباه بسبب طولها، ووزنها، وشهرتها، ولكن الأخريات جميلات أيضاً.

أنهيا تناول الغداء في مطعم لافينيو. فقد تناول **مات** حلوى مع صلصة توت العليق، بينما امتعضت **كاندي** قائلة إنها شديدة الحلاوة، وشربت كوباً من القهوة الخالية من السكر، وسمحت لنفسها بتناول قطعة من الشوكولاته المرّة كنوع من التحلية، وكان هذا أمراً نادر الحصول. وبعد الغداء أقلّهما السائق إلى منطقة قوس النصر. كان طاقم التصوير قد جهّز لها في ذاك المكان مقطورة، وتمّ ركنها في جادة فوش خلف قوس النصر. وبعد وقت قصير خرجتْ مرتدية ثوب سهرة مذهلاً أحمر اللون، وتجرّ وراءها قطعة فرو. بدت رائعة جداً، ساعدها شرطيان على العبور وسط زحمة السير إلى حيث ينتظرها **مات** وفريق عمله تحت العلم الفرنسي الضخم الذي يرفرف من قوس النصر. سُرَّ **مات** لدى رؤيتها قادمة، فلقد كانت بحق أجمل امرأة رأتها عيناه وربما الأجمل في العالم.

"يا للروعة تبدين مذهلة في هذا الثوب".

قالت بتواضع: "شكراً لك". وهي تبتسم للشرطيين اللذين كانا أيضاً ينظران إليها باندهاش. كادت تتسبّب بعدة حوادث لفرط جمالها، بعد أن أوقف بعض السائقين الباريسيين المفتونين سياراتهم بشكل فجائي ليحدّقوا بها عند اصطحاب الشرطيين لها لتشقّ طريقها وسط زحمة السير.

أنهوا التصوير تحت القوس بعد الساعة الخامسة. ثم عادت إلى **الريتز** لتستريح لمدة أربع ساعات. استحمّت، واتصلت بوكالتها في

نيويورك، ثم ذهبت إلى برج إيفل لأخذ الصور الأخيرة عند الساعة التاسعة مساء عندما حلّت العتمة. أنهوا التصوير عند الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل. فذهبت بعدها إلى حفلة كانت قد وعدت بحضورها. ثم عادت إلى **الريتز** عند الساعة الرابعة صباحاً مفعمة بالحيوية والنشاط. كان **مات** قد انسحب قبلها بساعتين. وكما أشار سابقاً ليس هناك أفضل من أن يكون المرء في عمر الحادية والعشرين، ففي عمر السابعة والثلاثين لم يستطع مجاراتها لا هو ولا معظم الرجال الذين كانوا يسعون وراءها.

حزمت **كاندي** حقائبها، واستحمّت، ثم استلقت لساعة من الزمن. لقد أمضت وقتاً ممتعاً تلك الليلة، ولكنّ الحفلة التي حضرتها كانت عادية؛ أي خالية من أي جديد ولم تجد فيها أي اختلاف. وجب عليها مغادرة الفندق عند الساعة السابعة صباحاً لتكون في مطار **شارل ديغول** عند الساعة الثامنة من أجل رحلة الساعة العاشرة التي ستحطّ بها في مطار **كينيدي** ظهراً حسب التوقيت المحلي. سيستغرق الأمر ساعة حتى تحصل على حقائبها وتمرّ عبر الجمارك، وستلبث ساعتين في السيارة للوصول إلى كونيتيكيت، وبالتالي ستصل إلى منزل والديها عند الساعة الثالثة عصراً، وستحظى بمتسع من الوقت لحضور الاحتفال في اليوم التالي. كانت تتطلّع لتمضية الليل مع أهلها وأخواتها قبل جنون الحفلة في اليوم التالي.

ابتسمت في وجه الحرس والبوابين لدى خروجها من **الريتز** مرتدية الجينز والقميص، رابطة شعرها إلى الوراء بحيث لم تكلّف نفسها حتى عناء تسريحه. كانت تحمل حقيبة هرمز ضخمة مصنوعة من جلد التمساح اشترتها من متجر في باليه رويال. كانت بانتظارها سيارة ليموزين، فاستقلّتها، وغادرت المكان. أدركت أنها ستعود قريباً إلى باريس نظراً لكثرة الأعمال التي كانت تنتظرها هناك. احتوى برنامجها على حملتي تصوير في باريس في شهر أيلول، بعد رحلتها إلى اليابان في نهاية شهر تموز. لم تضع بعد أية مشاريع لشهر آب، وأملت بأخذ إجازة لبضعة أيام

لتقضيها إما في هامبتونز أو في جنوب فرنسا. كانت تختزن في رأسها مشاريع لا حصر لها من أجل قضاء الأوقات الممتعة والعمل. كانت حياتها بالنسبة إليها رائعة بكل ما فيها، وتطلّعت لتمضية أسبوعين في منزل والديها. لطالما كان أمراً ممتعاً بالنسبة إليها بالرغم من أن أخواتها كنّ يعمدن إلى مضايقتها بشأن الحياة التي تحياها. إن الفتاة الصغيرة التي كانت تدعى **كانديس آدامز** والتي تعتبر الفتاة الأطول والأكثر غرابة في كل صف مدرسي، قد تحولت إلى أميرة جمال تُعرف حول العالم **بكاندي** فقط. ولكن رغم أنها تعشق ما تقوم به حيث إنها تمضي أوقاتاً ممتعة حيثما حلّت، لم يكن هناك أي مكان يشبه ديار والديها، ولم تحبّ أحداً في العالم مثلما أحبّت أمها وأخواتها. كانت تحبّ والدها أيضاً، ولكن كانت بينهن رابطة مختلفة. وفي الوقت الذي كانت فيه السيارة تمرّ في شوارع باريس وسط زحمة السير، أرجعت ظهرها إلى الوراء لتستريح. ورغم روعة جمالها كانت لا تزال بعدّة طرق طفلة أمها الصغيرة.

الفصل الثاني

كانت أشعة الشمس حارقة في منطقة بيازا ديلا سينيوريا في فلورنسا حين كانت شابة جميلة تشتري الآيس كريم من بائع متجول في الشارع. طلبت من البائع إعطاءها الآيس كريم على نكهة الحامض والشوكولاته، ناطقة بطلاقة باللغة الإيطالية، واستمتعت بتناول هذا المزيج في الوقت الذي كانت فيه الآيس كريم تذوب من البسكوتة على يديها. فلعقت على الفور الآيس كريم الذائبة، في حين انعكست الشمس على شعرها الكستنائي الغامق. مرّت بمحاذاة صالة عرض يوفيزي في طريقها إلى المنزل. إنها تعيش في فلورنسا منذ سنتين، بعد أن أتمّت دراستها الجامعية، وحازت على إجازة في الفنون الجميلة من جامعة رود آيلاند للتصميم، وهي مؤسسة مرموقة للأشخاص ذوي الموهبة الفنية وخصوصاً المصممين، ولكنها فتحت أبوابها لعدد من طلاب الفنون الجميلة أيضاً. بعد تخرّجها من جامعة رود آيلاند، حازت على شهادة ماجيستير من جامعة الفنون الجميلة في باريس التي أحبّتها أيضاً. حلمت طيلة حياتها بالدراسة في إيطاليا، وأخيراً توجهتْ إلى هنا بعد باريس، وقد أدركت تماماً أنها خُلقت لتعيش هنا.

كانت تأخذ دروساً يومية في الرسم، وتتعلّم تقنيات الرسم لكبار الأساتذة. في السنة الماضية أحسّت أنها قامت بإنجاز ذي قيمة كبيرة، رغم أنها ما تزال تشعر أن أمامها الكثير لتتعلّمه. كانت ترتدي تنورة قطنية،

وبلوزة مزارعين كانت قد اشترتها خلال رحلة بالسيارة إلى سيينا، وتنتعل صندلاً اشترته من شارع الباعة مقابل 15 يورو. لم تشعر أبداً بالسعادة التي شعرت بها هناك، فالعيش في فلورنسا كان بمثابة حلمها الذي تحقّق. كانت تنوي حضور صف رسم عامي من وحي الحياة في أستوديو فنان، حيث يوجد موديل، أي شخص يجلس أمام هذا الفنان وذلك عند الساعة السادسة من مساء تلك الليلة. وكانت على موعد لمغادرة البلاد والتوجّه إلى الولايات المتحدة في اليوم التالي. لم تطقْ المغادرة، ولكنها كانت قد وعدت أمها بالذهاب إلى المنزل كعادتها في كل سنة. صعُبَ عليها مغادرة فلورنسا حتى ولو لأيام قليلة حيث كانت ستعود بعد أسبوع، من ثم ستغادر في رحلة إلى أمبريا مع أصدقائها. لقد تعرّفت على معظم مناطق إيطاليا منذ وصولها إليها، ذهبت إلى بحيرة كومو، وأمضت أوقاتاً سعيدة في بورتوفينو، وبدا وكأنها زارت كل متحف في إيطاليا، وشعرت بولع شديد تجاه البندقية وهندستها. أدركت جيداً أن إيطاليا هي المكان الذي خُلقت لتكون فيه، وأنها لم تشعر بالحياة إلاّ عندما وصلت إلى هذا البلد حيث وجدت نفسها.

استأجرت شقة صغيرة في مبنى قديم، وقد أعجبها ذلك جداً. ما كانت تقوم به يمثّل ثمار جهدها الشاق الذي بذلته طيلة السنوات العديدة الماضية. كانت قد أهدتْ والديها واحدة من لوحاتها في العيد السابق، وقد ذُهلا لمدى عمق عملها وجماله، أما أسلوبها فيشابه أسلوب الرسامين العظماء وإنما باستخدام تقنياتها الجديدة. حتى أنها مزجت الألوان بنفسها وفقاً لطريقة قديمة. أبدت أمها إعجابها باللوحة قائلة إنها بحق تحفة فنية، وعلّقتها في غرفة الجلوس. كانت آني قد حملتها إلى المنزل بنفسها بعد أن لفّتها بأوراق الجرائد، وفتحتها أمامهما في أمسية العيد.

اليوم ستتوجّه إلى المنزل بمناسبة حفلة الرابع من تموز التي يقيمونها كل سنة، وقد بذلت هي وأخواتها أقصى جهودهنّ لحضورها. كان

حضور المناسبة تضحية من **آني** هذه السنة، فأمامها الكثير من العمل لتقوم به، ولم تشأ الابتعاد عن عملها حتى ولو لأسبوع واحد. ولكنها مثل أخواتها لم تشأ أن تخيّب ظنّ أمها التي كانت تحيا لرؤيتهنّ، وتكافح لجمع بناتها الأربع في المنزل في وقت واحد. حيث كانت تواصل الكلام حول هذا الموضوع طيلة السنة. لم يكن ثمة هاتف في شقة **آني** القديمة الطراز، ولكن أمها اعتادت على الاتصال بها على هاتفها الخلوي لتطمئنّ على أحوالها، وأحبّت سماع الحماسة في صوت ابنتها. ليس هنالك من شيء يُدخل السعادة إلى قلب **آني** بقدر عملها، حيث تنال رضا عميقاً إثر دراستها للفن هنا في فلورنسا، في أهم مصدر له. كانت قد أضاعت نفسها عدة مرات ولساعات في يوفيتزي لدى دراستها للوحات. وغالباً ما كانت تتوجّه بسيارتها لرؤية الأعمال الهامة في المناطق المجاورة. كانت فلورنسا بمثابة قبلة لها. ارتبطت في الآونة الأخيرة بعلاقة عاطفية مع فنان شاب من نيويورك. كان قد وصل إلى فلورنسا قبل ستة أشهر فحسب، والتقيا بُعيد وصوله بأيام، بعد أن عادت من كونيتيكيت بعد تمضيتها لعطلة العيد هناك برفقة عائلتها. التقيا خلال سهرة السنة الجديدة في أستوديو فنان زميل لهما وهو شاب إيطالي، واشتدّت أواصر علاقتهما منذ ذلك الحين. أحبّا أعمال بعضهما البعض؛ وتشابها من ناحية إلتزامهما العميق بالفن. كان عمله يميل إلى كونه معاصراً أما عملها فكان تقليدياً أكثر، ولكنهما تشابها في العديد من وجهات النظر والأفكار. كان قد عمل لفترة من حياته في مجال التصميم، ولكنه مقت هذا النوع من العمل مسمياً إياه بالدعارة. ثم تمكّن أخيراً من ادّخار بعض المال للمجيء إلى إيطاليا للرسم والدراسة لمدة سنة.

إن حظّ **آني** كبير، ففي عمرها البالغ ستة وعشرين عاماً كانت عائلتها ما تزال على أهبة الاستعداد لمساعدتها. لم تجد صعوبة في تخيّل نفسها تعيش في إيطاليا لبقية حياتها فهذا حلم حياتها. فهي بالرغم أنها تحبّ

والديها وأخواتها إلاّ أنها لم ترغب بالذهاب إلى ديارها. فكل لحظة تجد فيها نفسها بعيدة عن فلورنسا وعن عملها تشعر بالألم الشديد. حلمت منذ طفولتها بأن تصبح فنانة، ومع مرور الزمن كبر حلمها وازداد عزمها على تحقيقه. لقد أبعدها هذا الحلم عن أخواتها اللواتي كانت أحلامهنّ أكثر دنيوية ويسعين إلى كسب المال. أختها الكبيرة محامية، وأختها التي تليها تعمل كمنتجة لبرنامج تلفزيوني في لوس أنجلوس، وأختها الصغرى عارضة أزياء اسمها معروف على الصعيد العالمي. أما **آني** فهي الفنانة الوحيدة بينهن ولم تأبه أبداً بكسب المال وإحراز نجاح تجاري. إنها تجد السعادة الغامرة عند انغماسها في عملها ولم تأبه أبداً إذا ما أمكن بيع هذا العمل. أدركت أنها محظوظة جداً لدعم والديها لشغفها، رغم أنها صمّمت على أن تتمكّن من إعالة نفسها في يوم من الأيام. ولكنها حتى الآن ما زالت تحاول اكتساب التقنيات القديمة والاستفادة من الجو المتميّز جداً في فلورنسا. غالباً ما كانت **كاندي** تحضر إلى باريس، ولكن لم تتمكّن **آني** أبداً من الابتعاد عن عملها لرؤيتها، بالرغم من أنها تحبّ أختها الصغرى كثيراً، إلاّ أنه لم يكن بينهما الكثير من الروابط المشتركة. عندما تنكبّ **آني** على عملها لم تكن تأبه أبداً حتى لتسريح شعرها، وكانت تقدم على تلطيخ المكان برمته بألوانها. يبعد عالم **كاندي** بأشخاصه المميّزين وأناقته الرفيعة مسافات ضوئية عن عالمها المليء بفنانيه المتضورين جوعاً، والمنهمك بإيجاد الطرق الفضلى لمزج الألوان. وعندما تقابل أختها **كاندي** – عارضة الأزياء – كانت الأخيرة تحاول إقناعها بقصّ شعرها، وتصفيفه بطريقة مرتبة، ووضع مساحيق التجميل على وجهها، ولكنها لا تلقى من **آني** ردّاً سوى الضحك، فهذه أبعد فكرة تخطر على بالها، فهي لم تتسوّق أو تشتري أية قطعة صغيرة منذ سنتين. إن الموضة لا تعني لها أي شيء البتة. وجلّ ما كانت **آني** تفعله هو الأكل والشرب والنوم وعيش حياة الفن. فالفن يمثّل لها كل ما تحبّه وتعرفه. كما أن **تشارلي**، صديقها الحميم الحالي، يمتلك

شغفاً بالفنّ بقدرها. لم ينفصلا تقريباً عن بعضهما البعض طيلة الأشهر الستة الأخيرة، وسافرا سوياً إلى جميع أرجاء إيطاليا لدراسة كل من الأعمال الفنية المهمة وغير المهمة. كانت علاقتهما تسير على خير ما يرام. وكما أخبرت أمها على الهاتف كان الفنان الأول العاقل وغير المجنون الذي قابلته، وربطت بينهما الكثير من الأمور المشتركة. لكن ما أثار قلق **آني** هو أنه ينوي العودة إلى نيويورك في نهاية السنة إلاّ في حال أقنعته بالعدول عن ذلك والبقاء معها. كانت تحاول يومياً إقناعه بتمديد فترة بقائه في فلورنسا. ولكن بسبب كونه أميركياً فليس بوسعه العمل بشكل شرعي في إيطاليا، وفي نهاية المطاف سينفد المال من بين يديه. أما **آني** فبوسعها البقاء في فلورنسا قدر ما تشاء نظراً لدعم أهلها لها. إنها تعي جداً فضلهم عليها وهي ممتنة لهم كثيراً. قطعت **آني** وعداً على نفسها بأن تستقلّ مادياً عندما تبلغ الثلاثين من عمرها آملة بأن تبيع لوحاتها في صالة عرض عندئذ. لقد أقامت معرضين في صالة عرض صغيرة في روما، وباعت العديد من اللوحات، ولكنها ما كانت لتتدبّر أمورها دون مساعدة والديها. في بعض الأحيان، شكّل لها ذلك بعض الإحراج، ولكن حتى هذه اللحظة، استحال عليها العيش من عائدات بيع لوحاتها، وربما سيستمر الأمر لعدة سنوات لاحقة أيضاً. لطالما مازحها **تشارلي** بهذا الشأن، ولكن دون أي غيرة، مشيراً دوماً إلى كونها فتاة محظوظة جداً، فإن سكنها في شقة قديمة نوع من الخداع، فباستطاعة والديها تحمّل كلفة استئجار شقة راقية لها لو شاءت ذلك. وهذا بالتأكيد ليس حال معظم الفنانين الذين يعرفانهم. وبالرغم من كثرة تعليقاته على واقع دعم أهلها لها، إلاّ أنه لطالما احترم موهبتها ونوعية العمل الذي كانت تنتجه. لم يساوره أي شكّ بأن لديها القدرة على أن تصبح فنانة مميزة جداً، ورغم أنها في السادسة والعشرين من عمرها فهي تسير في طريقها على خير ما يرام. أشارت مجموعة أعمالها إلى معرفة فنية عميقة، كما أنها تستخدم المواد الجيدة

بتقنية عالية وبمهارة ملحوظة. أظهرت لوحاتها بشكل كبير أنها تمتلك الموهبة الحقيقية. وعندما أتقنت مادة صعبة جداً، أخبرها **تشارلي** كم هو فخور بها. أراد الذهاب معها إلى بومباي في عطلة نهاية الأسبوع تلك لدراسة التصوير الجصي الجداري الموجود هناك. ولكنها كانت قد أخبرته أنها ستتوجّه إلى ديارها لمدة أسبوع من أجل حضور حفلة الرابع من تموز التي تقيمها عائلتها كل سنة.

"لماذا تهتمين إلى هذا الحدّ بالذهاب إلى منزل والديك؟" فهو لم يكن مقرّباً من عائلته إلى هذه الدرجة، ولم ينوِ زيارتهم خلال هذه السنة. كان قد ذكر لها أكثر من مرة إنه يرى أن تعلُّقها بوالديها وأخواتها أمر طفولي فهي تبلغ السادسة والعشرين من عمرها. ففسّرت له قائلة: "إنني أهتمّ كثيراً، فأفراد عائلتي مقرّبون جداً من بعضهم البعض. لا يتعلّق الأمر بتمضية العيد فحسب بل بتمضية أسبوع مع أخواتي، وأمي، وأبي". نبّهته قائلة: "أنا أذهب إلى دياري في كل المناسبات أيضاً، حتى لا تشعر بخيبة أو يخالجك سوء فهم في وقت لاحق". بالنسبة لعائلتها تُعتبر المناسبات أمراً مقدساً.

شعر **تشارلي** بقليل من الانزعاج، وبدل الانتظار لأسبوع آخر للذهاب إلى بومباي معها، قال إنه سيقوم بالرحلة برفقة فنان صديق آخر. خاب أمل **آني** لعدم ذهابها معه، ولكنها قرّرت ألاّ تأزّم الأمر. على الأقل بهذه الطريقة سيكون لديه ما يفعله في غيابها. كان قد واجه منذ وقت قريب مشكلة في عمله وهو يكافح ليوجد بضع تقنيات وأفكار جديدة. حتى الآن لم تكن أموره تسير على خير ما يرام، بالرغم من أنها واثقة بأنه سيخرج من أزمته هذه عمّا قريب. كان فناناً موهوباً جداً، رغم أن فناناً أكثر منه خبرة قدّم له نصيحة في فلورنسا قائلاً بأن نقاوة عمله أفسدها الوقت الذي أمضاه في التصميم.

رأى هذا الفنان الأكثر خبرة منه أن أعماله تتّصف بخاصية تجارية لزم عليه التخلّص منها. أهانت هذه التعليقات **تشارلي** بعمق بحيث قاطع

منتقده هذا لأسابيع. كان حساساً إلى درجة كبيرة في ما يتعلّق بفنه كحال العديد من الفنانين. أما **آني** فتميّزت بكونها أكثر انفتاحاً أمام النقد، ورحّبت به بهدف تحسين عملها. تمتّعت **آني** كأختها **كاندي** بتواضع يثير المفاجأة فهي تخلو من الحقد والنفاق، وامتازت بالتواضع الكبير في عملها.

وما انفكّت **آني** تقنع أختها **كاندي** بزيارتها منذ أشهر، وقد سنحت **لكاندي** الكثير من الفرص لزيارتها خلال تنقّلها بين باريس وميلانو، ولكنّ فلورنسا لم تكن على قائمة رحلات **كاندي**؛ فهي لم تحبّذ أبداً جو **آني** المحاطة بالفنانين المتضورين جوعاً. أحبّت **كاندي** زيارة أماكن مثل لندن وسان تروبيز بين رحلات عملها. إذ إن حياة **آني** الفنية في فلورنسا تبعد مسافة سنوات ضوئية عن حياة **كاندي**، والعكس صحيح أيضاً. لم تشعر **آني** بأية رغبة بالذهاب إلى باريس لمقابلة أختها أو النزول في فنادق فخمة مثل الريتز. بل كانت تشعر بسعادة أكبر عند تجولها في أرجاء فلورنسا، وعند تناول المثلجات، أو عند الذهاب إلى يوفيتزي للمرة الألف منتعلة صندلها ومرتدية تنورتها الطويلة. لقد فضّلت ذلك على ارتداء الملابس الأنيقة، وانتعال الأحذية ذات الكعب العالي، أو وضع مساحيق التجميل على وجهها مثلما يفعل جميع من في محيط **كاندي**. كانت تمقت الأشخاص السطحيين الذين يحيطون **بكاندي**. لطالما ردّدت **آني** أن أصدقاء **كاندي** يبدون وكأنهم بحاجة إلى الاستحمام. كان من الواضح أن الأختين تعيشان في عالمين متناقضين تماماً.

سألها **تشارلي** عندما أتى إلى شقتها: "متى ستغادرين؟" كانت قد وعدته بتحضير طعام العشاء له قبل مغادرتها بليلة وبعد أن تعود من صفها. اشترت الباستا والطماطم والخضار الطازجة، وقرّرت تحضير الصلصة التي سمعت عنها. اشترى **تشارلي** قارورة من الشراب، وسكب لها كوباً في الوقت الذي كانت تطهو فيه، فيما كان يرمقها بنظرات الإعجاب من زاوية الغرفة. كانت **آني** امرأة جميلة، طبيعية جداً، وغير

متكلّفة، وهي توحي لجميع من يلتقي بها بأنها فتاة بسيطة، في حين أنها فتاة مثقفة جداً في مجالها ومدربة إلى أعلى الدرجات، وتتحدّر من عائلة غنية نوعاً ما، رغم أن **آني** لم تذكر قطّ الخيرات التي تمتّعت بها في طفولتها وما زالت لا تأتي على ذكرها. كانت فنانة تحيا حياة ساكنة، وتكدّ في العمل. الشيء الوحيد الذي يدلّ على جذور طبقتها الغنية نوعاً ما هو ذاك الخاتم الذهبي الصغير الذي كانت تضعه في يدها اليسرى. كانت **آني** تتصرّف حيال هذا الأمر بتواضع وسكينة. الأمر الوحيد الذي كانت تقيس به نفسها والآخرين هو مدى إخلاصهم لفنهم وعملهم الدؤوب في مجال الفن.

ذكّرته وهي تضع طبق الباستا على طاولة المطبخ قائلة: "سأغادر في الغد". بدت رائحة الطعام لذيذة جداً، وقامت برشّ جبن البارميزان بنفسها على الطبق. أمّا الخبز فكان ساخناً وطازجاً. "لهذا السبب أطهو لك الليلة، متى ستغادر أنتَ و**سيزكو** إلى بومباي؟"

أجاب بهدوء وهو يبتسم في وجهها لدى جلوسه في الناحية المقابلة من الطاولة: "بعد غد". كانا يجلسان على كرسيين غير متشابهين وغير متوازنين، فقد كانت قد وجدتهما مرميين في الشارع. وبهذه الطريقة حصلت على معظم أثاث المنزل. أنفقت أقل ما أمكنها من المال الذي أرسلته إليها عائلتها على الطعام وإيجار المنزل. ولم تبدُ عليها أبداً مظاهر الرفاهية في حياتها. كانت تقود سيارة متواضعة من نوع فيات عمرها 15 سنة. ارتعبت أمها من كون السيارة غير آمنة ولكنّ **آني** رفضت أن تشتري سيارة جديدة.

قال بحزن: "سأفتقدكِ كثيراً". فهذه المرة ستكون الأولى التي سيفترقان فيها منذ أن التقيا. كان قد أخبرها أنه مغرم بها بعد شهر من موعدهما الغرامي الأول. لقد وقعت بغرامه، وأعجبت به أكثر من أي شخص آخر التقته. الأمر الوحيد الذي أثار قلقها هو واقع عودته إلى

الولايات المتحدة بعد ستة أشهر. كان يلحّ عليها كي تعود معه إلى نيويورك، ولكنها لم تكن مستعدة بعد لمغادرة إيطاليا، حتى ولو كان ذلك بطلب منه ولأجله. إن قرار المغادرة قرار يصعب عليها اتخاذه. فبالرغم من الحبّ الذي تكنّه له، يصعب عليها جداً التخلي عن فرصة الدراسة المتواصلة في فلورنسا ولو كان ذلك بطلب من رجل حياتها. كانت هذه هي المرة الأولى التي تواجه فيها مثل هذه المسألة، وكان ذلك أمراً مخيفاً بالنسبة إليها. أدركت أنها في حال تركت فلورنسا لأجله فستكون تضحية كبيرة من جهتها.

اقترح عليها وهو يرمقها بنظرات أمل، وردّت هي عليه بابتسامة: "لمَ لا نذهب إلى مكان ما بعد أن نعود من أمبريا"؟ كانا ينويان الذهاب إلى أمبريا برفقة بعض الأصدقاء في تموز، ولكنه أراد تمضية بعض الوقت معها على انفراد.

فقالت وهي تعني ما تقول: "ساعة تشاء". فاقترب منها، وقبّلها وهي تسكب له الباستا التي اتفقا على أنها لذيذة. كانت الوصفة جيدة، كما أن **آني** كانت ماهرة في الطهو. لطالما قال إن لقاءه بها كان أفضل ما حصل له منذ أن وصل إلى أوروبا، وقد أثّر كلامه هذا بها كثيراً.

قامت **آني** بالتقاط صورٍ له لتريها إلى أخواتها وأمها اللواتي أدركن أن علاقتها به جدية ومهمة جداً بالنسبة إليها. كانت أمها قد أخبرت أخواتها أنها تأمل بأن يتمكّن **تشارلي** من إقناع **آني** بالعودة إلى وطنها. إنها تحترم ما تقوم به **آني** في إيطاليا ولكنها تبعد مسافات طويلة عن وطنها، وبدا أنها لا تنوي العودة إلى الديار أبداً، وذلك لأنها سعيدة جداً هناك. فرحت الأم كثيراً عندما قرّرت **آني** زيارة منزل والديها في الرابع من تموز كالمعتاد. فلقد خشيت الأم أن تتخلّف أي من الفتيات عن زيارة المنزل مع مرور السنين، فيكسرن بذلك عادتهنّ التي اعتدن عليها كل سنة. فبمجرد أن يحصل ذلك لن تعود الأمور إلى سابق عهدها. حتى الآن لم

تتزوّج أي من الفتيات ولم ينجبن الأطفال، ولكن الأم أدركت أنه وبمجرد حدوث ذلك سيتغيّر كل شيء. وحتى حصول ذلك، تمنّت كثيراً تمضية الوقت معهنّ، وفرحت بزياراتهنّ كل سنة. أدركت أن استمرار مجيء بناتها الأربع ثلاث مرات في السنة سيكون بمثابة المعجزة، إضافة إلى تمكّنهنّ من زيارة المنزل عند الإمكان بين فترات الأعياد.

كان عدد زيارات **آني** أقل من أخواتها، ولكنها قدّست زيارة الأعياد الثلاثة التي يحتفلون فيها سوياً. كان **تشارلي** أقلّ ارتباطاً بعائلته، وقال إنه لم يذهب إلى منزله في نيو مكسيكو لزيارة أفراد عائلته منذ نحو أربع سنوات. أما **آني** فلم تتخيّل أبداً عدم رؤيتها لأخواتها ووالديها لمدة تصل إلى هذا الحدّ. إن أكثر ما افتقدته في فلورنسا هو بُعد عائلتها الشديد عنها.

في اليوم التالي، أوصلها **تشارلي** بالسيارة إلى المطار. ستكون رحلتها طويلة، فهي ستتوجّه أولاً إلى باريس، وستمكث في المطار لثلاث ساعات، ثم ستنطلق في رحلة الساعة الرابعة من بعد الظهر متوجّهة إلى نيويورك. ستصل إلى نيويورك عند الساعة السادسة بالتوقيت المحلي، وتوقّعت الوصول إلى المنزل قرابة الساعة التاسعة؛ أي بعد أن يكونوا قد فرغوا من تناول طعام العشاء. كانت قد اتّصلت قبل أسبوع بأختها **تامي**، وكانتا ستصلان إلى المنزل بفارق نصف ساعة بين الواحدة والأخرى. أما **كاندي** فكانت ستصل في وقت أبكر. في حين أن **سابرينا** ما كان عليها إلاّ التوجّه إلى منزل العائلة بسيارتها؛ فهي تقطن في نيويورك، ذلك في حال تمكّنت من مفارقة مكتبها وبالطبع ستصطحب معها كلبتها المريعة. كانت **آني** الفرد الوحيد في العائلة الذي يكره الكلاب. أما الأخريات فكنّ لا ينفصلن عن كلباتهنّ، ما عدا **كاندي** عند سفرها من أجل العمل، وعدا ذلك كانت دوماً تصطحب معها كلبتها المدللة جداً من فصيلة يوركشاير، والتي اعتادت على إلباسها كنزة كشمير زهرية اللون وعلى وضع عُقد في

شعرها. لا تعتبر **آني** من محبي اقتناء الكلاب، أما أمها فسعدت جداً باجتماعهنّ في المنزل مع كلباتهنّ أو من دونها.

قال **تشارلي**: "اعتني بنفسك". ثم عانقها، وقبّلها. "سأشتاق إليك". بدا حزيناً ووحيداً لدى مغادرتها له.

قالت **آني** بنعومة: "أنا أيضاً سأشتاق إليك". كانا قد أمضيا الليلة السابقة سوياً في وداع بعضهما البعض. وعدته قائلة: "سأتّصل بك". اعتادا عند انفصالهما عن بعضهما البعض حتى ولو لساعات قليلة الاتصال ببعضهما على الهاتف الخلوي. تمنّى **تشارلي** أن يبقى على اتصال مباشر مع المرأة التي يحبّ، وأن تبقى في متناول يده. أخبرها في إحدى المرات أنها بالنسبة إليه أهم من عائلته. أما هي فلم تتمكّن من قول الشيء نفسه، وما كانت لتقول ذلك، ولكن لم يساوره أي شك بأنها تكنّ له حباً كبيراً. شعرت للمرة الأولى بأنها قد التقت بتوأم روحها وربما بشريك حياتها رغم أنها لم ترغب أبداً بالزواج قبل مضي عدة سنوات، وهذا كان حال **تشارلي** أيضاً. ولكنهما كانا يفكران بالسكن سوياً في الأشهر الأخيرة له في إيطاليا، وكرّرا الحديث عن هذا الموضوع في الليلة الماضية. كانت تفكر في اقتراح هذا الأمر عليه لدى عودتها. أدركت أن هذا ما يريده بالضبط، وباتت الآن جاهزة للتفكير في هذا الأمر. لقد تقرّبا جداً من بعضهما البعض في الأشهر الستة الماضية. فقد تشابكت حياتهما بشكل كامل. لطالما قال لها إنه سيظلّ يحبّها مهما حصل سواء ازداد وزنها، أو كبرت في السن، أو فقدت أسنانها أو حتى فقدت عقلها. جلّ ما كان يهمّ كلاً منهما هو فنهما.

أذاعوا في المطار خبر قرب إقلاع رحلتها، فقبّلا بعضهما البعض للمرة الأخيرة قبل مغادرتها. لوّحت له بيدها، ثم غابت عن بصره عند البوابة، ورأته للمرة الأخيرة شاباً طويلاً جذاباً، يلوّح لها بيده، ويرمقها بنظرة اشتياق. لم تقم بدعوته لمرافقتها هذه المرة، ولكنها كانت تفكّر في

دعوته في المناسبة التالية خصوصاً وأن المناسبة التالية ستترافق مع قرب مغادرته للبلاد. فقد أرادته أن يلتقي بعائلتها رغم أنها أدركت أن أخواتها لاذعات في انتقاداتهنّ في بعض الأحيان. فلدى كل منهنّ آراؤها القوية، خصوصاً **سابرينا وتامي**، وجميعهنّ مختلفات عن **آني** ويعشن حياة مختلفة. إنها تتقاسم مع **تشارلي** الكثير من الأمور، حتى أكثر ممّا تتقاسمه معهنّ، رغم أنها كانت تحبّهن أكثر من الحياة نفسها. فقد كانت الأخوات يعتبرن رابطة الأخوة التي تربط بينهنّ مقدّسة جداً. جلست **آني** على مقعدها، وتحضّرت للرحلة القصيرة التي ستقطعها. جلست بالقرب من امرأة مسنّة قالت إنها متوجّهة لزيارة ابنتها. وبعد أن حطّت الطائرة تجوّلت **آني** في أنحاء مطار باريس. اتّصل بها **تشارلي** على هاتفها الخلوي ما إن أعادت تشغيله بُعيد هبوط الطائرة.

قال بحزن: "اشتقتُ إليك منذ اللحظة. عودي، ماذا عساي أفعل من دونك طيلة أسبوع؟" لم تعتد منه أن يكون متعلقاً بها إلى هذا الحدّ، ممّا أثّر فيها كثيراً. لقد باتا قريبين جداً من بعضهما البعض إلى حدّ أن هذه الرحلة كانت صعبة على كلٍّ منهما، وجعلتها تدرك إلى أي مدى باتا قريبين من بعضهما البعض.

أعادت التأكيد له: "ستمضي وقتاً ممتعاً في بومباي، وسأعود بعد بضعة أيام". ووعدته قائلة: "سأجلب لك زبدة الفستق". فقد كان يتذمّر من اشتياقه لطعمها منذ وصوله إلى إيطاليا. لم تشتق **آني** إلى أي شيء يتعلّق بالولايات المتحدة ما عدا عائلتها، وأحبّت العيش في إيطاليا، وتكيّفت بالكامل مع ثقافتها ولغتها وعاداتها وطعامها في السنتين الأخيرتين اللتين أمضتهما فيها. في الواقع، باتت تشعر بنوع من صدمة حضارات عندما تعود إلى وطنها. وقد اشتاقت إلى إيطاليا أكثر من اشتياقها إلى الولايات المتحدة، ومثّل ذلك جزءاً من رغبتها بالمكوث فيها. شعرت خلال وجودها في إيطاليا وكأنها في وطنها الأم، وكأنها خُلقت لتكون في هذا البلد. مقتت

التخلّـي عن هذا كله في حال طلب منها **تشارلي** العودة معه إلى الولايات المـتحدة بعـد ستة أشهر. شعرت بأنها ممزقة بين الرجل الذي تحبّه وبين المكـان الـذي تشعر فيه براحة تامة وكأنها عاشت فيه طيلة حياتها. كما وكانت تتكلّم اللغة الإيطالية بطلاقة.

غـادرت رحلة إير فرانس مطار شارل ديغول في موعدها. علمت **آنـي** أن **كانـدي** غـادرت المطـار نفسه قبل ست ساعات، ولكن لم تشأ الانتظار والذهاب برحلة **آني**، وذلك على الأغلب لأن **كاندي** كانت ستأخذ مقعـداً فـي الدرجـة الأولـى، أما **آنـي** فكانت تجلس في مقاعد الدرجة الاقتـصادية. ولكنّ **كاندي** كانت تتكفّل بمصاريفها الخاصة بنفسها أما **آني** فلـم تكـن تلـك حالهـا. ما كانتَ لتفكّر بالسفر بالدرجة الأولى على نفقة والـديها، أما **كاندي** فقالت إنها تفضّل الموت على السفر في مقاعد الدرجة الاقتـصادية حـيث تجلس محصورة في المقعد، ولا يوجد مكان لتمدّ فيه رجلـيها، ويجلـس الناس على مقاعد متراصة إلى جانب بعضها البعض، ويعجـزون عـن الاسـتلقاء. أما مقاعد الدرجة الأولى فتتحول إلى أسرّة مريحة، لذا لم ترغب أبداً بتفويت هذه المتعة عليها. قالت **لآني** إنها ستلتقي بها في المنـزل. كانت قد فكّرت بدفع فارق تكاليف الرحلة، ولكنها أدركت أن **آني** ترفض رفضاً قاطعاً إحسان أختها.

شـعرت **آنـي** براحة شديدة في مقعد الدرجة الاقتصادية الذي كانت تجلس فيه عند إقلاع الطائرة. وبالرغم من اشتياقها الشديد **لتشارلي** إلاّ أنها وبمجـرّد التفكيـر بعائلـتها لم تطق صبراً للوصول إلى منـزل والديها. أرجعـت ظهـرها إلى الوراء وهي تبتسم، ثم أغمضت عينيها وهي تفكّر بهم.

الفصل الثالث

كـان يوم **تامي** في لوس أنجلوس صاخباً جداً. حيث كانت متواجدة في مكتبها منذ الساعة الثامنة صباحاً، وهي تحاول إنجاز جميع أعمالها قبل مغادرتهـا. سـيمرّ البرنامج الذي ما انفكّت تنتجه منذ ثلاث سنوات بفترة انقطاع في فصل الصيف، ولكنها مشغولة في التحضير للموسم التالي. لقد أعلـنت نجمـة البـرنامج أنها حامل بتوأم في الأسبوع الماضي. أما بطل البـرنامج فقـد اعتُقل بتهمة تعاطي المخدرات، وتمّ التكتم عن الموضوع. إضافة إلى أنها فصلت اثنين من الممثلين في نهاية الموسم، ويجدر بها الآن إيجاد من يحلّ محلهما. كما وهدّد فريق تقنيي الصوت بالإضراب، ممّا قد يؤخّـر انطـلاق حلقـات الموسم الجديد. أضف إلى ذلك تهديد أحد رعاة البـرنامج بالانتقال إلى برنامج آخر. لقد كان مكتبها غارقاً تحت جبل من رسـائل المحامـين المـتعلقة بعقـود مـا، ومن وكلاء يردّون فيها على اتـصالاتها. كان بالها مشغولاً بالكثير من الأمور، وكلها جزء من متاعب إنتاج برنامج تلفزيوني ناجح جماهيرياً.

كانـت **تامي** قد تخصّصت في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، ومكثت بعد ذلك في لوس أنجلوس كمنتجة تنفيذية مساعدة في برنامج ناجح وطـويل المدى. ثم عملت في برنامجين، وكانت لها مشاركة مقتضبة في تلفـزيون الواقع الذي لم يعجبها، كما وعملت في برنامج مواعدة غرامية. في السنوات الثلاث الأخيرة كانت قد أنتجت برنامج **أطباء**، ومحوره أربع

نساء يمتهنّ الطب. احتلّ هذا البرنامج المرتبة الأولى طيلة الموسمين الماضيين. شغل العمل كامل حياة **تامي** تقريباً. وقد انتهت آخر علاقة عاطفية لها منذ حوالى السنتين. بعدها تعرّفت على رجلين، وخرجت معهما ولكنها مقتتهما. شعرت في ذاك المساء لدى مغادرتها المكتب أنها لا تمتلك لا الوقت لتلتقي بأي أحد آخر ولا الطاقة للذهاب إلى أي مكان. كانت **خوانيتا**، كلبة التشيواوا الصغيرة، أفضل صديقة لها، وقد اعتادت على الجلوس تحت مكتبها والخلود للنوم عند انشغال **تامي** بعملها.

ستبلغ **تامي** الثلاثين من عمرها في شهر أيلول، وقد مازحتها أخواتها قائلات إنها ستغدو سيدة مسنة. كانت الأخوات على الأرجح محقات. فبعمر التاسعة والعشرين لم تملك **تامي** الوقت لمواعدة الرجال، أو اللقاء بهم، أو تصفيف شعرها، أو قراءة المجلات، أو الذهاب إلى أي مكان في عطلة نهاية الأسبوع. كان هذا الثمن الذي شعرت بأنها على استعداد لدفعه مقابل إنتاج برنامج تلفزيوني ناجح. كان البرنامج قد نال جائزتي إيمي في الموسمين الماضيين. لقد حقّق البرنامج نجاحاً باهراً. أحبّت الشبكة التلفزيونية والرعاة فريق عمل البرنامج، ولكنها أدركت جيداً أكثر من أي شخص آخر أن هذه المحبة ستدوم فقط في حال بقي البرنامج في القمة، وأي تراجع في نسبة مشاهدي البرنامج من شأنه أن يرمي فريق عمل البرنامج في غياهب النسيان. فقد سبق أن سقطت برامج ناجحة جماهيرياً من القمة إلى الحضيض بطرفة عين. وخصوصاً وأن نجمة البرنامج الرئيسية حامل، وتأخذ فترة راحة. ستمثّل كل هذه المتاعب تحدّياً كبيراً يجدر **بتامي** تخطّيه، ولكنها لم تدرك السبيل إلى ذلك، على الأقل حتى الآن. أدركت أنها ستتوصّل إلى حلّ لهذه المشاكل كعادتها على الدوام. كانت عبقرية في ما يتعلّق باجتراح المعجزات، وحلّ المشاكل وتسويتها. عند حلول الساعة العاشرة والنصف في ذاك اليوم كانت **تامي** قد أجابت على كل مكالماتها الهاتفية، وتكلّمت مع أربعة وكلاء، وردّت على رسائل

البريد الإلكتروني، وقامت بتسليم سكرتيرتها مجموعة من الرسائل لتطبعها. فلقد كانت بحاجة إلى التوقيع عليها قبل مغادرتها، حيث وجب عليها المغادرة إلى المطار عند الساعة الواحدة لتستقلّ رحلة الساعة الثالثة إلى نيويورك. بدا مستحيلاً عليها الشرح لعائلتها كيف تسير حياتها بشكل يومي، ونوع الضغط الذي ترزح تحته لتحافظ على بقاء برنامجها في القمة. بعد أن شربت فنجان القهوة الثالث، عادت إلى مكتبها، وألقت نظرة إلى الأسفل حيث تنام كلبتها الصغيرة تحت المكتب. عندها رفعت **خوانيتا** رأسها، ورفت جفنيها، وانقلبت إلى الجنب الآخر، ثم عادت لتواصل نومها. ما زالت **تامي** تحتفظ **بخوانيتا** منذ أيام الجامعة، وتأخذها معها حيثما ذهبت. كانت الكلبة قرفية اللون، وترتجف حينما لا تُلبسها كنزة الكشمير. اعتادت **تامي** على وضع **خوانيتا** في حقيبتها عند مغادرة مكتبها للقيام بمهمات معينة أو لتناول طعام الغداء. فقد كانت تحمل دوماً حقيبة هرمز بيركن التي تتّسع لصديقتها الصغيرة.

"مرحباً **خواني**، كيف حالك يا عزيزتي؟" أنّت الكلبة الصغيرة بنعومة، ثم عادت للنوم تحت المكتب. كان الأشخاص الذين يدخلون مكتب **تامي** يدركون أن عليهم التنبّه لخطاهم في أرجاء المكتب. فإن حصل أي مكروه **لخوانيتا** فقد تنهار **تامي**. فقد كانت متعلّقة بها بشكل غير طبيعي، حسبما علّقت أمها أكثر من مرة. فقد مثّلت البديل لكل شيء لم تحصل عليه **تامي** في حياتها: الرجل، والأطفال، والصديقات اللواتي تخرج معهن، وأخواتها اللواتي حُرمت من رؤيتهن بشكل يومي منذ أن غادرن جميعاً المنزل. بدا أن **خوانيتا** المتلقية الوحيدة لحبّ **تامي** كلّه. في إحدى المرات ضاعت **خوانيتا** في المبنى فشارك جميع من في المبنى في البحث عنها، فيما انفجرت **تامي** بالبكاء، وعجزت عن السيطرة على نفسها، وركضت خارجاً إلى الشارع بحثاً عنها. ثم وُجدت **خوانيتا** سليمة ونائمة بقرب جهاز التدفئة. باتت **خوانيتا** مشهورة

في جميع أرجاء المبنى تماماً **كتامي** نظراً للنجاح الهائل الذي حقّقته **تامي** في البرنامج وهوسها بكلبتها.

كانت **تامي** امرأة ساحرة الجمال. شعرها طويل ومجعد وأحمر اللون، وقد بدا كثيفاً جداً وملفتاً بحيث دفع البعض إلى اتهامها في بعض الأحيان بوضع شعر مستعار على رأسها، ولكنه لم يكن سوى شعرها الطبيعي. يشبه لون شعر **تامي** لون شعر أمها الأحمر القوي، كما واتّسمت بعينين خضراوين، وبعض النمش على أنفها ووجنتيها ممّا جعلها تبدو صغيرة في السن. لقد كانت أقصر أخواتها، وجسدها يماثل جسد شابة يافعة، وتتميّز بسحر لا يُقاوم عندما لا تكون غارقة في العمل ومتوترة بسببه. كان أمر مغادرتها المكتب والصعود على متن الطائرة بمثابة قطع الحبل السرّي بين الأم ووليدها، ولكنها اعتادت دوماً على الذهاب إلى منزل والديها في المناسبات لتكون إلى جانب أخواتها ووالديها. كان هذا الوقت من السنة هو الأنسب لها لتغادر نظراً لأن الممثلين يكونون في عطلة. عادة يكون ترك العمل في موسم الأعياد صعباً عليها لأن ذلك يتزامن مع ذروة الموسم الذي تكافح خلاله للمحافظة على نسبة المشاهدين المرتفعة حيث تكون المنافسة عالية جداً. ولكنها لم تتخلّف أبداً عن الذهاب مهما كلّف الأمر. أخذت معها هاتفين خلويين وحاسوباً. فهي تتلقّى دوماً رسائلها الإلكترونية على حاسوبها، وتبقى على تواصل مع فريق عملها حيثما ذهبت. تعتبر **تامي** امرأة محترفة شديدة البراعة في مجالها ومنتجة تلفزيونية نموذجية. ممّا دفع بوالديها إلى الشعور بالفخر بها، وإنما بالقلق أيضاً على صحتها. بدا مستحيلاً ألاّ يعاني شخص مثلها من مشاكل صحية وهو يحمل على عاتقه مثل هذه المسؤولية الكبيرة، ويتعرّض لمثل هذا الضغط الشديد في العمل. لم تنفكّ أمها ترجوها كي تخفّف من هذا الضغط، في حين جاهر والدها بإعجابه بها نظراً لنجاحها الباهر. قالت لها أخواتها عن طريق المزاح إنها مجنونة، وهذا كان واقع الحال إلى درجة معينة.

حيث إن **تامي** نفسها قالت إنه لا بد وأن يكون المرء مجنوناً ليعمل في التلفزيون وهذا كان واقع حالها. لقد كانت مقتنعة أن السبب الوحيد الذي مكّنها من التحمل هو أنها تربّت في بيت يسوده جوّ عائلي طبيعي. هذا ما كان معظم الناس يحلمون بالحصول عليه. والدان متحابان مخلصان جداً لبعضهما البعض، وقفا إلى جانب بناتهما بصلابة وما زالا كذلك حتى الآن. اشتاقت في بعض الأحيان إلى الحياة العائلية السعيدة. إذ بدت حياتها ناقصة، وتفتقر إلى الكمال، منذ غادرت المنزل هي وأخواتها، وابتعدن عن بعضهنّ البعض. حيث إن **آني** غادرت إلى فلورنسا، و**كاندي** تجوب أرجاء العالم لتلتقط الصور لأغلفة المجلات أو لتقوم بالعروض على خشبات العرض في باريس، أما **سابرينا** فهي في نيويورك. كانت تشعر في بعض الأحيان باشتياق كبير لهنّ، وعندما كانت تحظى بفرصة للاتصال بهنّ في وقت متأخر من الليل، كانت تعجز عن ذلك نظراً للفروقات الزمنية بين أماكن سكنهنّ. لذا اعتادت على التواصل معهنّ عبر البريد الإلكتروني. عندما كانت أخواتها يتّصلن بها على هاتفها الخلوي، في الوقت الذي كانت فيه تركض من اجتماع إلى اجتماع، أو عندما تكون موجودة في موقع التصوير، كنّ لا يستطعن سوى تبادل بضع كلمات. لذا باتت تتحرّق شوقاً لقضاء العطلة معهنّ.

أطلّت مساعدتها **هايلي** برأسها من الباب، وقالت لها عند الساعة الثانية عشرة والأربعين دقيقة: "سيارتك في الأسفل يا **تامي**". فسألتها **تامي** بقلق: "هل جهّزت لي الرسائل لأوقّعها؟" فأجابتها وهي تمسك بملف: "بالطبع". ووضعته على مكتب **تامي**، وأعطتها قلماً. ألقت **تامي** نظرة سريعة على الرسائل، ووقّعت اسمها في أسفل كل رسالة. على الأقل بات بوسعها المغادرة مرتاحة البال، فكل الأمور المهمة تمّت تسويتها. فهي لم تكن أبداً تحبّذ المغادرة لتمضية عطلة دون إنجاز الأعمال المتراكمة على مكتبها، ممّا دفعها في بعض الأحيان إلى

المجيء أيام السبت وغالباً أيام الآحاد أيضاً. إذ إنها بالكاد كانت تذهب إلى أي مكان في العطل.

كانت تمتلك منزلاً في بيفيرلي هيلز، وتحبّه جداً. اشترته منذ ثلاث سنوات، ولم تفرغ بعد من تجهيزه. لم ترغب بتكليف مهندس ديكور ليقوم بهذه المهمة، وصمّمت على إتمام تجهيزه بنفسها، ولكنها لم تمتلك الوقت الكافي لفعل ذلك على الإطلاق. ما يزال عندها صناديق مليئة بالخزف الصيني، وأدوات التزيين التي لم تكلّف نفسها حتى عناء إخراجها من صناديقها مذ باعت منزلها القديم. في أحد الأيام قالت لنفسها، ووعدت أهلها بالتخفيف من ضغط عملها، ولكن لم يحن الوقت لذلك بعد. فقد كانت في ذروة حياتها المهنية، وبرنامجها يحقّق نجاحاً ساحقاً، وفي حال أضاعت البوصلة الآن فقد تخسر كل شيء. في الحقيقة، لقد أحبّت حياتها على ما هي عليه بما فيها من فوضى وجنون وخروج عن السيطرة. وأحبّت منزلها، وعملها، وأصدقاءها عندما كانت تمتلك الوقت لرؤيتهم، وكان يندر حدوث ذلك جداً حيث استهلك العمل معظم وقتها، كذلك أحبّت العيش في لوس أنجلوس بقدر ما أحبّت **آني** العيش في فلورنسا، وبقدر ما أحبّت **سابرينا** العيش في نيويورك. الوحيدة التي لم تأبه أبداً لمكان سكنها هي **كاندي** التي كانت تشعر بالسعادة في أي مكان طالما أنها تنزل في فندق خمس نجوم. عندما تكون في باريس، أو ميلانو، أو طوكيو تشعر بنفس القدر من السعادة التي تشعر بها عندما تكون في شقتها الفخمة في نيويورك. لطالما قالت **تامي** إن **كاندي** من عداد الرحّالة. كانت الأخريات أكثر ارتباطاً بالمدن التي يعشن فيها والمكان الذي أوجدن فيه عالمهنّ الخاص.

بالرغم من أن **كاندي** كانت أصغر من **تامي** بثماني سنوات فقط إلاّ أنها بدت كالطفلة. وكانت حياتهما مختلفة إلى حدّ كبير. حيث تدور حياة **كاندي** المهنية حول جمالها الباهر بغضّ النظر عن تواضعها الشديد في

هذا الصدد. أما عمل **تامي** فيتعلّق بمدى جمال الآخرين ومدى ذكائها، على الرغم من كونها امرأة جذابة جداً، ولكنها لم تلقِ بالاً لهذا الأمر أبداً. كانت تنهمك جداً في متاعب عملها ممّا شغلها عن التفكير في شكلها الخارجي، ولهذا السبب لم ترتبط بعلاقة جدية مع رجل في السنتين الأخيرتين. لم تمتلك الوقت للرجال، ونادراً ما كانت تقع في حبّ الرجال الذين مرّوا في حياتها. أما الرجال الذين تقابلهم في عالم الاستعراض فليسوا من النوع الذي تحبّذه. فلقد اتّسم معظمهم بالسطحية، والأنانية، والانغماس في الملذات. وغالباً ما كانت تعتبر أنها باتت أكبر سناً منهم، فقد كانوا يفضلون مواعدة الممثلات. ومعظم الرجال الذين كانوا يطلبون الخروج معها كانوا متزوّجين، ويرغبون بخيانة زوجاتهم أكثر من رغبتهم بإقامة علاقة جدّية مع امرأة واحدة. إنها لا تطيق التفاهات والأكاذيب والأشخاص النرجسيين. وبالتأكيد لم تشأ قطّ أن تكون عشيقة لأي رجل على الإطلاق. أضف إلى ذلك، أن الممثلين الذين كانت تقابلهم بدوا أشبه بالمخبولين. في البداية، عندما أتت إلى لوس أنجلوس، وبدأت العمل في هذا المجال، خرجت في مواعيد غرامية كثيرة، انتهى معظمها بفشل ذريع، وتبيّن أنها مخيّبة للآمال لسبب أو لآخر. تمّ تدبير عشرات المواعيد الغرامية لها. أما اليوم فباتت تجد سعادتها عند مغادرتها المكتب في المكوث في منزلها برفقة **خوانيتا** والابتعاد عن جنون يوم عملها. لم تمتلك لا الوقت ولا الطاقة للخروج مع فاشل ما إلى مطعم فاخر، والشعور إلى جانبه بالسأم الشديد لدى إخباره لها عن مدى فشل زواجه ومدى جنون زوجته التي يأمل أن تصبح عمّا قريب زوجته السابقة، ولدى سرده لها قصة أوراق طلاقه التي سينتهي قريباً العمل عليها. نادراً ما كان يمرّ عليها نوع الشاب الأعزب اللطيف. وبعمر التاسعة والعشرين لم تكن في عجلة من أمرها للزواج. إذ إنها تعطي أهمية أكبر لعملها. لا تنفكّ أمها تذكّرها كل سنة أن الوقت يمرّ بسرعة البرق، وبأنها ستجد يوماً ما أن الأوان قد فات. لم تدرك **تامي** إذا ما وجب عليها

تصديقها ولكن لم ينتبّها القلق حيال هذا الأمر بعد. فهي اليوم تسير على طريق هوليوود السريع، وتستمتع بذلك إلى أقصى حدّ. فحتى لو لم تحظَ بحياة اجتماعية ولا بموعد غرامي، فهي كانت مرتاحة لنمط حياتها.

عند الساعة الواحدة والخمس دقائق أمسكت **خوانيتا**، ووضعتها في حقيبة *البركين*، وأمسكت بمجموعة من الملفات وبحاسوبها، ووضعتها كلها في المحفظة الجلدية. كانت مساعدتها قد أرسلت حقيبتها إلى السيارة التي تنتظر في الأسفل. لم تحتج **تامي** إلى الكثير من الثياب للعطلة، وإنما إلى مجرد بنطال جينز أزرق، وبلوزة، وتنورة قطنية بيضاء من أجل حفلة والديها، وإلى حذاء عالي الكعب. كانت تضع في ذراعها مجموعة من الأساور، فبالرغم من كونها لا تبذل مجهوداً كبيراً في مجال العناية بمظهرها الخارجي إلاّ أنها لطالما كانت تبدو أنيقة ومواكبة للموضة. كانت لا تزال في ريعان الصبا إلى حدّ أنها تبدو أنيقة حتى في أي ملابس ترتديها. جالت **خوانيتا** بنظرها بحشرية في أرجاء المكان من داخل الحقيبة، وارتجفت عندما خرجت **تامي** من مكتبها وهي تلوّح بيدها لمساعدتها، ودخلت إلى المصعد. بعد دقيقتين، ركبت السيارة، وتوجّهت إلى المطار. وقد تسنّى لها الوقت لإجراء مكالمات هاتفية من السيارة، وانزعجت عندما وجدت أن الآخرين قد غادروا مكاتبهم باكراً ليتوجّهوا لتمضية العطلة أيضاً. عندما وصلت إلى منتصف الطريق، لم يسعْها سوى أن تُرجع رأسها إلى الوراء وترتاح. جلبت معها بعض الأوراق لتنجز بعض الأعمال على متن الطائرة. أملت فقط ألاّ يجلس بقربها شخص ثرثار. ولطالما ذكّرتها أمها أنها قد تلتقي بفتى أحلامها يوماً ما على متن الطائرة. ابتسمت **تامي** عندما تذكّرت ذلك، فهي لم تكن تبحث عن أمير الأحلام. إذ إنها ستكتفي بأي شخص طبيعي، ولكن حتى هذا الشخص الطبيعي لم تكن تبحث عنه الآن. إنها لا تبحث عن أي شخص في هذه الأونة. جلّ ما أرادته هو إتمام موسم آخر من برنامجها بنجاح والمحافظة

على نسبة المشاهدين العالية. كان ذلك صعباً بحدّ ذاته خصوصاً مع وجود متاعب مثل مشكلة حمل بطلة البرنامج الرئيسية. إذ إنها حتى الآن لم تجد مخرجاً من هذه المشكلة بعد. ولكنها ستجد الحلّ قطعاً. إذ يتوجّب عليها ذلك. فلطالما اجترحت **تامي** المعجزات التي تنقذ المواقف الصعبة. إنها مشهورة بذلك.

كان أفراد خدمة الشخصيات المهمة ينتظرون عند المنعطف عندما وصلت إلى المطار، وقد عرف موظف الاستقبال **تامي** على الفور. إذ سبق لهم وقدّموا لها الخدمات من قبل. كانت مساعدتها قد رتّبت لهذا الأمر. قاموا بترتيبات إدخال حقائبها على متن الطائرة، وحملوا محفظتها الجلدية، وعلّقوا حول مدى ظرافة كلبتها.

قالت **تامي** وهي تنحني لتقبّل كلبة التشيواوا: "أسمعتِ ذلك يا **خواني**؟ قالت إنك ظريفة. بالفعل أنت ظريفة". فردّت **خواني** بالارتجاف. كانت **تامي** قد وضعت كنزة الكشمير الزهرية في الحقيبة مع كلبتها وستلبسها إياها على متن الطائرة. لطالما تذمّرت حول مدى برودة قسم الدرجة الأولى في الطائرة. كانت قد أحضرت معها كنزة كشمير لنفسها، إذ لطالما شعرت بالبرد الشديد على متن الطائرات. ربما لأنها لا تتناول وجباتها بانتظام، ولا تأخذ أبداً القسط الكافي من النوم. كانت تتطلّع جداً للنوم حتى وقت متأخر في منزل والديها خلال العطلة. فهي تشعر عند تواجدها هناك وكأنها عادت إلى رحم أمها. كان المنزل هو المكان الوحيد في عالمها الذي تشعر فيه بحبّ الآخرين لها ورعايتهم، وحيث لا يتوجّب عليها العناية بالآخرين. تحبّ أمها كثيراً الإفراط في العناية بهنّ مهما بلغن من العمر. كانت تتطلّع للتكلم مع أخواتها حول مرور خمسة وثلاثين سنة على زواج والديهنّ وذلك في أيلول المقبل. أردن إقامة حفلة كبيرة لهما. أرادت اثنتان من الأخوات إقامة الحفل في كونيتيكيت، وخطر **لكاندي** أن عليهنّ إقامة حفلة كبيرة مذهلة في فندق في نيويورك. فهي في

النهاية مناسبة مهمة جداً. تركها موظفو خدمة الشخصيات المهمة لدى الأمن، وسارت **تامي** وحدها في طريقها نحو الطائرة. حملت **خوانيتا** وهي تمرّ عبر الفاحص الإلكتروني، في حين كانت الكلبة الصغيرة ترتجف. وبمجرد أن مرّا عبر الفاحص أعادتها إلى الحقيبة. وارتاحت جداً عندما اكتشفت أن أحداً لن يجلس بالقرب منها على مقعد الطائرة. وضعت حقيبتها على المقعد المحاذي لها، وأخرجت أوراق عملها. ثم ألبست **خوانيتا** الكنزة نظراً لبرودة الحجرة الشديدة. ثم لبست كنزتها، وقبل إقلاع الطائرة بدأت بعملها. رفضت تناول الشراب الذي قُدّم لها، والذي من شأنه أن يشعرها بالنعاس، وأخرجت قارورة المياه التي جلبتها معها، وسقت الكلبة بعض الماء. كانوا قد وصلوا إلى منتصف الطريق عندما أنهت أخيراً عملها، فأرجعت رأسها إلى الخلف، وأغمضت عينيها. لم تكلّف نفسها حتى عناء التوقف لتناول الغداء، وكانت قد شاهدت جميع الأفلام الحديثة على أقراص الفيديو المدمجة التي ابتاعتها من الأكاديمية أو من أماكن العروض الخاصة التي كانت تذهب إليها عندما يتسنّى لها الوقت. أرجعت مقعدها إلى الوراء، ونامت طيلة الوقت المتبقي من الرحلة. كان أسبوعها صاخباً، ولكنها أخيراً خرجت من المكتب، وبدأت تشعر بالراحة. أرادت أن تكون متيقظة جداً ومرتاحة عندما تقابل أخواتها، فلديهنّ الكثير من الأمور ليتكلّمن عنها بطبيعة الحال. وبالإضافة إلى رؤية أخواتها كانت تتحرّق شوقاً لمعانقة أمها. فهي على الرغم من نجاحها في هوليوود وتعلّقها بها، إلاّ أنها لطالما تحرقت شوقاً للذهاب إلى ديارها.

الفصل الرابع

غادرت **سابرينا** مكتبها عند الساعة السادسة. تمنّت لو تستطيع المغادرة في وقت أبكر، ولكنها اضطرّت إلى التدقيق في بعض الوثائق وتوقيعها. صحيح أن أياً من الأعمال ما كان سيُنفّذ خلال عطلة نهاية الأسبوع، ولكنها كانت ستأخذ عطلة ليوم إضافي وعلى سكرتيرتها أن ترفع الأوراق إلى المحكمة عند عودتها إلى المكتب نهار الثلاثاء. لم تكن **سابرينا** تحبّ أبداً أن تُبقي أعمالاً غير منتهية. كانت تعمل كمحامية في الشؤون العائلية في واحدة من أكبر الشركات القانونية في نيويورك. حيث تستلم اتفاقيات ما قبل الزواج، وقضايا الطلاق، وقضايا الوصاية على الأولاد. إن ما رأته خلال السنوات الثماني الأخيرة شكّل لديها قناعة بأنها لا تريد الزواج طيلة حياتها، رغم كونها مولعة بحبّ صديقها الحميم الذي كان خير رجل. كان **كريس** محامياً في شركة منافسة للشركة التي تعمل فيها. وينحصر اختصاصه في قانون مكافحة القيود والاحتكارات غير المشروعة، وقد انخرط في الدعاوى التي يقيمها فرد باسم أفراد آخرين والتي تطول لسنوات. إنه يتّسم بالصلابة، واللطف، والحنان، وما انفكا يتواعدان منذ ثلاث سنوات.

تبلغ **سابرينا** من العمر أربعة وثلاثين سنة. لم تكن تقيم مع **كريس**، ولكنهما كانا يمضيان الليل سوياً إما في شقتها أو في شقته، ثلاث أو أربع ليالٍ في الأسبوع. كفّ والداها أخيراً عن سؤالها عمّا إذا كانا سيتزوّجان

ومتى، فقد كانا راضيين بحياتهما، فلقد كان **كريس** صلباً كالجلمود. أدركت **سابرينا** جيداً أن بوسعها الاعتماد عليه، وكانا يحبّان تمضية الوقت سوياً. كانا يستمتعان بحضور المسرح، والحفلات الموسيقية، والباليه، وتسلق الجبال، والمشي، ولعب التنس، والتواجد سوياً أيام عطل نهاية الأسبوع. لقد تزوّج معظم أصدقائهما الذين يقاربونهما سناً، حتى أن بعضهم على وشك إنجاب المولود الثاني. ولكنّ **سابرينا** ليست جاهزة الآن للتفكير بالموضوع، ولا تريد ذلك حتى. لقد كانا ناجحين في مجال عملهما وأصبحا شريكين في شركتي القانون اللتين يعملان فيهما.

كان **كريس** يبلغ من العمر سبعة وثلاثين عاماً تقريباً، ويثير في بعض الأحيان مسألة رغبته بإنجاب الأطفال ولم تعارض **سابرينا** فكرته. فهي أرادت أن تنجب أطفالاً يوماً ما، ولكن ليس الآن. رغم أنها باتت الأخيرة بين صديقاتها التي ما تزال تحجم عن الإنجاب، وقد بلغت الرابعة والثلاثين من العمر. شعرت أن ما بينها وبين **كريس** يشبه الزواج، ولكنه يخلو من إزعاجاته، وخطر الطلاق، والألم الذي تراه في عملها اليومي. لم تشأ أبداً أن تكون لواحدة من موكلاتها، وتفضي إلى كره الرجل الذي تزوّجت به، وتشعر بخيبة أمل مريرة لما آلت إليه الأمور. لقد أحبّت **كريس**، وأحبّت حياتهما سوياً تماماً كما هي عليه.

كان سيذهب إلى حفلة والديها في اليوم التالي، وسيمضي الليل في المنزل في كونيتيكيت. فقد أدرك مدى أهمية إمضائها عطل نهاية الأسبوع هذه إلى جانب عائلتها بالنسبة إليها، وأحبّ والديها وأخواتها. لقد أحبّ كل شيء يتعلّق **بسابرينا**، ربما ما عدا أمراً واحداً وهو بغضها للزواج. فهو لم يتمكّن من فهم هذا الموقف نظراً لكون والداها متزوّجين وتغمرهما السعادة. أدرك أن عملها كمحامية قد ألقى بظلاله عليها. في البداية ظنّ أنهما سيتزوّجان بعد سنتين. وإنما الآن استقرّت حياتهما، وباتت تسير بشكل روتيني مريح. تبعد شقتاهما عن بعضهما البعض بضعة مبانٍ

حيث يتنقّلان بينهما بكل سهولة. كان يملك مفتاحاً لشقتها وهي بدورها تملك مفتاحاً لشقته. وعندما كانت تعمل حتى وقت متأخر كانت تقوم بالاتصال به فيذهب إلى شقتها ويأخذ كلبتها **بولا**، وهي كلبة من فصيلة الباسِت وعبارة عن طفلهما البديل. كان قد أهداها هذه الكلبة بمناسبة العيد منذ ثلاث سنوات وأحبّتها **سابرينا** جداً. تميّزت الكلبة بجلد مرقط باللون الأبيض والأسود، وتمتلك نظرة فصيلتها الحزينة. كانت **بولا** جميلة جداً، وكانت تغرق في حزن عميق عندما تفتقر إلى العناية الكاملة، وكان يستغرقهما أيام ليخرجاها من هذا الحزن. اعتادت على النوم في آخر سريرهما رغم أنها تزن 30 كلغ. ولكن ما كان بوسع **كريس** التذمر لأنه هو الذي أهداها هذه الكلبة. لطالما كانت هذه الهدية ثمينة جداً بالنسبة **لسابرينا** وما زالت كذلك. غادرت **سابرينا** المكتب، وتوجّهت إلى المنزل لاصطحابها، فوجدتها تجلس في كرسيها المفضّل بجانب المدفأة في غرفة الجلوس وعلى وجهها نظرة المُهَانة. بدا واضحاً أنها أدركت أن صاحبتها تأخّرت في أخذها في نزهة. وتأخّرت أيضاً في إطعامها.

قالت لها **سابرينا** لدى دخولها: "هيا لا تغضبي. كان لديّ أعمال أنهيها. ولا أستطيع إطعامك قبل انطلاقنا، وإلاّ ستشعرين بالدوار في السيارة". كانت **بولا** تصاب عادة بالدوار لدى تواجدها في السيارات، وتكره الرحلات الطويلة. علمت **سابرينا** أن الرحلة إلى كونيتيكيت ستطول على الأقل ساعتين أو ربما أكثر في زحمة السير أثناء عطل نهاية الأسبوع. ستكون رحلة طويلة حيث ستسير **سابرينا** ببطء، وكرهت **بولا** تفويت الوجبات. كان حجم **بولا** كبيراً بسبب النقص في التمرين والحركة. آثر **كريس** على أخذها لتركض في الحديقة العامة أيام عطل نهاية الأسبوع، ولكنهما انشغلا جداً في الآونة الأخيرة. حيث كان يعمل على قضية كبيرة، و**سابرينا** تعمل على ست قضايا طلاق معقدة، وسترفع ثلاث منها على الأقل أمام المحكمة. لذا كان أمامها الكثير من الأعمال، وبما أنها

محامية في قضايا الطلاق فكانت مطلوبة بشكل كثيف من نخبة أهالي نيويورك. أعطت **سابرينا** كعكة **لبولا**، فرفعت أنفها إلى الأعلى رافضة إياها. كانت تعاقب **سابرينا** كما اعتادت أن تفعل في كثير من الأحيان، ممّا دفع **سابرينا** إلى الابتسام. كان **كريس** يجيد أكثر تحسين مزاج الكلبة المعكر، فقد كان أكثر صبراً معها. وقد كانت **سابرينا** على عجلة من أمرها لتنطلق في طريقها. حيث حزمت حقائبها في الليلة السابقة، وجلّ ما تبقى أمامها هو تغيير ملابس العمل التي كانت عبارة عن بذة من قطن الليتين ذات اللون الرمادي القاتم، كانت قد لبستها لتمثُل أمام المحكمة ذاك الصباح، وبلوزة حريرية رمادية اللون، وعقد من اللؤلؤ وحذاء عالي الكعب. فبدّلت ملابسها، وارتدت بنطالاً من الجينز، وقميصاً قطنياً، وانتعلت صندلاً لترتاح في القيادة إلى كونيتيكيت. كانت تتحرّق شوقاً للوصول إلى هناك، وأدركت أنها ستصل في حدود الساعة العاشرة بحيث ستكون أختاها **آني** و**كاندي** قد سبقتاها إلى هناك.

أدركت أن **تامي** ما كانت لتصل إلى المنزل قبل الساعة الثانية من بعد منتصف الليل. إذ إن طائرتها ستصل عند الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً، ومن ثم عليها القيادة من محلة **جون كينيدي** إلى كونيتيكيت. لم تطق **سابرينا** صبراً للاجتماع بهنّ جميعاً نظراً لاشتياقها الشديد لهنّ. كانت قد ذهبت برفقة **كريس** إلى كاليفورنيا منذ سنتين لزيارة **تامي**، ولكنهما لم يتمكّنا من تكرار الزيارة على الرغم من أنهما ظلاّ يعدان بتخصيص بعض الوقت للقيام بزيارة مماثلة يوماً ما. وقد أمضيا وقتاً ممتعاً جداً برفقة **تامي** على الرغم من انشغالها بالعمل بشكل متواصل. كانت الأختان الكبيرتان في العائلة تمتلكان روحية العمل نفسها، وقد وصفهما **كريس** بالمدمنتين على العمل. فهو أفضل حالاً في ما يتعلّق بمغادرة المكتب في أوقات معقولة، ويرفض العمل في عُطل نهايات الأسبوع. لطالما احتفظت **سابرينا** بحقيبة العمل المملوءة بالأوراق في متناول يدها،

حيث يوجد فيها ما يتوجّب قراءته أو تحضيره لأجل قضية ما. كان **كريس** محامياً ماهراً أيضاً، ولكنه يمتلك نظرة أكثر روية حول الحياة، ممّا جعل منهما ثنائياً مناسباً جداً. فهو يدفعها إلى التخفيف من ضغط عملها، وهي تبقيه على المسار الصحيح، ولا تسمح له بتأجيل الأمور، الأمر الذي كان يميل إلى فعله. تمنّت لو تجد **تامي** رجلاً مثله، ولكن ليس له مثيل في العالم. لم ينل أي رجل واعدته **تامي** في السنوات العشر الأخيرة إعجاب **سابرينا**. فقد كانت تجذب الرجال الصعبين والمنغمسين في ذاتهم. ولكنّ **سابرينا** اختارت شخصاً يشبه والدِهنّ، فهو يتّسم بسلاسة في التعامل مع الآخرين، ولطيف، وطيب، ومحب. لذا يصعب على المرء ألاّ يحبّ **كريس** وقد أحبّوه جميعاً. حتى أنه يشبه والدَهنّ من ناحية الشكل نوعاً ما، وقد مازحتها أخواتها بهذا الصدد عندما التقين به للمرة الأولى. والآن يحبّه الجميع كما تحبّه هي. ولكنها ترفض الزواج منه أو من أي أحد آخر. فقد خشيت أن يفسد الزواج كل شيء كما اعتادت أن ترى في محاكماتها، حيث أخبرها العديد من الأزواج عدة مرات أن أمورهم كانت على خير ما يرام عندما كانوا يسكنون سوياً، وظلّت على هذا الحال لسنوات طويلة أحياناً، ولكن بعد أن تزوّجوا انهارت حياتهم. إذ يتحول أحدهما أو كلاهما إلى وحش. لم تخشَ أن يصيب ذلك **كريس** أو يصيبها هي، ولكن لِمَ المخاطرة؟ فالأمور على أفضل ما يرام على ما هي عليه.

رمقت **بولا سابرينا** بنظرة بؤس عندما كانت تضع حقيبتها بجانب باب المدخل. حسبت أنها ستتركها. "لا تنظري إليّ بهذه الطريقة أيتها السخيفة، فأنت ستأتين معي". قالت لها هذا الكلام وهي تلتقط الطوق بين يديها، فقفزت **بولا** من كرسيها، وهزّت ذنبها، وبدت أخيراً سعيدة. "أترين الأمور ليست بهذا السوء في النهاية أليس كذلك؟" وضعت الطوق حول رقبة الكلبة، وأطفأت الأنوار، وأمسكت بحقيبتها، ثم خرجت **وبولا** من الباب. كانت سيارتها في مرآب مجاور. فهي لم تستخدمها قطّ في المدينة

إلاّ حينما تغادرها. كانت مسافة السير إلى المرآب قصيرة. وضعت حقيبتها في صندوق السيارة، وجلست **بولا** بسعادة على المقعد الأمامي، ونظرت إلى خارج النافذة بحشرية. اطمأنّت **سابرينا** إلى أن والديها لا ينزعجان من كلاب بناتهنّ. فقد كان لدى الفتيات كلاب من فصيلة كوكر سبانيل في مرحلة الطفولة، ولكن لم يعاود والداها تربية الكلاب منذ سنوات. اعتبرا أن الكلبات الثلاث التي تأتي لزيارتهما بمثابة حفيداتهما، لأن والدتهنّ قالت إنها بدأت تعتقد أنهما لن يحظيا بالأحفاد أبداً. حتى الآن هذا ما بدا عليه الأمر. لطالما افترضت **سابرينا** أن واحدة من أخواتها الأصغر سناً منها ستتزوّج قبلها، وقد تكون **آني** على الأرجح. حيث إن **كاندي** لا تزال صغيرة جداً في السن وغير قادرة حتى الآن على الاستقرار مع رجل معين. فقد كانت دوماً تلتقي بالشبان الخطأ الذين ينجذبون إليها بسبب شكلها وشهرتها فحسب. أما **تامي** فبدت وكأنها نسيت فكرة المواعدة في السنتين الأخيرتين، ولم يبدُ أبداً أنها تلتقي برجال محترمين في مجال عملها الصاخب. وفيما يخصّها **وكريس**، فهما لا يخطّطان للزواج، إذ إنهما سعيدان في وضعهما الحالي. لذا كانت **آني** الوحيدة التي بدا أمر زواجها مرجحاً.

عندما كانت **سابرينا** تتوجّه بسيارتها إلى خارج المرآب، تساءلت عن مدى جدية صديق **آني** الحميم هذا. فقد بدت متعلقة جداً به، وقالت إنه رائع. ربما ليس رائعاً إلى درجة الزواج منه. كانت قد لمّحت إلى **سابرينا** بأنه سيعود إلى نيويورك في نهاية السنة. فتصوّرت **سابرينا** أن هذا الأمر الوحيد الذي سيدفعها إلى مغادرة فلورنسا. فقد أحبّت جداً العيش هناك إلى درجة أثارت قلق **سابرينا**. ماذا لو لم تعد أبداً من أوروبا؟ فهي تجد صعوبة في الذهاب إلى فلورنسا أكثر من الصعوبة التي تجدها في الذهاب إلى لوس أنجلوس. لم تكن تحبّ فكرة أنها وأخواتها منتشرات في أماكن بعيدة، بحيث تشعر بشوق كبير إليهنّ. كانت تلتقي **بكاندي** في بعض

الأحيان عندما يسمح لهما الوقت بذلك. حيث كانت تلتقي بها على موعد غداء أو عشاء أو حتى على شرب القهوة، ولكن بالكاد تمكّنت من رؤية أختيها الأخرتين، وقد اشتاقت إليهما كثيراً. أحياناً تظنّ أنها تشعر بهذا الاشتياق أكثر منهنّ جميعاً. إن الرابط الذي يربطها بأخواتها وحسّها العائلي قويان جداً، بل وأقوى من أي رابط بينها وبين أي شخص آخر حتى **كريس** نفسه رغم حبها الشديد له. اتّصلت به من هاتف سيارتها بمجرد أن وصلت إلى الطريق السريع. كان قد عاد لتوه من لعب السكواش مع صديق له وقال إنه متعب، ولكنه سعيد لفوزه.

سألته: "في أية ساعة ستخرج غداً؟" فقد اشتاقت إليه منذ اللحظة. لطالما اشتاقت إليه في الليالي التي لا يمضيانها سوياً، ولكنّ ذلك جعل من الليالي التي يجتمعان فيها أكثر حلاوة.

"سأصل في فترة بعد الظهر قبل موعد الحفلة. أردتُ أن أمنحك بعض الوقت لتنفردي بأخواتك. فأنا أعرف طبيعتكنّ أيتها الفتيات. ستتكلّمن عن الأحذية، والشعر، والأصدقاء الحميمين، والثياب، والعمل، والموضة. لديكن الكثير لتتكلّمن حوله". كان يمازحها ولكنه لم يبالغ في مزاحه. كانت الفتيات يبدون وكأنهنّ في عمر المراهقة عند اجتماعهنّ سوياً، عادة يقمن بتبادل الحديث والضحك حتى وقت متأخر من الليل. الفارق الوحيد الآن أنهنّ بتن يدخنّ أثناء فعل ذلك. وبتن أكثر لطفاً مع والديهنّ، أكثر ممّا كُنّ عليه في الصغر. الآن أدركن كم هنّ محظوظات لامتلاكهنّ والدين مثلهما، وعرفن مدى روعتهما.

كانت **وتامي** في فترة المراهقة قد تسبّبتا لأمهما بكثير من المصاعب. في حين اتّسم التعامل مع **كاندي** **وآني** بسهولة أكبر، وتمتّعتا بالحرية التي كافحت **تامي** **وسابرينا** للحصول عليها قبلهما، وصعب عليهما اكتسابها في بعض الأحيان. لطالما قالت **سابرينا** إنهما قد أنهكتا أمهما ولكنها كانت في بعض الأحيان قاسية. أدركت **سابرينا** أنه لم يكن من السهل تربية أربع

فتـيات. لقد قامت والدتهنّ بعمل رائع وكذلك والدهنّ. ولكنه غالباً ما كان يترك الكثير من القرارات الصعبة لوالدتهنّ وغالباً ما كان يذعن إليها، ممّا أزعـج **سابرينا**، حيث كانت تريد الحصول على دعمه فيرفض الانخراط وسط معاركهنّ. لم يكن محارباً بل محباً. وكانت الأم أكثر استعداداً لتكون أكثـر حـزماً وأقـل تعاطفاً مع بناتها في حال اقتنعت أنها على صواب. اعتقدت **سابرينا** أنها كانت شجاعة جداً وكنّت لها شديد الاحترام. أملت أن تكـون مثل أمها في أحد الأيام في حال تشجّعت وأنجبت أطفالاً. ولكنها لم تأخذ قراراً حول هذا الموضوع بعد، فقد كان أحد القرارات التي اعتزمت تأجـيلها الآن، مـثله مثل قرار الزواج. في عمر الرابعة والثلاثين لم تجد ساعتها البيولوجية بعد، ولم تكن على عجلة من أمرها.

لكـنّ **تامـي** هي التي كانت تشعر بتوتر جراء احتمال عدم إنجابها الأطفال في حال لم تجد الرجل المناسب. ففي العيد الماضي صرّحت أنها قـد تقـدم على الذهاب إلى بنك السائل المنوي في أحد الأيام إن اضطرّت لذلك. ذلك لأنها لم تشأ أن تفوتها فرصة إنجاب الأطفال لمجرد أنها لم تجد الرجل الذي قد ترغب بالزواج منه. ولكن ما يزال الوقت مبكراً على ذلك، وقـد حثّت الأخوات **تامي** على عدم التوتر وإلاّ سينتهي بها الأمر باختيار الـرجل الخطأ من جديد. فقد فعلت ذلك مراراً ويبدو أنها تخلّت الآن عن فكـرة وجود الرجال في حياتها كلياً. فقد قالت إن الرجال الذين التقت بهم كلهـم مجانـين، ووافقـتها **سابرينا** الرأي بسبب ما رأته منهم على مدى الـسنين. ورأت أن جمـيع الرجال الذين واعدتهم **تامي** بغيضون. لحسن الحـظ لم يكن **كريس** بغيضاً ولا مجنوناً. وقد أجمع الكلّ على هذا الرأي. بـل علـى العكس كانت **سابرينا** أكثر جنوناً منه، على الأقل في موضوع تـردّدها فـي الزواج. إذ لم تشأ الحصول لنفسها على زوج أو طفل حتى الآن، بـل أرادتـه أن يبقى إلى جانبها على هذا الحال في الوقت الراهن وربما إلى الأبد، ولم ترغب أن يتغيّر أي شيء بينهما.

سـألت **كـريس** علـى الهاتف وهي عالقة وسط زحمة السير: "ماذا ستفعل الليلة؟" ففي خضمّ زحمة السير هذه، ستحتاج إلى وقت طويل حتى تـصل، فـرأت أنه من اللطيف محادثته عبر الهاتف. إذ لطالما استمتعت بمحادثـته. نـادراً مـا كانا يتشاجران، وفي حال تشاجرا كانا يتصالحان بـسرعة. حـيث إنـه يشابه أباها من هذه الناحية. فقد كان والدها يبغض الـشجار مـن أي نوع كان وخصوصاً مع زوجته وحتى مع بناته، فاتّسم التعامل معه بسهولة مطلقة وكذلك **كريس**. "فكّرتُ في تحضير طعام العشاء لنفـسي، ومشاهدة مباراة على التلفاز، من ثم سأخلد للنوم فأنا مرهق". لقد أدركتْ مدى الجهد الذي كان يبذله في قضية شركة البترول التي كان يعمل علـيها. فقد كانت تدور حول التلوث البيئي، ويُحتمل أن تطول هذه القضية لـسنوات. كـان **كريس** المستشار الأساسي في القضية، ونال شهرة كبيرة جراءها. فشعرت بالفخر الشديد به. "كيف حال **بولا**؟"

نظرت إليها **سابرينا** على المقعد بمحاذاتها وابتسمت.

"إنهـا غارقـة فـي الـنوم، كانت غاضبة مني عندما وصلتُ إلى المنـزل. فقد تأخّرت عليها، أنت أكثر لطفاً منها بهذا الشأن".

"ستـسامحك عـندما يتسنّى لها اللعب على العشب ومطاردة الأرانب". تنتمـي **بولا** في الأصل إلى فصيلة كلاب الصيد، رغم أنها تربّت في المدينة، وجلّ ما تسنّى لها مطاردته هو الحمام في الحديقة العامة عندما يأخذها **كريس** لتـركض. "سأصطحبها للركض في الغد عندما أوافيكم". أجابت **سابرينا**: "إنها تحـتاج إلى ذلك فهي تسمن كثيراً". وعندما قالت هذا الكلام انتفضت **بولا** بعد أن شعرت بتقدّم السيارة إلى الأمام، ونظرت إليها وكأنها سمعت ما قالته عنها، وشـعرت بالمهانة من جديد. "آسفة يا **بولي** فأنا لم أقصد الكلام الذي قلته". ثم عـادت الكلبة، وجلست على المقعد، وغطّت في النوم، وأطلقت شخيراً عالياً. كانـت **سـابرينا** تحبّها جداً، وتستمتع برفقتها. قالت **سابرينا لكريس**: "آمل ألاّ تهاجمها **خوانيتا** من جديد". فقد أخافت **بولا** كثيراً في المرة الماضية.

"يا للإحراج كيف عسى **بولا** أن تخاف من كلبة تزن 1.5 كلغ فحسب".

"تحسب **خوانيتا** نفسها كلبة ضخمة جداً ودوماً تهاجم الكلبات الأخرى".

"إن السندويشات التي أتناولها أكبر حجماً منها، إنها سخيفة فهي تشبه الوطواط". ابتسم وهو يفكّر في الكلبات الثلاث لدى عائلتها، كل واحدة منهنّ أسخف من الأخرى. فكلبة **كامي** أشبه بأميرة صغيرة، وشعرها مزين دوماً بالعُقد، التي تسعى دوماً كلبة التشيواوا إلى جذبها كلما تسنّى لها ذلك. إنها كلبة هجومية تزن 1.5 كلغ. حذّرته **سابرينا** قائلة: "لا تتكلّم بهذه الطريقة **فتامي** تراها رائعة".

"أعتقد أن الحبّ أعمى، حتى حبّ الكلاب. على الأقل أختك **آني** بكامل عقلها". "لطالما كرهت الكلاب. فهي تعتقد أنها مصدر إزعاج. لقد حلقت في إحدى المرات شعر كلب أمي الذي كان من فصيلة كوكر سبانيل. فعاقبتها أمي لثلاثة أسابيع. قالت **آني** إن الكلب بدا لها وكأنه يشعر بالحرّ الشديد في منتصف الصيف الحار نظراً لكل الشعر الذي يكسوه. بدا الكلب المسكين مثيراً للشفقة". ضحكا على هذه الحادثة، وعندما خفّت وطأة ازدحام السير قالت له إنه يستحسن أن تقفل الخط معه. فقال لها إنه يحبّها، وبأنه سيراها في اليوم التالي في منزل والديها.

كانت **سابرينا** تفكّر فيه أثناء القيادة، وشعرت بأنها محظوظة لوجوده في حياتها. فليس من السهل الإلتقاء برجال طيبين، لذا فالحصول على شخص بروعة **كريس** أمر نادر. كانت تعي ذلك جيداً وممتنة جداً لكونهما سعيدين إلى جانب بعضهما البعض. كانت الأمور تسير نحو الأحسن سنة بعد أخرى، ممّا جعل أمها لا تفهم سبب امتعاضها من الزواج. هكذا كانت **سابرينا**، ولطالما قالت إنه لا يقع أي لوم على **كريس**. فهو أكثر من مستعد للزواج، ولكنه كان يصبر عليها نظراً لعدم رغبتها بالزواج. فهو لم يجبرها

أبداً على شيء، وقبل بها على حالها بكل مخاوفها وهواجسها. كان الطريق إلى كونيتيكيت طويلاً وبطيئاً في تلك الليلة. فاتصلت بالمنزل لتعتذر عن التأخير فأخبرتها أمها أن **كاندي** و**آني** قد وصلتا، وهما جالستان قرب حوض السباحة. قالت إنهما تبدوان رائعتين بالرغم من أن **كاندي** ما زالت على نحافتها ولكنها على الأقل لم تزدد نحافة. كانت **آني** تخبرهم عن **تشارلي**. قالت أمها إنها تبدو جدّية ممّا دفع **سابرينا** إلى الابتسام.

"سأصل إلى المنزل بأسرع وقت ممكن يا أمي، آسفة على التأخر".

"فلتصلي بالسلامة يا عزيزتي. لا تقلقي أعلم كم يصعب عليك مغادرة المكتب. كيف حال **كريس**؟"

"إنه بخير سيأتي غداً بعد الظهر، أراد أن يمنحنا بعض الوقت لنتبادل الأحاديث النسائية. إنه دوماً يتمتّع بهذا اللطف".

وافقتها أمها الرأي وقالت: "نعم هذا صحيح. قودي بحذر يا **سابرينا** لا تستعجلي فنحن سنبقى مستيقظين حتى وقت متأخر على كل حال. كما أن **تامي** لن تصل قبل الساعة الثانية، فقد اضطرّت إلى العمل اليوم أيضاً. أنتما الاثنتان تعملان بكدّ، ولكنكما تجنيان ثمار تعبكما، عليَّ الاعتراف بذلك. لا أعرف من أين تأتيان بكل هذه المثابرة على العمل. لا أحسبني أنا أو والدكما عملنا بهذا القدر من الجهد مثلكما".

"شكراً لك يا أمي". لطالما أفرطت والدتهنّ بالمديح. كانت تشعر بالفخر ببناتها الأربع إذ إن كلاً منهنّ تبلي حسناً بمجالها الخاص. والأهم من ذلك أنهنّ سعيدات، ووجدن مكانهنّ في الحياة. لم تعمد الأم أبداً على مقارنتهنّ ببعضهنّ البعض، حتى في مرحلة طفولتهنّ كانت تنظر إلى كل واحدة منهنّ كإنسانة مستقلة، تمتلك مواهبها وحاجاتها الخاصة. ممّا جعل من علاقتهنّ أفضل حالاً بكثير بوجودها معهنّ. كل واحدة منهنّ كانت مجنونة بأمها بطريقتها الخاصة. حيث كانت بمثابة الصديقة المقربة؛ وحتى أفضل من ذلك. كانت الفتيات يحظين بحبها غير المشروط ودعمها لهنّ،

ولم يغب عن نظرهنّ قطّ أنها أمهنّ وليست مجرد صديقة لهنّ. أحبّت **سابرينا** هذه الطريقة في التعامل، وكانت جميع صديقاتها قد أحببن أمها أيضاً. في فترة الطفولة كان جميع الأطفال يحبّون قضاء الوقت في منزلهنّ، ويعلمون أنهم دوماً مرحب بهم هناك طالما أنهم مهذبون ويحسنون التصرف. لم تسمح الأم لهم أبداً في مرحلة الشباب بتعاطي الموبقات، وقد احترم أصدقاؤهنّ هذه القواعد، ولكن مع بعض الاستثناءات. وعندما كانوا يخرقون هذه القواعد، كانت تتعامل معهم بقسوة.

وصلت **سابرينا** إلى مدخل المنزل بعد الساعة العاشرة. فأخرجت **بولا** من السيارة، وسارت نحو حوض السباحة حيث علمت أنها ستجد الجميع. كانت الأختان في الماء، ووالداها ممدّدين على كرسيين يتحادثان معهما. احتفلوا بوصول **سابرينا** بحماس وصرخات الفرح. حيث قفزت **كاندي** من حوض السباحة وعانقتها، فتبلّلت **سابرينا** على الفور بالماء، من ثم عانقت **آني** وقبّلتها، وضحكت الفتيات الثلاث بفرح غامر. قالت **آني** إن هذا اللقاء بأختها استحقّ كل هذه الرحلة الطويلة التي قطعتها من فلورنسا، وأضافت أن **سابرينا** تبدو على أفضل حال. فقد كانت قد قصّت شعرها الأسود إلى حدود كتفيها. في مرحلة الطفولة لطالما قالت **آني** إن **سابرينا** تشبه بياض الثلج ببشرتها البيضاء، وشعرها الأسود الداكن، وعينيها الزرقاوين الواسعتين اللتين تشبهان عيني **كاندي**. أما **تامي** و**آني** فكانت عيونهما خضراء مثل لون عيني والدتهما. كما ويماثل لون شعر **تامي** لون شعر أمها الأحمر، رغم أن شعر الأم لطالما كان انسيابياً. وقد قصّته الأم وبات قصيراً الآن. تعتبر **تامي** الوحيدة في العائلة التي تمتلك شعراً مجعداً كثيفاً وكانت تكره أن تربّيه ليزداد طولاً. اعتادت على تمليسه وإزالة تجاعيده لسنوات، أما الآن فتركته لينمو على حاله ليصبح مجموعة كثيفة من التجاعيد الناعمة. لطالما شعرت **سابرينا** بالغيرة من شعر **تامي**. كان شعر **سابرينا** كثيفاً، وأسود، وانسيابياً. وهي مثل جميع أخواتها شابة جميلة

جداً ولكن بطريقة مختلفة. فقد امتازت بجسد رفيع ورجلين طويلتين. لم تكن بطول **كاندي** ولكنها كانت طويلة. أما **تامي** فكانت تتمتّع بجسد منمنم مثل أمها، أما **آني** فكانت بين الاثنتين فهي تتمتّع بطول معتدل، ولكنها كانت جميلة جداً أيضاً.

"ماذا بشأن ذاك الفتى **تشارلي**؟" سألت **سابرينا آني** وهي تضع قدميها في الحوض وأمها تناولها كوب الليموناضة. لقد كانت أمهنّ سعيدة جداً بوجود ثلاث من بناتها في المنزل والرابعة ستصل في غضون ساعات. هذا كل ما تتمنّاه، أن تجد عائلتها مجتمعة سوياً في مكان واحد. نظرت بحب إلى زوجها وردّ عليها بالابتسام. فقد أدرك كم يعني لها وجود بناتها إلى جانبها. فانحنى صوبها وقبّلها. بعد نحو خمس وثلاثين سنة كانا لا يزالان مغرمين ببعضهما البعض وظهر ذلك جلياً عليهما.

حصلت بينهما بضعة شجارات على مرّ السنوات إلاّ أنها لم تكن شجارات عنيفة. ما لبث زواجهما يتمتّع بالاستقرار منذ لحظة زواجهما. تساءلت **سابرينا** في بعض الأحيان ما إذا كان هذا السبب الذي جعلها تتردّد في الزواج. لم تتخيّل أبداً أنها ستكون محظوظة إلى هذه الدرجة ليدوم زواجها مثل زواجهما، وهي لم ترغب بزواج أقل من زواجهما. إن كان هناك من زوج طيب في الوجود فهو **كريس** ولكنها لم تتخيّل أنها ستكون زوجة طيبة بقدر طيبة أمها على مرّ كل تلك السنوات. بدت **جاين** آدامز الأم والزوجة المثالية بالنسبة إليها. قالت **سابرينا** لأمها هذا الكلام مرة، فذُهلت لسماعه. قالت لها إن لديها الهفوات والأخطاء نفسها كأي شخص آخر. كان تُرجع الفضل إلى **جيم** في نجاح زواجهما وقالت إنه كان الزوج المثالي. وجدت أنه يسهل عليها قول ذلك بعد هذا الماضي الذي عاشته معه، ولكنها قالت إنها شعرت بالخوف أيضاً عندما تزوّجت. فقد كان الزواج خطوة كبيرة، ولكنها قالت **لسابرينا** إن الزواج يستحقّ المخاطرة لأجله.

قالت **سابرينا**: "أخبريني عن **تشارلي**. ما مدى جدية العلاقة؟ هل ستخطبان؟"

أجابت **آني** باستخفاف: "قطعاً لا، ليس بعد على كل حال. إنه شاب رائع ولكن لم يمضِ على علاقتنا سوى ستة أشهر. أنا في السادسة والعشرين من عمري ولا أرغب بالزواج الآن، ليس قبل أن تتزوّجي أنت. كيف حال **كريس**".

أجابت **سابرينا**: "إنه رائع". ثم تشتّت انتباه الجميع عندما نبحت كلبة **كاندي** الصغيرة على كلبة الباسث **بولا** التي بدت مرتعبة، فاختبأت تحت شجيرة في الوقت الذي واصلت فيه كلبة اليوركي الصغيرة التي تضع في شعرها عقدة زهرية صغيرة إرعابها. كانت **كاندي** في طريقها إلى المنزل قد توقّفت لتأخذها من المكان الذي شحنتها فيه. وقد اشتاقت إليها كثيراً عند وجودها في باريس وسعدت باسترجاعها. قالت **سابرينا**: "كلبتي جبانة جداً". وهي تضحك عليها. "أظنّ أن ثقتها بنفسها مهزوزة أو ما شابه، إنها عصبيّة جداً فهي تُصاب بالاكتئاب".

قالت **كاندي** وهي تضحك: "انتظروا حتى تهاجمها **خوانيتا**". حتى **زو** كلبة اليوركي تخاف منها.

سألتها **سابرينا**: "كيف حال باريس؟"

"إنها رائعة، كان الجميع يتوجّهون إلى سان تروبيز لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، أودّ كثيراً لو أكون هناك".

قالت **آني** بتأوّه: "أنا أيضاً".

قالت **سابرينا**: "جميعنا نتمنّى ذلك". وهي تبتسم لوالديها. بدا كل شيء حولهنّ مسالماً وجميلاً. استرجعن لحظتها المشاعر التي كانت تنتابهنّ في مرحلة الطفولة حيث كنّ يشعرن بالأمان والحب والحماية. لطالما شعرت **سابرينا** بالسعادة لدى تواجدها هنا. جلسوا في الخارج، وتحادثوا لساعة أخرى، ومن ثمّ خلد والدهنّ للنوم. بقيت الأم مستيقظة

بانتظار **تامي**. فقد أرادت أن تبقى مستيقظة حتى تستقبلها. ذهبت **سابرينا** لترتدي بذة السباحة لتنضمّ إلى أختيها في الحوض. كانت ليلة حارة، واليراعات ترقص في الهواء، وكانت مياه الحوض دافئة. من ثم عادت الفتيات إلى داخل المنزل، ولبسن ثياب النوم قرابة الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل. وضعت الأم السندويشات وكعك الحلوى مع مزيد من الليموناضة على طاولة المطبخ.

علّقت **كاندي** قائلة: "لو أنني واصلت السكن هنا لسمنت جداً، وعجزت عن العمل". وذلك بعد أن أكلت قضمة واحدة من الكعكة، ووضعتها من يدها. علّقت **آني**: "لا أظنّك معرّضة لخطر الإصابة بالسمنة". مثلها مثل الآخرين كانت تخشى عليها من شدة نحافتها. كانت قد استفادت كثيراً من نحافتها، وجنت جراء ذلك الكثير من المال. كنّ يجلسن في المطبخ يتحادثن عندما وصلت سيارة **تامي** الليموزين. سمعن صوت إقفال الباب، وبعد لحظة هرولت إلى المطبخ، واجتمعن سوياً من جديد. فتعانقن، وضحكن، وتكلّمن كلهنّ في وقت واحد، في حين كانت **خوانيتا** تنبح بصوت عالٍ على الجميع. كانت قد مكثت على الأرض لثانيتين قبل أن تقدم إلى اقتلاع عقدة **زو**، فدفعت **بولا** للانزواء تحت الكرسي. لم تعكس شخصيتها شخصية **تامي** ولكنها كانت قطعاً الكلبة الأشرس في المجموعة رغم كونها الأصغر حجماً. فحملتها **تامي** وأنّبتها. ولكن ما إن أنزلتها من يدها حتى لاذت الكلبتان الأخرتان بالفرار. اعتذرت **تامي** قائلة: "لا رجاء منها". ومن ثمّ أمعنت النظر في أخواتها. "يا الله كم تبدون رائعات، اشتقت إليكنّ كثيراً". وضعت **تامي** يديها حول أمها وعانقتها. وبعد دقائق قليلة وقفت **جاين**. لقد نفّذت مهمتها، واستقبلتهنّ جميعاً وبوسعها تركهنّ الآن. أدركت أنهنّ سيجلسن سوياً لساعات ليتبادلن الأحاديث والأسرار والقصص حول حياة كل منهنّ. آن الأوان بالنسبة لها كي تنسحب وتتركهنّ على انفراد.

قالت وهي تتثاءب: "أراكن في الصباح". وخرجت من المطبخ. أسعدها جداً اجتماعهنّ في المنزل ثانيةً. كانت هذه اللحظات هي الأسعد في هذه السنة.

قال الجميع: "نوماً هنيئاً يا أمي، نراك في الغد". وقبّلنها كما اعتدن أن يفعلن في الصغر قبل النوم.

بعد مغادرتها قامت الفتيات بتناول الشراب، وجلسن وتحادثن حتى ما بعد الساعة الرابعة فجراً، ومن ثم صعدن إلى الطابق العلوي. كان منزلهنّ غير عادي، بحيث كان لكل فتاة غرفتها الخاصة في صغرها. علّقن كلهنّ على مدى الغرابة التي شعرن بها لدى عودتهنّ إلى المنزل، ونومهنّ في أسرّتهن حيث ترعرعن. وهذا ما جعلهن يشعرن وكأنهنّ عدن أطفالاً من جديد، وأعاد لهنّ الكثير من الذكريات. قلن جميعاً إنهنّ وجدن أمهنّ بخير حال، ووعدن بمناقشة مسألة ذكرى زواج والديهنّ في اليوم التالي، ليضعن خطة للمشروع. كان لديهن الكثير من المواضيع للتطرّق إليها ومشاطرتها فيما بينهنّ، ومهما كان هناك من توترات بينهنّ في أثناء الصغر فقد زالت بمجرد أن اجتمعن تحت سقف واحد كبالغات. الوحيدة التي لا زالت تبدو أشبه بطفلة كانت **كاندي** ولكنها لا تزال صغيرة جداً في السن. فقد شعرت الأخريات بأنهنّ بالغات، ورغم صغر سنّ **كاندي** إلاّ أنها كانت تحيا حياة ناضجة. فقد حظيت بالمال والنجاح في وقت مبكر من حياتها، وبطرق معينة جعلها ذلك تبدو أكثر نضجاً ممّا هي عليه. كانت **سابرينا** و**تامي** تشعران بالقلق عليها وتحدّثتا حيال هذا الموضوع في بعض الأحيان. حيث كانت **كاندي** معرّضة لجو مرعب جداً ضمن مجال عملها كعارضة أزياء. وقد أملتا أن تتمكّن من السيطرة على الأمور. كانت مسألة تناولها الطعام مصدر قلق لهما. أما **آني** فكانت أكثر ارتياحاً حيال هذا الموضوع، ولطالما قالت إنها تعتقد أنها على ما يرام. ولكن بطرق معينة كانت أقل إدراكاً للتحديات التي تواجهها **كاندي** بشكل يومي ولمخاطر

عالمها. فقد اتّسمت حياة **آني** بالبساطة الشديدة، وانحصرت بعالم الفن، فلم تكن لتستوعب الحياة التي تحياها **كاندي**، فهي بالنسبة إليها حياة غير مألوفة إطلاقاً. كانت أختاها الأكبر سناً أكثر وعياً للمخاطر والمصاعب.

قبّلن بعضهنّ البعض قبل الخلود للنوم، وتوجّهت كل واحدة إلى غرفتها، وبعد دقائق قليلة دخلت **سابرينا** إلى غرفة **تامي** وأخبرتها بمدى سعادتها لرؤيتها لها. كانت **تامي** تجلس على السرير، وهي ترتدي ملابس نوم زهرية اللون، وشعرها الأحمر الكثيف والمجعد ملقى على كتفيها.

قالت **سابرينا لتامي** بحزن: "ليتك لا تعيشين على هذه المسافة البعيدة". فأجابت **تامي**: "وأنا أيضاً أتمنّى لو أنك قريبة مني. اشتقت إليكنّ كثيراً، أفرح كثيراً في كل مرة أراكنّ فيها، ولكن ليس لي عمل بالمستوى المطلوب في هذا المكان، فكلّ البرامج الضخمة تُنفَّذ في لوس أنجلوس". قالت **سابرينا** وهي تهزّ برأسها: "أعلم ذلك، الأيام تمرّ بسرعة بالغة، كم أكره الانتظار ستة أشهر حتى أراكنّ، أحياناً أتمنّى لو أننا لا نزال نعيش هنا مع أمنا وأبينا ولم نكبر أبداً".

قالت **سابرينا**: "نعم وأنا أيضاً". ثم عاودت احتضانها من جديد. "يسعدني أننا لا نزال نأتي إلى المنزل على هذا المنوال. على الأقل هذا شيء مهم. ربما يجدر بنا الترتيب لرحلة لنا جميعاً لنذهب لزيارة **آني** في فلورنسا. سيكون ذلك ممتعاً. ربما يرافقنا أبي وأمي في هذه الرحلة".

"لا أحسب أن والدنا سيوافق على مرافقتنا، ولكن من الممكن أن ترافقنا أمي. إنه دوماً يحسب أنهم لن يقووا على العمل من دونه في المكتب". فضحكت **تامي**. "أظنّ أنني أملك الفكرة نفسها عن نفسي، وأنت كذلك. حقاً يجدر بنا محاولة تمضية مزيد من الوقت مع بعضنا البعض. حتى الآن كلنا لسنا مرتبطات، فلم نتزوّج بعد ولم ننجب أطفالاً. إذ لاحقاً سيصبح من الأصعب علينا أن نجتمع سوياً. يجدر بنا محاولة الاجتماع طالما ما يزال بوسعنا ذلك".

قالت **سابرينا** بجدية: "أوافقك الرأي". في حين أطلّت **خوانيتا** برأسها من تحت الأغطية وهرّت في وجهها. فقفزت متفاجئة بعد التهديد بالهجوم الذي لقيته من كلبة بالكاد يصل حجمها إلى حجم همستر. كانت كلبة الباست نائمة بسلام في غرفتها. "لِمَ لا ننظم رحلة ما هذه المرة قبل مغادرتنا؟ يمكنني أن آخذ إجازة لأسبوع إن خطّطت لها مسبقاً".

قالت **تامي**: "أنا أيضاً". وكانت راغبةً بالقيام بهذه الرحلة رغم أنها لا تعرف كيف السبيل إلى ذلك. خلال موسم البرنامج تصبح حياتها صاخبة جداً. قالت **سابرينا**: "فلنتكلم حول هذا الموضوع في الغد". وغادرت الغرفة من جديد. كانت سعيدة جداً لتواجدها مع أخواتها. كانت جميع الفتيات سعيدات بذلك.

تمكّنت الأم من سماع أصواتهنّ يتنقّلن بين غرف بعضهنّ البعض. فابتسمت واقتربت من **جيم**. ذكرها ذلك بالأيام الغابرة عندما كانت تنام مطمئنة لوجود بناتها الأربع في المنزل ليلاً. ارتاحت لسماع أصوات جميع أفراد الأسرة تحت سقف واحد. تلت أدعيتها كما اعتادت أن تفعل، وغطّت في النوم وهي تفكّر كم أنها محظوظة لوجودهنّ في المنزل جميعاً، ولأنهنّ سيتواجدن في المنزل لثلاثة أيام مقبلة. بالنسبة إليها كانت هذه أكبر هدية من الحياة.

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي عندما استفاقت الفتيات واحدة تلو الأخرى، كانت الأم بانتظارهنّ في المطبخ، وهي جاهزة لتحضير فطور مميز لكل واحدة. فقد كانت تحبّ الطهو لهنّ، رغم ندرة حصول ذلك. كان الأب قد تناول طعام الفطور قبلهنّ بساعات، ويجلس في الخارج بجانب حوض السباحة يقرأ الجريدة. أحبّ إعطاءهنّ بعض الوقت مع أمهنّ، ونوى أن ينضمّ إليهنّ في وقت لاحق. فهو يدرك كم سيصبح الجو صاخباً بوجود النساء الخمس حيث يقمن بإثارة الضجيج من حوله. فضّل أن يمضي فترة الصباح بهدوء وسكينة.

لطالما كانت **سابرينا** تصحو باكراً وكانت أول من استفاقت. نزلت إلى الطابق السفلي، ووجدت أمها في المطبخ، وعرضت عليها مساعدتها في تحضير الفطور للأخريات. فأصرّت **جاين** على القول إنها تحبّذ تحضير الطعام بنفسها. لاحظت **سابرينا** مدى سعادة أمها ذاك الصباح، وأدركت كم تعني لها عودتهنّ جميعاً إلى المنزل حتى ولو لوقت قصير. كانت الأم قد حضّرت إبريقاً من القهوة، فقامت **سابرينا** بسكب القهوة لنفسها، وجلست على طاولة المطبخ لتحادث أمها بانتظار الأخريات. بعد أن ارتشفت رشفتين فحسب، دخلت **تامي** المطبخ، وتبعتها **آني** مباشرة. ظلّت **كاندي** آخر المستيقظات كحالها دوماً. بعد كل تلك السنوات لا زالت هناك بعض الأمور التي لم تتغيّر أبداً. كانت لا تزال غارقة في النوم في

الطابق العلوي، رغم أن كلبتها اليوركي كانت تتجوّل في أرجاء الطابق السفلي وتلعب مع **خوانيتا** في المطبخ. كانت **سابرينا** قد أطلقت العنان لكلبة الباست لتستكشف المكان بنفسها، أملاً بأن تجد ما يمكنها مطاردته.

قالت **جاين** بسعادة غامرة: "صباح الخير يا فتيات". كانت ترتدي سروالاً قصيراً أبيض اللون، وبلوزة زهرية، وتنتعل صندلاً من دون كعب. لفت نظر **سابرينا** أن أمها لا تزال تتمتّع بساقين رائعتين. كانت الفتيات الثلاث الكبيرات محظوظات لكونهنّ يتمتّعن بسيقان رائعة مثل والدتهنّ. أما **كاندي** فكانت ساقاها طويلتين جداً وأشبه بساقي والدها. "ماذا عساي أحضّر لكنّ؟" بدأت الفتيات بالتمتمة قائلات إنهنّ لا يتناولن طعام الفطور في العادة، ولم تكن أي منهنّ جائعة واكتفين بشرب القهوة. كانت الفتيات يعشن في مناطق ذات فروقات زمنية كبيرة جداً. بحيث كان الوقت حينها وقت عشاء بالنسبة **لكاندي**، التي كانت لا تزال نائمة. أمّا **آني** التي كانت تتضوّر جوعاً ولكنها رفضت الاعتراف بذلك، فلقد أمسكت ببرتقالة من وعاء الفاكهة الموجود على المنضدة وبدأت بتقشيرها، في حين كانت الأم تسكب القهوة **لآني وتامي**. بالنسبة إلى **تامي** كانت لا تزال تشعر وكأنها في منتصف الليل، ولكنها كانت صاحية جداً. كان الكل صاحين جداً. على الرغم من سهر الفتيات حتى وقت متأخر في الليلة الماضية، إلا أنهنّ تمتّعن بحيوية فائقة. اقترحت **جاين** تحضير البيض المخفوق، ووضعت صحن حلوى المافن على الطاولة مع الزبدة والمربى. فقامت الفتيات الثلاث بتناول الطعام بأنفسهنّ في الوقت الذي تبادلن فيه الحديث. اقترحت **سابرينا** أن تقوم واحدة منهنّ بإيقاظ **كاندي** حتى لا تتأخّر في النوم فتصحو في منتصف فترة بعد الظهر. فانسحبت **آني** بهدوء من المطبخ، وذهبت لإيقاظها، وبعد عشر دقائق نزلت الاثنتان. في ذاك الوقت كانت الأم تحضّر البيض المخفوق واللحم المقدّد. أصرّت الفتيات جميعاً على كونهنّ غير جائعات، ولكن بمجرد أن بات صحن البيض جاهزاً، أخذت

كل منهنّ حصتها إضافة إلى عدد من قطع اللحم المقدّد. سُرَّت **سابرينا** برؤية **كاندي** تأخذ بعض البيض، ونصف قطعة من حلوى المافن، وقطعة واحدة من اللحم المقدّد. كان هذا أغنى طعام فطور تتناوله منذ سنوات على الأرجح.

حتى **جاين** جلست معهنّ، ووضعت لنفسها صحناً من البيض. سألت باهتمام: "ما الذي تردن فعله هذا الصباح؟" لم يكن بوسعهنّ فعل الكثير فقد كان يوم عطلة وجميع المحال مقفلة. ولكنها ظنّت أنهنّ قد يرغبن بالاتصال ببعض صديقاتهنّ اللواتي ما يزلن يعشن في الجوار. فكثيرات منهنّ قد انتقلن من هنا، أو تزوّجن، أو حصلن على وظائف في مدن أخرى، ولكن بقيت الفتيات على اتصال بالبعض منهنّ. قالت **آني**: "أودّ تمضية الوقت مع أخواتي ومعك يا أمي". معبرة عمّا يدور في خلد الجميع. "ومع أبي إن لم يشعر بأننا نعكّر له صفو سكينته". أدركت الفتيات أنه يستمتع بوجودهنّ في المنزل، ولكنه لطالما كان من النوع الذي يستمتع بالوحدة. عندما كانت الفتيات أصغر سناً كان يمضي الكثير من وقته في لعب التنس والغولف مع بعض الأصدقاء وعلموا من أمهنّ أنه ما يزال يمارس هاتين الرياضتين.

بعمر التاسعة والخمسين كان لا يزال يتحرّك ويتصرّف كالشبان ولم يتغيّر كثيراً. ازداد الشيب في رأسه، ولكنه ما يزال رشيقاً. واتّفقن جميعاً في الرأي بأن أمهنّ تبدو على أفضل حال. حيث لا يزال وجهها جميلاً وقليل التجاعيد. كان بإمكانها بسهولة أن تكذب وتخفض عشر سنوات من سنها الحقيقي. بالكاد صدقت الفتيات أنها والدة لفتيات بعمرهنّ، بالرغم من واقع أنها أنجبتهنّ في عمر مبكر. بدا وكأن وجهها خالٍ من التجاعيد، وكانت تولي نفسها عناية شديدة. إذ ترتاد صف رياضة ثلاث مرات في الأسبوع، وقد ذكرت أنها تودّ حضور صف باليه لتحافظ على شكلها. ومهما كانت تفعل كانت تلقى نتيجة ممتازة. فقد كان شكلها أجمل حتى ممّا كانت عليه في مرحلة الشباب.

سألت **آني**: "أمي ماذا يجدر بنا فعله حتى نتحضّر لحفلة الليلة؟"

قالت الأم إن متعهدي تقديم الطعام سيحضرون عند الساعة الرابعة. وقد تمّت دعوة الزوار عند الساعة السابعة. قالت **جاين**: "ولكنني أحتاج إلى الذهاب إلى المتجر. هنالك سوبرماركت يفتح اليوم في الجانب الآخر من الطريق السريع. لقد نسيتُ شراء المخلل لأبيك". كانوا سيتناولون الهوت دوغ، والهمبرغر، والدجاج المقلي، وكل ما يأتي إلى جانب هذه الأطباق. كان متعهدو تقديم الطعام سيحضّرون طاولة طعام كاملة تضمّ أنواع السلطات، والبطاطا المقلية، وحلقات البصل، والسوشي، ومختلف أنواع المثلجات والفطائر. "تعرفن كم يحبّ والدكنّ المخلل، وأظنّ أن المايونيز نفد لدينا. تذكّرتُ ذلك ليلة البارحة فحسب". أضافت: "بوسعي شراء الحاجيات بعد تناول الغداء". وبدت غير راغبة بالابتعاد عنهنّ ولو لدقيقة واحدة. نظرت **آني** إليها، وابتسمت في وجهها متفهمة قصدها.

"سأذهب معك يا أمي. لمَ لا نذهب بعد الفطور، ونفرغ من شراء الحاجيات؟ لن يستغرق الأمر الكثير من الوقت". كان السوبرماركت الذي تقصده الأم على بُعد عشر دقائق. "أنا أقوم بالتسوق إن شئتِ".

قالت **آني** وهي تشطف الصحون قبل وضعها في غسالة الصحون في حين كانت **سابرينا** تقوم بمساعدتها: "أنا أذهب معك". في مثل هذه الأوقات كانت **جاين** تُسعد لامتلاكها غسالتين للصحون. ما زالوا يملكون في منزلهم غسالتين للملابس ونشافتين أيضاً. وقد مضت عليهم أوقات احتاجوا فيها إلى هذه الآلات. ولكن الآن وفي معظم الأحيان عندما تكون هي و**جيم** وحدهما بالكاد يمكنهما ملء آلة واحدة من هذه الآلات. عادة تقوم بتشغيل الآلة قبل أن تمتلئ بكثير. ولكن مع مجيء كل الفتيات سيعود كل شيء إلى الاستخدام من جديد.

نظراً لكثرة الأيدي العاملة، انتهى التنظيف في المطبخ في غضون دقائق، وهرعت الأم إلى الطابق العلوي لتجلب مفاتيح السيارة وحقيبتها. ثم عادت بعد دقيقة، في حين توجّهت الفتيات الثلاث إلى حوض السباحة

للانضمام إلى والدهنّ، بينما خرجت الأم مع **آني** من الباب الخلفي إلى السيارة.

شغلت **جاين** محرك سيارتها المرسيدس، وانطلقتا في الوقت الذي كانتا فيه تتبادلان الحديث. أخبرت **آني** أمها عن الصفوف التي كانت تحضرها في فلورنسا والتقنيات الجديدة التي تعلّمتها. كانت التقنيات تعتمد على مبادئ قديمة، كما وأنها تعلّمت كيفية مزج ألوانها الخاصة، وفي بعض الأحيان مع البيض. سألتها أمها محاولة الحفاظ على رباطة جأشها: "هل تظنّين أنك ستعودين إلى هنا يوماً ما؟" ردّت عليها **آني** بابتسامة.

أدركت **آني** مدى تألُّم أمها لابتعاد بناتها عنها.

قالت **آني** بصدق: "سأعود في نهاية المطاف ولكن ليس الآن. فأنا أحبّ ما أتعلّمه هناك، والحياة هناك جميلة. إنه مكان رائع للفنان". قالت لها أمها وهي تحاول ألاّ تلح في الموضوع: "وكذلك نيويورك. آمل فحسب ألاّ تبقي هناك للأبد. أكره أن تبقي بعيدة جداً عني".

"لستُ بعيدة إلى هذا الحدّ يا أمي. أستطيع المجيء إلى هنا بواسطة الطائرة في غضون يوم واحد في حال احتجت إليّ".

"هذا ليس السبب فأنا ووالدك بخير. في الحقيقة أنا أودّ الاستمتاع برؤيتك أكثر من ثلاث مرات في السنة عندما تأتين إلى المنزل في الأعياد. ثلاث مرات غير كافية البتة. لا أقصد أن أبدو غير ممتنة، فأنا مسرورة لمجيئك إلى المنزل. أتمنى فقط لو أنك كنتِ قريبة أو داخل المدينة مثل **سابرينا**".

"أعلم يا أمي. يجدر بك أنت وأبي زيارتي. فلورنسا مدينة جميلة جداً. سيصعب عليّ كثيراً مغادرتها عندما آخذ القرار بذلك في نهاية الأمر". لم تخبرها أن **تشارلي** ينوي المغادرة وأنها تفكّر في الأمر. لم ترغب بإعطاء العلاقة قدراً كبيراً من الأهمية، وخصوصاً في عيني أمها التي كانت تأمل جداً أن تعود **آني** إلى موطنها. كما ولم ترد إعطاء أمها أملاً مزيفاً.

وجدتا بكل سهولة مكاناً في موقف السوبرماركت لركن السيارة، ودخلتا سوياً. وضعتا الأغراض القليلة التي رغبتا بها في العربة وتوجّهتا لدفع ثمنها. ثم عادتا إلى موقف السيارات في غضون خمس دقائق. كان الطقس حاراً جداً، ورغبتا جداً بالعودة إلى المنزل والنزول في حوض السباحة. كانت تفصلهم ساعات عن موعد توافد الزوار. كانت **جاين** تتطلّع لتمضية الوقت معهنّ، غالباً داخل حوض السباحة وحوله. كان يُتوقّع أن تتخطّى الحرارة المئة درجة فهرنهايت في ذاك اليوم. فأملت أن يبرد الطقس قليلاً عند حلول المساء. فإن لم تنخفض الحرارة سيشعر الزوار بالحرّ الشديد عند الساعة السابعة عند تواجدهم خارج المنزل، وذلك لأن الطقس سيكون لا يزال مشمساً وحاراً. فالظلام يحلّ بعد الساعة الثامنة.

علّقت **آني** قائلة عند ركوبهما في السيارة المكيفة: "الجو هنا أكثر حرّاً من فلورنسا". لقد استمتعت بالهواء البارد الذي لفح وجهها عندما شغّلت أمها المكيف.

وجب عليهما قطع الطريق السريع للعودة إلى المنزل، وكانت **آني** تتكلّم عن **تشارلي** عندما وصلتا إلى وراء شاحنة تحمل كمية من الأنابيب الفولاذية على مقطورة تجرها وراءها. كانت **جاين** تستمع إليها بتأنٍ. وفي الوقت الذي كانت **آني** تتكلّم فيه سمعتا صوتاً قوياً، فرأتا الأنابيب الفولاذية وقد بدأت بالسقوط. تدحرج بعضها على جانبي الطريق ممّا اضطرّ بعض السيارات إلى الانحراف لتجنّبها، وتدحرجت بقية الأنابيب إلى الوراء باتجاه سيارة **جاين** المرسيدس. كانت تحاول التخفيف من سرعتها في الوقت الذي شهقت فيه **آني** لدى رؤيتها ثلاثة من الأنابيب تسقط من الشاحنة وتتوجّه مباشرة إليهما. فاندفعت ناحية أمها بشكل فطري وصرخت: "أمي!" ولكن كان الأوان قد فات. كان الأمر أشبه بمشهد من فيلم سينمائي، لم تتمكّن **جاين** من التوقف، رأت **آني** الأنابيب تدخل مباشرة إلى زجاج السيارة الأمامي، في الوقت الذي فقدت فيه **جاين** السيطرة على

مقود السيارة، واندفعت السيارة بسرعة متهورة في ممرّ ضيق أمامهما. سمعت **آني** نفسها تصرخ وتحاول إمساك مقود السيارة، في ذلك الوقت سمعت صوت تحطّم معادن، وتكسّر زجاج، وأصوات فرامل السيارات حولهما. نظرت ناحية أمها ولم تتمكّن من رؤيتها في أي مكان. كان الباب ناحية السائق مفتوحاً، والسيارة تتقدّم بسرعة كبيرة جداً ووقع نظر **آني** على سائق السيارة التي اصطدمتا بها قبل أن يتحول كل شيء من حولها إلى اللون الأسود وفقدانها للوعي.

كان اثنان من الأنابيب الفولاذية قد اخترقا السيارة التي انحرفت كثيراً عن مسارها وتوقّفت أخيراً بعد أن اصطدمت بسيارتين أمامها. كانت السيارات خلفهما وأمامهما تضغط على فراملها وتتوقّف بشكل فجائي وعلى الفور، في الوقت الذي اتّصل فيه أحد ما بالشرطة.

لم تُلحظ أية حركة في أي من السيارات التي تعرّضت للاصطدام، ووقف سائق الشاحنة على جانب الطريق يبكي لدى رؤيته لمدى الدمار الذي سبّبته شاحنته. عند وصول الشرطة كان في حالة صدمة ولم يقوَ على الكلام. حضرت إلى المكان سيارات الإطفاء وسيارات الإسعاف، ودورية شرطة الطريق السريع، والشرطة المحلية. كان سائقو السيارات الثلاثة قد قُتلوا إضافة إلى خمسة ركاب. كان هناك ناجية واحدة، هذا ما تمكّن رجال الإطفاء من تأكيده، وأخذهم الأمر نصف ساعة حتى تمكّنوا من سحبها من السيارة. كانت قد علقت تحت الأنابيب الفولاذية وكانت فاقدة للوعي في الوقت الذي نقلها فيه المسعفون. وقد سُحب الضحايا الآخرون من سياراتهم، وتمّ تمديدهم على الطريق السريع وتغطيتهم في انتظار وصول مزيد من سيارات الإسعاف. بدت الشرطة الموجودة في المكان في حالة دهشة، في حين تمّ إيقاف السيارات على بُعد أميال. هذا ما كان يحدث دوماً أيام الأعياد حيث تحصل حوادث السيارات، وتقع المآسي، ويموت الناس. كانت **جاين** قد اندفعت من السيارة عند اصطدام الأنابيب بسيارتها وماتت

على الفور. أما **آني** فكانت على شفير الموت في الوقت الذي نُقلت فيه إلى وحدة العناية الفائقة في مستشفى بريدجبورت.

أما في المنزل فكانت الأخوات يتبادلن الأحاديث مع والدهنّ ويستمتعن بيوم صيفي حارّ، وهنّ في غفلة من أمرهنّ عمّا حصل. كانت الفتيات يتوقّعن عودة أمهنّ وأختهنّ في أية لحظة ولم يخطر في بالهنّ أبداً أنهنّ لن يرين أمهنّ ثانيةً وأن أختهنّ تكافح للبقاء على قيد الحياة.

الفصل السادس

توجّه عنصران من دورية شرطة الطريق السريع إلى منزل **آدامز** قبيل الساعة الثانية عشرة والنصف، ودقّا جرس الباب. كانا قد تركا موقع الحادثة لحظة نُقلت **آني** إلى المستشفى. كانت الشرطة قد وجدت رخصة القيادة الخاصة **بجاين** في حقيبتها الموجودة في السيارة، واستطاعوا من خلال رخصة **آني** معرفة أنها ابنة **جاين**. كان عنوان أهلها في كونيتيكيت لا يزال مدوناً على رخصة القيادة الأميركية الخاصة بها. كما ولديها رخصة قيادة إيطالية في حقيبتها أيضاً. في حالة الضرورة كان يُسمح لدورية شرطة الطريق السريع بإبلاغ أهالي الضحايا على الهاتف عند حصول الحوادث. ولكن وجد **تشاك بتري** الشرطي المسؤول في موقع الحادث أن ذلك غير إنساني. فقد اعتبر أنه في حال حدوث أي شيء لابنته أو لزوجته كان سيودّ لو يأتي أي شخص بنفسه إلى منزله ليخبره وإنما ليس على الهاتف. لذا أرسل عنصرين من دورية شرطة الطريق السريع إلى عنوان **آدامز**، وتسلّم أمر السيارات في موقع الحادثة بنفسه، حيث كانوا يوجّهون السيارات للمرور بمحاذاة السيارات المحطمة، والجثث المغطاة بسرعة خمسة أميال في الساعة. بدا وجها عنصري الدورية اللذين يقرعان جرس الباب غير مريحين البتة. حيث كان واحد منهما عديم الخبرة، إذ إنه لم يتعرّض لمثل هذا الموقف من قبل. أما الشرطي الآخر الأكبر منه سناً فكان شريكه، ووعد بالتكلم بنفسه عندما يفتح أحدهم الباب.

لبثا بضع دقائق حتى وصل أحدهم إلى الباب، ذلك لأنهم عجزوا عن سماع صوت الجرس من مكانهم قرب حوض السباحة. كانت **سابرينا** قد تساءلت لتوّها عن سبب تأخّر أمها و**آني**. إذ مضى على غيابهما ساعة، وهي مدة أطول ممّا يستلزمه الذهاب إلى المتجر الذي قصدتاه. لعلّ المتجر كان مقفلاً واضطرتا للتوجّه إلى متجر آخر لشراء المخلل والمايونيز. **تامي** هي التي توجّهت لفتح الباب عندما سمعت الجرس، فقد كانت متوجهة إلى المطبخ لتحضّر لنفسها شراباً. فتحت الباب وبمجرد رؤيتهما ازدادت سرعة خفقان قلبها، وأجبرت نفسها على الاعتقاد بأن الوضع ليس بقدر الخطورة التي يبدو عليها. لعلهما هنا بسبب مخالفة بسيطة مثل رشاش المياه الذي يخلّف بقعاً على زجاج الجيران، أو الكلبات التي تصدر ضجيجاً عالياً. لا بد وأن هذا جلّ ما في الأمر. كان الشرطي الأصغر سناً يبتسم بتوتر في وجهها. ونظر الشرطي الأكبر سناً إليها وارتسم العبوس على وجهه.

سألته **تامي** وهي تنظر إليه مباشرة في عينيه وهي تعيد طمأنة نفسها من جديد: "كيف عساي أساعدك يا حضرة الشرطي؟"

"هل السيد **جايمس آدامز** موجود؟" إذ كان اسمه مسجلاً في دائرة السيارات الآلية كونه قريب **جاين**. كان الشرطي الأصغر سناً قد أخذ اسمه من الحاسوب لدى مجيئهما إلى المنزل. أجابت **آني** باحترام: "بالطبع". وتنحّت جانباً سامحة لهما بالدخول هرباً من الحرارة الشديدة في الخارج. كان المنزل بارداً جداً إلى حدّ بدا وكأنه قارس البرودة. فقد آثرت والدتهنّ تشغيل مكيف الهواء إلى أقصى درجاته. "سأناديه لكما ولكن ماذا عساي أخبره؟" أرادت أن تعرف هي نفسها السبب أكثر من رغبتها بإخبار والدها. ولكن فجأة ظهر والدها خلفها وكأنه شعر بأن جرس الباب ينذر بأمر خطير. بدا مرتبكاً عندما رأى شرطيي دورية الطريق السريع ببذّتيهما الرسميتين.

"هل أنت السيد **آدامز**؟"

"نعم هل حصل أي سوء؟" رأت **تامي** وجه والدها يتحول ليصبح شاحباً في الوقت الذي انضمّت فيه **سابرينا** و**كاندي** إليهم.

سأله الشرطي الأكبر بعد أن خلع قبعته عن رأسه إثر دخوله إلى المنزل: "هل لي بالتكلم معك على انفراد يا سيدي". لاحظت **تامي** أنه رجل حسن المظهر في سن والدها تقريباً إلاّ أنه أصلع. وقد بدا الشرطي الذي يرافقه وكأنه في الرابعة عشرة من عمره. دون التلفّظ بأية كلمة أرشدهما الوالد إلى المكتبة التي يمضي فيها وقته مع والدتهنّ في فترة الشتاء. كانت غرفة جميلة مزدانة بالخشب، وتحتوي على مدفأة وكتب قديمة كان قد جمعها على مدى السنوات. احتوت على كنبتين مريحتين وعدة كراسي جلدية ضخمة. جلس **جيم** على أحدها، وأشار إليهما للجلوس على الكنبة. لم يكن لديه أدنى فكرة عن سبب مجيئهما. خطرت له فكرة مجنونة بأن أحدهم على وشك التعرّض للاعتقال ولم يستطع تصوّر السبب. أمل ألاّ تكون إحدى الفتيات قد أقدمت على فعل أمر تافه. كانت **كاندي** لا تزال صغيرة في السن وهي الوحيدة التي خطرت على باله. لعلّها هرّبت بعض المخدرات من الجمارك عند مجيئها من باريس، أو لعلّ **آني** أقدمت على عمل ما متأثرة بحياتها الفنية. أمِل أن يكون العكس صحيحاً، ولكنه كان الأمر الوحيد الذي خطر على باله. في هذه الأثناء كانت بناته متجمعات خارجاً في الرواق، ويبدو عليهنّ القلق. في الداخل، أخذ الشرطي الأكبر سناً نفساً عميقاً، ممسكاً بالقبعة بين يديه، إذ مضى وقت طويل على انخراطه في مثل هذا الموقف وصَعُب عليه الأمر كثيراً.

"يؤسفني أن أقول لك يا سيدي إن حادثاً قد وقع منذ نحو العشرين دقيقة على الطريق السريع رقم واحد على بُعد خمسة أميال من هنا".

"حادث؟" بدا **جيم** مرتعباً، وخارج الغرفة شهقت **سابرينا** وأمسكت بيدي **تامي** و**كاندي**. لم يستوعب والدهنّ الخبر.

"نعم سيدي. أنا آسف. أردنا المجيء وإخبارك شخصياً. كان سبب الحادث شاحنة محملة بأنابيب فولاذية، تدحرجت عنها، وأدّت إلى ارتطام ثلاث سيارات. اخترق أحد الأنابيب إحدى السيارات. أما السائقة فكانت **جاين ويلكينسون آدامز**، تاريخ ميلادها 11 حزيران 1950. أنت مسجل كونك قريبها في دائرة السيارات الآلية. أعتقد أنها كانت زوجتك". بعد هذه الكلمات لم يعد **جيم** يسمع شيئاً وهو يحدّق فيه والرعب يرتسم على وجهه. فقال: "ماذا تقصد بأنها كانت زوجتي؟ إنها ما تزال زوجتي". "لقد قُتلت على الفور في الحادث. دخلت الأنابيب من زجاج سيارتها الأمامي وقذفت بها من السيارة التي اصطدمت بسيارتين أمامها. فتوفّيت جراء هذا الارتطام". لم يكن ثمة طريقة لتلطيف الكلمات فقد كانت قاسية جداً. وفجأة ملأ الألم وجه **جيم** بعد تلقّيه لهذه الكلمات ومعانيها.

"يا الله، يا الله..." سمعتْ الفتيات صوت تأوّه في الغرفة، وعجزن عن الانتظار فترة أطول، فهرعن إلى الغرفة. جلّ ما سمعته الفتيات هو "توفيت نتيجة الارتطام" ولكنهنّ لا يزلن يجهلن من، **آني** أم والدتهنّ أم كلتاهما؟ شعرن بخوف شديد في حين كان والدهنّ يبكي. كانت **سابرينا** أول من دخلت إلى الغرفة، فسألت: "من؟ ماذا حدث؟" وكانت أختاها خلفها بالقرب منها. كانت **كاندي** تبكي رغم أنها لم تعرف بعد عمّن يدور الحديث أو ما هو السبب.

قال والدهنّ بصوت مختنق: "إنها والدتكن، حصل حادث... ارتطمت السيارة من مقدمتها... وقعت أنابيب فولاذية من شاحنة..." امتلأت عينا **سابرينا** و**تامي** بالدموع، والتفتت **سابرينا** إلى الشرطي بنظرة جذع، فعبّر لهنّ عن مدى أسفه لما حصل لوالدتهنّ. "ماذا حصل لأختي. فقد كانت مع أمي في السيارة، تدعى **آني**". لم تسمح لنفسها حتى بالتفكير أن الاثنتين قد فارقتا الحياة. فحبست أنفاسها لحظة طرحت السؤال.

"إنها لا تزال على قيد الحياة. كنتُ على وشك إخبار والدكنّ ولكنني أردت منحه بعض الوقت ليلتقط أنفاسه". نظر الشرطي نظرة اعتذار إليهم،

ومـلأت الدموع عيني شريكه العديم الخبرة. فقد كان الوضع أسوأ ممّا قد تخيّله حتى. فهؤلاء الناس كانوا أشخاصاً حقيقيين، والفتيات يتكلمن عن والدتهنّ. لقد كان في سن **كاندي** رغم أنه بدا أصغر منها، ولديه ثلاث أخوات قريبات منهنّ في السن ووالدته قريبة في السن من والدتهنّ.

"لقد أُصيبت بجروح بالغة جراء الحادث، ونُقلت إلى مستشفى بريدبورت. كانت فاقدة للوعي عندما أخرجوها من السيارة. إنها معجزة فهي الوحيدة التي نجت من السيارات الثلاث". كان قد **مات** في الحادث ثمانية أشخاص، ولكن لم يخبر الشرطي آل آدامز بذلك. لقد أتى إلى هذا المنزل أولاً لأن **آني** كانت لا تزال على قيد الحياة. ويجدر إعلامهم بسرعة حتى يتمكّنوا من الذهاب إلى المستشفى. كان عامل الوقت أقل حرجاً في السيارات التي **مات** ركابها.

قالت **تامي** بتسرّع: "ماذا حصل لها؟ هل ستكون على ما يرام؟" في حين جمدت **كاندي** في مكانها وواصلت البكاء وهي تبدو وكأنها طفلة في الخامسة من عمرها وذات طول فارع.

"كانت حالتها حرجة جداً عندما نقلوها إلى المستشفى. سأقلّكم إلى المستشفى في حال رغبتم بذلك. أو بوسعي أن أفسح الطريق أمامكم بإطلاق صفارات الإنذار في السيارة إذا أردتم أن تستقلّوا سيارتكم الخاصة". كان **جيم** لا يزال يحدّق به غير مصدق لكلامه. نحو خمس وثلاثين سنة عاشها مع امرأة أحبّها جداً منذ لحظة لقائه بها وصلت الآن فجأة وبلمح البصر إلى نهايتها في حادث غريب غبي لا يُصدّق. حتى أنه لم يفهم جيداً ما قالوه حول **آني**. جلّ ما استطاع التفكير فيه الآن هو زوجته.

أجابت **سابرينا** قبل الجميع: "نعم، سنتبعك". فهزّ الشرطي رأسه، في حين هرعت هي و**تامي** إلى الطابق العلوي، وأخذتا حقيبتيهما، وبنوع من التدبّر المسبق أخذت **سابرينا** دفتر العناوين ولائحة المدعوين إلى الحفلة

من طاولة أمها. إذ سيضطرّون إلى إلغاء الحفلة التي كانت ستُقام تلك الليلة. حرصت **تامي** على وجود الكلبات الثلاث في داخل المنزل، ثم أخذت قوارير مياه من الثلاجة ورمتها في الحقيبة.

بعد لحظات كانوا يركضون إلى سيارة والدهنّ. كانت سيارة مرسيدس ضخمة حديثة الطراز. جلست **سابرينا** أمام عجلة القيادة، وطلبت من والدها ركوب السيارة. وجلست **كاندي** و**تامي** في المقعد الخلفي، وأقفلتا البابين. جلّ ما استطاعت **سابرينا** التفكير فيه هو احتمال مفارقة **آني** الحياة قبل وصولهم إليها. لذا كانت تدعو لها أن تبقى على قيد الحياة. شغّل الشرطيان صفارات الإنذار قبل مغادرة طريق المنزل، وانطلقا بسرعة قصوى، وسارت **سابرينا** خلفهما. كانت سرعة سيارة الشرطيين قد وصلت إلى التسعين ميلاً في الساعة عندما وصلا إلى الطريق السريع وبقيت **سابرينا** على بُعد قدمين منها طيلة الوقت. فوصلوا إلى مستشفى بريدبورت في غضون دقائق. لم يكفّ والدهنّ عن البكاء منذ لحظة مغادرته للمنزل.

"لِمَ لم أذهب إلى المتجر بدلاً منها؟ لأمكنني فعل ذلك. لم يخطر لي حتى أن أسألها". كان يضع اللوم على نفسه، في حين ركنت **سابرينا** السيارة في موقف المستشفى، ونظرت إليه لدقيقة قبل خروجهم من السيارة واحتضنته بين يديها.

"لو أنك فعلت ذلك لكانت هي هنا تبكي عليك يا أبي. لقد حصل الأمر. بوسعنا التفكير فيه في وقت لاحق. علينا أن نرى ماذا حصل **لآني** وإخراجها من هذه الحالة بطريقة ما". كانت **سابرينا** تأمل ألاّ تكون إصابتها بالغة كما كانوا يخشون جميعاً. بقليل من الحظ تنجو أختهنّ من الموت. كانت خسارة والدتهنّ وضعاً لا يحتمل وغير متوقّع على الإطلاق. ولكن في هذه اللحظة لم تسمح لنفسها سوى بالتفكير **بآني**. انتظرت خروج الجميع من السيارة، وقد بدا الأمر وكأنه استغرقهم دهراً، وشغّلت جهاز

الإنذار في سيارة والدها، ثم لوّحت بيدها شاكرة شرطيي دورية الطريق السريع لإيصالهم إلى المستشفى بهذه السرعة. بعدئذ هرعوا مباشرة إلى غرفة الطوارئ حيث تمّ إرسالهم إلى وحدة العناية الفائقة، فقالت لهم امرأة موجودة عند المكتب إن **آني** قد نُقلت من هنا. فركضت **سابرينا** في الرواق مع **تامي** و**كاندي** وخلفهنّ والدهنّ يجرّ خطاه. أرادت **سابرينا** مواساته، ولكن كانت **آني** تشغل تفكيرها في تلك اللحظة. لم يسعهنّ فعل أي شيء لوالدتهنّ. بطريقة ما شعرت **سابرينا** لدى دخولها إلى وحدة العناية الفائقة أن والدتهنّ ستكون بانتظارهنّ، وستقول لهنّ إن **آني** ستكون على ما يرام. ولكنّ الواقع الذي سيواجهونه كان مختلفاً تماماً. على الفور خرج المسؤول في وحدة العناية الفائقة لرؤيتهم بمجرد أن أدلت **سابرينا** بأسمائهم. فقال إن وضع **آني** خطير جداً وتحتاج إلى عملية جراحية في الدماغ والعين بأسرع وقت ممكن، وذلك لتخفيف الضغط عن دماغها أملاً بإنقاذ بصرها. ولكن لدى نظره إليهم لم يجد صعوبة في شرح الوضع لهم فقال إن أكبر إصابات **آني** كانت في الجزء من الدماغ الذي يؤثّر على البصر.

قال بتخوّف: "لستُ أدري إن كان بوسعي إنقاذ بصرها، في هذه اللحظة كل ما أودّه هو إبقاؤها على قيد الحياة".

قالت **تامي**: "ونحن كذلك". في حين كانت **كاندي** تحدّق فيه وهي تشعر بالرعب.

"إنها فنانة، عليك أن تنقذ عينيها". فهزّ برأسه ولم يقل شيئاً، ثم أراهم صور الأشعة على الصندوق الضوئي في غرفة الانتظار، وأخبرهم أنه ينتظر وصول أفضل جراح دماغ وطبيب عيون. فقد تمّ استدعاء كل منهما. وبما أنه كان يوم عطلة، لم يكن أي منهما في عمله، ولكن لحسن الحظ تمكّن موظفو المستشفى من الاتصال بهما. فاتّصل جراح الدماغ قائلاً إنه في طريقه إلى المستشفى. وكانوا قد أفلحوا للتو في الوصول إلى جراح العيون الذي كان يحضر حفل شواء عائلي. قال إنه سيصل إلى المستشفى

في غضون نصف ساعة. في تلك الأثناء كانت **آني** موصولة بجهاز التنفس. كان قلبها قد توقّف مرتين عن الخفقان في طريقها إلى المستشفى. ولكن موجاتها الدماغية في حالة طبيعية. على حدّ علمهم، حتى الآن لم يصب الدماغ بضرر شديد. وإنما بعد وقت قصير سيتسبّب ورم دماغها بمشاكل خطيرة، أما في هذه اللحظة فقد قال الطبيب المسؤول إن أكثر ما يثير قلقه هو عينيها. في حال نجت من الحادث، فهناك أمل بأن يعود دماغها إلى حالته الطبيعية.

ونظراً للضرر الذي تعرّضت له **آني** جراء الحادث لم يتصوّر أبداً أن بوسعهم إنقاذ بصرها. أكثر ما شغل باله هي أعصابها البصرية التي تعرّضت لضرر شديد يفوق القدرة على علاجها. ولكن المعجزات تحدث وهم بحاجة إلى معجزة الآن.

في الوقت الذي كانوا ينظرون فيه إلى صور دماغ **آني**، دخل جراح الدماغ. وبعد أن نظر إلى الصور بنفسه، شرح لهم كيف ستكون الإجراءات، وما هي المخاطر، وكم ستستغرق العملية من وقت. لم يعطهم أملاً مزيفاً وقال إن الاحتمال وارد بأن تموت آني تحت العملية. ولكن لم يكن أمامهم خيار آخر. إذ قال بوضوح إنه دون إجراء العملية من أجل تخفيف الورم، قد تصاب **آني** بتلف دماغي حادّ إلى الأبد أو قد تموت.

همست **تامي** لأختيها: "قد تكره **آني** ذلك". قاصدة الإصابة بتلف دماغي. اتفقوا أن يسمحوا له بإجراء العملية، ووقعت كل من **تامي** و**سابرينا** أوراق السماح. لم يكن وضع والدهنّ يسمح له بفعل أي شيء سوى الجلوس على كرسي في غرفة الانتظار والنحيب لوفاة زوجته. خشيت بناته أن يصاب بنوبة قلبية، واضطرّت **كاندي** للجلوس قائلة إنها تشعر وكأنه سيغمى عليها. جلست **كاندي** ووالدها سوياً يبكيان ويمسكان بأيدي بعضهما البعض. أما **سابرينا** و**تامي** فكانتا مصدومتين مثلهما، ولكنهما حافظتا على رباطة جأشهما، وتكلّمتا، وواجهتا الموقف بصلابة.

بعد لحظات من مغادرة جراح الدماغ لفحص **آني** من جديد، دخل جراح العيون وشرح للأختين دوره في العلاج. كانت العملية الجراحية التي سيجريها دقيقة للغاية، وبدا صادقاً معهما عندما نظر إلى الصور. قال إنه سيكون إنجازاً يقارب المستحيل بأن يتمكّن من إنقاذ بصر **آني**، ولكن ظنّ أن الأمر يستحقّ المحاولة. بين هذين الإجراءين قال لهما الجراحان بأن العملية المشتركة ستأخذ ما بين ست إلى ثماني ساعات، وحذّراهما بأن هناك احتمالاً كبيراً بألاّ تنجو أختهنّ من العملية. فهي على شفير الموت.

سألت **تامي** الطبيب المسؤول: "هل لنا برؤيتها قبل العملية؟" فأجاب بهزّ رأسه.

"إن وضعها سيئ جداً. هل أنتما واثقتان أنكما ستكونان على ما يرام؟"

هزّت **تامي** و**سابرينا** برأسيهما، من ثم استدارتا إلى حيث يجلس والدهما مع **كاندي**. ذهبتا إليهما وسألتاهما إذا كان يرغبان برؤية **آني** قبل العملية. لم تقولا ما تعرفانه بصراحة ولكن كان هناك احتمال بأن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي يرون فيها **آني** على قيد الحياة. فاكتفى والدهنّ بهزّ رأسه رافضاً، وأشاح بوجهه إلى الناحية الأخرى. فما أصابه حتى الآن يفوق قدرته على الاحتمال، كما وقيل له إنه يتوجّب عليه التعرف على جثة زوجته التي كانت موجودة في المشرحة في الأسفل. نظرت **كاندي** إلى أختيها الكبيرتين وبكت بصوت أعلى.

"آه يا الله... لا أستطيع... آه يا الله... **آني**... وأمي..." كانت أختهما الصغرى تنهار بالكامل، الأمر الذي لم يفاجئ أياً منهما. فتركتا **كاندي** ووالدهما في غرفة الانتظار وتبعتا الطبيب المسؤول إلى وحدة العناية الفائقة حيث كانت **آني**.

كانت موجودة في مكان محاط بالستائر وتغطّيها الكثير من الأنابيب والشاشات، وموصولة بآلة التنفس وأنفها مقفل. كان طبيبان وأربع

ممرضات يعملون عليها، ويراقبون إشاراتها الحيوية عن كثب. فقد انخفض ضغط دمها، وكانوا يناضلون لإبقائها على قيد الحياة. حاولت **تامي** و**سابرينا** ألاّ تعيقا طريقهم، ودلّهما الطبيب المسؤول إلى المكان الذي يجدر بهما الوقوف فيه. لم يسعهما سوى الاقتراب منها واحدة تلو الأخرى. كان وجهها مصاباً بضرر بالغ، وإحدى عظمتي الوجنتين مكسورة، إضافة إلى أن يديها مصابتان بجروح بالغة، وفي كتفها جرح عميق لم تتمّ مداواته بعد. أمسكت **سابرينا** بيدها بلطف، وقبّلت أصابعها في حين انهمرت الدموع على وجنتيها.

"هيا يا أختي، اصمدي... عليك أن تبقي على قيد الحياة لأجلنا جميعاً. إننا نحبّك. ستكونين على ما يرام. كوني قوية الآن. إننا هنا إلى جانبك". فجأة ذكّرها هذا الموقف بحادثة حصلت معها عندما كانت في الثالثة عشرة من عمرها، واصطحبت **آني** التي كانت تبلغ الخامسة من عمرها إلى الملعب. حينها ركبت **آني** على الأرجوحة عندما أشاحت **سابرينا** بنظرها عنها، فوقعت وكسرت يدها. فخافت **سابرينا** كثيراً وأخذتهما والدة إحدى صديقاتهما والتي كانت **سابرينا** تعرفها إلى غرفة الطوارئ في المستشفى حيث اتّصلت بأمها. لم تغضب والدتهنّ من **سابرينا** ولم تأنّبها، بل امتدحتها لبقائها صلبة ونقلها لأختها إلى المستشفى. قالت لها إنه أمكن لهذه الحادثة أنْ تحصل لو كانت هي معها أيضاً. فالحوادث تحصل مع الأطفال. أضافت إنه درس لها كي تتعلّم أن توليها اهتماماً أكبر في المرة المقبلة، ولكن الآن الحادثة حصلت على أي حال. وامتدحت **آني** على كونها شجاعة. لم تأنّب أياً منهما لكونهما مهملتين أو غبيتين. كان هذا أول دروسها الكبيرة حول طبيعة أمها الحقيقية، وكيفية معالجتها للأمور، وكم هي محبّة ولطيفة. لم تنسَ هذه الحادثة أبداً وتذكّرتها الآن. "عليك أن تتحلّي بالشجاعة يا **آني**، تماماً كما كنت عندما كسرت يدك". ولكن كان هذا الوضع أسوأ بكثير، وغير متوقّع على الإطلاق حيث إنه من المتوقّع أن تفقد **آني** بصرها. ولكن سيكون الأمر أسوأ بكثير في حالت رحلت

آني عن الحياة. شعرت **سابرينا** أنها مستعدة لتقبّل أي وضع كان، حتى لو أُصيبت **آني** بتلف دماغي، ولم تعد كسابق عهدها لبقية حياتها. فسيظلّون يحبّونها مهما تغيّر الحال. قبّلت أصابعها مجدداً، وأعطت مكانها **لتامي** التي وقفت ترمقها بنظراتها والدموع تتدحرج من عينيها على وجنتيها. وبالكاد أمكنها التكلم.

"سمعتِ **سابرينا** يا **آني**... سوف تعاقبنا جميعاً إن لم تصمدي". كان هذا تهديدها لأختها الأصغر سناً في صغرهنّ. كانت هي و**آني** أكثرهنّ تقارباً في السن. **فسابرينا** أكبر من **آني** بثماني سنوات وأكبر من **تامي** بخمس سنوات. في فترة الطفولة لطالما بدا فارق السن كبيراً جداً. ولكنه ما عاد يشكّل فارقاً الآن. قالت **تامي** قبل أن تنهار من شدة البكاء: "اصمدي يا **آني**، سنكون هنا إلى جانبك عندما تصحين. أنا أحبّك... لا تنسي أبداً". من ثم اضطرت إلى الانسحاب. توجّهت **سابرينا** لمعانقتها وغادرتا إلى غرفة الانتظار من جديد. أما والدهما و**كاندي** فلم يتحرّكا منذ تركتاهما، وبدت حالتهما أسوأ حتى من ذي قبل، ممّا أعطى **تامي** فكرة. بحثت عن رقم هاتف طبيب العائلة في دفتر العناوين الذي جلبتاه معهما. سجّلته على هاتفها الخلوي، وابتعدت بهدوء. عندما ردّوا عليها وأوصلوها إلى الطبيب في منزله، شرحت له ما قد حصل. ثم سألته إذا كان بإمكانه المجيء إلى المستشفى ليتعرّف إلى جثة أمها حتى لا يضطرّ والدها إلى فعل ذلك. إذ لم ترغب بأن يتذكّرها أي منهم على هذه الحالة، وقد حذّرها الطبيب بأن الضرر الذي تعرّضت له أمها كبير جداً ومنظرها مؤلم للغاية. فوعد طبيب العائلة بموافاتهم إلى المستشفى على الفور. قالت له إن والدها وأختها الصغرى في وضع سيئ جداً وقد يحتاجان إلى نوع من المهدئ إن وجد ذلك مناسباً. بدا مهتماً بالأمر وقال: "بالطبع وأنتِ كيف حالك؟"

أجابت **تامي** بصدق: "لستُ أدري". ونظرت إلى **سابرينا** التي أتت لتقف إلى جانبها. "أنا في حالة صدمة حسبما أعتقد. تماماً كحالنا جميعاً.

الأمر عصيب جداً ووضع **آني** حرج للغاية". شرحت له ما ينوون فعله في العملية الجراحية، ووعد بأن يوافيهم في غضون ساعة ليقدّم لهم الدعم المعنوي إن لم يسعه تقديم أي شيء آخر. اعتُبر مجيئه مهماً فهو سيريح والدها من المهمّة الصعبة جداً وهي التعرّف على جثة حبيبته **جاين**. لم تحتمل **تامي** التفكير بحالة أمها الراهنة، وأنه سيحمل على عاتقة التعرف على جثتها. وبعد التعرّف على الجثة يُسمح بإخراجها من المستشفى من أجل مراسم الجنازة، ولكن لم يفكّر أي منهم في هذا الموضوع بعد. فقد كانوا في حالة ذهول نتيجة كل ما قد حدث، وقلقين جداً على **آني**. في الوقت الذي كانت تتكلّم فيه **تامي** على الهاتف، أتى الطبيب المسؤول ليقول إنه تمّ إدخال **آني** إلى غرفة العمليات، وسيبدأون العملية بعد بضع دقائق. ووعدهم بنقل التقارير إليهم بمجرد أن تصله أية معلومة جديدة، ولكنه نبّههم من جديد أنها قد تقضي ساعات تحت العملية.

قال والدهنّ: "ألا يجدر بي توديعها؟" متكلماً عن زوجته، فأخبرته **تامي** أن طبيبهم سيأتي للتعرف عليها، لذا لم يعد مضطراً لذلك. تردّدت **تامي** قبل أن تجيب على سؤال والدها، باحثة عن الطريقة المناسبة لإخباره، وإراحته من مشاعر الذنب في نفس الوقت.

فقالت بصراحة: "لا أظنّ ذلك يا أبي. لا أحسَب أن أمي قد تودّ منك رؤيتها على هذه الحال. تعرف كم هي جميلة وساحرة". قالت **تامي** بلطف: "لما أرادتك أبداً أن تغرق في مثل هذا الحزن". وهي تمنع نفسها من البكاء ولكن دون جدوى.

"أتقصدين أنه ما عاد بوسعي ضمها إلى صدري من جديد؟" سؤاله هذا مزّق قلوب بناته، وكانت نظرة الحزن في عينيه أسوأ بكثير. بدا رجلاً مكسور الخاطر. كان في صباح ذاك اليوم بالتحديد الرجل الأكثر حيوية، وشباباً، ووسامة على الإطلاق، كما عرفته بناته دوماً. والآن فجأة وفي غضون ساعات تحوّل إلى رجل مرتعب، ومسن، وحزين. كان منظره مثيراً للألم.

قالت **سابرينا**: "بوسعك رؤيتها يا أبي، بالتأكيد بوسعك ذلك، ولكنني أظنّ أنه سيكون تأثير ذلك مريعاً عليك وعلى أمي أيضاً. أحياناً لا يتسنّى لنا توديع الأشخاص الذين نحبّهم. لو أنها قضت نحبها في تحطّم طائرة لما أمكنك أيضاً معانقتها. ما تبقّى لنا الآن ليس أمنا **جاين** بل بقاياها. لقد رحلت. إن رغبت بتوديعها بوسعك ذلك. لن يقف أحد في وجهك. ولكنني لا أظنّ أن هذا ما قد ترغب به أمنا".

لقد كرّست حياتها كاملة لجعل الحياة أكثر يسراً وسعادة له، وآخر ما قد تتمناه الآن هو أن تتسبّب له بمزيد من الألم.

قال برقة: "لعلك على حق". وبدا عليه القليل من الارتياح، وبعد فترة قصيرة دخل طبيب العائلة. تعامل مع **جيم** والبنات بشكل لطيف جداً. حيث بدا متعاطفاً ومحباً وودوداً إلى أقصى الحدود. أعطى **سابرينا** علبة *فاليوم* وطلب منها توزيعها حسب الحاجة. ورأى أن والدها قد يستفيد من تناول حبة الآن، واقترح أن يأخذه أحد ما إلى المنزل. إذ كان يتمتّع بصحة جيدة ولكنه كان يعاني دوماً من اضطرابات بسيطة في عمل القلب، وقد مرّ عليه يوم عصيب للغاية. كما ووجد **كاندي** أيضاً في حالة سيئة. كانت قد أُصيبت بضيق في التنفس مرتين منذ أن وصلوا إلى المستشفى، وقالت إنها تشعر وكأنها ستتقيأ. كما وكانت تشعر بالدوار كلما حاولت الوقوف. فأعطت **سابرينا** كلاً منهما حبة فاليوم إضافة إلى كوب من الماء البارد، وتكلّمت مع **تامي** بصوت منخفض بمجرد نزول الطبيب إلى المشرحة ليتعرّف على جثة **جاين**. سأل الفتاتين إذا ما اتصلتا بدار تنظيم الجنائز بعد، فأجابتا أنه لم يتسنَ لهما الوقت بعد. فقد توجّهوا مباشرة إلى المستشفى لرؤية **آني**. ولم تجريا أي اتصال. لم يكن لأي من والديهما أي أقارب، وأجدادهم قد توفّوا منذ سنوات. كانت العائلة بأكملها في المستشفى. يمكن أخذ جميع القرارات هنا، بالرغم من أنه يبدو جلياً أن **سابرينا** و**تامي** تتحمّلان المسؤولية كاملة، وتتمتّعان بالصلابة بالرغم من شدة تأثرهما

بالحادث المروع. ولكن والدهما و**كاندي** كانا في حالة انهيار على عكس **تامي وسابرينا** بالرغم من انفطار قلبيهما.

أخبرهما الطبيب عن دار تنظيم الجنائز التي يجدر بهما الاتصال بها. وبمجرد مغادرته، اتصلت **سابرينا** بهذه الدار، وطلبت منهم أن يأتوا في اليوم التالي لمناقشة الترتيبات. ولكن الظروف كانت صعبة بوجود أختهم في حالة حرجة. فأملت ألاّ يضطرّوا إلى التحضير لجنازتين. فجنازة واحدة، جنازة والدتهنّ، تكفيهنّ ألماً إذ كانت أسوأ من الكابوس. لقد أُصيبوا بأسوأ ما يمكن أن يحصل لأي إنسان. رفضت **سابرينا** التفكير في احتمال مفارقة **آني** للحياة.

كانت **تامي** و**سابرينا** واقفتين إلى جانب براد المياه في جهة الرواق المقابلة لمكان جلوس **كاندي** ووالدهما، فقالت **تامي لسابرينا**: "أعتقد أن على واحدة منا أن تصطحبهما إلى المنزل". بدأ يظهر على الاثنين بعض الخمول جراء دواء الفاليوم الذي تناولاه، فبدا الوالد وكأنه سيغفو. لقد فاقت أهوال ما حصل قدرته على الاحتمال. قالت **سابرينا** وهي تبدو قلقة: "لا أريد أن أتركِكِ هنا وحدك. كما وأريد البقاء هنا إلى جانب **آني** أيضاً. يجدر بنا نحن الاثنتان البقاء".

قات **تامي** بشكل عملي: "لا نستطيع ذلك". كانت واقعية وعملية حتى في أكثر الظروف فظاعة وتشنجاً. كما وكانت **سابرينا** صلبة إلى حدٍّ ما. بدتا مختلفتين كلياً من حيث الشكل الخارجي ولكنهما متشابهتان جداً من حيث الخصائص الداخلية، وقد ورثتا الكثير عن أمهما. لكانت استطاعت تحمّل هول هذه الكارثة تماماً كحالهما. كانت **سابرينا** تدرك ذلك. "لا أحد منهما في حالة تسمح له بالبقاء هنا. علينا أخذهما إلى المنزل ليرتاحا في السرير. أظنّ أن علينا تبادل الأدوار في التواجد هنا إلى جانب **آني**. ليس هناك جدوى من بقائنا نحن الاثنتان هنا، أو ترك أبي و**كاندي** وحدهما في المنزل. لا نستطيع ذلك إنهما في حالة مريعة. كما وستخضع **آني** للعملية

لعدة ساعات. لا أحسبها ستخرج من غرفة العمليات قبل الساعة التاسعة أو العاشرة مساء".

"لِـمَ لا أطلب من **كريس** المجيء إلى هنا؟ بوسعه البقاء معهما الليلة حتى يسعك العودة عندما تخرج **آني** من العملية. إنه يجيد التعامل مع أبي. وكان سيأتي على كل حال من أجل حفلة الليلة".

"آه يا الله علينا الاتصال بالجميع. فيُفترض أن تبدأ الحفلة بعد ساعات معدودات". إذ لم ترغبا أن يدقّ جرس بابهم مئة شخص. لذا يجدر بهما إلغاء الحفلة.

فاقترحت **سابرينا** على **تامي**: "أنتِ خذي **كاندي** وأبي إلى المنزل، وأنا سأبقى هنا وأجري الاتصالات. ليس لديَّ شيء آخر أفعله هنا. أودّ أن أبقى في الجوار في حال حدوث أي مكروه". أرادت **تامي** أن تبقى في المستشفى أيضاً، ولكن بدا كلام **سابرينا** منطقياً.

"حسناً عندما يصل **كريس** إلى هنا بوسعه البقاء في المنزل، وأعود أنا لأبقى معك، أو بوسعك عندها الذهاب إلى المنزل في حال تحسّنت حالتها وزال عنها الخطر". قالت **سابرينا** بحزن: "لا أظنّ أن حالها سيتحسّن بهذه السرعة. أظنّ أنها ستبقى في حالة الخطر لفترة من الوقت".

قالت **تامي** وهي تبدو محطمة: "نعم أظنّ ذلك".

كانتا محطمتين. لم تجدا بعض التعزية سوى بالتحرك لتدارك الأمور تماماً كوالدتهما. كانت **آني** و**كاندي** أكثر شبهاً بوالدهنّ، أي حالمتان وسريعتا الغضب، رغم أن **تامي** لم تفكّر أبداً بوالدها على هذا النحو. لطالما افترضت أنه كان قوياً، ولكنها رأت الآن أنه ليس كذلك، ومن دون أمها كان ينهار كأوراق الخريف. كانت الصدمة في أوجّها، ولكنها توقّعت منه أن يكون أكثر صلابة ممّا كان عليه.

عادت الأختان إلى **كاندي** وأبيهما، وقالتا إن الطبيب نصح بذهابهما إلى المنزل وأخذ قسط من الراحة. **فآني** ستطيل البقاء تحت العملية ولن

يصيبها شيء، حسبما أملوا. لذا قالت لهما **سابرينا** إن **تامي** ستصطحبهما إلى المنزل.

سألهما والدهما ويبدو عليه القلق: "ماذا عن الحفلة؟" فقد خطرت على باله للتو.

"أنا سأجري الاتصالات يا أبي". ويا لها من طريقة فظيعة لإيصال الخبر لأصدقائهم، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة أمامهم. "لديَّ دفتر أرقام الهاتف الخاص بأمي". أرته إياه في حقيبتها، فهزّ رأسه، وفاضت عيناه بالدمع من جديد.

قال بصوت مبحوح: "لا أدري أين هي لائحة المدعوين". في حين كانت **كاندي** تحدّق به مذهولة. كان وزنها خفيفاً جداً بحيث أثّر فيها الفاليوم إلى حدٍّ كبير. فقد تناولت الكمية نفسها التي تناولها أبوها، كانت تتمتّع بنفس طول والدها وإنما وزنها يصل إلى نصف وزنه. نسيت **سابرينا** أن تعدّل كمية الدواء، ولكنها علمت أن **كاندي** سبق لها وأخذت هذا النوع من الدواء عند انزعاجها، عادة بسبب الشبان، أو بسبب أزمة ما خلال التصوير.

"لديَّ لائحة المدعوين أيضاً يا أبي". بدا لها فجأة وكأنها تتكلّم مع رجل مسن. "لا تقلق بشأن أي شيء. ما عليك سوى الذهاب إلى المنزل وأخذ قسط من الراحة. ستأخذك **تامي** إلى المنزل". طلبت **سابرينا** من **كاندي** الذهاب أيضاً، فتبع الاثنان **تامي** خارجاً إلى السيارة، تماماً كولدين مطيعين، وذلك بعد أن تعانقت **سابرينا** و**تامي** لفترة طويلة، وخنقتهما العبرات من جديد. قالت **سابرينا** إنها ستتّصل بهم لتطمئنّ على حالهم.

أول ما فعلته لدى مغادرتهم كان الاتصال **بكريس**. كان عندها يهمّ بمغادرة شقته، وسألها إن كانت قد نسيت أي شيء تريد منه أن يجلبه معه. كان مزاجه ممتازاً، ولم يتسنّ له بعد ملاحظة أن **سابرينا** لم تكن بهذا المزاج. فكل ما قالته حتى الآن كان: "آلو" بصوت مرتجف.

قالت له: "أريدك أن تأتي في الحال". ممّا أربكه على الفور. "كنتُ أهمّ بالمغادرة. لِمَ العجلة؟ هل ثمة أي سوء؟" لم يتمكّن من التصور أي سوء عساه يصيبهم، إلاّ إذا أكلت الكلبات كل طعام الحفلة. فكلبة الباست **بولا** قد تقدم على ذلك.

"أنا... آه... أجل..." وقد حبس البكاء صوتها، وفجأةً اختفى كل الهدوء والشجاعة المزيفة اللذين كانت تتحلّى بهما، وانهارت هي الأخرى. لم تقوَ على التوقف عن البكاء ولو لمدة قصيرة حتى تتمكّن من إخباره، وهو يستمع إليها من الجهة الأخرى من الخط، وقد نال منه القلق كل منال. لم يسبق له أبداً أن سمع **سابرينا** على هذه الحال. لطالما كانت هادئة وتتحكّم بالأمور. كانت تبكي بمرارة على الهاتف. "حبيبتي... ما الأمر... أخبريني... لا بأس... سآتي إليك بأسرع وقت ممكن". لم يقوَ حتى على تصوّر ما قد حصل.

"أنا... آه... **كريس**... إنها أمي... و**آني**..." بدأت دقات قلبه تتسارع وهو يستمع إليها، وانتابه حدس آثار الرعب في نفسه. فقد كان يحبّ عائلتها بقدر حبها لها وربما أكثر. كانت عائلتها أكثر لطفاً معه، ولم يلقَ منها إلاّ أفضل معاملة طيلة فترة ارتباطه **بسابرينا**.

"ماذا حصل؟" وقد خاف حتى الموت من طرح هذا السؤال. "تعرّضنا لحادث سيارة منذ بضع ساعات". أخذت نفساً عميقاً، ولكن استمرّت الرجفة في صوتها، وواصلت دموعها بالتدفق. لقد تمكّنت من التنفيس عن حزنها المكبوت، والآن ما عاد بوسعها التوقف. "ارتطمت السيارة من مقدمتها، كما وهناك شاحنة في الحادث... قُتلت أمي على الفور... و**آني**..." بالكاد تمكّنت من المتابعة، ولكنها أجبرت نفسها على ذلك. "إنها في غرفة العمليات الآن تخضع لعملية في الدماغ، ووضعها حرج جداً، وموصولة بآلة التنفس. يعتقدون أنها قد تفقد بصرها في حال نجت من الموت".

"آه تباً... آه يا الله... **سابرينا**... حبيبتي، أنا آسف جداً، سآتي إليك بأسرع وقت ممكن".

صرخت عليه قائلة: "لا، لا تقُد بسرعة! أرجوك!" من ثم بدأت بالبكاء من جديد.

"أين أنتِ؟" تمنّى لو يستقل طائرة مروحية ليصل إليها بأسرع وقت ممكن. كان يكره كل دقيقة تبعده عنها، وأدرك أنه سيحتاج إلى عدّة ساعات ليصل إليها وذلك في أحسن الحالات. حيث تحصل زحمة سير شديدة جداً في فترة الأعياد.

"أنا في مستشفى بريدبورت، في وحدة العناية الفائقة، أنتظر في غرفة الانتظار".

"مَن معكِ؟"

بدا لها وكأنّه على وشك البكاء. إنهما لم يتزوّجا بعد ولكنه كان يحبّها كما لو كانا متزوّجين، وجلّ ما أراده هو أن يكون معها في هذه اللحظة ويمسك بيدها.

"لقد أرسلتُ **تامي** لتوّي إلى المنزل. **فكاندي** وأبي في حالة صعبة. أعطيناهما حبتي فاليوم. وستبقى **آني** تحت العملية حتى ساعة متأخرة من الليل. من الأفضل أن نتبادل أنا و**تامي** الأدوار".

"بوسعي البقاء معك، أو البقاء إلى جانب والدك و**كاندي** إن شئت". تنهدت وقالت: "كنتُ آمل أن تفعل ذلك". فقد كان دوماً بوسعها الاعتماد عليه. "ولكن **كريس**... هلاّ أتيت إلى هنا أولاً؟ فأنا بحاجة إليك". ثم انفجرت بالبكاء من جديد، وهذه المرة سمعته يبكي عندما تكلّم معها من جديد.

"**سابرينا** أنا أحبّكِ. أنا آسف جداً لكل ما حدث لكِ. سآتي إليك بأسرع وقت ممكن. اتصلي بي على هاتفي الخلوي وأنا في الطريق إليك وقتما تشائين. سأتركك الآن. وأعدك أنني سأقود بحذر". من ثم خطر له أمر.

"ماذا ستفعلون بشأن الحفلة؟" بدا واضحاً أنه يتوجّب عليهم إلغاؤها ولكن كيف؟ شعر بالألم لمجرد التفكير في ذلك وكان واثقاً أنها شعرت بالألم أيضاً.

"معي هنا دفتر أرقام الهاتف الخاص بأمي. سأتّصل بالجميع الآن".

"سأساعدك في ذلك عندما أصل إليك إن لم يكن قد فات الأوان". ولكنه كان يشكّ بأن الأوان سيفوت. فالحفلة يُفترض أن تبدأ بعد أربع ساعات، أما هو فسيستغرق وصوله ثلاث ساعات. كرّر لها قائلاً: "سآتي بأسرع وقت ممكن. أنا أحبّك يا **سابرينا**". كان يفكّر بأخذ إجازة من عمله إن استطاع لذلك سبيلاً. فهذا أقل ما يمكنه فعله لها، كما وسيتمّ الترتيب للدفن في الأيام المقبلة، وهو أمر فظيع جداً. أمِل أن تخرج **آني** من محنتها هذه. ففي حال فارقت الحياة ستكون وطأة مثل هذه الكارثة كبيرة جداً على الجميع. إذ إن خسارة والدتهنّ كانت سيئة بما فيه الكفاية ومثّلت صدمة قوية. وفي حال فقدوا **آني** أيضاً، فستكون كارثة لا يمكن احتمالها. لم يسعه حتى التفكير في ذلك، أو في احتمال فقدانها لبصرها في حال نجاتها، وخصوصاً لأنها فنانة. أمل أن تنجو فحسب في ظل أية حالة كانت عليها.

اتصلت **سابرينا** بمتعهدي تقديم الطعام أولاً لتخبرهم بإلغاء الحفلة، ومن ثم اتّصلت بكل من في اللائحة. استغرق الأمر منها ساعتين وكان أمراً لا يُحتمل. اضطرّت إلى إخبار الجميع بما حدث. وصُعق جميع أصدقائهم لهول الكارثة لدى سماعهم الخبر. عرض العديد منهم التوجّه إلى منزلهم لرؤية والدها، ولكنها قالت لهم إنها ترى أن الوقت ما يزال مبكراً لذلك. فهو لم يكن في حالة تسمح له برؤية أي أحد عندما غادر المستشفى. كانت قد اتصلت **بتامي** عدة مرات في المنزل، وقد أفادتها بأنهما نائمان بسلام. لقد نفعهما الفاليوم الذي تناولاه. لم تتناول **تامي** الدواء. فقد أرادت أن تبقى صاحية تماماً **كسابرينا**.

وصل **كريس** عند الساعة السادسة، وبدا قلقاً ومرتاعاً لأجلها. وجدها في غرفة الانتظار، تحدّق في العدم، وغارقة في التفكير. كان حينئذ قد مضى على تواجد **آني** في غرفة العمليات نحو أربع ساعات. قال الطبيب المسؤول إنهم قطعوا نصف الطريق في العمليات، وكل شيء يسير على ما يرام حتى اللحظة. حيث لا تزال إشاراتها الحيوية ثابتة، وهو أمر لا بأس به وإنما غير كافٍ. لم يبدأوا بعملية العين بعد، إذ ما انفكّوا يعملون على الدماغ. حاولت **سابرينا** تجنّب التفكير في هذا الأمر، وانهارت بالبكاء بين ذراعي **كريس** عندما دخل عليها. جلسا سوياً يتحادثان لعدة ساعات حول أمها، و**آني**، ووالدها، وجميع الباقين. كان لديهما الكثير من الأمور للتفكير فيها، وليس بأيديهما سوى فعل القليل في الوقت الحالي. جلّ ما أمكنهما فعله هو الانتظار والتضرع لنجاة **آني**.

كانت **تامي** قد اتصلت بدار تنظيم الجنائز من جديد من المنزل، وبدأت بإجراء التحضيرات، وأخذ القرارات. أخبرت **سابرينا** أن عليهما التوجّه في الصباح لاختيار التابوت. كما وعليهما الذهاب إلى دار العبادة أيضاً، لتحديد يوم الدفن وزمانه، واختيار الموسيقى، وإيجاد صورة فوتوغرافية لأمهما من أجل برنامج الجنازة. إن مجرد التفكير في هذه الترتيبات مؤلم جداً. كيف يعقل أن يحدث لهمّ كل ما قد حدث؟ ولكنه حدث. بات أمراً واقعاً الآن.

عند الساعة الثامنة أرسلت **سابرينا كريس** إلى المنزل ليأخذ محل **تامي** التي قالت إن والدهنّ قد استفاق وعاد للبكاء من جديد. وبدت متردّدة في إعطائه حبة ثانية من الفاليوم. وكانت **آني** ما تزال غارقة في النوم. فقال **كريس لسابرينا** إنه سيحضّر لهما طعام العشاء، وبوسع **تامي** العودة إلى المستشفى للانتظار معها. بعد نصف ساعة عادت **تامي**، وجلست الأختان بهدوء في غرفة الانتظار تتحادثان وتمسكان بأيدي بعضهما البعض. من ثم أحاطت كل واحدة منهما الأخرى بذراعها ولبثتا على هذه

الحالة. رغبتا بالاقتراب من بعضهما البعض كثيراً، وكأنه لو فعلتا ذلك فلن يحصل أي سوء. أو على الأقل لا يمكن أن يحصل أسوأ ممّا قد حصل. سألتها **سابرينا** والقلق بادٍ في عينيها: "كيف كان أبي عندما غادرتِ المنزل؟"

"كان سعيداً لرؤية **كريس**. وانهار بالبكاء بين ذراعيه. فالمسكين في حالة يرثى لها. لست أدري ماذا سيحلّ به عندما نغادر جميعاً المنزل".

"ربما سأعمد إلى التنقل بين شقتي ومنزل والدينا لفترة من الوقت". بدت **سابرينا** غارقة في التفكير. سيكون تنقّلها صعباً عليها نظراً لساعات عملها الطويلة، ولكن أفلح الآخرون في فعل ذلك. كان والدها يفعل ذلك، بالرغم من كون ساعات عمله في المكتب أقل من ساعات عملها. كان يعمد إلى التخفيف من وطأة عمله منذ عدة سنوات من أجل تمضية مزيد من الوقت إلى جانب زوجته. والآن ماذا عساه يفعل؟ سيعود إلى المنزل في كل مساء ليجده فارغاً. لم تشأ **سابرينا** له ذلك. قالت **تامي**: "هذا جنون لا يسعك فعل هذا".

قالت **سابرينا** بحذر: "لعله يسكن معي".

"هذا أسوأ بكثير فلن تحظي بحياة. وهو ليس بعمر التسعين حباً بالله. إنه يبلغ التاسعة والخمسين من عمره. سيودّ التواجد هنا في منزله الخاص به".

"من دون أمي؟ لا تكوني واثقة إلى هذا الحدّ. بدأت أتساءل إذا كان بإمكانه تدبّر أمره من دونها. بعد كل هذه السنوات، كان يعتمد بشكل كلي عليها. لا أعتقد أنني لاحظت هذا الأمر حتى هذا اليوم".

قالت **تامي** وبدا في كلامها الأمل: "لا يسعك أن تقيسي على هذا اليوم". إننا جميعاً في حالة صدمة؛ وهو كذلك. سيضطرّ إلى الاعتياد على تدبّر أموره بنفسه. تماماً كحال الرجال الآخرين في مثل سنّه وحتى من هم أكبر سناً منه من الذين يخسرون زوجاتهم. قالت: "لعله يتزوّج من جديد". وبدا عليها الانزعاج في حين بدت أختها الكبيرة مرتعبة.

"لا تكوني سخيفة. أبي؟ هل تمزحين؟ كانت أمي حب حياته. لن يتزوّج أبداً من جديد. ولكنني لستُ مقتنعة أيضاً بأنه سيفلح في الاعتناء بنفسه".

قالت **تامي**: "إنه ليس بشخص مريض. إنه شخص بالغ. سيكون عليه تدبر أمره مثلما يفعل الآخرون. بوسعه زيارتك إن شاء ذلك. ولكن لا تطلبي منه الانتقال للسكن معك. سيكون أمراً مستحيلاً عليك، وليس جيداً له أيضاً. فقد كان شديد الاعتماد عليها. ولا يمكنه الاتكال عليك الآن". وأضافت ممازحة إياها: "إلاّ في حال أردت التخلي عن حياتك لتصبحي الأخت العانس".

قالت **سابرينا**: "لقد سبق وأصبحت عانساً". وضحكت للمرة الأولى في ذاك اليوم.

حذّرتها **تامي** قائلة: "لا تبقي على هذه الحال لبقية حياتك وإلاّ فستندمين. كما ولن يكون أمراً منصفاً **لكريس**. هذه حياتك وليست حياة أبي. لقد عاش حياته مع أمي. وعليه الآن الانتقال إلى مرحلة جديدة. ربما يجدر به مقابلة طبيب نفسي". كانت الفتاتان منشغلتين في رسم حياة والدهما دون استشارته، ولكن ألهاهما ذلك قليلاً عن مرارة وفاة والدتهما منذ ساعات قليلة وعن واقع مكافحة أختهما للبقاء على قيد الحياة.

سألت **سابرينا** أختها بعد لحظات قليلة من الراحة: "هل تعتقدين أنه يجدر بنا الاتصال **بتشارلي**؟" كان الوقت يمرّ ببطء شديد بانتظار أخبار حول وضع **آني** الصحي.

"**تشارلي** حبيب **آني**؟ في فلورنسا؟" بدت **تامي** متفاجئة من هذا الاقتراح.

"نعم. ظننتُ أنه ربما يجدر بنا إطلاعه. أظنّ أن علاقتهما باتت جدية في الأشهر الأخيرة الماضية. تقول **آني** إنه شاب رائع وصلب جداً. أظنّها قد تعود للسكن في نيويورك معه. كانت أمنا تأمل بأن تفعل ذلك".

سألتها **تامي**: "هل سبق لك والتقيتِ به أو تحادثت معه؟" فهزّت **سابرينا** رأسها نافية ذلك. "إذاً أعتقد أن علينا الانتظار. نحن لا نعرف أي شيء حتى الآن. يمكن أن تتحسّن الأمور كثيراً أو ربما تزداد سوءاً. لذا دعينا لا نصدمه أكثر من اللازم. إنها صدمة قوية على شاب يواعد فتاة منذ ستة أشهر وهما لا يزالان شابين". فأومأت **سابرينا** برأسها موافقة. فقد بدا ذلك أمراً معقولاً لها أيضاً.

كانت الساعة قد وصلت إلى العاشرة عندما خرجت **آني** من غرفة العمليات. حيث لبثت فيها نحو تسع ساعات. وعلى حدّ قول الأطباء، تسير الأمور على خير ما يرام. لقد نجت من الموت. كانت لا تزال موصولة بآلة التنفس، ولكنهم سيحاولون نزعها عنها في غضون بضعة أيام. كانت شابة وقوية وكانت إشاراتها الحيوية جيدة حتى خلال العملية. تمكّنوا من إزالة الضغط عن دماغها، وأملوا ألاّ يكون قد أصابها خلل طويل المدى. وفي حال استعادت وعيها قريباً، فستكون إشارة جيدة لمستقبلها. نقلوا إليهما الأخبار الجيدة أولاً. إذ كانت لا تزال في وضع حرج، ولكن كما أخبروا أختيها، كانوا متفائلين ولكن بحذر، استناداً إلى وضعها في الساعات الأربع والعشرين أو الاثنتين والسبعين القادمة. ولكنهم أملوا أن تتمكّن من العيش، دون خلل طويل المدى في دماغها.

وبعد ذلك نقلوا إليهما الأخبار السيئة. كانوا قد احتفظوا بالأخبار السيئة حتى النهاية. كان أهم ما في الأمر أنها نجت من العملية، وسارت عملية الدماغ الجراحية على خير ما يرام. ولكنّ جراحة العينين لم تنجح. لقد تضرّرت أعصابها البصرية بشكل بالغ بحيث ما عاد بالإمكان علاجها. فكان الضرر اللاحق بعينيها بالغاً جداً وحتى زراعة الأعضاء لا تجدي نفعاً معها. لم يكن هناك من احتمال لإنقاذ عينيها ولا حتى أي أمل بذلك. وفي حال بقيت **آني** على قيد الحياة فهي ستفقد بصرها.

جلست **تامي وسابرينا** في حالة يرثى لها عند سماعهما للخبر، ولم تتلفظا بكلمة. شلّت الصدمة حركتهما، ثم أخيراً نطقت **سابرينا**.

قالت: "إنها فنانة موهوبة جداً". وكأن هذا سيغيّر شيئاً من كلام الأطباء ولكن عبثاً. هزّ طبيب العيون برأسه، وأعرب لهما عن أسفه. اعتبر أنها ستكون محظوظة جداً في حال بقيت على قيد الحياة، ووافقت الفتاتان على كلامه. وأي حياة ستحيا في حال فقدت بصرها؟ فعلى حدّ معرفتهما بها، لم يسعهما تصوّر الأمر، وشكّتا في أنها ربما تفضّل الموت على فقدان البصر. كانت حياتها برمتها تدور حول الفن والبصر. ماذا عسى **آني** تفعل دون حياتها هذه؟ كانت حياتها بكاملها ومسيرتها التعليمية تتمحوران حول الفن. إن مجرد التفكير في هذا الأمر يثير الرعب، ولكن خسارتها كانت أمراً أفظع بكثير. سألت **تامي** بلطف: "هل أنت واثق من أمر بصرها؟"

قال طبيب العيون: "واثق تماماً". ثم غادر بعد فترة قليلة، في حين جلست الأختان وحدهما في غرفة الانتظار، تمسكان بأيدي بعضهما البعض. ثم بدأت الأختان بالبكاء بصمت، لأجل أختهما، ولأجل بعضهما البعض، ولأجل أمهما التي أحبّاها كثيراً وما عاد بوسعهما رؤيتها من جديد. فتعلّقتا ببعضهما البعض وكأنهما طفلتان ضائعتان وسط عاصفة هوجاء. عندئذ رأتهما الممرضات وبقين بعيدات عنهما وآسفات لهما. فلقد عرفن مدى الأسى الذي مرّتا به وأمكنهنّ تصوّر مدى صعوبة الأمر عليهما.

الفصل السابع

قال لهما الأطباء إن **آني** لن تصحو في هذه الليلة، فقد كانت مخدرة إلى حدٍّ كبير، واحتاجوا إلى إبقائها على هذه الحالة، لتجنّب حركة دماغها. لذا ليس هناك جدوى من بقائهما في غرفة الانتظار طيلة الليل. إذ ما من خطر داهم على **آني**، كما ووعدت الممرضات في وحدة العناية الفائقة بالاتصال بهما في حال حدوث أية مشكلة. واقترحن أن تذهب **سابرينا وتامي** إلى المنزل وتعودا في الصباح. بدا عليهما التعب عندما دخلتا من باب المنزل الأمامي. لم تذهب **سابرينا** إلى المنزل مذ وصلهم الخبر، وكانت **تامي** قد غابت عن المستشفى لساعات. صعب عليهما التصديق بأن هذا اليوم هو اليوم ذاته الذي تركتا فيه المنزل بعد علمهما بموت والدتهما وتوجّههما لرؤية **آني**. فقد طال هذا اليوم نحو ألف سنة وكل سنة فيه أسوأ من الأخرى.

سألتهما **كاندي** لدى دخولهما المطبخ: "كيف حال **آني**؟" كانت تجلس متجهّمة الوجه إلى طاولة المطبخ قرب **كريس** وقد استفاقت لتوّها. فقد استفادت كثيراً من حبة فاليوم واحدة. وقد عاد والدهنّ إلى النوم بعدما تناول حبة ثانية، كان **كريس** قد أعطاه إياها تبعاً لتعليمات **تامي** قبل مغادرتها. كان يحبّ التحدث إلى **كريس**، وكان كلاهما قد بكي على **جاين**، وأعرب له **كريس** عن مدى أسفه.

أجابت **سابرينا**: "إنها تبلي حسناً. لقد صمدت تحت العملية، لذا طلبوا منا أن نأتي إلى المنزل". اتّفقت **سابرينا وتامي** ألاّ تقولا شيئاً عن مسألة

بصرها تلك الليلة. فقد يصعب احتمال كل هذه الكوارث دفعة واحدة، وسيشكّل الخبر صدمة قوية في هذا الوقت المتأخر من الليل. اتّفقتا أن تنتظرا حتى اليوم التالي لتنقلا لهم خبر أنها باتت عمياء إلى الأبد. سيكون ذلك خبراً وقعه صعب جداً، وخصوصاً على **آني** التي ستحتاج إلى كل الدعم الذي يسعهم تقديمه لها.

سألت **كاندي** بإصرار: "كيف حال عينيها؟"

أجابت **تامي** بسرعة: "لا نعرف بعد. سنحصل على مزيد من المعلومات في الغد". راقب **كريس** قسمات وجهها، ثم نظر إلى **سابرينا**. لم تعجبه طريقة كلام **تامي**، ولا النظرة في عيني **سابرينا**، ولكنه لم يشكّك في كلامهما، ولا حتى **كاندي** التي اكتفت بهزّ رأسها والشرب من قارورة المياه، في الوقت الذي كانت فيه الكلبات تتجول في أرجاء المطبخ. كان **كريس** قد أطعمها وأخرجها بضع مرات. لم يكن لديه شيء يفعله سوى ذلك، لأن **كاندي وجيم** ظلاً نائمين معظم الوقت. جلّ ما تسنّى له فعله هو الجلوس بهدوء والتفكير واللعب مع الكلبات. فقد خشي الاتصال **بسابرينا** وإزعاجها، لذا اكتفى بالانتظار لسماع الأخبار منهما لدى عودتهما. ظاهرياً بدت الأمور تسير على ما يرام ولكن باطنياً لم يكن واثقاً، ولكنه لم يقل شيئاً، فهو هنا للمساعدة وليس لتقصي المعلومات.

لم يطرح أية أسئلة إضافية إلى أن انفرد **بسابرينا** في غرفتها والباب مقفل عليهما. كانت **كاندي** قد نامت مع **تامي** في تلك الليلة. إذ احتاجتا كلتاهما إلى العزاء. سأل **سابرينا**: "هل أختك فعلاً تبلي حسناً؟" وهو يبدو قلقاً، فحدّقت به للحظة طويلة.

"من ناحية الدماغ نعم، على ما أعتقد، بقدر ما تسمح به عملية الدماغ الجراحية".

فسأل بلطف في الوقت الذي التقت فيه عيناه بعينيها: "والباقي؟"

جلست على سريرها وتنهّدت. حتى أنه لم يتبقَ لديها دموع لتذرفها. كانت منهكة القوى، وممتنة لكون **آني** ما تزال على قيد الحياة، وآملة بأن تبقى حية. وقد أُصيبت بوجع في رأسها جراء البكاء طيلة اليوم. "باتت عمياء ولا يسعهم فعل أي شيء لها. في حال عاشت فستبقى عمياء طيلة حياتها". ثم عجزت عن إضافة أية كلمة أخرى. واكتفت بالنظر إليه والأسى بادٍ عليها لأجل **آني**. كان حزنها عميقاً جداً ولا حدود له. إذ لم يسعها تصوّر الحياة التي ستحياها **آني** وهي فاقدة لبصرها، أو ماذا سيحلّ بها الآن. فنانة عمياء؟ يا لقساوة ما حصل.

"يا الله... ماذا عسى المرء أن يفعل حيال هذا الأمر؟ أظنّ أن بقاءها على قيد الحياة نعمة، ولكنها قد لا تنظر إلى الأمر من هذه الناحية". بدا محطماً تماماً كحالة **سابرينا**.

"أعلم. أنا أيضاً خائفة. ستحتاج إلى الكثير من الدعم". فهزّ برأسه موافقاً على كلامها. كانت هذه الكلمات تخفي وراءها الكثير من المعاني.

"متى ستخبرين أباك و**كاندي**؟"

قالت: "غداً. فنحن لم نقوَ على مواجهة هذا الأمر الليلة. إنه أمر يثقل حمله علينا جميعاً". بيد أنه لم يتسنَّ لهم الوقت للحداد على الوالدة المتوفاة، فلقد كانوا جميعاً يشعرون بالقلق الشديد على **آني**. وربما كان هذا الأمر نعمة بحدّ ذاته.

"يا لها من مسكينة". قال **كريس** قاصداً **آني**، ثم أخذ **سابرينا** بين يديه واحتضنها. وضعها في السرير وكأنها طفلة، وقد كان هذا بالضبط ما احتاجت إليه. بدا وكأنها تحولت هي و**تامي** إلى الوالدين بين ليلة وضحاها. فأمها قد رحلت، وأبوها في حالة انهيار، وأختها فقدت بصرها. وهي و**تامي** تحملان عبء كل هذه المآسي على أكتافهما. بلحظة واحدة وبضربة من القدر انهارت عائلتهنّ بكاملها، ولن تعود الأمور إلى سابق عهدها أبداً. وخصوصاً بالنسبة إلى **آني**، ذلك في حال نجت، الأمر الذي لم يكن مؤكداً

بعد. ثم غفت **سابرينا** بين ذراعي **كريس**، ولم تشعر بهذا القدر من الامتنان لأي شخص في حياتها ما عدا أمها. ولكن كان **كريس** ثاني أقرب شخص إليها، وقد عمد إلى مواساتها وملاطفتها طيلة الليل. وأدركت أنها لن تنسى فضله أبداً وستظلّ ممتنة له إلى الأبد.

استفاقت هي، **وكريس**، **وتامي** باكراً في صباح اليوم التالي. فحضّر **كريس** طعام الفطور، في حين كانت الفتاتان تستحمان وتستعدّان للذهاب إلى دار تحضير الجنائز. أما **كاندي** ووالدهنّ فكانا لا يزالان نائمين. ثمّ اعتنى **كريس** بالكلبات، وجلس ينتظر على طاولة الفطور حيث حضّر البيض المخفوق واللحم المقدد وحلوى المافن الإنكليزية. قال لهما إن عليهما تناول الطعام للوقوف على أرجلهما طيلة النهار. كانت **سابرينا** قد اتصلت بالمستشفى بمجرد نهوضها، وقالوا لها إن **آني** بخير ونعمت بليلة هادئة، رغم أنها مخدرة إلى حدٍّ كبير كي لا تتحرّك كثيراً وتؤذي دماغها بعد وقت قصير من العملية. كانوا سيبدأون بالتخفيف من كمية البنج في اليوم التالي. وقد نوت هي **وتامي** العودة إلى المستشفى لرؤيتها، ولكن أمامهما الكثير لتفعلاه قبلاً، حيث يتوجّب عليهما القيام بكل الترتيبات. قالت **تامي** إنها لطالما كرهت تلك الكلمة، وكل معانيها، وباتت تكرهها الآن أكثر.

ذهبتا إلى دار الجنائز، وعادتا بعد ساعتين. قامتا بكل الأمور الفظيعة التي توقّعتاها، اختارتا التابوت، برامج الدفن، وبطاقات التعزية، والغرفة التي سيستقبلون فيها الزوار المعزين إلى حيث سيأتي أصدقاؤهم في الليلة التي تسبق الدفن. لن يتمكّن أحد من رؤية الجثة لأن التابوت سيكون مقفلاً، كما ولن تُقام صلوات لأن أمهنّ كانت كاثوليكية وإنما ليست متدينة. قرّرت الفتاتان أن تبسّطا الأمور، وقد ارتاح والدهما جداً لترك القرارات لهما. لم يحتمل فكرة القيام بهذه الأمور بنفسه. بدت الاثنتان شاحبتين ومتعبتين لدى عودتهما، في ذاك الوقت كان أبوهما **وكاندي** يجلسان في المطبخ، **وكريس**

يحضّر الوجبة نفسها التي حضّرها لهما آنفاً، حتى أنه مازح **كاندي** لتأكل. وقد أثار دهشتهم أن الوالد أكل كل الطعام الموجود في طبقه، وللمرة الأولى في الساعات الأربع والعشرين الأخيرة لم يكن يبكي.

اتّفقت **سابرينا** **وتامي** على إخبارهما بحالة **آني** في ذاك الوقت. إذ لا يمكن تأجيل الأمر. لديهما الحق بأن يعرفا. بدأت **سابرينا** بإخبارهما بعد تناول الطعام، ووجدت أنها تعجز عن ذلك. فتراجعت عن ذلك، وأخذت **تامي** دورها، وشرحت كل ما قاله طبيب العيون في الليلة الفائتة. والخلاصة أن **آني** باتت عمياء. فساد صمت رهيب في المطبخ بعدما نقلت **تامي** الخبر، ونظر والدها إليها وكأنه لم يصدّق ما قالته أو أنه لم يسمعها بشكل صحيح. قال: "هذا سخيف". والقلق بادٍ على محياه. "لا يعرف هذا الرجل عمّا يتكلّم. هل يعرف أنها فنانة؟" كان قد بدر عن الأختين البارحة ردّ الفعل نفسه، لذا عذرتاه. ولكن هذا لن يغيّر شيئاً في الأمر. سيصعب جداً على الجميع التأقلم مع هذا الوضع المؤلم، ولكن الأصعب كان ينتظر **آني**. سيكون وقعه كارثياً عليها، مصيبة تفوق التصور. إذ سيمثّل إخبارها أسوأ لحظة في حياتهم، ناهيك عن خبر وفاة والدتهنّ، وأن عليها العيش عمياء حتى آخر لحظة من حياتها. كان هذا الجزء الأصعب. وضعان مستحيلان لا يمكن احتمالهما وخصوصاً في ما يتعلّق **بآني**. عمياء للأبد. مجرد التفكير في ذلك يدمي القلب، ويشتّت العقل. والشيء الوحيد الأسوأ من هذه الكارثة هو رحيل والدتهنّ إلى الأبد.

قالت **كاندي** وهي تبدو مذهولة: "أتقصدين أنها باتت عمياء كمن يحمل عصاً يتحسّس بها الأماكن؟" وبدت في سؤالها كطفلة في الخامسة من عمرها من جديد.

بدت وكأنها عادت إلى الطفولة أو المراهقة منذ يوم البارحة عند وفاة والدتهنّ. وعلى العكس شعرت أختاها الكبيرتان وكأن عمريهما أربعة آلاف سنة.

قالت **سابرينا** وقد بدا عليها التعب: "نعم. ربما. شيء من هذا القبيل". كانوا قد تشاطروا أنباء سيئة تكفيهم مدى العمر، فاقترب منها **كريس** وربّت على يدها. "لعلها تستعين بكلب أو بشخص يلازمها طوال الوقت. لا أدري كيف يسير هذا الأمر برمته بعد". ولكنها كانت واثقة أنهم سيعلمون جميعاً، إن حالفهم الحظ ومُنحوا الفرصة لذلك. وذلك لم يكن مؤكّداً أيضاً. فالصدمة من جراء فقدان **آني** للبصر منعتهم عن التفكير في ما يمكن أن يحدث لو أنها ماتت.

تمّ الترتيب لتكون جنازة الأم نهار الثلاثاء بعد الظهر، أي بعد العطلة الطويلة. كانت **تامي** قد اتّصلت بمتعهدي تقديم الطعام لخدمة المعزين الذين سيأتون إلى المنزل بعد انتهاء الجنازة. سيقتصر الدفن على العائلة، وقرّرت الأختان الكبيرتان إحراق الجثة ودفن رمادها. قال الأب إنه لا يمانع ذلك، كما أن الأم لم تترك أية تعليمات بشأن ما تفضله.

ذكّرت **كاندي** الجميع قائلة: "**آني** تكره الكلاب". لم يخطر ذلك على بال **سابرينا**.

"هذا صحيح. ربما تضطرّ الآن إلى تغيير رأيها. أو لا. هذا الأمر يعود إليها".

لم يتكلّم والدهنّ كثيراً، سوى أنه رأى أنه يتوجّب عرضها على عدة اختصاصيين. كان مقتنعاً أن الطبيب الذي أجرى لها العملية قد فقد عقله، وأن التشخيص خاطئ برمته. وقد شكّكت **سابرينا** و**تامي** بهذا الأمر نظراً لأن مستشفى بريدجبورت كانت أفضل مركز لمعالجة إصابات الحوادث، ولكنهما وافقتا على الطلب من طبيبهم عرض حالتها على شخص آخر. ولكنّ الجراح تكلّم معهما بالتفصيل وبكل عمق، بحيث يصعب التصديق بوجود خطأ ما. سيكون من صالحهم لو أنه ارتكب خطأ ما، ولكن **سابرينا** أدركت أن والدها لم يكن مستعداً لفقدان الأمل فحسب. إلاّ أنها لم تستطع لومه. فكل الذي حدث آلمهم إلى أبعد

حدّ. كما وأن **آني** لم تبدأ حتى بمواجهة هذا التحدي بعد؛ أي أن تعيش باقي حياتها فاقدة للبصر.

صعدت **كاندي** إلى الطابق العلوي لتستحم، وصعد والدهنّ ليستلقي في فراشه. لم يبدُ على خير ما يرام، فقد بدا لونه شاحباً. وعندما غادرا إلى الطابق العلوي، ذكرت **سابرينا** من جديد **تشارلي** صديق **آني** الموجود في فلورنسا. هذه المرة وافقت **تامي** على وجوب الاتصال به. ففي حال كان يتّصل بها على هاتفها الخلوي سيشعر بالقلق. فقد اختفى الهاتف في مكان ما تحت الشاحنة. لحسن الحظ، وجدنا دفتر أرقام الهواتف في حقيبتها الموجودة في غرفتها، واحتوى الدفتر على رقم هاتف **تشارلي** الخلوي. وجدوه بسهولة كبيرة. قالت **سابرينا** إنها هي التي ستجري الاتصال، في حين جلس **كريس** و**تامي** إلى جانبها إلى طاولة المطبخ وهي تقوم بالاتصال. أجاب بعد الرنة الثانية. وقد كان وقت العشاء حينها في فلورنسا. عرّفته **سابرينا** بنفسها، فعرفها على الفور وضحك.

"هل الأخت الكبيرة تتّصل لتتفقّدني؟" لم يبدُ عليه أبداً الذهول أو المفاجأة لاتصالها به كما ولم يبدُ عليه القلق حتى.

قالت **سابرينا** بحذر: "في الواقع لا، لا أفعل ذلك". وبدت غير واثقة كيف ستنقل إليه الخبر. لكان أسهل عليها لو أن اتصالها به أثار قلقه، ولو أنه توقّع حدوث مكروه ما. بدا وكأن باله لم ينشغل أبداً بالسبب الذي دفعها إلى الاتصال به، ممّا وجدته **سابرينا** أمراً مستغرَباً.

قال لها بلهفة: "كيف كانت الحفلة؟ **فآني** لم تتّصل أبداً". شرحت له قائلة: "لا... لهذا السبب أنا أتصل بك. لقد حصل حادث هنا البارحة. ولم تتمّ الحفلة". ساد الصمت على الطرف الآخر من الخط. إذ بدأ أخيراً يفهم الأمر، في حين واصلت **سابرينا** الكلام. **لقد تعرّضت أمي وآني** لحادث اصطدام بالسيارة مع سيارتين أخرتين وشاحنة. ماتت أمنا على الفور،

وأُصـيبت **آني** بجروح بالغة، ولكنها ما زالت على قيد الحياة". أرادت أن تنقل إليه الأخبار السارة حول **آني** أولاً. فبدا مذهولاً.

"مـا مـدى إصـابتها؟ وأنا آسف لخسارتكم". كانت عبارة قد بدأت تكرهها. فقد سمعتها مراراً في دار تحضير الجنائز، وفي المستشفى، ولدى منسق الـزهور. شعرت وكأنها الجملة الوحيدة التي بات الناس يقولونها الآن، بالـرغم من أنها كانت واثقة من أنه يقولها بصدق. من الصعب أن يعرف المرء ما عليه قوله في وجه مثل هذه الصدمة الكبيرة. لكان صعُب علـيها إيجاد الكلمات هي نفسها، وفي النهاية هي لم يكن يربطها بصديق **آني** الحميم أية معرفة سابقة. وجلّ ما كان مشتركاً بينهما هي أختها، وكان ذلك أمراً عظيماً بحدّ ذاته، وتحديداً الآن. رغم أنه لم يُظهر انزعاجاً كبيراً لدى سماعه الخبر، كما أملت **سابرينا**، وإنما بدا متفاجئاً أكثر.

قالت **سابرينا** بصدق: "إصابتها بالغة جداً ولا تزال في وضع حرج، وقـد خـضعت لعملية في الدماغ الليلة الماضية. يبدو أن حالتها مستقرة، ولكـنّ الخطر لم يزل عنها بعد. حسبتُ أنه يجدر بنا إعلامك، نظراً لأنني علمتُ منها أنكما بتّما مقرّبين جداً من بعضكما البعض ومغرمين للغاية. إذ لم أرد أن تشعر أننا لم نسمح بإعلامك، وخصوصاً إن رغبت بالمجيء إلى هنا. إنها لا تزال تحت تأثير البنج، وستبقى على هذه الحال في الأيام القليلة المقـبلة، في حال سار كل شيء على ما يرام. إنها موصولة بجهاز تنفس، ولكنهم يأملون بنـزعه عنها في الغد إن حالفنا الحظ".

"يـا الله، هـل ستفقد توازنها العقلي أو سيموت دماغها أو ما شابه؟" أشـارت الطريقة التي قال فيها هذا الكلام الغضب لدى **سابرينا**. فقد بدا لها هـذا الكـلام قاسياً وخصوصاً بالنظر إلى ما تواجهه **آني**. ولكنه لم يكن يعـرف بعد. "ليس هناك أي سبب يدعو للتفكير بهذه الطريقة، وقد سارت العملـية الجـراحية على خير ما يرام للتخفيف من ورم الدماغ. لقد مرّت عليها ليلة البارحة بسلام".

"لقـد أقلقتنـي لـوهلة، لم أكن لأتصوّر **آني** متخلفة عقلياً. إن كانت ستؤول إلـى هذه الحالة فمن الأفضل لها أن تموت". بدا فاقداً للإحساس بشكل ملحوظ وخصوصاً بالنسبة إلى رجل قد تمّ إعلامه للتو بأن المرأة التـي يحـبّها كـادت تفقد حياتها. لم تشعر **سابرينا** بأي إعجاب تجاه هذا الشخص، ولكـنها لم تصدر أية تعليقات. فقد كان في النهاية الرجل الذي تحبّه أختها، ووجب عليها احترامه لأجل ذلك، أو على الأقل إعطاءه بعض الحق بالاختلاف عنهم، أو فرصة للشك بأمره.

قالت **سابرينا** بهدوء: "أنا لا أوافقك الرأي. نحن لا نريد أن نخسرها، مهمـا كانـت حالتها. إنها أختنا ونحن نحبها". ويُفترض أنه كان يحبّها هو الآخر.

"هـل هـذا يعنـي أنكـم لن تنـزعوا عنها الأجهزة في حال ماتت دماغـياً؟" لـم تشعر **سابرينا** فحسب بأنه لا يعجبها، وإنما قد بدأت تكرهه أيـضاً بـسبب الكـلام البشع الذي تفوّه به. إذ لم يكن يتمتّع بأي حس من التعاطف.

قالت **سابرينا:** "هذا ليس الموضوع". كانت ستنقل إليه باقي الأخبار، وشـعرت بفضول لسماع ردّ فعله الآن، خصوصاً كونه فناناً يتشاطر عالم الفـن مـع أخـتها. "لقد تسبّب لها الارتطام الذي تعرّضت له في الحادث بـبعض الأضـرار الأخرى. وهي أضرار خطيرة جداً. لقد خضعت ليلة البـارحة لعملـية جـراحية في عينيها ولم تفضِ العملية إلى النجاح كحال عملـية الـدماغ". ثم أخذت نفساً وأكملت كلامها، بينما كان **كريس** و**تامي** يـراقبانها. وقـد استطاعا ملاحظة الانزعاج على وجهها. لقد كرهت هذا الشاب رغم عدم معرفتها به. "**تشارلي**، في حال بقيت **آني** على قيد الحياة فهـي ستفقد بصرها. فقد أُصيبت بالعمى منذ الآن. ليس بيد الأطباء أي شيء لإعادة بصرها إليها. لذا سيصعب عليها جداً التكيف مع هذا الوضع المريع، وحسبتُ أنه يجدر بك أن تعرف حتى تتمكّن من دعمها".

"دعمها؟ كيف؟" بدا مرتعباً، رغم أنه كان يعلم أن والديها ثريان. ولكن ربما حدثته نفسه أنهما لا يرغبان بإعالة ابنة عمياء، ويودّان رمي حملها على كتفيه. إن كانت هذه هي الحال، فقد اتصلوا بالشخص الخطأ. هذا ما حسبته **سابرينا** على كل الأحوال. شعرت بالأسف الشديد على أختها. ولكن ليست كل النساء محظوظات بإيجاد رجل مثل **كريس**. كان رجلاً نادر الوجود.

"ستحتاج إلى حبّك ودعمك. إذ سيكون هناك تغيير كبير في حياتها بل وأكبر من استطاعتها على مواجهته. وهو ليس منصفاً بل ومريعاً، وكل ما بوسعنا فعله هو الوقوف إلى جانبها ومساعدتها. وإن كنتَ تحبّها، فستكون مهماً جداً بالنسبة إليها". ساد صمت طويل على الطرف الآخر من الخط.

"مهلاً. دعينا لا نتصرّف بجنون الآن. إننا نتواعد منذ ستة أشهر. وبالكاد أعرفها. إننا نمضي أوقاتاً مسلية سوياً، ونتشاطر الولع بالفن، إنها فتاة رائعة، وأنا أحبّها، ولكنك تتكلّمين عن أمر مختلف تماماً هنا. فقد ذهب الفن أدراج الرياح بالنسبة إليها الآن. لقد انتهت مهنتها كفنانة. تباً، ومن المحتمل أن تنتهي حياتها أيضاً. وستُصاب بالعمى بقية حياتها؟ ماذا عساي أفعل بهذا الشأن؟" كان الخوف يدبّ في قلبه واستطاعت الإحساس بذلك.

قالت **سابرينا** ببرود: "أنتَ قل لي. كيف ترى شكل مشاركتك في حياتها؟" أجفل **كريس** عندما سمع السؤال، وأمكنهما التوقّع بأن الأمور لا تسير على ما يرام. بمجرد الاستماع إلى طرف واحد من الحديث استخلصت **تامي** أنه شاب حقير. مال **كريس** أكثر إلى الشك به كما فعلت **سابرينا**، ولكنه حتى الآن لم يشعر بالتأثر. لم تضطرّ **سابرينا** إلى قول أية كلمات تعزية له.

سأل **تشارلي سابرينا**: "كيف تتوقّعين مني المشاركة في حياتها؟ بالله عليك لستُ كلب عين مبصرة. أنا لم أحظَ أبداً بصديقة حميمة مصابة بالعمى. لست أدري كيف ستسير الأمور أو ما هي عليه. يبدو هذا أمراً

يثقل عليّ حمله كثيراً. ولمَ تتصلين بي بهذه الطريقة؟ ماذا تريدين مني؟" كان ينتقل بسرعة من حالة الخوف إلى حالة الغضب.

قالت له **سابرينا** محاولة عدم فقدان أعصابها معه: "في الواقع لا أريد شيئاً". أرادت لو تُسمعه بضع كلمات يستحقّها، ولكن كُرمى **لآني** لم تجرؤ على ذلك. لم تشأ أن تزيد الأمور سوءاً، أو أن تخيف **تشارلي** أكثر وتدفعه إلى الهرب للأبد. بدا وكأنه يسير بهذا الاتجاه على كل حال، ولكن لم ترغب **سابرينا** بأن تكون هي السبب وراء غيابه. **فلآني** الحق بأن تفعل ذلك بنفسها أو ألاّ تفعل إن شاءت. فهي بحاجة إليه الآن أكثر من أي وقت مضى. والأمر لا يعود **لسابرينا** لتملي عليه ما يجب أن يشعر به أو أن يفعله. "أنا أتصل لأن أختي تظنّ أنك تحبّها. إنها تحبّك. لقد تعرّضت لحادث فظيع البارحة وكادت تموت. كما وماتت أمنا. ونتيجة للحادث اكتشفنا الليلة الماضية أنها ستفقد بصرها مدى العمر. وقد تخيّلتُ أنه في حال كنت تحبّها فقد ترغب بأن تعلم. ليست لديَّ أدنى فكرة حول ما تريد أن تقوم به حيال هذا الأمر. فالأمر يعود إليك. بوسعك إرسال بطاقة "حمداً لله على سلامتك"، أو أن تأتي لزيارتها، أو أن تقف إلى جانبها، أو أن تتخلّى عنها لأنها عبء يثقل عليك حمله. لذا فالخيار يعود لك، وأنا واثقة أنه ليس سهلاً. حسبت فقط أنه يجدر بنا إعلامك بما يجري. أمامها الكثير من المصاعب التي يُفترض بها مواجهتها. وعلى حدّ علمي، أنت مهم بالنسبة إليها".

تنهّد **تشارلي** وهو يستمع إليها، متمنّياً لو أنه لم يسمع أبداً بمثل هذه الأخبار. ولكنه سمعها بفضلها. وأدرك أن عليه أخذ القرار بشكل حاسم. إذ لم يكن بالأمر السهل عليه. فهو لا يمتلك المال، وقد أخذ إجازة لمدة سنة من عمله في نيويورك، وكان ملتزماً بكونه فناناً. كان يقضي أوقاتاً ممتعة مع **آني**، وحسب أنه مغرم بها. ولكن فتاة عمياء، انتهت كلياً موهبتها ومهنتها كفنانة؟ بدا ذلك عبئاً يثقل حمله. أثقل بكثير ممّا كان في ذهنه أو

ممّا ظنّ أن بوسعه تحمّله في حياته. فقرّر أن يكون صادقاً مع **سابرينا**، نظراً لأنها كانت صادقة معه.

"لستُ أدري ما يجدر بي قوله لك".

"لستَ مضطراً إلى قول أي شيء. اتصلتُ لإعلامك فحسب. تصورّتُ أنك قد ترغب بأن تعلم، أو أنك قد تشعر بالقلق إن لم تتّصل بك **آني**".

"في الواقع، شعرتُ بالقلق فعلاً. ولكن ليس ذاك القلق الشديد. لم يخطر لي أبداً أن أمراً بهذا القدر من الجنون قد أصابها. بصراحة يا **سابرينا** لستُ أدري إن كان بوسعي فعل ذلك، أو حتى إن كنتُ أريد ذلك. إنها امرأة رائعة، وكانت فنانة مذهلة. ولكنها ستحتاج إلى الكثير من العناية والدعم. وهي على الأرجح ستُصاب باكتئاب شديد لعدة سنوات مقبلة، وربما إلى الأبد. هذا عبء كبير يثقل عليَّ حمله. لا أستطيع. لا أريد أن أتحوّل إلى ممرض أو إلى كلب مرشد للعميان. فبالكاد أقوى على إعالة نفسي، لذا لا أستطيع تحمّل همّها هي الأخرى. وليس في ظلّ مسألة خطيرة كهذه. لا أريد أن أخدعها وأجعلها تعتقد أنني سأقف إلى جانبها في محنتها هذه. إنها تحتاج إلى أشخاص بوسعها الاعتماد عليهم، ولا أحسبني واحداً منهم. أنا آسف. إذ لا أظنّ أن بمقدوري فعل ذلك". بدا حزيناً وهو يقول هذا الكلام، وكان صريحاً معها إلى حدّ المفاجأة. "أظنّها تحتاج إلى شخص أقوى مني بكثير وأقل تركيزاً على ذاته مني". فمالت **سابرينا** إلى التفكير بأنه كان على حقّ. فهو يعرف نفسه جيداً، وكان شجاعاً كفاية ليعترف بذلك. لقد قدّرته لأجل ذلك وإنما ليس كثيراً. فقد توقّعت منه رداً أفضل من هذا بكثير، ونظراً لكل ما سبق وقالته **آني** عنه، حسبتْ أنه يحبّها. ولكن تبيّن أنه لا يحبّها، أو لا يحبّها بالقدر الكافي لتخطي ما قد حدث. سألها والقلق يبدو عليه: "ماذا ستقولين لها؟"

"لا أستطيع أن أقول لها أي شيء بعد. فهي فاقدة للوعي. ولكن عندما تستعيد وعيها، وذلك في حال استعادته، ماذا تريدني أن أقول لها؟ لستُ

مضطرة إلى إخبارها بأني اتصلتُ بك. بوسعك الاتصال بها بنفسك، فتقول لها ما تشاء، عندما يتحسّن وضعها الصحي، بالرغم من أن ذلك سيكون وقعه مؤلماً جداً عليها". خشيت **سابرينا** من تأثير هجره لها أكثر من أي شيء آخر.

"نعم فعلاً". فكّر في الأمر للحظة طويلة، وقلّب الفكرة في رأسه. "ربما يجدر بي كتابة رسالة لها أو ربما أخبرها أنني التقيت بفتاة سواها. هذا سيجعلني أبدو حقيراً في نظرها، وهذا ما أنا عليه على ما أعتقد، ولكنه لن يكون متعلقاً بمسألة فقدانها لبصرها، ممّا قد يريحها بعض الشيء". لقد بدا شديد الأمل، وكأنه قد وجد الحل الذي سيجديه نفعاً رغم أنه بالتأكيد لن يجدي **آني** أي نفع. فانفطر قلب **سابرينا** لأجلها، في الوقت الذي كانت تستمع فيه لكلامه. إذ وجدت أنه أناني وجبان.

قالت **سابرينا** بحزن: "ستكون صدمة قوية في كل الأحوال. أظنّ أنها كانت تفكر في الانتقال مجدداً إلى نيويورك من أجلك. لذا كانت تلقي بالاً كبيراً لعلاقتكما".

"وأنا كنت كذلك... حتى الآن. كم أن حظها سيئ". أخفى هذا الكلام بين طياته الكثير من المعاني. "لستُ أدري. أظنّني سأراسلها. سأبعث لك الرسالة وأنت أعطيها إياها عندما تجدين أنها باتت جاهزة لتسلّمها". أرادت **سابرينا** لو تقول له: "ما رأيك لو لا ترسلها أبداً؟"

"ستكتشف ذلك بنفسها عندما تكفّ عن الاتصال بها ولا تأتي لزيارتها".

"صحيح حسبما أعتقد. ربما هذه هي الطريقة الفضلى إذاً. أن أختفي فحسب من حياتها". لم تستطع **سابرينا** تصديق ما كانت تسمعه. فقد بدا وكأنه ارتاح.

قالت **سابرينا** بوضوح: "هذا لا يبدو نبلاً منك بالنسبة إليّ". **في الواقع** بدا جبناً بالنسبة لها، أجبن طريقة للانسحاب من حياتها، ولكن ذلك لم يعد

يفاجئها. كان فتى أحلام **آني** الموجود في فلورنسا مجرد جبان. "أنا لم أقل أبداً إنني نبيل. سأذهب إلى اليونان في الأسبوع المقبل على أي حال. ربما أكتب لها بعد أن أعود وأخبرها أنني التقيت بفتاة أخرى أو أنني عدت لفتاة كانت تربطني بها علاقة سابقة".

قالت **سابرينا** راغبة بقطع الاتصال معه: "أنا واثقة أنك ستتوصّل إلى حلٍّ ما، شكراً لك على وقتك". فلقد سمعتْ ما يكفي منه. وجلّ ما تمنّته هو زرع سكين في قلبه نيابة عن أختها، أو ربما سكينين. إنه يستحقّ أسوأ من ذلك، بسبب ما يوشك أن يفعله بأختها، مهما كان عذره.

"شكراً لكِ على الاتصال. آسف لعدم استطاعتي أن أفعل ما هو أكثر من ذلك".

قالـت **سابرينا**: "وأنا كذلك. أنت تفقد إحدى أروع نساء العالم، سواء أكانت عمياء أم لم تكن".

"أنا واثق أنها ستجد لنفسها رجلاً آخر".

قالـت **سابرينا**: "شكراً". وأقفلت الخط قبل أن يتمكّن من إضافة كلمة أخـرى. كانت تغلي غضباً عندما أقفلت الخط، وفهم **كريس** و**تامي** كل ما حصل.

تمـتم **كـريس** قائلاً: "يا له من سافل". وشعرت **تامي** بالأسى الشديد لأجل أختها، وكذلك فعلت **سابرينا**. هذا ليس ما يُفترض أن يحصل.

زاروا **آنـي** فـي المستـشفى عصر ذاك اليوم. كانت لا تزال فاقدة للوعي، وستبقى على هذا الحال ليوم أو يومين إضافيين جراء البنج. وتبيّن أنهـا سـتظلّ فاقـدة للوعـي خلال جنازة أمها نهار الثلاثاء، حيث اعتقد الآخرون أن ذلك أفضل حالاً لها.

في تلك الليلة، تناولوا العشاء سوياً في المنـزل بعد أن حضّر **كريس** و**سـابرينا** الطعـام. كانوا متعبين ومكتئبين، وبالكاد نطق والدهنّ بكلمتين طـيلة اللـيلة، ثـم عاد إلى سريره. على الأقل بقيت **كاندي** معهم، وجلس

الأربعـة يـتحادثون لـوقت طـويل مـن الليل، حول الطفولة، وآمالهم، وأحلامهـم، والذكـريات المجنونة التي عادت إليهم في لحظات قاسية مثل التي يمرّون بها.

نهار الاثنين نزع الأطباء آلة التنفس عن **آني**. كانت **تامي وسابرينا** معهـا، وبقي **كريس وكاندي** في غرفة الانتظار تحسّباً في حال حدوث أي مكـروه. كانت لحظة حرجة، ولكنهم أفلحوا في تخطيها. تمسكت الأختان الكبيـرتان بيدي بعضهما البعض، وبكيتا عندما أخذت نفسها الأول بنفسها. عندئذ نظرت **سابرينا** إلى **تامي**، وقالت إنها تشعر وكأنها ولدتها بنفسها في تلـك اللحظـة. بعدها قاموا بتخفيف جرعة البنج، وتوقّعوا لها أن تصحو بنفسها في الأيام القليلة المقبلة.

فـي تلـك الليلة بالتحديد كان سيتمّ استقبال المعزين في دار تحضير الجنائـز، وكانت لحظات مؤثّرة جداً. فقد أتى مئات من أصدقاء والديهنّ، وأصـدقاء الطفولة، وزملاء **جاين** في الجمعيات، وأشخاص لم يتعرّف أي مـنهنّ علـيهم. فأمضوا ثلاث ساعات يصافحون الناس ويتلقّون التعازي. كانـت الفتـيات قـد وضعن صوراً فوتوغرافية جميلة لأمهنّ في أرجاء الغـرفة. بـدا الجميع في حالة إنهاك لدى عودتهم إلى المنـزل، وفي تلك الليلة توجّهوا مباشرة إلى أسرّتهم. كانوا متعبين جداً إلى درجة عجزوا فيها عـن الكـلام، أو التفكيـر، أو التحرك. صعب على الفتيات التصديق بأن والدتهنّ كانت لا تزال على قيد الحياة منذ يومين فحسب. جميع من حضر إلى العزاء سأل عن **آني**، ممّا اضطرّ العائلة إلى شرح ما حصل لها، وإنما لـم يخبـروا أحداً عن مسألة فقدانها لبصرها احتراماً لها، حيث قرّروا أنه على **آني** أن تعرف أولاً.

تـمّ الترتيب للدفن في اليوم التالي، عند الساعة الثالثة عصراً. وفي الـصباح، تـوجّهت **تامـي وسابرينا** لزيارة **آني**، فوجدتاها لا تزال نائمة بسلام. بطريقة ما شعرتا بالراحة. كان من الصعب جداً عليهما أن تكتشف

آني مسألة فقدانها لبصرها في النهار ذاته. لقد حظينا بتأجيل ذلك حتى يوم آخر.

كانت الجنازة بحدّ ذاتها مناسبة مؤلمة وإنما مميزة من حيث الترتيب. كانت المراسم بسيطة، ومنظمة، وتتميّز بذوق عالٍ. حيث انتشرت أزهار الزنبق الأبيض في كل مكان. فبدت المناسبة بطريقة معينة أشبه بالعرس، وعجّت الكنيسة بالناس كحال المنزل بعد انتهاء المراسم. أتى 300 شخص إلى المنزل تكريماً لذكراها، ولتناول الطعام والشراب من المأدبة المفتوحة. قالت **سابرينا** ل**كريس** بعدها أنها لم تشعر بمثل هذا القدر الكبير من التعب في حياتها. كانوا على وشك الجلوس في غرفة الجلوس، عندما وصلهم اتصال من المستشفى. توقّف قلب **تامي** عن الخفقان وهي تجيب على الاتصال. حيث إن جلّ ما أمكنها التفكير فيه عندما عرّف الطبيب المسؤول عن نفسه، أنه في حال فارقت **آني** الحياة الآن، من شأن هذا الخبر أن يقتلهم جميعاً. كانوا قد مرّوا بكثير من المحن التي يصعب على المرء تحمّلها.

قال الطبيب ل**تامي** في الوقت الذي حبست فيه أنفاسها: "أردت أن أنقل إليكم الأنباء السارّة بنفسي". هل كان هذا معقولاً؟ هل ما يزال هناك من أنباء سارّة؟ بدا صعباً عليها أن تصدّق. "لقد أفلحت في التنفس دون آلة التنفس الاصطناعية، ولم تعد حالتها مصنّفة تحت فئة الحالات الحرجة، وكانت بمثابة خطوة كبيرة. أظنّ أنكم قد تودّون المجيء لزيارتها". أوشكت **تامي** على إخباره أن طاقة الجميع قد نفدت بعد المآسي التي تعرّضوا لها في الأيام القليلة الماضية، وبعد جنازة والدتهنّ عصر ذلك اليوم. ولكنها لم تقوَ أبداً على التلفظ بتلك الكلمات. قال بفرح: "لقد استفاقت". فأغمضت **تامي** عينيها، وانهمرت دموع الحزن والامتنان من عينيها.

وعدته قائلة: "سنأتي إلى المستشفى في غضون نصف ساعة، وشكرته على الاتصال". وأدركت عندما أقفلت الخط أن المصاعب بالنسبة ل**آني** قد بدأت.

الفصل الثامن

كانت عينا **آني** لا تزالان مغطاتين بضمادة عندما وصلوا إليها، وأكّد لهم الطبيب المسؤول أن الضمادة ستبقى على الأقل قرابة الأسبوع. ممّا منحهم الوقت للتحضر لما يمكن إخبارها به. إلاّ أن **آني** تذمّرت من عدم تمكّنها من رؤية أي شيء بوجود الضمادة على عينيها، وطلبت بوَهَن إزالتها عن عينيها. فشرحت لها **سابرينا** أن عينيها أصيبتا في الحادثة، وقد خضعتا لعملية جراحية، ويمكن أن تؤلماها في حال نزعوا الضمادة عنهما. فقبّلوها، وأمسكوا بيدها، وعبّروا لها عن مدى حبهم لها. كانت الأخوات الثلاث قد ذهبن لزيارتها، إضافة إلى **كريس**. وقد كان والدهنّ مرهقاً جداً، وعاجزاً عن تحمل المزيد من الألم، لذا وعد بزيارتها في اليوم التالي. كان لا يزال أمامهم مناسبة دفن والدتهنّ في عصر اليوم التالي. حيث ستكون المراسم مقتضبة قرب القبر حيث سيتركونها. وقد رغبت الفتيات بإتمام هذه المناسبة بأسرع وقت ممكن. فقد كانت عبارة عن يوم آخر من العذاب لهنّ ولوالدهنّ، وقد حظين بما يكفي من الآلام في الأيام الأربعة الماضية. وكان دفن الأم هو الخطوة الأخيرة في سلسلة التقاليد التي بدت لهم جميعاً قاسية جداً، وهذه ستكون الخطوة النهائية.

إن رؤية **آني** تتكلّم، وتتحرك من جديد، وتحادث كل واحدة منهنّ هو تأكيد على أنها لا زالت على قيد الحياة. وقد سألت عن والديها، فقالت لها **تامي** ببساطة إنهما لم يأتيا. اتّفقن جميعاً على عدم إخبارها بوفاة والدتهنّ.

إذ إنها قد استيقظت لتوها، ومن القساوة بمكان نقل هذا الخبر لها قبل أن تستعيد على الأقل بعض قوتها، وخصوصاً بوجود الصدمة التي تنتظرها والمتعلقة بفقدانها بصرها.

قالت **تامي** وهي تقبّلها مراراً وتكراراً: "لقد أرعبتنا كثيراً". شعرن بالامتنان الشديد لعودتها إليهنّ. استلقت **كاندي** إلى جانبها في السرير وقد تدلّت رجلاها إلى الأسفل ممّا أثار ضحك الجميع. فدنت من **آني**، وضحكت للمرة الأولى منذ أربعة أيام.

قالت **كاندي** بنعومة: "لقد اشتقت إليك". وهي مستلقية إلى جانبها وقريبة منها إلى أقصى درجة ممكنة كطفل يدلّل أمه.

قالت **آني** بصوت متعب: "وأنا أيضاً". وهي تحاول التمدد للمس كل منهنّ. حتى أن **كريس** دخل إلى الغرفة لبضع دقائق، ولكنه قال إنه لا يودّ إرهاقها. فقالت عندما سمعت صوته: "أنت هنا أيضاً؟" ثم ابتسمت. فقد كان بمثابة الأخ الأكبر لهنّ جميعاً. "أنا هنا. أتيت لأجل الاحتفال ولم أغادر بعد". لم يقل لها إنه كان يتسلّم أمر الطهو لهم جميعاً، وإلاّ لتساءلت عن مكان والدتها.

قالت بابتسامة خافتة: "هذه ليست الطريقة التي نويت أن أمضي فيها عطلتي". ولمست الضمادة بيدها من جديد. وعدتها **تامي**: "ستقفين على رجليك وتركضين في الأيام القليلة المقبلة". قالت: "لا أشعر بأنني قادرة على الركض بعد. أشعر بألم شديد في رأسي". وعدتها **تامي وسابرينا** بإخبار الممرضة بذلك، وقد أتت بعد دقائق للاطمئنان على **آني**، وذكّرتهن ألاّ يتعبنها. قدّمت لها دواء لوجع الرأس، وبعد بضع دقائق غادرت الفتيات جميعاً، بعد أن قمن بتقبيلها ومعانقتها. بدت كل واحدة منهنّ منهكة القوى. إذ مررن بيوم متعب جداً، تخلّلته جنازة الأم، وكل الضيوف الذين تقاطروا إلى المنزل، والآن صحوة **آني**. كل هذه الأحداث في يوم واحد.

سألهنّ **كريس** وهو يقود السيارة عائداً بهنّ إلى المنزل: "متى سينزعون الضمادة عن عينيها؟"

قالت **سابرينا** بنظرة قلق: "أظنّ بعد أسبوع". كانت **سابرينا** قد اتصلت بمكتبها في الصباح، وأخذت عطلة لأسبوعين. وقام **كريس** بالمراوغة للحصول على إجازة لأربعة أيام أخرى، حتى يتمكّن من تمضية باقي الأسبوع معها في كونيتيكيت. وقد فعلت **تامي** الأمر نفسه، ولكن وجب عليها العودة نهار الاثنين المقبل. إذ لم تجد سبيلاً للبقاء ولو ليوم آخر. كما واتصلت **كاندي** بوكالتها، وطلبت أن يلغوا لها الحجز في اليابان. فغضبوا كثيراً، ولكنها شرحت لهم أنها عاجزة عن العمل نظراً للحزن العميق الذي تشعر به، وأخبرتهم عن السبب. وبذلك أمكنهنّ البقاء سوية وإلى جانب **آني** على الأقل حتى نهاية الأسبوع. أدركت **سابرينا** أن أختها ستحتاج إلى كل واحدة منهنّ، وربما لوقت طويل أو حتى للأبد. ولم يفكّرن بالمستقبل بعد. أولاً انتظرن أن تصحو **آني**، والآن بعدما فعلت، وجب عليهنّ رسم الخطط. ارتاحت **سابرينا** لكون **آني** لم تأتِ على ذكر **تشارلي** تلك الليلة. كانت لا تزال متعبة جداً، ولكنها ستسأل عنه عاجلاً أم آجلاً. كانت هذه محنة أخرى في الطريق إليها، إضافة إلى موت والدتهنّ وفقدان بصرها. فشعرت أنه ليس من العدل أن يواجه إنسان واحد هذا الكمّ الكبير من المحن دفعة واحدة. قد تفعل **سابرينا** أي شيء لتخفّف من العبء الكبير عن آني، ولكن لا أحد يسعه ذلك. جلسوا في المطبخ حتى وقت متأخر تلك الليلة، ثم خلد والدهنّ إلى النوم، ونظرت **سابرينا** إلى أختيها والعبوس على وجهها.

"آه آه". مازحتها **تامي**، وسكبت لنفسها كوباً آخرَ من الشراب. كانت قد بدأت تستمتع باجتماعهنّ سوياً كل ليلة بالرغم من السبب المحزن الذي كان يدعوهنّ إلى هذا الاجتماع. كانت تشعر براحة كبيرة إلى جانب أختيها أكثر من أي وقت مضى. حتى كلباتهن بدأت بالاعتياد على بعضها البعض. فعلّقت **تامي** قائلة وهي ترتشف رشفتها الأولى: "أعرف هذا الوجه". كنّ يحتسين شراب والدهنّ المفضل كل ليلة، تماماً كما اعتدن أن يفعلن عندما كنّ أصغر سناً. وعندما كان يكتشف أمرهنّ كان يقوم

بتأنيبهنّ. فابتسمت **تامي** عندما تذكّرت هذه الحادثة، وامتدحت شرابه اللذيذ. ذكّرت نفسها بأن ترسل له بعض الشراب اللذيذ بعد مغادرتها. كنّ يشربن بعضاً من أفضل المشروبات لديه. أكملت **تامي** الفكرة وهي تنظر إلى أختها الكبرى: "تدور في رأسك فكرة ما". فنظرت **سابرينا** وكأنها ترسم خطة. في الأيام الغابرة، أي في مرحلة الطفولة، كان ذلك يعني شيئاً ممنوعاً، مثل إقامة حفلة في المنزل عندما يغادر والداهنّ في عطلة نهاية الأسبوع. وقد اعتادت أن تدفع **لتامي** خمسة دولارات حتى لا تفشي السر. فشرحت **لكريس** قائلة: "اعتدت على تحصيل المال جراء هذه الصفقات. إذاً ما الأمر الآن؟"

قالت باقتضاب: "**آني**". وكأن بوسعهم قراءة أفكارها.

"تصوّرتُ ذلك. ماذا عنها؟" كانوا جميعاً يخشون إخبارها عن وفاة والدتهنّ. سيضطرّون إلى فعل ذلك قريباً. إذ إنه ليس من العدل أن تبقى دون علم لمدة أطول، وفي النهاية ستتساءل عنها. حتى في تلك الليلة وبعد مرور بعض الوقت صَعُبَ عليهم إخبارها. ولو كانت والدتهنّ موجودة لكانت ذهبت إلى **آني** بسرعة البرق وخيّمت في غرفتها. كان غيابها مؤلماً جداً بالنسبة إليهنّ جميعاً وسيكون كذلك بالنسبة إلى **آني** أيضاً.

"لا يسعها العودة إلى فلورنسا، كما وتبيّن أن **تشارلي** وغد".

"نعم أظنّ أننا جميعاً متفقون معك في ذلك". كان قد خيّب أمل الجميع، وسيخيب أمل **آني** أكثر. ولكن أمامها الآن مشاكل أكبر لتجد لها حلاً. ويُعتبر **تشارلي** مجرد مصدر حزن إضافي لها. "أنتِ محقة لا يسعها العودة إلى فلورنسا. لستُ أدري كيف يسعها تدبّر أمرها هناك في شقة في الطابق الخامس، مهما شاءت أن تحافظ على استقلاليتها. يجدر بها على الأرجح الانتقال إلى هنا لتبقى مع أبي وتؤنس وحدته".

"سيكون ذلك أمراً محبطاً لها. ستشعر وكأنها عادت طفلة من جديد. وستشعر بالحزن دون وجود أمي هنا". حتى وبعد مرور ثلاثة أيام على

غياب الأم عن هذا المنزل، بدا وكأن كل شيء قد تغيّر. وأدركن أن والدهنّ يشعر بذلك أيضاً. أتت عاملة التنظيفات إلى المنزل ذاك اليوم وجلّ ما فعلته هو البكاء. قد لا تودّ **آني** العودة إلى المنزل بعمر السادسة والعشرين، خصوصاً بعد أن عاشت وحدها في إيطاليا لسنتين.

"بوسعها المكوث معي إن شاءت. ولكن لا أظنّ أنها تعرف أحداً في لوس أنجلوس، وستشعر أنها محتجزة لأنها تعجز عن قيادة السيارة أو التجول. وأنا أبقى طيلة النهار خارج المنزل". كانوا جميعاً يدركون أن **تامي** تعمل حتى وقت متأخر، تماماً **كسابرينا**، ولكنّ الأخيرة على الأقل موجودة في نيويورك وهو مكان مألوف بالنسبة **لآني**. كانت قد عاشت هناك قبل مغادرتها إلى باريس قبل أربع سنوات، رغم أنها قالت إن المكان لا يناسبها لكثرة الضجيج فيه. كانت قد أحبّت فرنسا، من ثم وجدت إيطاليا مكاناً أفضل، ولكن الآن لم يعد الأمر ممكناً. احتاجت إلى أن تكون أكثر قرباً من المنزل لفترة من الوقت على كل حال، إلى أن تتكيّف مع الوضع الجديد. فوافق الجميع على ذلك.

تدخّلت **كاندي** وقالت: "بوسعها المكوث معي إن شاءت". من ثم نظرت إليهنّ نظرة اعتذار. "ولكنني أسافر على الدوام".

"هذا هو قصدي. جميعنا نودّ لو تسكن معنا، ولكنّ كل واحدة منا لديها مشكلة من نوع معين تصعّب هذا الأمر. أو على الأقل أنتما الاثنتان تواجهان هذه المشكلة. فأنا أعمل حتى وقت متأخر ولكنني أعيش في نيويورك حيث يمكنها التأقلم".

سألتها **تامي** وهي تحتسي شرابها: "إذاً؟ أي جزء من الخطة تخفينها عنا؟" كانت تعرف طريقة تفكير **سابرينا**. كانت لديها خطة كبيرة مبيّتة لم تعرضها عليهنّ بعد.

قالت **سابرينا** وهي تبتسم: "ماذا لو عاشت معنا جميعاً؟" بهذا السؤال بدأت ملامح الخطة الكبيرة بالظهور. فقالت **تامي** وهي تبدو غارقة في

التفكير: "أتقصدين أن تنتقل للعيش مع كل منا لفترة من الوقت؟ ألا تعتقدين أنها ستفتقد إلى الاستقرار بهذه الطريقة؟ أنا لا أمانع ولكن لا يسعني رؤية **آني** تعيش كالرحالة ممسكة حقيبة سفر بيدها لمجرد أنها باتت عمياء. أظنّ أن سترغب بأن تحظى ببيت خاص بها، رغم أنني لا أملك أدنى فكرة أين عساه هذا البيت أن يكون. أظنّ أن علينا سؤالها".

قالت **سابرينا** وهي تنظر إلى أختيها: "بل أفضل من ذلك. أظنّ أن **آني** في النهاية ستتوصّل إلى حلٍ بنفسها، أين تريد أن تعيش، وكيف تريد أن تعيش. ولكن الآن سيتغيّر كل شيء بالنسبة إليها، وستحتاج إلى الكثير من المساعدة في البداية. ماذا لو انتقلنا جميعاً للعيش سوياً لمدة سنة؟ نستأجر شقة كبيرة، ونعيش نحن الأربع تحت سقف واحد، إلى أن تقف على رجليها؟ من ثم نرى ما سيكون عليه رأينا بعد سنة. إن لم يفلح الأمر، بوسعنا العودة إلى شققنا الخاصة، وإن أعجبنا الأمر نمدّد إقامتنا لسنة أخرى. وعندها تكون **آني** قد تكيّفت أكثر مع وضعها الجديد. ولكن بالنسبة لهذه السنة سيشكّل ذلك فارقاً كبيراً لها. ما رأيكما؟" بدت **كاندي وتامي** مذهولتين، وبدا **كريس** متفاجئاً أيضاً. إذ إنه لم يكن واثقاً أين سيكون مكانه في هذه الخطة، رغم أن **سابرينا** قبّلته لتبعث فيه الاطمئنان، مهما كان المعنى وراء ذلك.

سأل مستفسراً: "هل أنا جزء من هذه الخطة؟"

"بالطبع. ستبقى على ما أنت عليه الآن. تستطيع المبيت عندنا متى شئت".

قال بابتسامة ساخرة: "ستكون لديَّ مجموعة النساء الخاصة بي".

بدت فكرة مجنونة بعض الشيء بالنسبة إليه، ولكن هذا ما ألفه منهنّ. فهو لم يعرف أبداً أربع أخوات مثلهنّ، ومن دون شك، كنّ يعتنين بأنفسهنّ بحرص شديد. وبعد أن تركت الأم مكانها في القيادة، شعر أن **سابرينا** بدأت تشغل هذا المكان لتصبح والدة لهنّ. أدرك أنها لو أخذت الموضوع

بجدية، سيمثّل الأمر تحدّياً لها وربما له أيضاً. ولكنه كان مستعداً ليرى كيف ستتعامل أختاها مع فكرتها. كما واستطاع أن يرى فوائد الفكرة أيضاً، خصوصاً **لآني**، في ظلّ حاجتها، إلاّ أنه على المدى الطويل، ومهما بدا الأمر صعباً، يتوجّب على **آني** أن تجد طريقها بنفسها. وقد أدركت **سابرينا** ذلك أيضاً. ولكن على الأقل في البداية بوسعهنّ تقديم المساعدة لها. وشعرت **سابرينا** أن أمها كانت لتوافق على خطتها هذه. قالت **تامي** بشكل عملي وهي تبدو غير مقتنعة بعض الشيء بالفكرة: "هذه الخطة تناسبكما جداً. أنتما الاثنتان تعيشان في نيويورك. أما أنا فأعيش في لوس أنجلوس. ماذا عساي أفعل؟ هل أترك عملي؟ من ثم ماذا؟ سأكون عاطلة عن العمل في نيويورك. والبرنامج سيكون في أوج عطائه هذه السنة". إنها تحبّ أختها، ولكن لا يسعها التخلي عن كل شيء لأجلها. لقد عملت بكدّ لتحصل على ما حصلت عليه. سألتها **سابرينا**: "ألا يسعك العمل في التلفاز هنا؟" كانت تعلم القليل عن عمل أختها بالرغم من شدة نجاحها".

قالت **تامي** بهدوء: "لا يوجد برامج بالمستوى المطلوب هنا". كانت أحياناً تكره المواقف التي تأتي فيها **سابرينا** بأفكار مستهجنة. "إنها خطوة خطيرة جداً بالنسبة إليَّ. وستؤدّي إلى اقتطاع كبير في راتبي". ولكن بوسعها تحمّل هذا الأمر لأنها قد ادّخرت الكثير من المال، ولكنها لم تحبّ التلاعب بحياتها المهنية، ولم ترغب أبداً بترك البرنامج. إذ باتت كطفلها المدلل الآن. سألت **سابرينا كاندي** التي كانت تفكّر في الأمر: "ماذا عنك؟"

قالت بحزن: "أكره أن أتخلّى عن شقتي". من ثم ابتسمت. "ولكنني أظنّ أن بوسعي التخلي عنها لمدة سنة. ذلك لأن العيش معكنّ سيكون ممتعاً". لقد أحبّت الفكرة فعلاً. فقد كانت أحياناً تشعر بالوحدة في شقتها، ولن تشعر بمثل هذه الوحدة في حال سكنت معهنّ. كانت رفقة أخواتها ممتعة جداً، وأدركت أن **آني** بحاجة إليهنّ. "لمَ لا أرى إن كان بوسعي إيجاد شقة تتسع لنا نحن الثلاث؟ ومن ثم حينما تصبح **آني** جاهزة نقترح عليها الفكرة. لا

يهمني أمر شقتي. فأنا لا أحبّها على أي حال. **كريس** هل يهمّك أمرها؟" سألته كونه فرداً من العائلة، فهزّ رأسه نافياً.

وقال: "طالما أن بوسعي المبيت عندك ولا تمانع أي من أخواتك ذلك". قد يصبح الوضع صاخباً في بعض الأحيان بوجود الكثير من النساء تحت سقف واحد، ولكنه سيكون ممتعاً لمدة سنة. ثم أشار **كريس لسابرينا:** "وبوسعك دوماً المبيت عندي". فهزّت رأسها موافقة. طالما أنه يوجد أحد في المنزل لمساعدة **آني** التي تُعتبر السبب الرئيسي لهذا التجمع. ولكنّ **كاندي** تتواجد في البلد على الأقل لبعض الوقت. إذ كانت الفكرة برمتها هي مساعدة **آني** للوقوف على رجليها والاعتياد على مسألة فقدانها لبصرها. علمن كم أن **آني** قوية العزم وصلبة، حسبت **سابرينا** أن سنة واحدة ستكفي، شرط ألاّ تغرق في الاكتئاب، وقد أملت ألاّ تفعل.

قالت **سابرينا:** "لقد أحببت الفكرة جداً". وابتسمت لها **كاندي**.

"نعم أنا أيضاً. الأمر أشبه بارتياد مدرسة داخلية". الأمر الذي أرادت دوماً فعله ولم تسمح لها أمها به. لأنها أرادت دوماً الاستمتاع بطفلتها الأخيرة في المنزل، ولم تؤمن أبداً بالمدارس الداخلية. فقد آمنت بالعائلة. والفتيات كذلك، ومن هنا انبعثت أفكار **سابرينا** حول العائلة. كان هدفهنّ الأساسي هو مساعدة **آني**. فهي باتت بحاجة إليهنّ كثيراً، وكانت هذه طريقة لمساعدتها. تأثّر **كريس** فعلاً بالفكرة. كانت **تامي** العقبة الوحيدة، والمنطقية، نظراً لأنها تشغل مهنة مهمة في لوس أنجلوس.

"وسنكون قريبات جداً من أبي في حال احتاج إلينا. سيصعب عليه أيضاً التكيف مع الوضع الجديد".

سألت **تامي** محذرة: "ماذا لو كرهتنّ جميعاً هذه التجربة؟"

"عندها أظنّ أننا سنتخلّى عنها ونعود إلى أماكن سكننا. سنة واحدة ليست طويلة جداً. أظنّ أن بوسعنا أن نتحمّل بعضنا البعض لمدة سنة. أليس كذلك؟" أجابت **تامي:** "ربما. نحن لم نسكن سوياً بشكل فعلي منذ أيام

الدراسة. فأنتِ غادرت منذ ست عشرة سنة. وأنا منذ إحدى عشرة سنة. و**آني** منذ ثماني سنوات. وكانت **كاندي** مجرد طفلة عندما غادرنا". قالت **تامي** بابتسامة: "ستكون تجربة مثيرة للاهتمام. ربما يكون سبب توافقنا مع بعضنا البعض أننا لا نعيش سوياً. هل سبق وخطر لك ذلك؟"

قالت **سابرينا** بعناد: "أظنّ أن الأمر يستحقّ المحاولة". كانت تحاول أن تفكر بطريقة لمساعدة أختهنّ دون دفعها إلى الشعور بالإذلال أو المهانة. وقد تفي هذه الخطوة بالأمر. كانت مستعدة للتضحية بسنة من حياته لأجلها وكذلك **كاندي**. إذ إن هذا أقل ما يمكنها فعله. حتى **سابرينا** أمكنها فهم سبب امتناع **تامي** عن المشاركة معهنّ، ولم تحمل هذا الأمر ضدها. فهي تشغل وظيفة مهمة في الساحل الغربي، ولم يُتوقّع منها المخاطرة بعملها هذا. كانت قد عملت بكدّ لتصل إلى ما هي عليه، واحترمتها **سابرينا** على جهدها هذا، لذا لم تضغط عليها.

"سأتصل بسمسارة عقارات في الغد لأرى إذا كان بإمكانها إيجاد شقة تناسبنا نحن الثلاث. أنا لا أجني المال بقدر **كاندي**، و**آني** يعيلها والدنا. ربما يدفع أبي حصتها من الإيجار هنا بدلاً من فلورنسا، على الرغم من أني واثقة بأن الإيجار سيكون أقل بكثير. ولكنها ستحتاج جداً إلى مساعدته الآن". أدركن جميعاً أن بوسعه تحمل التكاليف. ثم عبست **سابرينا**. "على فكرة، على أحدنا أن يذهب ويقفل شقتها، فحالتها لا تسمح لها بفعل ذلك".

سألت **تامي**: "ماذا لو أرادت أن تبقى في إيطاليا؟"

"أظنّ أن بوسعها محاولة العيش هناك بعد سنة، إن تمكّنت من العناية بنفسها، ولكن ليس على الفور. أمامها الكثير لتتعلّمه في البداية، بشأن العيش كإنسانة ضريرة والعيش بمفردها. من الأفضل لها بكثير أن تتعلّم ذلك إلى جانبنا، ومن ثم بوسعها العودة".

تطوّعت **كاندي** قائلة: "سأجمع لها حاجياتها في المرة المقبلة التي أزور فيها أوروبا". كانت مبادرة لطيفة منها على الرغم من أن **سابرينا**

و**تامي** كانتا تدركان أنها أقل الأخوات تنظيماً وهي صغيرة جداً في السن. كـان الآخـرون يمـدّون لها دوماً يد المساعدة، ولكن يمكن لتكليفها بهذه المهمّة أن يساعدها لتكبر. لقد رفعت من مستوى عيشها إلى حدٍّ كبير جراء عملهـا كعارضـة أزياء، ولكنها كانت تفتقر كثيراً إلى النضج. حيث إنها كانت تبلغ الحادية والعشرين من عمرها فحسب. بالنسبة إليهما كانت مجرد طفلة. ولكن ربما بوسعها تولّي أمر إقفال الشقة في فلورنسا. استحقّ الأمر المحاولة. لم يكن لدى **تامي** ولا **سابرينا** الوقت لفعل ذلك ولا حتى والدهنّ.

قالـت **تامـي** وهـي تبتسم: "حسناً عليَّ الاعتراف أنها فكرة جيدة". خالجهـا شـعور بالـذنب لعدم المشاركة معهما، ولكن لم يسعها ذلك على الإطـلاق وقـد تفهّمت أختاها ذلك. "من شأن هذه الخطوة أن تساعد **آني** كثيراً، وتبثّ البهجة فيها". كان لا يزال أمامهنّ الكثير من المصاعب ليقمن بتخطيها، وهي إخبار **آني** بوفاة والدتهنّ، ومسألة فقدانها لبصرها، وكل ما قد يعنيه هذا الأمر بالنسبة إليها، بالإضافة إلى موضوع **تشارلي**، الذي بات ماضـياً الآن لمجرد أنها باتت ضريرة. بدت كل هذه الأحداث قاسية جداً علـيها، وإن كـان السكن مع أختيها في السنة الأولى من شأنه أن يخفّف عـنها، لذا وافقن جميعاً على بذل المحاولة. أكملن احتساء شراب والدهنّ، بمـشاركة **كـريس**. قرّرت **سابرينا** أخذ الموضوع على عاتقها وإبقاء الجميع علـى اطلاع بشأن كل جديد تتوصل إليه حول الشقة، أو حتى الحصول على شقة في مبنى مغطّى بحجر رملي، في حال كان الإيجار مناسباً. نظرت **تامي** إلـى أختها الكبيرة بإعجاب وقالت لها: "أنت دوماً تتوصّلين إلى الحلول أليس كذلك؟ كنت بدوري أحاول التفكير بما يسعني فعله لأجلها، ولكن لا أعتقد أنها سـترتاح فـي لوس أنجلوس". وافقتها **سابرينا** الرأي وقالت: "أنا أيضاً أعتقد ذلك. الآن جلّ ما علينا فعله هو إقناعها بالفكرة". لم يكن لديهن أدنى فكرة كيف سـيكون ردّ فعل **آنـي**. كان أمامها الكثير من الأوضاع لتتأقلم معها في الأيام المقبلة، بحيث أصبح مجرد التفكير في ذلك مرهقاً.

رفعت **سابرينا** كوبها وقالت: "نخب أخواتي".

وأضاف **كريس**: "نخب أروع النساء اللواتي عرفتهنّ في حياتي".

قالت **كاندي** بنعومة: "نخب أمي". وساد صمت طويل بين الجميع، ثم عاد الجميع لارتشاف الشراب.

الفصل التاسع

كانت مراسم دفن الأم نهار الأربعاء آخر الشعائر التي وجب على آل **آدامز** تحمّل قسوتها. وقد قام بها الكاهن بشكل قصير وسلس بناءً على طلب **سابرينا**. وتمّ الاحتفاظ برماد الأم في صندوق بني كبير. ولم تحبَّ أي منهنّ التفكير في كونها قد اختفت من حياتهنّ، وأنها تحوّلت إلى شيء صغير ولا قيمة له. إذ إن تأثيرها كان كبيراً عليهنّ وسيستمرّ مدى الحياة. الآن سيتركونها هنا لتدفن في مقبرة مع الغرباء، في الموقع المخصص للعائلة. لم يقووا على الانتظار لرؤية الصندوق وهو يُدفن في الأرض. كانت **سابرينا** و**تامي** قد اتفقتا في دار تحضير الجنائز على ألاّ ينتظرا ليتحمّلا ألم هذا المشهد، وعندما أخبرتا والدهما وافق على الأمر.

قال الكاهن أثناء المراسم المقتضبة إنه بات لديهم ما يحتفلون به الآن، وهو نجاة الابنة والأخت **آني**، والأمل بشفائها في القريب العاجل، حيث إنها نجت من الموت الذي كُتب على أمها في الحادثة التي وقعت يوم الرابع من تموز. لم يخطر للكاهن ولا لسواه أدنى فكرة عن أن **آني** باتت ضريرة الآن. وسيدرك الناس هذا الأمر تدريجياً في وقت لاحق عندما يرونها، ولكن كانت العائلة تتكتّم عن هذا الأمر في الوقت الحالي. فقد كان هذا الموضوع لا يزال يبدو خاصاً جداً ومؤلماً لهم **ولآني** نفسها عندما تدرك هذا الأمر. لم يعرفوا متى سيخبرونها بالأمر، وأرادوا مناقشة الأمر مع أطبائها أولاً. خشيت **سابرينا** إخبارها في وقت مبكر جداً والتسبّب لها

باكتئاب شديد يضاف إلى الاكتئاب الذي ستشعر به حال إعلامها بوفاة أمها، ولكنها أُدركت أنه لا يسعهنّ الانتظار طويلاً، وقد اقترب موعد انتزاع الضمادة عن عينيها عند نهاية الأسبوع. عندئذ لن يعود بمقدورهم إخفاء الأمر عنها. وما لبث والدهنّ يصرّ على أن التشخيص الذي أُجري لها خاطئ. فهو لم يتمكّن من الاستيعاب أن واحدة من بناته الجميلات قد باتت ضريرة. لقد ساءت الأمور جداً في الأيام الخمسة الأخيرة. حيث إن عائلتهنّ التي لم تعرف المآسي من قبل قد مُنيت بصدمتين مؤلمتين جداً. قامت كل فتاة بوضع وردة بيضاء طويلة العنق بالقرب من الصندوق الخشبي الذي يحتوي على رماد الأم الموجود على منصب، وذلك قبيل ابتعادهنّ عن جانب قبر والدتهنّ. أما والدهنّ فخالجته المرارة لدى النظر إليهنّ. حيث وقف وحيداً بجانب القبر لمدة طويلة، وقد تركته بناته هناك احتراماً له، ثم عادت **سابرينا** إليه، وأمسكت بيده.

"هيا يا أبي، فلنذهب إلى المنزل".

قال والدموع تتدحرج من عينيه: "لا أستطيع أن أتركها هنا يا **سابرينا**. كيف يمكن حصول ذلك؟ جميعنا أحببناها كثيراً". قالت ابنته وهي تمسح دموعها: "بالفعل يا أبي". كانوا جميعاً يرتدون ثياباً سوداء اللون، فبدوا بكامل أناقتهم. ولطالما شكّلوا عائلة جميلة جداً، وما زالوا حتى الآن بالرغم من رحيلها عنهم. من كان يراهم كان يُذهل لمدى جمال عائلتهم. كانت **جاين** نجمة **جيم** الساطعة واللامعة. وقد عجز عن إقناع نفسه بأنها رحلت. قالت **سابرينا** بلطف: "ربما هذا أفضل حالاً". في الوقت الذي واصل فيه الوقوف في مكانه والتحديق في صندوق رمادها. "الآن لن تكبر في السن، ولن تمرض أبداً. والله كان لطيفاً معها بحيث إنها لم تعانِ قبل وفاتها. وقد عاشت لترى جميع بناتها يكبرن. ستتذكّرها دوماً امرأة جميلة وشابة". فشكلها بالكاد تغيّر مع مرور السنوات. كانت مفعمة بالدفء وتتمتّع بجمال باهر، وبالطاقة، والشباب. كانت امرأة مذهلة حتى آخر يوم

لها. سيفكّرن بها دوماً بهذا الشكل. إذ كانت والدتهنّ تتمتّع برقة هائلة. هزّ رأسه لدى سماعه كلام ابنته دون التعليق بأية كلمة من ناحيته. ثم أمسك بوردة بيضاء، ووضعها على أعلى الصندوق إلى جانب الورود الأخرى. وبعدها أمسك بوردة ثانية ومشى بها بعيداً مطرقاً برأسه. كانت الأيام القليلة الأخيرة أصعب أيام مرّت عليه في حياته، وقد أدركت بناته ذلك جيداً. بدا وكأنه كبر دهراً في الأيام الخمسة الماضية.

ركب والدها سيارة الليموزين دون تعليق، وجلس بقرب **سابرينا**. جلس محدقاً إلى خارج النافذة خلال العودة إلى المنزل، وقد رافقتهما **تامي** في السيارة أيضاً. أما **كريس** و**كاندي** فركبا سيارة الليموزين الأخرى. لقد أبقوا مراسم الدفن مقتصرة على العائلة، وقد شعرت البنات بالراحة لوصول الشعائر المؤلمة المرتبطة بوفاة والدتهنّ إلى نهايتها. مرّت عليهم ثلاثة أيام متعبة، بين زيارة المعزين، والجنازة، ومئات الزوار الذين توافدوا إلى المنزل بعدها، والآن هذه المناسبة المؤلمة الأخيرة، أي تركها في المكان الذي سترقد فيه بسلام إلى الأبد. دار نقاش حول مسألة الاحتفاظ برمادها في المنزل، ولكن وجدت **سابرينا** و**تامي** أن هذا الأمر سيكون مؤلماً جداً، وخصوصاً لوالدهنّ. لذا من الأفضل ترك الصندوق الخشبي في المقبرة. كما وانتاب **سابرينا** حسّ بأن أمها كانت لتفضّل ذلك. بما أنها لم تترك أية توجيهات بخصوص ترتيبات الجنازة، كان عليهما أن تخمّنا ما يجدر فعله، وقد استشارتا والدهما في كل التفاصيل. أراد الزوج أن ينتهي هذا الكابوس وحسب، وتمنّى لو تعود إليهم. أحسّت **سابرينا** أن الجميع لم يستوعبوا الأمر بعد بشكل جيد. فقد مضت أيام قليلة فحسب على رحيلها، وبدت وكأنها سافرت لتمضية عطلة نهاية أسبوع وقد تعود في أية لحظة.

أدركت **سابرينا** أن التركيز يجب أن ينصبّ الآن على **آني**، وعلى تعافيها الكامل بعد عملية الدماغ الجراحية، وتكيّفها مع الحياة الجديدة والصعبة بعد أن غدت ضريرة. لم يبدأوا حتى السير في هذا الطريق معها

إلى الآن، وقد توقّعت بأن يأخذ الانتقال من مرحلة فنانة إلى مرحلة امرأة ضريرة وقتاً طويلاً. فهو ليس بالأمر السهل عليها.

قال والدهنّ عندما وصلوا إلى المنزل إنه بحاجة إلى الذهاب إلى المصرف بعد الظهر. فعرضت عليه **سابرينا** اصطحابه إلى هناك، ولكنه قال إنه يريد الذهاب بمفرده. كانت مثلها مثل الأخريات تحاول الوقوف إلى جانبه وتقديم الدعم له، عندما يريد، وإعطاءه بعض المجال لنفسه عندما يرغب بالإنفراد بنفسه. وقد كان كالجميع في حالة نفسية متأرجحة. أحياناً كانت مرارة المأساة الكبيرة تهد أركانه، وأحياناً أخرى كان يشعر أنه بخير لساعات معدودات، ثم يقع فريسة للحزن من جديد بشكل مفاجئ وقاس، عندما يحلّ عليه ثقل خسارتها الكبيرة جداً. شعر وكأن عالمه بأكمله قد انقلب رأساً على عقب، وقد صحّ ذلك بعدة طرق.

قام بترك خبر في مكتبه يقضي بألاّ يتوقّعوا حضوره طيلة ذاك الأسبوع، وربما الأسبوع المقبل أيضاً. أراد أن ينتظر ليرى إن كان سيتحسّن حاله. لقد كان يشغل منصب مستشار استثمار شخصي طيلة حياته، وسيتعاطف معه زبائنه لخسارته زوجته. وقد تمّ إعلام زبائنه المهمين جداً، فأرسل العديد منهم الزهور.

ستكون العائلة مجتمعة سوياً حتى نهاية الأسبوع، بعدها ستعود **تامي** إلى كاليفورنيا، وسيعود **كريس** إلى عمله، وفي النهاية سيعود والدهنّ إلى عمله أيضاً. اعتقدت **سابرينا** أن ذلك سينفعه، ولكن لم يوافقها الجميع على ذلك. فقد بدا متعباً، وضعيفاً، ومنهك القوى، وقد خسر عدة كيلوغرامات من وزنه. لذا خشي الجميع أن يؤثّر فقدان والدتهنّ على صحته وأن يتحوّل إلى رجل مسن بين ليلة وضحاها. وهذا ما كاد يحصل. لقد أثار منظره المنهار والضائع جراء فقدانه زوجته الخوف في قلوب بناته.

عندما باتت **سابرينا** وحدها في غرفة المكتب بعد مراسم الدفن، اتصلت بسمسارة العقارات في نيويورك، تلك التي وجدت لها شقتها

الحالية، وأخبرتها عمّا تبحث عنه. ثلاث غرف نوم نظراً لأن **تامي** قررت ألاّ تنضمّ إليهنّ، لأنها ستبقى في كاليفورنيا كي تتمكّن من مواصلة إنتاج برنامجها الناجح. فقالت **سابرينا** للسمسارة إنها تريد شقة مضيئة يدخلها نور الشمس. ويُفضّل أن تكون من طابق واحد وتضمّ ثلاث غرف نوم ذات حجم معقول، وثلاثة حمامات منفصلة، وصالوناً معقول الحجم، وغرفة طعام إن أمكن، وربما غرفة جلوس واسترخاء رغم أن ذلك ليس ضرورياً جداً. أردن مبنى فيه بواب ونوع من الحراسة، لأن **كاندي** ستدخل المبنى في أي ساعة، و**آني** تحتاج إلى المساعدة عندما تدخل المبنى وتخرج منه، وهي و**كاندي** لن تتواجدا على الدوام لمساعدتها، في حال خرجتا أو ذهبتا إلى العمل. كما وفضّلن السكن في المنطقة الشرقية الشمالية أكثر منه في منطقة سوهو، أو تريبيكا، أو تشيلسي. إذ كانت **سابرينا** ترتاح أكثر للسكن في الجزء الأعلى من المدينة، وأصرّت **كاندي** على القول إنها لا تأبه أين ستسكن طالما أنها ستكون برفقة أخواتها. كانت تمتلك شقة رائعة، عزمت على تأجيرها. ذلك لأنه لم ينفعها لا جمال هذه الشقة ولا إطلالتها. ولم تكلّف نفسها أبداً عناء تزيينها، أو وضع اللمسات الأخيرة عليها. فقد كانت تغيب عنها معظم الأحيان ممّا منعها من بذل العناية الكاملة بها. مثل **سابرينا** كانت تلقي بالاً لأمنهنّ وموضوع حمايتهنّ عند العودة مساء إلى المنزل. فالأخريات لم يعتدن على الخروج بقدر **كاندي** حيث إنهنّ يعشن حياة أكثر استقراراً.

صارحتها السمسارة القول: "إنها متطلبات كثيرة، إلاّ إذا حالفني الحظ وتمكّنت من إيجاد شخص ما يودّ تأجير شقته لكم لمدة سنة". قالت **سابرينا** إنها لا تأبه لأمر إطلالة الشقة أو احتوائها على الشرفات. كما وأنه من الممكن أن تناسبهنّ شقة مريحة في مبنى قديم أيضاً. فالهدف الأساسي أن يصبح بمقدورهن العيش سوياً، وتوفير بيئة تتمكّن **آني** فيها من تمضية وقتها والشعور بالراحة، وفوق كل شيء تكون آمنة في الوقت الذي تتعلّم

فيه كيفية معالجة التحديات التي تواجهها في حياتها الجديدة. أملت **سابرينا** أيضاً أن تتمكّن من إيجاد مكان يحتوي على مطبخ كبير حيث يسعهنّ الطهو. وأملاً بأن يأتي **كريس** في بعض الأحيان لتحضير بعض الطعام للفتيات. كان تقريباً طاهياً ماهراً. لطالما رغبت **سابرينا** بالتعلم منه، ولكنها لم تحظَ أبداً بالوقت، وكانت أحياناً تفوّت عليها تناول بعض الوجبات. أما ما بدا على **كاندي** خلال الأيام القليلة الماضية فكان أقرب إلى أنها لا تتناول الطعام على الإطلاق. أما **تامي** فكانت ما بين بين، تهتمّ لوزنها ولكن ليست مهووسة به. لقد اعتادت **سابرينا** على استبدال الوجبات الفعلية بالسلطات للتعويض عن هذه الوجبات، حينما تشعر أنها أكثرت من تناول الطعام، وقد كان يندر حصول ذلك.

وعدت السمسارة بالاتصال بها لحظة تجد شقة تعرضها عليها. أدركت **سابرينا** أنها قد لا تجد هذه الشقة على الفور، وكانت تتقبّل فكرة استئجار شقة في مبنى مغطى بالحجر الرملي أيضاً، ولكنها لم ترغب بالبدء بها لأنها كانت أغلى ثمناً. كانت قد شرحت خطتها لوالدها في طريق العودة إلى المنزل من المقبرة، فابتسم عندما سمع هذا الكلام منها.

"ستستمتّعن بالعيش سوياً مثل الأيام الغابرة عندما كنتنّ تعشن سوياً في المنزل. لا أتخيّل أنكن ستواجهن المتاعب. ماذا عن **كريس** في خضمّ هذا المشروع يا **سابرينا**؟ فالعيش مع هذا العدد من النساء يمثّل تحدياً لأي رجل. حتى كلابكن إناث وأصدقاؤكن كذلك". قالت **سابرينا** إن **كريس** قد اعتاد على هذا الأمر. كانت الفتيات يحببن الجو المفعم بالحيوية الذي يوجدنه فيما بينهنّ، وبدا أن **كريس** يتكيّف مع هذا الأمر. على كل حال أعلمت السمسارة بمتطلباتها، ولم تظنّ **سابرينا** أنه من المستحيل أن تجد لها شيئًا يناسبها. بالتأكيد بات الموضوع أكثر تحدياً عندما قالت لها **سابرينا** إنها تريد الشقة بأسرع وقت ممكن. **فآني** ستخرج من المستشفى بعد بضعة أسابيع، وأرادت **سابرينا** أن ينتقلن جميعاً إليها. لذا وجب عليها أن تعطي

إشعاراً بتركها لشقتها، كما أن **كاندي** كانت تنوي تأجير شقتها في حال وجدن الشقة المناسبة. وفي حال لزم الأمر، بوسعها دفع إيجار الشقة التي نوت السكن فيها مع أختيها، إضافة إلى دفعها تكاليف صيانة شقتها الحالية في الوقت نفسه، لأنها كانت تمتلكها. كانت تجني الكثير من المال جراء عملها في مجال عرض الأزياء، وبالرغم من كونها صغيرة أخواتها إلاّ أنه كان بوسعها تحمّل نفقات بعض الرفاهيات التي يعجز غيرها عن تحملها. حتى **تامي** التي كانت تشغل وظيفة مهمة جداً في هوليوود كمنتجة، لم تجنِ هذا القدر الكبير من المال الذي كانت تجنيه **كاندي**. وقد سبق واعترفت **كاندي** بنفسها أن عارضات الأزياء يتقاضين أموالاً طائلة، أضف إلى ذلك أن الطلب عليها بوجه الخصوص كان كبيراً.

قال الوالد في طريق العودة من المقبرة إلى المنزل إنه مستعد لدفع حصة **آني** من الإيجار، وحتى أكثر من ذلك إن كان في هذا مساعدة لهنّ. فقد أظهر استعداداً لدفع نصف التكاليف، لأنه اعتقد أن خطتهنّ لمساعدة أختهنّ أمر نبيل منهنّ، على الرغم من أنه واصل رفضه لواقع كونها مصابة بالعمى إلى الأبد. بات يقول الآن إنه ربما يعود بصرها إليها يوماً ما. فقد كانت صدمة خسارتها لبصرها تفوق قدرته على التحمل. ولكن أدركت **سابرينا** أنه سيتقبل هذا الأمر مع مرور الوقت. لقد كانت خسارته لزوجته، وابنته التي أوشكت على الموت، ومسألة إصابتها بالعمى مدى العمر، كلها مآسٍ فاقت قدرته على تحمّلها. حيث إن عقله رفض تحمّلها دفعة واحدة، أو التصديق بأنها حدثت كلها في الأيام الخمسة الماضية. في حين كان تقبل هذه المآسي أسهل على بناته بعض الشيء. أما **آني** فلم تعلم شيئاً بخصوص هذه المآسي بعد.

حضّر **كريس** و**تامي** السندويشات عند عودة الجميع إلى المنزل. وقد كان الناس يقدّمون مختلف الأطعمة إليهم عربون تعاطفهم معهم، لذا بات لديهم مجموعة متنوعة من الوجبات اللذيذة، والخفيفة، والمطهوة مكدسة في المطبخ. بدا وكأنهم يقيمون حفلة إثر إرسال أصدقائهم وزملاء

والدهنّ سلالاً من الطعام والشراب. ولكن المناسبة لم تكن على الإطلاق مناسبة فرحة. في الواقع، بدأت **سابرينا** تخشى المناسبات بعدما رحلت أمها. فالمناسبات ستكون مناسبات حزينة لهنّ جميعاً طوال هذه السنة. إذ أدركت أن الجميع سيلاحظون غياب أمها وخصوصاً في فترة الأعياد.

ذهب الوالد إلى المصرف عند ذهاب الفتيات لزيارة أختهنّ في المستشفى عصر ذاك اليوم. كان **كريس** قد عرض عليه أن يقلّه. لقد بدا متحيّراً جداً لحظة أرادت منه بناته ألاّ يقود السيارة بنفسه. إذ لم تشأ أي منهنّ حصول حادث آخر، كالذي حصل خلال عطلة نهاية الأسبوع، على الرغم من أنهنّ أجمعن على كون الحادث حصل صدفة. اندهش **كريس** عندما رأى **جيم** يخرج إلى السيارة حاملاً بيده كيساً مفتوحاً وحقيبة صغيرة. لم تخطر **لكريس** أدنى فكرة عمّا كان يقوم به، ولكنه بدا مصمماً جداً على ما يفعله، ولم يتكلّم كثيراً مع **كريس** في طريقهما إلى المصرف، ممّا كان أمراً غير معتاد بالنسبة إليه.

عندما وصلت **تامي** و**كاندي** و**سابرينا** إلى المستشفى، وجدن **آني** نائمة. فجلسن بهدوء في غرفتها لفترة من الوقت ريثما تصحو. قالت الممرضة إنها تأخذ قيلولة، ولكنها كانت في حالة نفسية معقولة إلى حدّ ما في ذاك اليوم. ولكن أدركت أخواتها أن هذه الحالة لن تدوم طويلاً. ففي نهاية الأسبوع، سيصعقها الواقع، مثل عاصفة هوجاء.

أخيراً، استيقظت حينما كانت أخواتها يجلسن بالقرب منها ويتهامسن فيما بينهنّ. استطاعت الشعور **بتامي** تجلس قرب سريرها. كانت تنمو لديها حاسة سادسة في ما يتعلق بتحركات الأشخاص، وذلك بوجود الضمادة الكبيرة حول عينيها. فقد بدا سمعها أكثر دقة، ففي كل مرة كانت تنجح في تخمين أي أخت تقف بالقرب منها.

قالت: "مرحباً يا **تامي**". وقامت **تامي** بالابتسام وتقبيلها على خدها. تبادلت الأختان الابتسامات بالرغم من أن **آني** لم تتمكّن من رؤيتها.

نظرت **تامي** متفاجئة: "كيف عرفت؟"

"لقد شممتُ عطرك. **وسابرينا** واقفة هناك". وأشارت إلى حيث تقف **سابرينا**.

علّقت أختها الكبرى قائلة: "هذا غريب، فأنا لا أضع عطراً، فقد نسيت عطري في المدينة".

قالت **آني** وهي تتثاءب: "لستُ أدري. بوسعي الشعور بكنّ حسبما أعتقد. كما وأن **كاندي** مستلقية في آخر سريري". فضحك الجميع على ما قالته، إذ تميّز كل كلامها بالدقة. ثم أعادت سؤال البارحة: "أين أمي؟" بدت مهتمة للأمر وغير آبهة في الوقت نفسه.

قالت **تامي**: "اضطرّ أبي إلى الذهاب إلى المصرف". آملة بتشتيتها عن سؤالها، وجاعلة الأمر يبدو وكأن والدتهنّ قد رافقته، دون الكذب عليها فعلياً. "ولمَ عساه يذهب إلى المصرف؟ لمَ ليس في عمله؟ في أي نهار نحن على كل حال؟" فقد كانت قد فقدت إدراكها للأيام، حتى البارحة.

أجابتها **سابرينا**: "إنه نهار الأربعاء. أخذ والدنا إجازة لمدة أسبوع".

"حقاً، هذا ليس من عادته". عبست **آني** في الوقت الذي فكّرت فيه بكلامهنّ. فتبادلت الأخوات الثلاث نظرات القلق. قالت بحزن: "أنتن يا أخواتي تكذبن عليّ، أليس كذلك؟ لا بد وأن أمي أُصيبت بمكروه، أو لعلها هنا الآن. ما كانت أبداً لتذهب مع أبي في حال أدركت أنني مصابة". سألتهنّ **آني** بإصرار: "ماذا حصل؟ ما مدى خطورة الأمر؟" فساد الصمت في الغرفة للحظات طويلة. لم ترغب الأخوات بإخبارها بخسارتهنّ العظيمة في هذا الوقت المبكر، ولكنها لم تكن تمنحهنّ الفرصة. هكذا اعتادت أن تكون. فقد كانت **آني** من النوع الذي يريد أجوبة عن أسئلتها وعدم إبقاء الأمور دون حلّ. كانت تكره الظروف التي تضطرب فيها الأحوال. وعلى الرغم من خلفيتها الفنية، كانت تتّسم بالدقة والصراحة، والشفافية. "ماذا حصل لأمي يا أخواتي؟ أين هي؟" لم تدرك أي منهنّ كيف

تجيبها، وخشين من مصارحتها خشية من أن تصدم. "هيا أنتن تخفنني". بدأ القلق الشديد يبدو عليها، وهنّ أيضاً. كان ذلك أمراً مؤلماً، وكرهن إخبارها في هذا الوقت المبكر، بعد أن بدأت لتوها تتماثل للشفاء.

أخيراً قالت **تامي** بلطف وهي تقترب من السرير حتى تتمكّن من الوقوف بجانبها: "كان الحادث قوياً جداً يا **آني**". ثم لا شعورياً اقتربت الأختان منها. وتوجّهت صوبها **كاندي** وأمسكت بيدها: "كان حادثاً بشعاً للغاية، حيث اصطدمت ثلاث سيارات وشاحنة".

"أذكر حينما فقدت أمي السيطرة على مقود السيارة. نظرتُ إليها عندئذ وحاولت الإمساك به قبل أن تصطدم بالسيارات الموجودة أمامها، ولكن عندما نظرت لم تكن موجودة في السيارة. لم أكن أدري أين هي". كانت على الطريق حيث تسير السيارات، ولكن دورية شرطة الطريق السريع أفادت أنها عندئذ كانت قد فارقت الحياة. فقد ماتت جراء الارتطام، عندما اندفعت الأنابيب الفولاذية من الشاحنة وارتطمت بها. كادت تقتلع رأسها وانحرفت عن **آني** شعرة واحدة. قالت بنعومة: "أنا لا أذكر أي شيء بعد ذلك".

"كنتِ محتجزة في السيارة، وأُصبت بضربة قوية في رأسك. استغرق إخراجك من السيارة نصف ساعة". أضافت **سابرينا** إلى كلام **تامي**: "حمداً لله أنهم أخرجوك في الوقت المناسب". كانت الفتيات مجموعة واحدة تتكلّم بعقل واحد وصوت واحد. وقد آثرت والدتهنّ أن تدعوهنّ الوحش ذا الرؤوس الأربعة في فترة الطفولة. ففي حال تكلّم المرء مع واحدة منهنّ، أو تعامل مع واحدة يقفن هنّ الأربع في وجهه. وساعد الله هذا المرء في حال شعرت الفتيات أنه يظلم أي واحدة منهنّ أو أكثر. لم يتغيّر هذا الطبع كثيراً. بتن فحسب أكبر سناً، وأكثر هدوءاً، وانفعالاتهنّ أقل تهوراً، ولكن ما يزلن يقفن إلى جانب بعضهنّ البعض، ويمتلكن الآراء نفسها حول العديد من الأمور، ويتّسمن بالسرعة في الدفاع عن بعضهنّ البعض.

"لم تخبرنني بعد أين أمي". أدركن أنه ليس بوسعهنّ بأية طريقة تفادي الإجابة عن سؤالها. فقد كانت مصرّة جداً ومتنبهة للغاية. وبالتالي يصعب تأجيل الإجابة عن سؤالها. "هل هي في غرفة أخرى مجاورة؟" نظرت **تامي** إلى **سابرينا** وهزّت برأسها. اقتربن جميعاً من السرير وعمدت كل واحدة منهنّ إلى لمس يدها، أو ذراعها، أو وجهها. استطاعت الشعور بهنّ جميعاً إلى جانبها، وكان وجودهنّ يشعرها بالراحة والخوف في آن معاً. خالجها شعور بأن أمراً فظيعاً قد حصل. كانت حواسها دقيقة كما كانت عليه دوماً، وكان عقلها يعمل على خير ما يرام ممّا بعث الراحة في قلوب الجميع، على الرغم من أنه في هذه الحالة بات تجاهلها أصعب.

قالت **تامي** بلطف نظراً لأنها كانت الأقرب إليها: "لم تنجُ أمنا من الحادثة يا **آني**. حدث الأمر بسرعة قصوى. لقد ارتطمت بها الأنابيب الفولاذية. وقُتلت على الفور". فشهقت **آني**، وفتحت فمها لهول صدمتها، ولكنها لم تنطق بكلمة. من ثم بدأت تتخبّط في كل النواحي محاولة لمسهنّ، وأحكمت الإمساك بأيديهنّ. فعاودت الأخوات الثلاث البكاء لدى مشاهدتهنّ لها، وهي كذلك. استطعن رؤية مدى ألمهنّ وصدمتهنّ فيها. ولكنهنّ حظين بأربعة أيام للتأقلم مع هذا الحزن الشديد. أما بالنسبة **لآني** فالخبر ما يزال جديداً.

قالت بصوت مرتعب: "أمي ماتت؟" تمنّت لو أمكنها النظر إليهنّ، وكرهت الضمادة التي تمنعها عن ذلك. إلاّ أن الطبيب كان قد أعلمهنّ أنه يجدر إبقاء الضمادة لبضعة أيام أخرى. كانوا سينزعونها قبل موعدها بأسبوع. ولكنها شعرت بالمرارة لعدم تمكّنها من رؤية وجوه أخواتها أو النظر في أعينهنّ لدى سماعها بوفاة والدتهنّ. أرادت أن ينزعوا الضمادة عن عينيها. ولكنّ محاولة انتزاعها وإزالتها بيديها لم تعطِ نتيجة. لقد سبق وحاولت ولكن دون نتيجة.

أجابت **سابرينا** على سؤالها المؤلم: "نعم لقد ماتت. أنا آسفة يا حبيبتي. أنا آسفة لكل ما حصل لك".

قالت: "يا الله كم هذا فظيع". وانهمرت الدموع من عينيها فامتصّتها الضمادة، واستطاعت الشعور بدموعها تحرق عينيها بالرغم من أن عينيها مغطاتان. لم تزدد الأمور إلاّ سوءاً. ثم بكت مدة طويلة في حين جلست أخواتها وهنّ يهدأن من روعها كملائكتها الحارسة. ولكن الملاك الأكثر حناناً بينهنّ قد رحل. لم تتمكّن **آني** من تقبّل الأمر أو استيعابه كحالهنّ. فقد كان أسوأ خبر سمعته في حياتها، والأمر نفسه ينطبق على الأخوات حتى بعد مرور أربعة أيام. لم تشعر أي منهنّ بالقدرة على تقبّل الأمر على الرغم من محاولتهنّ جعل والدهنّ يعتقد أنهنّ قد تقبّلن الأمر. وأخيراً سألت آني: "كيف حال أبي؟" وهي تبدي قلقاً حياله.

قالت **كاندي**: "ليس بخير، كما وأننا نحن أيضاً لسنا على أفضل حال. فأننا لا ننفك أنهار. أخذت **سابرينا** و**تامي** كل شيء على عاتقهما. كانتا عظيمتين".

كان قد فات **آني** الكثير ممّا حصل. بل في الواقع كل ما حصل.

سألت وهي تبدو مصدومة: "هل فاتتني الجنازة؟" في حقيقة الأمر، لم ترغب أن تحضرها، ولكنها شعرت بأن الجميع قد خلفوها وراءهم عندما علمت أنها لم تحضر الجنازة. ولكن لم يكن ثمة خيار آخر. إذ إنهم لم يعرفوا متى قد تستعيد وعيها، كما أنه ما كان بإمكانهم الانتظار. وإلاّ لكان ذلك أمراً صعباً جداً على والدهنّ وعليهنّ أيضاً. احتاجوا إلى إتمام المراسم المؤلمة وجعلها خلفهم حتى من دون **آني**.

قالت **سابرينا**: "لقد أتممنا المراسم البارحة". لم تقوَ **آني** على التصديق. لقد ماتت أمهنّ. لم تقوَ على استيعاب الكلمات ولا الفكرة. لم يكن الأمر سهلاً عليهنّ أيضاً. كنّ لا يزلن يواجهن المتاعب في التكيف مع الأمر وهي أيضاً ستواجه هذه المتاعب. كان وجود أمهنّ محبباً جداً في حياتهنّ بحيث يصعب جداً عليهنّ استيعاب موتها المفاجئ، أو حتى التكيف مع ما خلّفته وفاتها، حيث إن أخواتها أفلحن في ذلك حتى اللحظة.

نحبت **آني** قائلة: "مسكين أبي... نحن المساكين... مسكينة أمي... يا له من أمر مريع". كان مريعاً أكثر ممّا تتخيّله حتى. الآن باتت هي المسكينة، وحتى أكثر من أمها. فأمها قد عاشت حياتها، وماتت صغيرة في السن، ولكنها عاشت بسعادة وفرح حتى آخر يوم من حياتها. أما **آني** فهي التي ستواجه تحديات صعبة جداً الآن، وستجد حياتها التي قُيِّدت بشكل مفاجئ صعبة جداً، بحيث لن تتمكّن من رسم أو حتى رؤية أية لوحة في حياتها من جديد، في حين أنها عاشت حياتها كلها للفن. فقد مُنيت **آني** بخسارة كبيرة بفقدانها لبصرها وهي في ريعان الصبا. فانفطرت قلوب أخواتها لأجلها ولأجل والدتهنّ.

بقين مع **آني** حتى وقت متأخر من عصر ذاك اليوم. إذ لم ترغب الفتيات بتركها وحدها بعد إخبارها بأمر وفاة أمهنّ. كنّ أحياناً يتكلّمن في الموضوع، وأحياناً أخرى يكتفين بالجلوس بصمت ويمسكن بأيدي بعضهنّ البعض، وأحياناً يبكين سوياً أو يضحكن على قصة تذكّرتها إحداهنّ وقد نسيتها الأخريات. لقد أوجد رحيل أمهنّ رابطاً أقوى فيما بينهن، حتى أقوى ممّا كان عليه في السابق. كانت الفتيات الأربع مختلفات عن بعضهنّ البعض، ويمتلكن حباً واحتراماً كبيرين تجاه بعضهنّ البعض، وقد ورثن ذلك عن والدتهنّ وعن والدهنّ على حدّ سواء. كما وتعلّقن بوالدهنّ وببعضهنّ البعض كونهم الرموز القوية الباقية من عالمهم المهدم.

غادرن المستشفى عند الساعة السابعة. كانت **آني** متعبة كحالهنّ. رجعن بالسيارة إلى المنزل، ووجدن **كريس** يتحدّث بهدوء مع والدهنّ. أخبرهنّ أن اثني عشر شخصاً على الأقل قد مرّوا للاطمئنان على حالهنّ وتقديم التعازي لهنّ. كان الظرف غريباً عليهم جميعاً. فقد تركت والدتهنّ فجوة كبيرة جداً في حياتهنّ، وفي مجتمعهنّ، حيث عاشت لسنوات محبوبة ومحترمة كزوجة وأم وصديقة وإنسانة، تعمل بكدّ في عدة مؤسسات خيرية. كانت تمثّل بالنسبة للكثيرين أكثر من مجرد أم لبناتها أو زوجة **لجيم**.

اقترحت **تامي** أن يطلبوا طعاماً صينياً جاهزاً أو السوشي حتى لا يضطرّ **كريس** للطهو من جديد، ولكن قال لهنّ والدهنّ إن لديه ما يفعله معهنّ قبلاً. بدا مهموماً وحزيناً، كحاله منذ يوم السبت ولكنه بدا مصمماً. طلب منهنّ أن يلحقن به إلى غرفة الطعام. كان **كريس** على علم بما يجري فتنحّى جانباً غير راغب بالتطفل. فالأمر يخصّ العائلة، ويعتبر لحظة شخصية في عائلتهم. كان قد ذُهل عندما أخبره **جيم** بما كان يفعله بعدما ذهبا إلى المصرف عصر ذاك اليوم. بدا له ذلك أمراً مبكراً، ولكن أشار الأب إلى أن أشهراً ستفصله عن عودة الفتيات إلى المنزل من جديد. وأدرك أن هذا ما كانت زوجته لتريده منه. فقد تميّزت بالكرم مع زوجها، وبناتها، وأصدقائها طيلة حياتها.

تبعت الفتيات والدهنّ إلى غرفة الطعام، وذهلن لما رأينه هناك. فهنّ لم يتحضّرن لما رأينه، ولم يخطر لهنّ ذلك مسبقاً. شهقت **تامي** جراء الألم الذي شعرت به وتراجعت خطوة إلى الوراء. وغطّت **سابرينا** عينيها بيدها للحظة. وجمدت **كاندي** في مكانها وبدأت تبكي.

"آه يا أبي". هو كل ما تمكّنت **تامي** من التلفظ به. فهي لم ترغب أن تواجه هذا الموقف الآن. تألّمت جداً لمجرد النظر إلى قطع المجوهرات المألوفة لهنّ، ولكنها باتت الآن بمثابة هدايا لهنّ من والدتهنّ وبمباركة والدهنّ.

كان قد وضع كل مجوهرات الأم على طاولة الطعام بطريقة مرتبة، الخواتم، والأساور، والأقراط المألوفة التي كانت تلبسها، وعقد اللؤلؤ الذي ورثته عن أمها، والهدايا التي قدّمها لها على مدى السنوات. ومع نجاحه في عمله كانت الهدايا تزداد مع مرور السنوات. لم تكن مجوهرات مهمة، مثل بعض المجوهرات التي كانت **تامي** تراها في هوليوود، أو كتلك التي تضعها **كاندي** في الصور التي تلتقطها لمجلة فوغ، أو دعايات تيفاني أو كارتييه. ولكنها كانت قطعاً جميلة إذ اعتادت والدتهنّ على التزيّن بها

وكانت تحبّها. كنّ يتذكّرن والدتهنّ لدى وضع كل قطعة موجودة على طاولة الطعام على جسدهنّ، رغم أنهنّ شعرن وكأنهنّ يسرقن هذه القطع منها، أو يقمن بالإغارة على علبة مجوهراتها وهي خارج المنزل، وعليهنّ شرح الأمر لها حينما تعود. ما تزال الفتيات يرغبن بالتصديق أنها ستعود. حيث إن عرض المجوهرات بذاك الشكل كان طريقة للاعتراف بأنها قد رحلت إلى الأبد، وعليهنّ دخول العالم كراشدات الآن دون أن يحميهنّ شيء ممّا قد خبأته لهنّ الحياة، سواء من الأمور الحسنة أو السيئة. وفجأة مهما كان سن كل واحدة منهنّ بتن بالغات، وبتن دون أم. بدا لهنّ الأمر وكأنهنّ كبرن جداً. سألت **سابرينا** وعيناها ممتلئتان بالدمع: "أبي هل أنت واثق؟"

كانت **تامي** تبكي بصمت أيضاً، فالوضع صعب جداً. قال بهدوء: "نعم أنا واثق. لم أرغب بالانتظار حتى موعد عودتكنّ المقبلة إلى المنزل. **آني** ليست هنا ولكن لا يسعها اختيار القطع التي تريدها على أي حال، وأنتنّ تعرفن ذوقها. لذا بوسعكنّ الاختيار نيابة عنها، أو بوسعكنّ تبادل القطع فيما بينكنّ لاحقاً إن شئتنّ. أريد أن تتبادلن الأدوار، واحدة تلو الأخرى. فلتختر كل واحدة منكنّ قطعة، من ثم تختار الثانية قطعة أخرى، حسب العمر، كل واحدة بدورها، حتى تتقاسمنها كلها. إنها رغبة والدتكن بأن تحصلن على هذه المجوهرات. يوجد قطع جميلة جداً هنا. إنها ملك لكنّ". ثم خرج من الغرفة ماسحاً الدموع عن وجنتيه. كان سيترك الأمر لهنّ مدركاً أنهنّ سيتقاسمنها بعدل. بالإضافة إلى المجوهرات، كان قد أخرج معاطف الفرو الأربعة التي تعود لوالدتهنّ، اثنان من فرو المنك، وواحد من فرو الثعلب، وآخر من فرو الرشق كان قد اشتراه لها في العيد الفائت. كان كل من هذه المعاطف ملقى على كرسي من كراسي طاولة الطعام. فبدا صعباً جداً استيعاب الوضع. قالت **سابرينا**: "واو". وجلست على كرسي محدّقة بما هو موجود على طاولة الطعام. "من أين نبدأ؟"

قالت **تامي** بهدوء: "سمعتِ ما قاله أبونا. حسب السن. هذا يعني أن تبدئي أنت، ومن ثم أنا، ثم **آني**، ثم **كاندي**. من التي ستختار **لآني**؟"

"بوسعنا جميعاً الاختيار لها. إننا نعرف ذوقها". اعتادت **آني** على وضع القليل من المجوهرات، فهي تتّسم بذوق فني انتقائي، حيث تفضّل الأساور الفضية والكثير من الأحجار الكريمة الفيروزية. كانت أمها تمتلك قطعاً شبيهة بالتي اعتادت **آني** أن تضعها إلا أنها أكثر قيمة منها، وستبدو جميلة على **آني**، إن أرادت أن تبدو أكثر رشداً. وحتى لو لم تتزيّن بها أبداً، فلقد كانت ستمثّل ذكرى طيبة من أمها، ومن الجميل أن تمتلكها. كانت كل واحدة منهنّ تعرف القطعة التي أُهديت لأمهنّ لحظة ولادتها. إسوارة ياقوت أزرق ضيقة بمناسبة ولادة **سابرينا**، خاتم ياقوت أحمر بمناسبة ولادة **تامي**، وعقد لؤلؤ بمناسبة ولادة **آني**، وإسوارة ألماس جميلة بمناسبة ولادة **كاندي** التي ولدت بعد ثلاث عشرة سنة من ولادة **سابرينا**، في وقت كان فيه والداها أكثر راحة مادياً. اختارت الفتيات هذه القطع في البداية وهنّ يتحلّقن حول طاولة الطعام. ثم خفّ التوتر لديهنّ، وبدأن يسترخين. بدأن أولاً بتجربة هذه القطع. كان قياس خاتم الياقوت الأحمر مناسباً جداً لإصبع **تامي**، فأقسمت ألاّ تخلعه أبداً من إصبعها. وقد كان حجمها مماثلاً لحجم أمها.

بدأن واحدة تلو الأخرى باختيار القطع التي يتذكّرنها بشكل جيد. كان هنالك بضع قطع من جدتهنّ، بدت قديمة وإنما جميلة. إذ إن موديلها يعود لأيام الأربعينيات، واحتوت بعض القطع على أحجار التوباز الكبيرة، واحتوى بعضها الآخر على أحجار بلون الأزرق المخضر، واخترن بروشاً يحتوي على حجر كريم ذي نقش بارز **لآني**، لأنهنّ وجدن أنه قد يعجبها، وأجمعن أن الوجه المنقوش عليه يشبهها. ما كان هذا القدر الكبير من الاحترام الذي تبادلته الفتيات لحظتها ليفاجئ أياً من والديهما. فعندما كانت واحدة منهنّ تبدي إعجابها بقطعة معينة، تتراجع أختاها مباشرة وتحثّاها

على أخذها. كان هنالك بضع قطع لم تشبه أي منهنّ ولكنهنّ اتبعن إحساسهنّ في اختيارها. كان يوجد بروش من الياقوت الأزرق، كان والدهنّ قد أهداه لأمهنّ في ذكرى ميلادها الخمسين، وأجمعن كلهنّ على وجوب أخذ **سابرينا** له، فأخذته. كما وُجِد قرطان جميلان من الألماس بدَوَا جميلين على **تامي**، وقرطان جميلان من الألماس واللؤلؤ كانت والدتهنّ قد وضعتهما عندما كانت شابة، وكانا مناسبين **لكاندي**. إضافة إلى إسوارة ألماسية رائعة أجمعن على إعطائها **لآني**، فوضعوها لها جانباً. كانت مجوهرات رائعة، وفي منتصف طريق اقتسامهنّ للقطع كانت الفتيات يبدون أقل حزناً، فابتسمن وضحكن عند تجربة كل قطعة، وقد أصدرن تعليقات على شكل كل قطعة عليهنّ. فبدا الوضع عبارة عن مزيج من السعادة والحزن.

حصلت كل واحدة على عدد متساوٍ من القطع. أي حصلت كل واحدة على قطعتين مهمتين أو ثلاث، وعدد من القطع الأخرى التي كانت أقل قيمة، ولكن كانت تعني الكثير لهنّ، وقد شعرن بالرضا عن القطع التي انتقينها **لآني**، وكنّ أكثر من مستعدات لتبادل القطع التي انتقينها **لآني** معها في حال لم تعجبها. كانت هذه القطع تجعل الفتيات يبدون أكبر من سنهن الحقيقي، على عكس القطع التي اعتدن على التزيّن بها، ولكنهنّ أجمعن أنهنّ سيكبرن مع الزمن بحيث تصبح هذه القطع مناسبة لهنّ أكثر، أو حتى بوسعهنّ التزيّن بها الآن ليتذكّرن والدتهنّ. كان امتلاكهنّ لمجوهرات أمهنّ يشعرهنّ بالحنان والعاطفة. وعندما فرغن من تقاسم المجوهرات، بدأن بقياس معاطف الفرو التي بدت مناسبة جداً أيضاً.

فأجمعن على أن فرو الثعلب يشبه **آني**. كان لونه تقريباً يماثل لون شعرها الكستنائي، الذي يتميّز بالكثافة والطول، لذا فهذا الفرو يناسبها من دون أدنى شك، كما وتستطيع ارتداءه مع الجينز. كان يوجد معطف أسود من فرو المنك، وقد بدا رائعاً على **سابرينا**، وناسبها لأن موديله فضفاض.

فبدت **سابرينا** أنيقة جداً بهذا المعطف. أما فرو المنك البني الكثيف فبدا مميزاً على **تامي**، وقالت إنها سترتديه في حفل توزيع جوائز إيمي في السنة القادمة. إذ كان أنيقاً جداً. وكان فرو الرشق من نصيب **كاندي**. ارتدته وبدا رائعاً عليها. كانت نحيفة جداً بحيث ناسبها جداً، وبدا طوله ممتازاً نظراً لطول ساقيها. وقد كان الكمّان قصيرين بعض الشيء، ولكن أعجبها طولهما. كانت أمهنّ قد ارتدته مرة واحدة فحسب. وكانت المعاطف الأربعة بحالة ممتازة ونادراً ما ارتدتها الأم. فقد اعتادت على ارتدائها فقط عندما كانت تذهب إلى حفلة عشاء في المدينة، أو إلى مناسبة مهمة. كانت أمهنّ تهوى الفرو، وقد استمتعت بشرائه فقط في السنوات الأخيرة. كانت تمتلك معطفاً من جلد الحمل الإيراني يعود لجدتها من أيام الثلاثينيات، ارتدته عندما كانت شابة، ولكنه كان قديماً جداً. أما هذه المعاطف فكانت جديدة تقريباً، وبدت رائعة عليهنّ. وضعن جميعاً المعاطف من أيديهنّ بكل احترام بعد أن فرغن من اختيارها، ورجعن إلى غرفة والدهنّ لتقديم الشكر له.

رآهنّ يدخلن إلى الغرفة بوجوه باسمة، فقامت كل واحدة منهنّ بتقبيله، وأخبرنه كم يعني لهنّ امتلاك أغراض والدتهنّ. كان قد احتفظ بخاتم الزواج الخاص بأمهنّ وخاتم الخطوبة الذي كان مزيناً بحجر كريم صغير، ووضعهما في صندوق صغير على مكتبه، حيث بوسعه رؤيتهما متى شاء. إذ لم يتمكّن من إبعادهما عن ناظريه.

قالت **كاندي** وهي تجلس بجانبه وتمسك بيده: "شكراً لك يا أبي".

أدركت الفتيات جيداً كم يصعب عليه أن يعرض أغراضها ويعطيها لهنّ بهذا الشكل المبكر، وكم كانت مبادرة رائعة منه. "بوسعكنّ الإطلاع على أغراضها الأخرى في وقت لاحق، لترين ما إذا كان يوجد أي شيء تردنه". إذ كانت تمتلك حقائب يد جميلة، وبعض الملابس الأنيقة أيضاً التي ما أمكن إلاّ **لتامي** أن ترتديها لأنها تتمتّع بجسد منمنم. ولكن لم يكن هناك

من داعٍ للعجلة. بدت المجوهرات مهمة بالنسبة إليه، كما وأنه أراد أن تكون بناته مجتمعات ليتقاسمنها، ولم يشأ الانتظار خمسة أشهر حتى تعود الفتيات لزيارته. لقد آلمتهنّ رؤية أغراضها في البداية، وكذلك قيامهنّ باقتسامها، ولكنهنّ قمن بذلك بطريقة منظمة وتوافقية. فتبادلن الاحترام نفسه الذي كنّ يبدينه تجاه أمهنّ. وقد كان متوقّعاً منهنّ ذلك نظراً إلى ما تعلّمنه من أمهنّ طيلة فترة نموهنّ، أن يحببن بعضهنّ البعض، بلطف، وكرم، وتعاطف. لقد تعلّمت الفتيات الدرس جيداً.

كان الوالد و**كريس** قد طلبا طعاماً جاهزاً للعشاء، في الوقت الذي كانت الفتيات فيه يتقاسمن المجوهرات. طلبا الدجاج بالكاري من مطعم هندي قريب، وكان لذيذ الطعم جداً. تبادلوا الحديث أثناء تناول العشاء، ولوهلة بدت حياتهم طبيعية وهم يتكلمون، ويضحكون، ويمازحون بعضهم البعض. كان يصعب التصديق أن الفتيات قد تقاسمن للتو مجوهرات أمهنّ، ودفنّها عصر ذات اليوم، وحضرن جنازتها البارحة فحسب. بدا كل شيء أشبه بالحلم.

عند القيام بتنظيف المطبخ، أدركت **تامي** كم ستشتاق إلى أخواتها عندما تعود إلى لوس أنجلوس. وبالرغم من المناسبة الحزينة، كانت تحبّ التواجد معهنّ، فهنا في وسطهنّ كانت تشعر بالسعادة القصوى. فعندما تكون مع عائلتها، تبدو لها حياتها في كاليفورنيا بعيدة جداً وخالية من المعنى. كان هذا أهم شيء بنظرها. وقد صعب عليها مقارنة العالمين، ولكن مع ذلك، هناك كانت تعيش وتعمل، الأمر الذي كان يبدو لها هاماً جداً لدى تواجدها هناك، وخصوصاً وأنها تساعد في تنفيذ البرنامج الذي كان غالياً جداً عليها. ولكن لم يمثّل لها ذلك أي شيء مقارنة مع وجودها هنا. نظرت إلى أخواتها لحظة خروجهنّ من المطبخ، ووضعت **سابرينا** ذراعيها حولها وعانقتها.

"سنشتاق إليك عندما تعودين. فأنا دوماً أشتاق إليك".

قالت **تامي** بحزن: "أنا أيضاً". كانت حياتها هناك تبدو فارغة جداً دون أخواتها. هنا يتشاركن في تناول الوجبات كعائلة واحدة، وبوسعها التكلم إليهنّ في أية ساعة من النهار. ثم نظر إليهنّ والدهنّ نظرة حنان. ذكرها ذلك بطفولتهنّ، التي اعتقدت أنها كانت رائعة بشتّى الطرق، وكانت نادرة جداً. ولم يتغيّر شيء ما عدا أنهنّ بتن منتشرات في أنحاء العالم. أو كنّ ينتشرن في أرجاء العالم، ولكنهنّ الآن سيعشن سوياً عندما تخرج **آني** من المستشفى، وهي ستعيش على بُعد ثلاثة آلاف ميل. ولكن لم تكن ثمة طريقة أخرى. إذ لم تستطع أن تتخلّى عن كل ما بنته هناك. وإلاّ فستدمّر حياتها المهنية التي عملت بكدّ لتأسيسها. كان ذلك خياراً صعباً اضطرّت إلى اتخاذه.

خرجت الكلبات الثلاث واحدة تلو الأخرى من المطبخ، في الوقت الذي صعدت فيه الأخوات إلى الطابق العلوي. بدا أن هناك جوّ هدنة مؤقتة بين الكلبات، ولكن باتت **بولا** و**خوانيتا** صديقتين مقربتين جداً في الأيام الأخيرة. أما كلبة **كاندي** اليوركي **زو** فبقيت إلى جانبها على الدوام أو كانت دوماً تجلس في حجرها. اعتادت **خوانيتا** و**بولا** على النوم سوياً، وكانت كلبة التشيواوا تلاعب **بولا** من أذنيها الطويلتين الحريريتين. حتى أنهما طاردتا أرنباً سوياً في الباحة الخلفية للمنزل. فدفعتا الجميع إلى الضحك. كانت **زو** الأكثر أناقة بين الكلبات مرتدية طوقاً مزيناً بحجر الراين وواضعة ربطات زهرية في شعرها. أما **خوانيتا** فكانت الأشرس، وعلّق **كريس** قائلاً إن **بولا** لم تشعر أبداً بالاكتئاب منذ وصولها إلى هنا. قال إنها كانت تحتاج إلى الرفقة، وبدا واضحاً أنها لم تحبّ واقع كونها الطفل الوحيد المدلل. وعدت **كاندي** بإرسال أطواق مزينة بحجر الريان إلى الكلبتين الأخرتين، ممّا أثار ضحك **كريس**.

فقال: "إنها كلبة صيد يا **كاندي** وليست بعارضة أزياء".

قالت **كاندي** بابتسامة: "عليكم أن ترتّبوها بعض الشيء. ربما هذا هو سبب اكتئابها". كان طوقها الجلدي القديم باهتاً وعتيقاً، وعند تبادلهم هذا

الحديث، رفعت كلبة الباست عنقها، ولوّحت بذيلها. "أترون إنها تفهم قصدي. أعرف امرأة رائعة تصنع ثياب **زو** في باريس. سآخذ مقاييس **بولا** قبل مغادرتنا، وسأجلب لها بضعة أشياء".

قال **كريس** بحزم: "الآن بتُّ أنا مكتئباً، فأنت تفسدين كلبتنا". لقد كانت **بولا** الشيء الوحيد الذي تقاسمه **كريس** مع **سابرينا** رسمياً. إذ كان لدى كل واحد منهما شقته الخاصة به، ولم يتشاركا المال أبداً، وحرصا على فصل أشيائهما عن بعضها البعض. إذ نظراً لأنهما محاميان فلقد عرفا الجلبة التي قد تحدث لو لم يفعلا ذلك، في حال انفصلا عن بعضهما البعض. ولكن كانت **بولا** الطفلة التي يتقاسمانها. لطالما ضحكت **سابرينا** وقالت إنهما سيحتاجان إلى عقد اتفاقية وصاية مشتركة فيما بينهما في حال انفصلا. كان لدى **كريس** فكرة أفضل، وفضّل لو يتزوّجا، من أجل حماية الكلبة، إذ أحبّ ممازحتها كثيراً. ولكن حتى الآن الزواج ليس في بالها ولن يكون كذلك لفترة من الوقت.

في اليوم التالي سألتها **تامي** حينما كانتا تجلسان في المطبخ، وتشربان القهوة: "لمَ لا تتزوّجان؟" في ذلك الوقت كان الجميع قد غادر المنزل. إذ خرج والدهنّ **وكريس** في مشوار، وكانت **كاندي** تتفقّد صالة رياضة قريبة. قالت إنها كانت تنهار لعدم ممارستها التمارين الرياضية في الأسبوع الماضي، وإن وزنها يزداد، وبدا ذلك خبراً مفرحاً للجميع. قالت إن جسدها بات شديد الليونة ويفتقر إلى التماسك، أو أنها شعرت به كذلك. فقد يصعب تصديق ذلك في عمر الحادية والعشرين.

قالت **سابرينا** وتنهّدت: "لستُ أدري. أنا لا أستطيع تصوّر نفسي متزوّجة. فأنا أسمع الكثير من القصص السيئة في كل يوم، حول أشخاص يؤذون ويخونون بعضهم البعض، بعد أن كانوا يحبّون بعضهم البعض، ولكن تحول هذا الحب إلى كره بعد الزواج. هذا لا يجعل من الزواج فكرة محبّذة، بغضّ النظر عن مدى روعة **كريس**. فكل الرجال رائعون في

البداية، من ثم تتّجه الأمور كلها نحو السوء". أشارت لها **تامي**: "انظري إلى أمنا وأبينا". كانا قدوتها بشأن الزواج الناجح. أرادت لو تحظى بمثل هذا الزواج في حال وجدت رجلاً كأبيها. فالرجال الذين التقت بهم في لوس أنجلوس وخصوصاً في مجال الإنتاج التلفزيوني، كانوا جميعهم مجانين، ولعوبين، ونرجسيين، أو بشكل عام سيئين. وقد بدا أنها التقت بجميع أشكالهم. إذ وصفت نفسها بالمغناطيس الذي يجذب إليه المعتوهين والمغفلين، وعلى الأغلب المعتوهين. قالت **سابرينا** وهي تبدو تعيسة: "نعم انظري إلى أمنا وأبينا". كانا أشبه بزوجين مثاليين. "أين عسانا نجد زواجاً كهذا في حياتنا؟ إنه أمر نادر الحدوث. اعتادت أمنا على قول ذلك أيضاً. لطالما قالت إنهما كانا محظوظين. لست واثقة من أنني سأكون محظوظة إلى هذه الدرجة، وإن لم يحالفني هذا الحظ سأشعر بأنني خُدعت، فأنا لا أريد زواجاً أقل من هذا. لقد فرضا علينا مقاييس عالية جداً للزواج".

"**كريس** قريب جداً من هذه المقاييس. فلقد وجدت رجلاً طيباً. هذا ليس بالأمر السهل. كما وأن أمي وأبي قد عملا جيداً لإنجاح زواجهما. فهو لم ينجح من العدم. وقد كانا يتشاجران عندما كنا أطفالاً".

"ليس كثيراً. وعادة كانا يتشاجران حول أمر ما كنا قد فعلناه ولم يوافقا عليه. مثلاً عندما تسلّلتُ ليلاً إلى خارج المنزل خلال الأسبوع. لقد اعتقد أبي حينها أنه يجدر بأمي أن تكتفي بتأنيبي ببضع كلمات، ومن ثم ترك الأمر عند ذاك الحد. أما أمي فقد فرضت عليّ قيوداً لمدة ثلاثة أسابيع. كانت أكثر حزماً منه بكثير".

"ربما لهذا السبب اتّفقا. لا أذكر أبداً نشوب شجار عنيف بينهما على الإطلاق. ربما مرة واحدة عندما ثمل أبي في ليلة رأس السنة. أظنّها قاطعته لمدة أسبوع". ضحكت الاثنتان لهذا الأمر. إذ كان والدهما يبدو لطيفاً حتى عندما يكثر قليلاً من الشرب. "قالت أمي إنه أحرجها أمام أصدقائهما". إذ لم يعتد أي منهما على الشرب بكثرة، وكذلك كانت بناتهما،

على الرغم من أنهنّ يشربن أكثر من والديهن. كانت **كاندي** تحتفل أكثر من أخواتها، ولكنها ما زالت شابة صغيرة في السن، وتعيش وسط جو صاخب نظراً لنوعية عملها. لم تكن الأخريات فاقدات لزمام الأمور، كما وكانت **كاندي** لا تزال ضمن الحدّ المعقول. علمن أن **آني** تدخّن مع أصدقائها الفنانين، ولكنها كانت جادة جداً في عملها ونادراً ما كانت تدخّن. اعتادت على التدخين أكثر في أيام الجامعة، ولكن لم تواجه أي منهنّ ولا والداهنّ أية مشكلة في الإدمان على أية مادة، كانوا أشبه بمجموعة متماسكة. كان **كريس** يشرب أكثر من **سابرينا**. بدا **لتامي** الرجل المثالي، وخصوصاً مقارنة مع الرجال المعتوهين الذين كانت تواعدهم.

قالت وهي تضع كوبيهما في غسالة الصحون: "أظنّ أنه سيكون محزناً جداً لو أنك و**كريس** لم تتزوّجا يوماً ما. أنتِ ستبلغين الخامسة والثلاثين من عمرك في أيلول المقبل. وإذا رغبت بإنجاب الأطفال فحري بك أن تفعلي سريعاً. كما وأنه قد يسأم الانتظار. فأنتما لا تعيشان سوياً حتى. أنا متفاجئة كيف أنه لا يلقي باللوم عليك. فهو يكبر في السن أيضاً".

"إنه يبلغ السادسة والثلاثين من عمره فحسب. وهو فعلاً يلقي باللوم عليّ في بعض الأحيان. فأكتفي بالقول له إنني لست جاهزة بعد. فأنا حقاً لستُ جاهزة. ولا أعرف إن كنت سأفعل يوماً ما: أنا أحبّ الأمور على ما هي عليه الآن. ونحن نمضي الليل سوياً ثلاث أو أربع مرات في الأسبوع. أحبّ أن أحتفظ ببعض الوقت لنفسي. فأنا أعمل كثيراً خلال الليل".

علّقت **تامي**: "أنت مدللة".

اعترفت **سابرينا**: "نعم أظنّني كذلك".

"صدّقيني في حال وجدتُ رجلاً مثله سأتشبّث به. ماذا لو خسرته لعدم رغبتك بالزواج؟" كانت **تامي** قد تساءلت عن هذا الموضوع من قبل. فقد اعتقدت أن **كريس** صبور جداً مع أختها، وهي تدرك أنه يريد الأطفال. ولم تكن **سابرينا** واثقة من هذا الأمر أيضاً. إذ لم تشأ أن تخسر نصف

حضانة أولادها في حال حصل الطلاق بينهما. كانت متأثرة جداً بعملها، وبالقضايا البشعة التي كانت تتسلّمها نيابة عن موكليها يومياً.

"لستُ أدري. أظنّني سأقلق بهذا الشأن في حال حدوثه، هذا إن حصل أصلاً. حتى الآن تسير الأمور على ما يرام".

هزّت **تامي** رأسها قرفاً. "ها أنا ذا أقول لنفسي إنني قد أتوجّه إلى بنك السائل المنوي عندما أصل إلى عمرك، في حال لم أجد الرجل المناسب، وعلى الأرجح لن أجده، وأنت تملكين الرجل الأروع في هذا العالم، ويريد الزواج منك وإنجاب الأطفال، وأنت تريدين العيش بمفردك والبقاء عزباء إلى الأبد. تباً. كم أن الحياة غير منصفة".

"لا ليست كذلك. وإياك أن تذهبي إلى بنك السائل المنوي أيتها الخرقاء. ستجدين الرجل المناسب".

"ليس في مجال عملي. وليس في لوس أنجلوس. هذا أمر مؤكد تقريباً. أنتِ لا تتخيّلين مدى جنون هؤلاء الرجال. لا يسعني حتى إزعاج نفسي بمواعدة أي منهم بعد الآن. حيث إن الرجل منهم لا ينفك يُسمعني الترّهات حول عدم إيجاده المرأة المثالية في غضون السنوات العشرين التي كان فيها مطلقاً، في حين أنه يخونني ويواعد نجمة صاعدة في عمر الحادية والعشرين، ويكون نباتياً ويتوجّب عليه مداواة القولون مرتين في الأسبوع ليبقي رأسه مرفوعاً، وسياسته لينينية يسارية، وبالمناسبة يطلب مني لو أجد له دوراً في البرنامج... أشعر برغبة بالتقيؤ وقد سبق لي أن فعلت. لذا أفضّل مشاهدة برامجي المفضلة على التلفاز والبقاء في المنزل مع **خوانيتا**، أراجع النصوص بعدما أغادر المكتب عند الساعة العاشرة والنصف، وهذا ما اعتدت على فعله في معظم الأحيان. لا يستحق هؤلاء أن أتبرّج من أجلهم أو أنتعل أحذية ذات كعب عالٍ. أظنّني فعلاً سأبقى وحيدة. فهذا أفضل ممّا يوجد هناك". بعمر التاسعة والعشرين كانت قد استسلمت تقريباً. "حاولتُ ترتيب مواعيد غرامية لي على شبكة الإنترنت

بضع مرات في السنة الماضية. فكانت أسوأ حالاً حتى. دعاني رجل منهم إلى العشاء ولم يمتلك مالاً يكفي لدفع البقشيش، فسألني إن كان بوسعه اقتراض المال مني ليزوّد سيارته بالبنزين ليوصلني إلى المنزل. ثم خرجت مع آخر اعترف لي أنه كان ولا يزال شاذاً، وراهن مع صديقه أن بوسعه مواعدة امرأة لمرة واحدة. وأنا كنت تلك المرأة. لقد اكتفيت من عالم المعتوهين. فقد ضقت ذرعاً منه، وقد سئمت من كثرة المواعيد الغرامية التي خرجت فيها والتي باءت كلها بالفشل". ضحكت **سابرينا** على ما قالته، ولكنها أدركت أن كلامها صحيح، في الشق الذي يتعلّق **بتامي** على أي حال. كانت في مكان حيث يصعب عليها الالتقاء برجال مميّزين. إذ كانت ناجحة وقوية في مجالها في عالم من النرجسيين والمتلاعبين الذين يريدون دوماً شيئاً ما منها دون أن يعطوا أي شيء في المقابل. مع ذلك كانت جميلة، وذكية، وناجحة، وفي ريعان الصبا. لذلك يصعب التصديق أنها لا تقوى على إيجاد رجل مناسب، ولكنها لم تجده بعد. كانت تكدّ في عملها، ولم يكن عندها أي وقت فراغ، ولم تعد تحاول حتى إيجاد فتى الأحلام. كانت تمضي عطل نهاية الأسبوع في العمل أو في منزلها مع كلبتها. وأضافت: "سيكون مؤلماً جداً بالنسبة **لخوانيتا** إن ارتبطت برجل ما فهي تكره الرجال". أضافت **سابرينا** بابتسامة على وجهها: "ولكنها تحبّ **كريس**".

فهاجمتها قائلة: "الجميع يحبّون **كريس** ما عداك". فاستنكرت **سابرينا** كلامها: "هذا ليس صحيحاً. أنا أحبّه إلى حدّ أنني لا أريد أن أُفسد علاقتي به". قالت لها **تامي**: "لا تكوني جبانة. إنه يستحقّ المخاطرة. لن تجدي أبداً رجلاً أفضل منه. ثقي بي فأنا رأيت أسوأ الرجال. لقد واعدت جميع الرجال السيئين. **كريس** رائع بكل ما للكلمة من معنى. لقد حصلت لنفسك على أروع رجل. لا تفسدي الأمر. وإلاّ سأبرحك ضرباً". فضحكت **سابرينا** لكلامها.

"لمَ لا تنتقلين إلى نيويورك إن كان الرجال هناك فظيعين؟" كانت **سابرينا** قد فكّرت في هذا الأمر من قبل. فقد أدركت كم أن حياة أختها في لوس أنجلوس تملؤها الوحدة فشعرت بالقلق عليها. كانت تعلم أن والدتهنّ كانت تقلق عليها أيضاً، للأسباب نفسها. لذا كانت تقول إن **تامي** لن تتزوّج أبداً في حال بقيت في لوس أنجلوس، وقد مثّل الزواج لها أولوية. فبنظر والدتهنّ الزواج والعائلة أهم ما في الحياة. ولكن انظروا من كان زوجها. والدهنّ. قالت **تامي** بقرف: "لم يعد بإمكاني محاولة التعرف على رجل. هذا جنون كما أنني أفضّل الموت على ذلك. لا أستطيع التخلي عن عملي فقد قضيت فيه سنوات طويلة، وبذلت فيه جهداً كبيراً بحيث ما عاد باستطاعتي التخلي عنه بسهولة. أنا أحبّ عملي. لا أستطيع التخلي عنه. كما أنني ربما ألتقي بأي أحد هنا على أي حال. ربما أنا السبب".

أكّدت لها **سابرينا**: "لستِ السبب بل هم. مجال عملك مليء بالأشخاص الغريبين".

"يبدو أنني أجد هذا النوع من الناس في كل مكان. اعتدت على مقابلة الأغبياء في فترات الإجازة أيضاً. إنهم ينجذبون نحوي كالحشرات أو الصراصير، أو ما شابه. إن كان هناك من غبي في المنطقة فأنا التي سأجده صدقيني، أو هو من سيجدني".

أطلّ **كريس** برأسه من باب المطبخ وقال: "عمَّ تتكلمان؟" كان قد عاد **وجيم** لتوهما بعد أن أمضيا وقتاً طويلاً في متجر الخردوات. فقد وعد **كريس** بإجراء بعض التصليحات في أرجاء المنزل. كانا يبحثان عمّا يسليهما لينشغلا عن التفكير بعض الشيء. وطالما أنه سيتواجد هناك لثلاثة أيام أخرى، خطر له أن يقدّم يد العون. كان يستمتع في تقديم مثل هذه المساعدة.

"إننا نتحدّث حول حياتي الغرامية غير الموجودة. أنا رئيسة نادي مواعدة المعتوهين. الفرع الأساسي في لوس أنجلوس، ولكنني افتتحت

فروعاً في مدن أخرى أيضاً. إنه نادٍ ناجح جداً، مليء بالأعضاء، وتكاليفه قليلة، ومليء بالفرص على مدى الحياة. قد تندهش لروعته". فضحك الثلاثة لكلامها، ولكن أختها أدركت مثلها تماماً أن كلامها كله صحيح. قال **كريس** إنه لطالما وجد صعوبة في التصديق بأن **تامي** لم تجد رجلاً يناسبها بعد. إذ تتمتّع بجمال رائع، وذكية، وتكسب الكثير من المال. لذا فهي المرأة المثالية لأي رجل. وقال إن جميع الرجال الذين واعدوها أغبياء.

أكّد لها قائلاً: "لا بد وأن تلتقي يوماً بالرجل المناسب".

قالت **تامي** منزعجة: "لستُ واثقة بأنني لا زلت آبه لهذا الأمر". وسألت: "في أية ساعة سنذهب لرؤية **آني**؟" في محاولة منها لتغيير الموضوع.

"بعد الغداء عندما تعود **كاندي** من النادي الرياضي. ذلك في حال عادت أصلاً من هناك. إنها تمارس التمارين الرياضية بكثرة".

قالت **تامي** بنظرة قلق: "أعلم". كانوا دوماً يصدرون التعليقات على وزنها. ولكنها على الأقل أكلت بشكل مقبول نوعاً ما عندما أتت إلى المنزل، وإنما ليس بقدر كبير. إذ كانت تحافظ على وزنها، وأصرّت أن حياتها المهنية تعتمد على وزنها. وذكّرتها أخواتها أن حياتها تعتمد على الطعام أيضاً. حذّرتها **تامي** أنه سينتهي بها الأمر بأن تكون امرأة عاقراً بسبب التضور من الجوع لسنوات طويلة. ولكن لم يكن هذا الأمر في سلّم أولويات **كاندي** بعد. فهي تلقي بالاً أكبر لأمر البقاء في القمة في مجال عملها، وكانت بالتأكيد تمتلك الشكل الذي يؤهّلها لذلك. لذا فالمحافظة على نحافتها الشديدة أمر أساسي بالنسبة لها.

خرج ثلاثتهم إلى حوض السباحة ونزلوا في الماء. من ثم انضمّ إليهم الوالد، وجلس يحادث **كريس**، في حين تكلّمت **تامي** و**سابرينا** حول **آني** وعن اضطرارها للتكيف مع وضعها الجديد. كانت **سابرينا** لا تزال متحمسة لفكرة الشقة، وأملت أن تسمع أخباراً جيدة من السمسارة عمّا

قريب. سيشكّل الأمر فارقاً كبيراً **لآني** في حال وافقت على العيش مع أختيها لسنة.

كرّرت **تامي** القول: "أتمنّى لو أستطيع الانضمام إليكنّ. أشعر بالذنب الشديد لعدم تمكّني من الانتقال إلى هنا لأجلها ولكنني لا أستطيع".

قالت **سابرينا** وهي مستلقية تحت أشعة الشمس، وتنظر إلى والدها و**كريس**. كانا ينسجمان سوياً، وقد وجد والدها عزاء له في وجود رجل إلى جواره. إذ عاش بين الكثير من النساء لفترة طويلة من الزمن. وقد كان **كريس** بمثابة الابن الذي لم يلده. "بوسعك أن تركبي الطائرة متى شئت والتوجّه لزيارتنا في عطل نهاية الأسبوع عندما يتسنّى لك الوقت". حاولت **تامي** تذكّر آخر مرة أمضت فيها عطلة نهاية الأسبوع دون عمل ومتاعب في البرنامج. كان ذلك منذ ستة أشهر أو ربما أكثر. وربما قبل سنة أيضاً.

وعدت قائلة: "سأحاول". وقد كانت الأختان مستلقيتين تحت أشعة الشمس، وتفكران في الأمر نفسه؛ وبأنه في حال أغمضتا أعينهما، بعد لحظة فستقف أمهما عند باب المطبخ وتناديهما لتناول طعام الغداء. لعلها تركتهما لأيام قليلة فحسب، أو ذهبت إلى المدينة، ومن ثم ستعود قريباً. استحال عليهما التصديق أنها ماتت. لم يعتادا على هذه الفكرة. لقد خرجت. أو لعلها ترتاح في غرفتها، أو تزور صديقة لها. إنها لم ترحل. ليس للأبد. و**آني** ليست ضريرة. هذا لا يُعقل.

الفصل العاشر

أمضت الفتيات عصر يوم الخميس وصباح الجمعة مع **آني** في المستشفى. وقد كانت تشعر بالضيق، ورأسها لا ينفكّ يؤلمها وهذا كان متوقّعاً. أتى معالج نفسي للعمل معها، وقد انهارت، وبكت عدة مرات حزناً على وفاة والدتها. فهي لا تزال غير مصدّقة ما قد حصل، وأخواتها كذلك أيضاً. ولكنهنّ الآن يركّزن قلقهنّ عليها. ففي غضون أيام ستعرف أنها باتت ضريرة. حيث سيحين موعد نزع الضمادة نهار السبت. شعرت أخواتها الثلاث بالمرارة، لدى التفكير في تأثير هذا الأمر عليها. إذ كانت الحقيقة متوجّهة إليها بسرعة البرق.

ذهب والدهنّ لزيارتها مساء الخميس، ومرّ عليها من جديد صباح الجمعة في الوقت الذي كانت فيه الفتيات يزرنها. فشكرته على مجوهرات أمها، إنها لم ترَها بعد، ولكنها تذكّرت القطع التي وصفتها أخواتها لها، وقد أحبّتها. كانت راضية عن القطع التي انتقتها لها أخواتها، ولطالما أحبّت فرو الثعلب الخاص بأمها. قالت إنها ستستمتع بارتدائه في فلورنسا، لأن الشتاء هناك قارس البرودة، والنساء الإيطاليات يلبسن الكثير من الفرو. إذ لا يبدو أن أحداً ينزعج من الفرو هناك. قالت إنها قد تشعر بالضيق في حال ارتدته في الولايات المتحدة.

كانت متحمسة لمعرفة متى ستعود إلى إيطاليا، وقلقت لعدم سماعها أي خبر من **تشارلي**. كانت قد طلبت من أخواتها عدة مرات أن يساعدنها

على الاتصال به. فاتصلت به على هاتفه الخلوي، إلاّ أنها كانت دائماً تتلقّى ردّاً من المجيب الآلي. لذا افترضت أنه في بومباي مع أصدقائه، وربما كان الإرسال ضعيفاً هناك. لم ترغب أن تترك رسالة تخبره فيها عن وفاة والدتها وعن تعرّضها لحادث سير، حتى لا تثير قلقه، ولكنها انزعجت لعدم تمكّنها من الاتصال به لمدة طويلة. لقد غابت عنه لمدة أسبوع فحسب، ولكنه أسبوع مليء بالكثير من الأحداث، أكثر ممّا يمكنها تخيّله، بما أنها لا زالت تجهل بمسألة إصابتها بالعمى. بالطبع لم تذكر **سابرينا** أمامها أبداً أنها سبق وتكلّمت معه، والتزمت أخواتها الصمت عندما كانت تتحدّث عنه بحرارة. هذا كل ما أمكن **لسابرينا** فعله حتى لا تندفع لزجره ببضع كلمات. ولكنّ أحداً لم يقل لها شيئاً.

أمضت **آني** النهار بطوله محاطة بأخواتها. كانت وكالة **كاندي** قد اتصلت بها بشأن حملة تصوير في باريس، ولكنها رفضتها. إذ كانت تلتزم بالبقاء في منزل والديها في الوقت الحالي. لم تكن في مزاج يسمح لها بالعمل، وكذلك أخواتها، كان لا يزال أمام **سابرينا** أسبوع من العطلة بعد أن عدّلت عطلتها، وكانت **تامي** ستعود إلى لوس أنجلوس نهار الاثنين. كرهت **تامي** المغادرة، ولكن لم يكن أمامها خيار. حيث إن الأعمال كانت تتراكم عليها في المكتب، إذ لا يزال عليهم إيجاد الممثلة البديلة لنجمة البرنامج الرئيسة، وتغيير نصوص الحوار بمجرد فعل ذلك. ستكون مشكلة معقدة يتوجّب عليهم حلّها، ومزاجها لم يكن يسمح لها بالتفكير في هذه المشكلة في الوقت الحالي. فكل ما كانت تفكّر فيه هو أمها و**آني**. سيصعب عليها جداً الابتعاد عن عائلتها، وترك العبء كله على أكتاف **كاندي** و**سابرينا**. لقد أرادت أن تكون إلى جانب **آني**، ووالدها. أدركت **آني** أنها ستضطرّ إلى تمضية بضعة أسابيع في منزل والدها حتى تتماثل للشفاء. كان الأطباء قد طلبوا منها أن تبقى في الجوار حتى نهاية الشهر في حال سار كل شيء على ما يرام. رأوا أن بوسعها مغادرة المستشفى بعد

أسبوع. ولكن لم يخطر لها أبداً أنها حينما تغادر المستشفى ستكون ضريرة. ظلّت تقول إنها لا تطيق صبراً حتى ينزعوا الضمادة عن عينيها، وفي كل مرة كانت تقول فيها هذا الكلام، كانت أخواتها يبكين بصمت. فعند انتزاع الضمادة سيظلّ عالم **آني** مظلماً إلى الأبد. يا لها من مأساة تفوق الوصف.

لدى مغادرتهنّ المستشفى في وقت متأخر من عصر ذاك اليوم، بدت الأخوات الثلاث متعبات. اتّفقن على أن يذهبن إلى المستشفى نهار الغد عندما يحضر طبيب العيون إليها. فعند انتزاع الضمادة عن عيني **آني** ستشعر بأن عالمها بأكمله قد وصل إلى نهايته. كانت أخواتها يخشين هذه اللحظة بشدّة. وقد تكلّمن مع والدهنّ في هذا الموضوع تلك الليلة. اتّفقن فيما بينهنّ أنه لا يجدر بوالدهنّ الحضور. فهذا الوضع سيؤثّر فيه جداً. إذ لديه ما يكفيه من الآلام، وهو يحاول التكيّف مع وفاة زوجته.

عندما دخلت **سابرينا** إلى مطبخ والديها، وجدت رسالتين من السمسارة تفيدان بأنها اتصلت، وحسبت أنها إشارة جيدة. عاودت الاتصال بها، واستطاعت التحدث معها مباشرة قبل مغادرتها المكتب متوجهة لتمضية عطلة نهاية الأسبوع في هامبتون.

اشتكت لها قائلة: "كنت أحاول طيلة النهار الاتصال بك".

"أعلم. أنا آسفة. أنا مشغولة جداً. هاتفي الخلوي مقفل. كنت أزور أختي في المستشفى، وهناك لا يسمحون بتشغيله. هل وجدت شيئاً؟" بدا سؤالها مبكراً جداً، ولكن على الأقل لقد بدأنا بمرحلة التفتيش.

"لديّ خياران مهمان لك. أظنّ أن كليهما ممتاز، استناداً إلى ما تريدينه. فأنا لست واثقة. إذ لم نتكلّم كثيراً حول موضوع الجيرة، وأحياناً يمتلك الناس وجهات نظر مختلفة. لم أكن واثقة ماذا يدور في رأسك؟ كل ما قلته أنك تريدين شقة في المنطقة الشرقية. ما رأيك في وسط البلد؟"

"أين في وسط البلد؟" كان مكتب **سابرينا** يقع في الجادة الخامسة في بارك أفينيو، وشقتها تبعد عن شقة **كريس** مجرد مبانٍ معدودة في الجزء الأعلى من المدينة. لذا فوجود الشقة في وسط البلد سيصعّب عليه المرور عليها لزيارتها، حيث إنه اعتاد أن يفعل ذلك، حتى في الليالي التي لم يبيتا فيها سوياً. وعندما كانت تعمل حتى وقت متأخر كان يأتي إلى شقتها لينزّه الكلبة.

"لديّ شقة مذهلة في منطقة مصانع تعليب اللحم. إنها واقعة في مجمع سكني ولكن أصحابها ليسوا جاهزين للانتقال إليها بعد. إذ يريدون بيع منزلهم أولاً، لذا هم مستعدّون لتأجيرها لستة أشهر أو سنة. إنها في وضع مذهل، فكل ما فيها جديد. إنها شقة في الطابق الأعلى من المبنى كما ويوجد حوض للسباحة وناد صحي في المبنى".

قالت **سابرينا** عملياً: "تبدو مكلفة". ولم تنكر السمسارة ذلك.

"إنها بالفعل مكلفة، ولكنها تستحقّ كل قرش تدفعينه". فأخبرت **سابرينا** عن كلفتها، فصفرت عندها **سابرينا**.

"واو. هذا المبلغ يتخطّى كثيراً ميزانيتنا". شعرت بالقلق لأن السعر مرتفع جداً. حتى مع مساعدة والدهنّ لهنّ، ما أمكنها تحمّل كلفتها، بالرغم من أن **كاندي** على الأرجح بوسعها تحمل ذلك. ولكنها كانت تفوق جداً قدرة **سابرينا** المادية. "كنت آمل لو نجد شقة إيجارها مقبول أكثر".

قالت السمسارة وهي تبدو منزعجة: "إنه مكان ممتاز". ولكن لم يكن من السهل تثبيط عزيمتها. "وبالمناسبة لا يسمحون بوجود الكلاب. فالشقة مفروشة بموكيت أبيض وأرضيتها جديدة جداً". فابتسمت **سابرينا** وقالت وكأنها تريد ألاّ تزعجها: "الآن بتّ أشعر بحال أفضل. إننا نملك كلبات. كلبات صغيرة بالطبع". سيتوجّب عليهن أن يخبئن **بولا** في أجمة ما. كانت قوائمها قصيرة ولكنها بالتأكيد لم تكن صغيرة الحجم. "ولكنني أظنّ أن ذلك لا يتيح لنا السكن في هذه منطقة مهما بلغ إيجارها".

"قطعاً. فهم لا يتهاونون أبداً في هذه النقطة. فالمكان جديد للغاية. ولكن لديَّ شيء آخر أيضاً. إنها شقة من نوع آخر تماماً، وشكلها مختلف تماماً. الشقة الموجودة في وسط البلد بيضاء ويدخلها الهواء، وكل ما فيها رائع وجديد. أما تلك الموجودة في القسم الأعلى من المدينة فمواصفتها جيدة أيضاً". خطر **لسابرينا** حينها أن هذه الشقة لن تكون بمستوى جمال تلك الشقة وروعتها. ولكن ربما يكون سعرها مقبولاً أكثر. إذ لا يسعهن تحمّل كلفة باهظة تفوق قدرتهنّ. فقد كانت تكسب المال الوفير، ولكنها كانت عاجزة عن تحمّل النفقات التي تقوى أختها الصغرى على تحملها.

سألتها **سابرينا**: "ما شكل هذه الشقة؟ إن لم يكن يدخلها النور والهواء، فهي إذاً تفتقر إلى النور والهواء؟ ولكن إن كانت كذلك ربما يُسمح بتواجد الكلاب".

"إنه منزل مغطّى بالأحجار الرملية يقع شرقاً في الشارع الرابع والثمانين، إنه يقع في أقصى الشرق. ولكنه يقع قرب قصر غرايسي. إنه حي قديم وجميل. ليس معاصراً مثل وسط البلد بالطبع. ولكنه منزل جميل. يعود ملكه لطبيب خسر زوجته منذ آونة قريبة. وقد أخذ إجازة من عمله لمدة سنة. أحسبه طبيباً نفسياً. إنه يقول إنه ذاهب إلى لندن أو فيينا. وهو يكتب كتاباً حول سيغموند فرويد، كما ويمتلك كلباً، لذا على الأرجح لن يعارض وجود الكلاب. إنه منزل صغير وجميل للغاية، ليس رائعاً، ولكنّ مواصفاته ممتازة. لقد كانت زوجته مصمّمة ديكور، لذا جهّزت معظم المنزل بنفسها. يريد تأجيره لمدة سنة، وإذا وافق المستأجر يودّ ترك بعض من مفروشاته فيه. وإن لم يرغب المستأجر بذلك قال إنه سيعمد إلى تخزينها".

"ما عدد طوابق هذا المنزل؟ فقد كانت تفكر في **آني**. إذ إن شقة من طابق واحد ستكون أسهل عليها من منزل، كما ولن يكون هناك من جهاز أمن في حال سكنّ في مبنى مغطّى بحجر رملي. لذا في حال احتاجت إلى المساعدة فليس هناك من يمدّها بها.

"إنه يتألّف من أربعة طوابق. الطابق الأخير عبارة عن غرفة عائلية نوعاً ما. ولكن يضمّ المنزل حديقة، ليست مميّزة جداً ولكنها جميلة. غرف النوم صغيرة، تعرفين كيف تكون المباني المغطاة بحجر رملي. ولكن يوجد أربع غرف نوم. قلتِ إنك تحتاجين إلى ثلاث غرف نوم فحسب، ولكن بوسعك استخدام غرفة النوم الرابعة كمكتب لك. والمطبخ وغرفة الطعام موجودان في القبو، لذا فالمسافة طويلة نوعاً ما بين المطبخ وغرف النوم. ولكن يوجد براد ومايكروويف في الغرفة العائلية في الطابق العلوي. يجب أن يكون المرء مبدعاً ليتكيّف مع العيش في المباني المغطاة بحجر رملي في نيويورك. يوجد في الطابق الأساسي غرفة جلوس وصالون، وغرفتا نوم في كل من الطابقين فوقه، وبالتالي يكون لدينا أربع غرف نوم، وفي كل غرفة نوم يوجد حمام، وهو أمر نادر. الحمامات صغيرة، ولكنها مصممة بعناية. كانت زوجته تمتلك أسلوباً جميلاً. كما أن الغرفة العائلية تقع في الطابق الأخير".

"يبدو أن المنزل يضمّ كل الغرف التي تريدينها، إن لم يكن لديك مانع من وجود المطبخ وغرفة الطعام في القبو، ممّا يعطي جواً حميمياً. وفي الخارج هناك حديقة، لذا فالمنزل مضاء جداً ومطل على ناحية الجنوب. يوجد فيه غسالة صحون ونشافة، وهو مزود بالمكيفات، إضافة إلى أن السعر مناسب، ولكن لا يسعك تمديد فترة الإيجار إلى أكثر من سنة. إذ يريد صاحب المنزل استعادته بعد سنة. فهو يستقبل المرضى في منزله. إنه معروف جداً في مجاله. لقد كتب العديد من الكتب". لم يعنِ أي من هذا الكلام أنهنّ قد يعجبن بمنزله. كانت **سابرينا** تفكّر في أنه بوسعها وضع **آني** في الطابق الثاني ربما مع **كاندي**، وبوسعها أن تأخذ إحدى غرفتي النوم في الطابق الأعلى، حتى تحظى هي **وكريس** ببعض الخصوصية، ويبقيا سوياً في الطابق العلوي. مع بعض الحظ والقليل من التخطيط ممكن أن ينجح الأمر، إن أمكن إقناع **آني**.

"كم الإيجار؟" كان هذا العامل أساسياً بالنسبة إليها. أخبرتها السمسارة عن التكلفة، أرادت **سابرينا** لو تصفر من جديد ولكن هذه المرة ليس لمدى ارتفاع السعر وإنما لمدى انخفاضه. إذ كان الإيجار أقل من إيجار شقتها الحالية، وأمكنها بسهولة أن تدفع نصف الإيجار أو حتى الإيجار كله بنفسها، وقد وجب عليها أن تدفع الربع فقط، لأن والدهنّ قد وافق على دفع نصف الإيجار من أجل **آني** لكي يساعدهنّ. "لمَ إيجار المنزل قليل إلى هذه الدرجة؟"

"إنه لا يأبه لأمر المال. أراد فقط أن يعلم أن في منزله أشخاصاً لطفاء. لا يريد أن يبقيه فارغاً طيلة السنة. يرفض ولداه العيش هناك. واحد منهما يعيش في سانتا في والآخر في سان فرانسيسكو. حاول أن يجلب أحداً ليعتني له بالبيت في فترة غيابه، ولكن لم يفلح في ذلك. لا يريد أن يستقبل في بيته أشخاصاً يقيمون حفلات صاخبة، أو يقومون بتخريب المنزل. إنه منزل صغير وظريف، ويريد أن يعود ويجده بحالة جيدة. عندما حدّد السعر، قلتُ له إن بوسعه الحصول على ضعف المبلغ الذي وضعه، ولكنه لا يأبه. إن كان الأمر يهمك، فحريّ بك رؤية المنزل بسرعة. لا أظنّه سيبقى معروضاً للإيجار لفترة طويلة. لا يتردد الناس إليه هذه الأيام بسبب العطلة، ولكن بمجرد أن يعلم السماسرة الآخرون بأمره، أظنّه سيؤجَّر على الفور. لقد عرضه للإيجار الأسبوع الفائت فحسب. أظنّ أن زوجته توفيت منذ شهرين". يا له من مسكين. أسفت **سابرينا** له. فخسارتهنّ لوالدتهنّ قد علمتها الكثير حول تأثير خسارة المرء لشخص يحبّه.

"لستُ واثقة إن كان بمقدور أختي التأقلم مع هذا العدد من الطوابق. ولكنها قد تفعل. لن يكون العيش فيه سهلاً مثل العيش في شقة، خصوصاً وأن المطبخ موجود في القبو. ولكنني أودّ فعلاً لو أراه. أحببت كل شيء آخر حول المنزل". وكان يقع على مسافة قصيرة من شقة **كريس**. ليس بقدر قرب شقتها الحالية وإنما قريب بما فيه الكفاية.

سألتها السمسارة: "هل أختك معاقة؟" فحبست **سابرينا** أنفاسها. كانت المرة الأولى التي تُسأل فيها هذا السؤال، ولكن نعم، باتت الآن كذلك.

قالت: "نعم". وهي تحاذر في كلامها. "إنها ضريرة". كان التلفظ بهذه الكلمة صعباً جداً. فقالت السمسارة بصراحة: "لن يكون المنزل مشكلة بالنسبة لها. فنسيبي ضرير وهو يعيش في شقة في الطابق الرابع في بروكلين، ويتدبّر أمره على أفضل حال. هل تملك كلباً مرشداً؟"

"آه... ليس بعد، ولكنها قد تفعل". لم ترد أن تخبرها أن الأمر قد حصل منذ بضعة أيام فحسب. فالحديث عن هذا الأمر مؤلم جداً.

"أنا واثقة أن المالك لن يمانع بوجود كلب في منزله. إنه يملك كلباً إنكليزياً، وأظنّ أن زوجته كانت تمتلك كلب داشنت. لم يذكر شيئاً حول عدم رغبته بوجود الكلاب. يريد فحسب مستأجرين لطفاء يدفعون الإيجار ويعتنون بمنزله". كانت تعلم أن **سابرينا** محامية وتملك المال، ولم تتخلّف سابقاً عن أي من دفعاتها. وكان ذلك جلّ ما احتاجوا إلى معرفته. "متى بوسعك رؤية المنزل؟"

"لا أستطيع قبل نهار الاثنين". كانوا سيزيلون الضمادة عن عيني **آني** في اليوم التالي ولذلك فإن عطلة نهاية الأسبوع ستكون مأساوية جداً. فاحتاجت **سابرينا** إلى التواجد بقربها. "بوسعي المجيء لبضع ساعات".

"آمل أن يبقى المنزل حتى ذلك الوقت". كرهت **سابرينا** الطريقة التي يتعامل فيها السماسرة مع الناس. إذ يقومون دوماً بدفع الزبون إلى الاعتقاد بأنه سيفوّت عليه عقد صفقة العمر إن لم يهرع إلى إتمامها على الفور. "من الممكن أن أتمكّن من المرور عليك نهار السبت بعد الظهر، ولكن ليس قبل هذا الوقت". فهي لم ترغب بأن تترك **آني** في اليوم الذي سيزيلون فيه الضمادة عن عينيها. لم تكن لتبارحها أبداً في مثل هذه اللحظات. كانوا قد منعوا جميع الممرضات الموجودات في طابقها من التفوّه بأمر إصابتها بالعمى أمامها.

"أظنّ أن نهار الاثنين سيكون مناسباً. أظنّه قال إنه سيغادر في عطلة نهاية الأسبوع، لا يستطيع أي أحد آخر دخول المنـزل من أجل تفقّده. ما رأيك بالاثنين عند الساعة العاشرة؟".

"حسناً لا بأس". أعطت **سابرينا** العنوان، وقالت لها إنها سترى إن كان بوسعها تأمين أي شيء آخر لها قبل وصولها نهار الاثنين. ولكنها أعادت القول إنه إن لم تمانع السكن في منـزل مغطّى بحجر رملي، فإن هذا المنـزل سيكون مناسباً جداً لها. كما وأن الإيجار مناسب جداً. قالت إنه لا يحتوي على نظام الأمان الذي ترغب به معظم الشابات، أي وجود بواب، ولكن لا يسعك الحصول على كل شيء. ثم أضافت إن المنازل والشقق غدت مثل العلاقة الغرامية. إما تقعين في غرامها أو لا. وأملت أن تقع **سابرينا** في غرام هذا المنـزل.

بعد أن أنهت **سابرينا** المكالمة أخبرت **تامي** و**كاندي** عن المنـزل. كان مشروعهنّ يتحوّل إلى حقيقة في حال أعجبهنّ المنـزل. وقد بدا ممتازاً. كان تقريباً أمراً لا يُصدّق.

حذّرتها **تامي** قائلة: "انتظري حتى تريه قبل أن تفرطي في الحماسة. فلقد تفقّدتُ أنا ما يقارب الأربعين منـزلاً قبل حصولي على منـزلي الحالي. لا تتخيّلين مدى فظاعة منازل الناس، أو الأحوال التي يستعدّون للعيش في ظلّها. لقد رأيت منازل لا يمكنك تخيّل مدى سوئها. وكنت محظوظة جداً لإيجاد منـزلي".

كانت تحبّ منـزلها، وقد زينته بطريقة جميلة، وحافظت عليه بحالة جيدة من أجلها ومن أجل **خوانيتا**. كانت تمتلك غرفاً كثيرة تفوق حاجتها، وإطلالة رائعة من منـزلها، ومدفأة في كل غرفة. كانت قد اشترت تحفاً قديمة ولوحات رائعة. وعلى الرغم من عدم انتهاء العمل على المنـزل، كان من الممتع بالنسبة لها العودة إلى المنـزل مساء، حتى ولو كانت وحدها. مثل **كاندي** سمح لها مدخولها بالعيش في منـزل رائع وشراء

أشياء جميلة. كانت **سابرينا** تعيش بميزانية أقل من أختيها. وكانت **آني** تخفض قدر الإمكان من نفقاتها، احتراماً لوالديها، نظراً لأنها تفتقر إلى المدخول، ما عدا المال الذي تحصّله من جراء بيع لوحاتها في بعض الأحيان. لذا كانت حاجاتها بسيطة. ولا تتصوّر أي منهنّ أنه بات بمقدور **آني** تحصيل أي مدخول الآن، بعد أن باتت ضريرة. فهي لم تدرّب نفسها على شيء ما عدا الفن. لم يكن الرسم هوايتها بل محور حياتها. يمكن لها أن تدرّس تاريخ الفن، لأنها حصلت على درجة ماجستير في هذا الاختصاص، ولكن لم تتصوّر **سابرينا** أن الطلب على أساتذة مصابين بالعمى سيكون كبيراً. إنه عالم جديد كلياً عليها وكذلك على **آني**. عدا عن العوارض الجانبية التي قد تصيب **آني**. فلقد كانت **سابرينا** تخشى كثيراً من إصابتها بالاكتئاب، وبدا ذلك أمراً وارداً جداً. لم تتصوّر أن أختها ستنجو من براثن الاكتئاب.

ظنّت الفتيات الثلاث أن منـزل الحجر الرملي احتمال معقول، وحتى **كريس** شعر بالحماسة. فهو لم يحبّ أبداً شقة **سابرينا** التي كانت قد استأجرتها لقربها من شقته، كان المبنى نظيفاً، وإيجار الشقة رخيصاً. ولكنها كانت تخلو تماماً من أي ميزات. بدا منـزل الحجر الرملي أكثر جمالاً، بالرغم من كونه غير عملي بعض الشيء وقديماً قليلاً.

ستتمكّن **آني** من صعود السلالم ونزولها بمجرد الاعتياد عليها. "أظنّ أن هناك أموراً يمكن للأشخاص الفاقدين لبصرهم فعلها لتسهيل تحركهم في بعض الأماكن. هناك على الأرجح الكثير من الأشياء التي بوسعنا جميعاً تعلمها لمساعدتها".

ذكرت **سابرينا** المنـزل لأبيها في تلك الليلة، واعتقد أن ما يفعلنه من أجل **آني** أمر رائع. سيخفّ قلقه عليها في حال علم أنها تعيش مع أختيها، خصوصاً **سابرينا**، التي كانت تعتبر أكثر مسؤولية من **كاندي**، وتقريباً أكبر منها بأربع عشرة سنة. كانت **كاندي** لا تزال طفلة بعدّة طرق،

ولـم تكبـر بعد. وقد كانت **سابرينا** الشخص الذي يمكن للجميع الاعتماد علـيه، وكـذلك **تامي**. إلاّ أنه لسوء الحظ، لن تتواجد **تامي** معهنّ، ولكنها وعدت بمحاولة زيارتهنّ. ومع وجود غرفة نوم رابعة في ذاك المنـزل – في حال أخذوه – سيتسنّى لها الزيارة.

تـوجّهت الأخـوات الثلاث إلى المستشفى عند الساعة العاشرة من صـباح اليوم التالي، وقلوبهن وجلة. فمن المفترض أن يأتي جراح العيون عـند الساعة العاشرة والنصف. لم تمتلك أي منهنّ الشجاعة لتحضير **آني** لمـا ينتظـرها. طلـب منهنّ الطبيب المسؤول عن حالتها أن يتركن أمر إخـبارها للجـراح. فقد كان معتاداً على معالجة هذه الأمور، ويدرك ماذا يقول لها وكيف. كانت الفتيات يدركن أنه يتوجّب عليها أن تخضع لتدريب خاص. قد تدخل إلى مركز لإعادة التأهيل لعدة أشهر، أو بوسعها أن تتعالج خـارج المركـز. إنها تحتاج الآن إلى مهارات حياتية لتتكيف مع إصابتها بالعمـى، وربمـا في النهاية تحصل على كلب مرشد إن استعدّت للتعاون. علمـاً أن **آنـي** تكـره الكلاب، لم تتصوّر أي من أخواتها أنها قد ترضى بالحـصول علـى كلـب. لطالما قالت إن الكلاب مصدر إزعاج، وكثيرة الحركة، وقذرة. يمكن أن يكون الكلب المرشد مختلفاً، ولكن ما زال احتمال قبولها به بعيداً. وقد كان أمامها الكثير من الأمور الأساسية التي يجدر بها تعلّمهـا أولاً. قالـت **سـابرينا** في الطريق إلى المستشفى وهي تتطلّع إلى الجانـب الإيجابـي من الأمر: "على الأقل ليس أمام **آني** أشهر طويلة أو سـنوات مـن العمليات الجراحية". ولكن لم يكن هنالك أي جانب إيجابي آخر. فإصابة فنانة بالعمى أمر يبعث على الاكتئاب الشديد، كانت الأخوات جميعاً واثقات بأن **آني** ستقع فريسة الاكتئاب. لقد خسرت مهنتها، وكل ما تدرّبت لأجله، إضافة إلى أمها. لقد ظلّت طيلة أسبوع تعذّب نفسها بالتفكير فـيما وجب عليها أن تفعله في الحادثة، وما إذا كان الأمر ليختلف لو أنها أمـسكت بمقود السيارة بدلاً من أمها، ولكن لم يتسنَ لها الوقت أبداً لذلك.

أُصـيبت بالـشعور بالـذنب الذي يشعر به عادة كل ناجٍ، وقد كرّرت لها أخواتها مراراً وتكراراً أنها ما كانت لتغيّر أي شيء ممّا حصل، ولكن دون جـدوى. فالأمـر حدث بسرعة قصوى. أكّدت لها أخواتها مراراً وتكراراً أنها ليست ملامة، ولكنها مع ذلك ألقت باللوم على نفسها.

كانـت **آنـي** مـستلقية في سريرها بكل هدوء عندما دخلت أخواتها الغـرفة. كانـت **كاندي** ترتدي سروالاً قصيراً جداً، وقميصاً أبيض شفافاً، وتنـتعل صندلاً فضياً، بحيث كانت الوجوه تستدير نحوها لدى سيرها في الـرواق. بـدت مذهلـة، بالـرغم من أن **سابرينا** قد اشتكت من قميصها الـشفاف. لـم تعتقد أنه من اللازم أن يرى كل طبيب، وعامل، وزائر في المستشفى جسد أختها تحت القميص.

قالـت **كاندي**: "آه لا تكوني متزمتة. في أوروبا تخرج جميع الفتيات دون قميص".

"ولكنـنا لسنا في أوروبا". كانت **كاندي** تنـزل حوض السباحة بدون صدرية ثوب السباحة ممّا يحرج **كريس** ووالدها، ولكن لم تكن **كاندي** تأبه بأن يرى الناس جسدها. فقد كانت مهنتها تعتمد على إظهارها لجسدها.

سألت **آنـي** بابتسامة استغراب: "ماذا ترتدي **كاندي**؟" فقد كانت تسمع جـدالهنّ أثناء دخولهنّ إلى غرفتها. فعلّقت **تامي** قائلة إنها في حال دفعت علـى صـدرها بقـدر ما دفعت **كاندي** لكانت ستبيع التذاكر لكل من يريد النظر إليها وتشجّع بذلك قطاع الاستثمار.

اشتكت **سابرينا** قائلة: "إنها لا ترتدي الكثير، وما ترتديه شفاف جداً". فضحكت **آني** لكلامها. وعلّقت قائلة: "يليق بها كل ما تلبسه".

تجمعـت الفتـيات حول أختهنّ بانتظار قدوم الطبيب وسألتها **تامي**: "كيف حالك؟"

"بخيـر علـى ما أعتقد. لا أطيق صبراً حتى ينـزعوا هذه الضمادة عـن عينيّ. فالشريط اللاصق يؤلمني، وسئمت جداً من البقاء في العتمة".

قالت وهي تبتسم: "أريد أن أراكنّ يا أخواتي". فلم تعلّق أي من أخواتها على كلامها. أعطتها **سابرينا** كوباً من العصير مع قشة، وساعدتها في وضع القشة في فمها. "كيف حال أبي؟"

"إنه بخير. حمداً لله على وجود **كريس**، إنه يبقيه مشغولاً. أظنّهما يصلحان كل أبواب المنزل، ويحرصان على أن كل درج يمكن سحبه بسلاسة، ويغيّران اللمبات. لا أملك أدنى فكرة عمّا يفعلانه، ولكنهما يبدوان مشغولين جداً". فضحكت **آني** لدى تصوّرها الأمر. بعد خمس دقائق دخل الطبيب. نشر في الغرفة جواً من الثقة، وابتسم وهو ينظر إلى الأخوات الأربع. كان قد رآهنّ عدة مرات في ذاك الأسبوع، وعلّق قائلاً إن **آني** محظوظة جداً لحصولها على هذا الكم من الدعم العائلي. قال إن الأمور لا تسير دوماً على هذا المنوال بين الأخوات. وأدرك الآن أنه يواجه الأربع، وليس واحدة فحسب، في هذه اللحظة الحرجة.

قال **لآني** إنه عندما يزيل الضمادة، لن تختلف حالة بصرها عمّا هي عليه الآن. عند قوله لهذا الكلام حبست **سابرينا** أنفاسها، واقتربت منها **تامي** وأمسكت بيدها. كان الوضع فظيعاً. وكانت **كاندي** تقف بجانبهم.

سألته **آني** وهي عابسة: "لمَ لن تختلف حالة بصري؟ هل يتطلّب الأمر وقتاً حتى يعود إليَّ بصري؟"

قال بهدوء: "فلنجرّب". وبدأ بحذر بإزالة الضمادة التي لبثت على عينيها طيلة الأسبوع الفائت. سألته **آني** إذا كان هناك قطب يتوجّب عليه إزالتها، وأجابها بالنفي. كانت القطب كلها من النوع المتحلل، وموجودة في الداخل. وقد كانت العديد من الجروح التي تغطّي وجهها قد بدأت تلتئم في ذاك الوقت. وحده الجرح الكبير في جبينها بدا وكأنه سيخلّف ندبة وراءه، ولكن إن شاءت فبوسعها تغطيته بإسدال شعرها فوق جبينها، أو بوسعها تولّي أمره لاحقاً. ظلّت **كاندي** تضع على وجه أختها فيتامين E طيلة الأسبوع.

بمجرد إزالة الضمادة بقيت رقعتان صغيرتان على عينيها. عندها نظر الطبيب إلى أخوات **آني**، ثم نظر إليها. قال بحذر: "الآن سأزيل رقعتَي العينين يا **آني**. أريدك أن تقفلي عينيك. هلاّ فعلت ذلك من أجلي؟"

همست قائلة: "نعم". انتابها شعور بأن أمراً ما يحدث، إذ لم يبدُ الجو طبيعياً. لم تدرِ ماذا يجري، ولكنّ التوتر الذي يسود الغرفة كان يثير قلقها، ولم يعجبها ذلك على الإطلاق.

أزال الرقعتين، وامتثلت **آني** لطلب الطبيب، وأقفلت عينيها. عندها قام بتغطية عينيها بيده، وطلب من **سابرينا** إسدال الستائر. حتى لدى إصابتها بالعمى من الممكن أن تؤذيها أشعة الشمس. أقفلت **سابرينا** الستائر، وانتظرن، في الوقت الذي طلب فيه الطبيب من **آني** أن تفتح عينيها. ساد الغرفة جو من الصمت المرعب، وقد توقّعت **سابرينا** منها أن تصرخ ولكنها لم تفعل. وبدل ذلك بدت مرتبكة وخائفة بعض الشيء، ولكنه كان قد حذّرها.

سألها: "ماذا ترين يا **آني**؟ هل ترين الضوء؟"

قالت: "بعض الشيء، كلون رمادي خافت جداً". قالت محدّدة ما تراه: "لون رمادي خافت نوعاً ما وسواد حول الأطراف. لا أستطيع أن أرى أي شيء آخر". فهزّ الطبيب برأسه، وانهمرت الدموع بهدوء على وجنتي **تامي** أولاً، ثم بكت **سابرينا**. كما وخرجت **كاندي** على رؤوس أصابعها من الغرفة. إذ لم تقوَ على الاحتمال. كان منظرها مؤلماً جداً. سمعت **آني** صوت إقفال الباب، ولكنها لم تسأل من الذي خرج. كانت تركّز على ما تراه وما لا تراه. "لا أستطيع أن أرى شيئاً، لا أرى سوى الضوء الرمادي الخافت في منتصف حقلي البصري".

وضع يده أمام عينيها وأبعد بين أصابعه. "ماذا ترين الآن؟"

"لا شيء. ماذا تفعل؟"

"أنا أضع يدي أمام عينيك". أشار **لسابرينا** أن تعيد فتح الستائر، ففعلت. "والآن؟ هل بات الضوء ساطعاً أكثر؟"

"قليلاً. بات اللون الرمادي فاتحاً أكثر، ولكن لا زلت أعجز عن رؤية يدك". بدت مخطوفة الأنفاس، وقد بدأ الخوف الشديد يدبّ فيها. "كم سألبث حتى أقوى على النظر بشكل طبيعي من جديد؟ أعني أن أرى كل شيء مثل الأشكال، والوجوه، والألوان؟" كان ذلك سؤالاً مباشراً ومؤلماً، فكان الطبيب صادقاً معها في ردّه.

"**آني**، أحياناً تحصل أمور لا يمكن إصلاحها. نقوم بكل ما نستطيع فعله من أجل إصلاح هذه الأمور، ولكن بمجرد أن ينكسر الشيء، أو تسوء الأحوال، لا يسعنا ترميمه من جديد، مهما بذلنا من جهد. إن أحد الأنابيب التي اصطدمت بالسيارة تسبّب بأذى كبير لأعصابك البصرية والأوعية الدموية التي تغذيها. وبمجرّد حصول ذلك، يصبح من المستحيل تقريباً إصلاح الضرر. أظنّك ستتمكّنين من رؤية الضوء والظلال مع الوقت. حتى أنك قد تتمكّنين من رؤية الأشكال والهيئات وربما تتكوّن لديك انطباعات عن اللون، تقريباً مثلما يحصل معك الآن. الضوء ساطع جداً في هذه الغرفة الآن، وهذا هو اللون الرمادي الذي ترينه. دون ذلك يصبح اللون الرمادي داكناً أكثر. قد تتحسّن قدرتك على تمييز الألوان هذه بعض الشيء مع الوقت، وإنما قليلاً فحسب. **آني** أدرك أنه يصعب عليك استيعاب هذا الوضع الآن، ولكنك محظوظة جداً لبقائك على قيد الحياة. فقد أمكن أن يكون الضرر أكبر بكثير، دماغك لم يصب بضرر دائم في الحادث. أما عيناك فبلى. ولكن كدت تفقدين حياتك يا **آني**". كان قول هذا الكلام قاسياً جداً، حتى بالنسبة له، حيث أدرك جيداً أنها فنانة. كان كل فرد من العائلة قد أخبره بذلك، ولكن لم يغيّر هذا الأمر شيئاً من الضرر الذي لحق بعينيها. وبقدر ما تمنّى لو يستطيع مساعدتها، إلا أنه لم يكن بوسعه أي شيء. وهذا لم يسهّل الأمر البتة على **آني** الآن.

قالت **آني** وهي تبدو مرتعبة: "ما الذي تقوله لي؟" أدارت وجهها إلى حيث ظنّت أن أخواتها موجودات، ولم تقوَ على رؤية أي شيء. حتى اللون

الرمادي الذي رأته في البداية بدا الآن قاتماً أكثر، ثم أشاحت بوجهها عن الضوء. "ماذا تقصد؟ هل أنا ضريرة؟" فتريّث كثيراً قبل أن يجيبها، في حين وقفت أختاها وبدا وكأن قلبيهما سينفطران لأجلها.

قال الطبيب بهدوء: "نعم يا **آني** هذا صحيح". ثم أمسك بيدها، فسحبت يدها من يده، وبدأت بالبكاء.

"هل أنت جاد؟ أنا ضريرة؟ لا أستطيع أن أرى شيئاً؟ أنا فنانة. عليّ أن أرى. كيف عساي أرسم إن كنت عاجزة عن النظر؟" كيف عساها تعبر الشارع، أو ترى صديقة لها، أو تحضّر وجبة طعام، أو حتى تجد معجون أسنانها؟ أو تبتعد عن السيارات؟ كانت أخواتها يولين أهمية لهذه الأمور الأساسية أكثر من فنها. ثم كرّرت القول: "عليّ أن أرى. ألا تستطيع إعادة بصري إليّ؟" كانت تنتحب كالطفلة، فاقتربت **سابرينا** و**تامي** منها كي تلمساها حتى تدرك أنهما ما زالتا إلى جانبها.

قال الطبيب بحزن: "لقد حاولنا إعادة بصرك إليك. لقد أخضعناك لعملية جراحية لخمس ساعات، كنا نعمل فيها على عينيك فحسب. ولكن كان الضرر شديداً جداً. وقد دُمّرت الأعصاب البصرية لديك. إن بقاءك على قيد الحياة معجزة بكل ما للكلمة من معنى. أحياناً تتحقّق المعجزات ولكن تكلّفنا ثمناً باهظاً جداً. أظنّ أن هذا ما حصل معك. أنا آسف جداً. هنالك الكثير من الأشياء التي بوسعك فعلها حتى تحظي بحياة جيدة. وظائف، وسفر، وبوسعك أن تعيشي حياة مستقلة تماماً. حيث إن الأشخاص الفاقدين لبصرهم يقومون بالكثير من الإنجازات في حياتهم. منهم الكثير من الأشخاص المشهورين، والأشخاص العاديين، والأشخاص المهمين، تماماً مثلك ومثلي. ما عليك إلاّ أن تسلكي طريقاً مختلفاً عن ذاك الذي كنت تسلكينه مسبقاً في حياتك". كان يدرك أن كلماته لم تلقَ أذناً صاغية عند **آني**. فقد كان الوقت مبكراً جداً، ولكن وجب عليه أن يقول شيئاً ما كي يمدّها بالأمل، قد تتذكّر كلامه هذا لاحقاً. ولكنّ في هذه اللحظة عليها أن تستوعب صدمة إصابتها بفقدان البصر.

صرخت في وجهه: "لا أريد أن أكون ضريرة. أريد استعادة نظري. ماذا عن زرع الأعضاء؟ هل أستطيع الحصول على عيني شخص آخر؟" كانت يائسة ومستعدة للتخلي عن روحها لاستعادة بصرها.

صارحها القول: "لقد حصل ضرر شديد". لم يشأ أن يمدّها بأمل زائف. قد تتمكّن من رؤية الضوء والظلال في أحد الأيام، ولكنها لن تستعيد بصرها أبداً. لقد أُصيبت بالعمى. ووفقاً لطلب أبيها، تفقّد طبيب عيون آخر فحوصاتها ذاك الأسبوع فتوصّل للاستنتاجات نفسها.

قالت: "يا الله". ثم هبطت برأسها على الوسادة إلى الوراء وبكت دون توقف. اقتربت أختاها إلى جانب سريرها، ووقفت كل واحدة على جانب من السرير، وربّت الطبيب على يدها، ثم غادر الغرفة. إذ ليس بيده أي شيء ليفعله لها في الوقت الحالي. كانت بحاجة إليهما. وقد كان الطبيب عبارة عن الشيطان الذي دمّر كل أمل لها في الحياة وفقاً لها في هذه اللحظات. كان سيلتقي بها من جديد، ليساعدها على وضع خطة علاج، وليقدّم اقتراحات حول التدريب الذي تحتاجه. ولكن كان الوقت مبكراً جداً على ذلك. على الرغم من كونه في العادة أقل تعاطفاً مع الآخرين، إلاّ أن هؤلاء النساء الأربع وخصوصاً مريضته أثّرن فيه كثيراً. شعر وكأنه قاتل بالفأس حينما غادر الغرفة، وتمنّى لو يسعه أن يقدّم لها مزيداً من المساعدة ولكن أنّى له ذلك. إذ لم يكن بمقدور أحد فعل ذلك. على الأقل تمكّن من الحفاظ على مقلتي عينيها حتى لا يتشوّه وجهها. فهي فتاة جميلة جداً.

رأته **كاندي** يغادر الغرفة بوجه حزين، فعادت إلى الغرفة. رأت **سابرينا** و**تامي** تقفان على جانبيها، و**آني** تبكي دون توقّف، وهما تمسكان بها.

"آه يا الله... أنا ضريرة... أنا ضريرة..." بدأت **كاندي** بالبكاء لحظة رأتها. "أريد أن أموت... أريد أن أموت... لن أرى أي شيء من جديد... انتهت حياتي".

قالت لها **سابرينا** وهي تمسك بها: "لا لم تنتهِ حياتك يا حبيبتي، لم تنتهِ. أنت تتخيّلين ذلك ولكنها لم تنتهِ. أنا آسفة. أعلم أن الوضع صعب عليك. إنه فظيع. ولكننا نحبّك، وأنت لا زلت على قيد الحياة. أنت لم تصابي بخلل في الدماغ، لستِ عرجاء أو مشلولة من رقبتك حتى أسفل جسدك. ما زلت تحظين بالكثير، يجب أن تشعري بالامتنان".

صرخت **آني في وجهها**: "لا، لا يجدر بي ذلك. ليس لديك أية فكرة عمّا أنا فيه. لا أستطيع أن أراك. لا أستطيع أن أرى شيئاً. لست أدري أين أنا. كل شيء أسود ورمادي. أريد أن أموت". بكت لساعات بين ذراعي أخواتها اللواتي تبادلن الأدوار في مواساتها، ثم أخيراً دخلت ممرضة وعرضت تقديم بعض المهدئ الخفيف لها. هزّت **سابرينا** برأسها موافقة، فقد بدت هذه فكرة ممتازة. كان الوضع صعباً جداً عليها، ويفوق قدرتها على التحمل. إذ خسرت أمها، واكتشفت أنها باتت ضريرة في أسبوع واحد. بعد أن استمعت **سابرينا** إلى بكاء **آني** لثلاث ساعات ونصف بدا لها وكأنها هي التي تحتاج إلى المهدئ. استلقت **آني** بين ذراعي **تامي** تبكي لدى قيام الممرضة بحقنها. وبعد عشرين دقيقة بدأت تفقد الوعي، وقالت الممرضة إنها ستنام لساعات. لذا بوسعهنّ المغادرة والعودة لاحقاً، فغادرن الغرفة على رؤوس أصابعهن، ولم ينطقن بكلمة حتى وصلن إلى موقف السيارات. بدت الفتيات الثلاث وكأنهنّ قد تعرّضن للضرب.

أشعلت **تامي** سيجارة بيدين مرتجفتين، ثم جلست على حجر كبير بالقرب من سيارة والدهنّ. "يا الله أحتاج إلى مخدر قوي يطيح بوعيي، المسكينة... كان الوضع فظيعاً".

قالت **كاندي** وهي تجلس بالقرب منها: "أظنّني سأتقيأ". وأخذت سيجارة من **تامي** وأشعلتها، في حين كانت **سابرينا** تبحث عن مفتاح السيارة. وقد شعرت بأنها منهارة مثل أختيها.

حذّرتها **تامي**: "ولكن إياك أن تتقيئي عليّ. فأنا لم أعد أحتمل".

كـــان الطبيب قد أعطى **سابرينا** اسم طبيبة نفسية في وقت سابق من هذا الأسبوع، وهي متخصّصة في العمل مع الأشخاص المصابين بالعمى. بعد هذه اللحظات التي عشنها قرّرت **سابرينا** الاتصال بها.

أخيـراً، أخــرجت مفــتاح السيارة من حقيبتها، وفتحت الأبواب. ركــبت أخــتاها الــسيارة، وبدا عليهن وكأنهنّ قد خضن حرباً. كانت الساعة الثانية، حيث أمضت الفتيات عندها أربع ساعات، ثلاث ساعات ونــصف منها بعد أن اكتشفت الأمر. كانت **آني** قد بكت دون توقف. لم تمــتلك الأخــوات الــثلاث القــدرة حتى على الكلام لدى عودتهنّ إلى المنــزل. قالــت **تامي** إنها تريد العودة إليها عند الساعة الرابعة، في حال استفاقت حينها. وقالت **سابرينا** إنها سترافقها، أما **كاندي** فقالت إنها لن تفعل.

"لا أحــتمل الأمر. الوضع فظيع للغاية. لِمَ لا يسعهم إعطاؤها عيني شخص آخر؟"

قالـــت **ســـابرينا**: "لا يستطيعون ذلك، فقد حصل الكثير من الضرر. علينا أن نساعدها كي تخرج من محنتها هذه".

عندما وصلن إلى المنــزل، خرجن من السيارة، ودخلن إلى المطبخ، وبدا عليهنّ التعب الشديد. كان والدهنّ **وكريس**.قد أنهيا تناول الغداء للتو. وبمجــرد النظــر إليهنّ يسهل على المرء معرفة كيف سارت الأمور في الصباح. ذُهل الرجلان لدى النظر إلى وجوه الأخوات.

سأل **كريس** بلطف: "كيف سار الأمر؟"

ســألهنّ والــدهنّ: "كيف تقبّلتْ الأمر؟" وقد شعر حينها بالجبن لعدم ذهابه معهنّ. أدرك أن **جاين** كانت لتذهب، ولكنها كانت أمهنّ وهي تحسن مــواجهة هــذه الأمور أكثر منه. أما هو لكان انهار إلى جانب سريرها. فأعـــادت **تامي وسابرينا** التأكيد له أن ذهابه ما كان ليحدث أي فارق. فهي أرادت عينيها وليس والدها.

ســـأل **كريس**: "هل يسعها رؤية أي شيء، وهو يضع صحناً يحتوي علـــى سندويتشات على طاولة المطبخ، ولكن ما استطاعت أي منهنّ تناول الطعام. اختفت **كانـــدي** ثم عادت، وقالت إنها تقيّأت، وشعرت بتحسن. كان صباحاً مريراً بالنسبة للجميع وخصوصاً بالنسبة **لآني**.

أجابــت **ســـابرينا**: "لــم ترَ سوى لون رمادي وبعض الضوء. قال الطبيب إنها قد تتمكّن من رؤية الظلال مع الوقت، أو حتى بعض الألوان، ولكـــن هـــذا لـــيس مؤكداً. ستبقى هكذا إلى الأبد، عالم من السواد واللون الـــرمادي بحيث لا يمكنها تمييز أي شيء". هزّ **كريس** رأسه وهو يستمع، ولمس خدي **سابرينا** بلطف.

"أنا آسف يا عزيزتي".

قالت بحزن: "أنا أيضاً". وهي تقترب منه والدموع تملأ عينيها.

"كيف كان حالها عندما تركتنّها؟"

"كانت تحت تأثير المهدّئ. لقد بكت لساعات وأخيراً عرضت الممرضة تقديم بعض المهدّئ لها. كنتُ على استعداد لأخذ بعض المهدّئ أنا نفسي أيضاً. ســنعيش كابوســـاً إلـــى أن تتكيّف مع وضعها الجديد. عليّ الاتصال بالطبيبة النفسية التي نصحنا بها الطبيب. فربما تغرق في اكتئاب شديد أو ما هو أسوأ". إذ أقــدم أشــخاص حالتهم أخفّ وطأة من حالتها على الانتحار، وقد بات ذلك الآن أكبر مخاوفها. لم يُلحظ أبداً في العائلة أية ميول انتحارية، ولكن لم يسبق لأي مـــنهم أن خـــسر أمّه وبصره في آن معاً. أرادت أن تفعل كل ما بوسعها لمـــساعدة أختها وحمايتها. هذا ما يُفترض على الأخوات فعله. صعدت **تامي** إلى الطابق العلوي لتستلقي. وذهبت **كاندي** إلى الخارج لتتمدّد قرب الحوض، وانضمّ إليها **كريس وسابرينا** مع **بولا وزو**. قفزت كلبة اليوركي في الحوض، وبدت وكأنها جرذ غارق في الماء عندما خرجت منه. أحبّت **بولا** السير على حافـــة الحـــوض لتشعر بقليل من البرودة إذ فضّلت ألاّ تسبح. دفع منظرهما **بسابرينا** إلى الضحك ممّا خفّف من مرارة اللحظة.

جلسوا وتحدّثوا بهدوء لفترة من الوقت، وفي النهاية خرج **جيم** للانضمام إليهم. سبح في الحوض ذهاباً وإياباً عدّة مرات، وبعدما فرغ من السباحة بدا متعباً. كانت بنيته الجسدية ممتازة، ولكن بدا جسده منهاراً عندما توجّه للجلوس بالقرب منهم. كان يصعب التصديق أنه قد مضى على غياب حبيبته **جاين** أسبوع حتى الآن. قال **لسابرينا**: "سأذهب معك عندما تعودين لزيارة **آني**". فهزّت برأسها موافقة. احتاجت أختها إلى كل الحب والدعم والمساعدة التي يمكن تقديمها إليها. وقد كان والدهنّ شخصاً مهماً في حياتها. كان أقل حزماً من أمهنّ معهنّ، ولكنه لطالما كان موجوداً، يحميهنّ ويحبّهن، يستمع إليهنّ أو يقدّم لهنّ العون. احتاجت **آني** إلى كل ما يستطيع تقديمه الآن. سألها: "ماذا عساي أفعل؟"

أجابته **سابرينا** بصدق: "لا شيء، لقد اكتشفت مسألة إصابتها بفقدان البصر للتو. إنها صدمة شديدة عليها".

"ماذا عن صديقها الحميم في فلورنسا؟ هل تعتقدين أنه قد يأتي لزيارتها؟ قد يفرحها ذلك بعض الشيء". تردّدت **سابرينا** للحظة طويلة، ثم هزّت رأسها مستنكرة الأمر.

"لا أظنّ ذلك يا أبي. اتصلت به منذ بضعة أيام، ولم يكن داعماً جداً". لم يسعفها قلبها لتخبر والدها أنه كان وغداً، وقد انسحب من حياة أختها. "فقد يصعب على أي شاب تحمّل مأساة من هذا النوع، وهو ما يزال يافعاً".

قال والدها بعناد: "ليس يافعاً جداً، فأنا كنت متزوّجاً ولديّ ابنة في مثل هذا السن".

"باتت الأمور مختلفة الآن". فهزّ رأسه، وذهب لارتداء ملابسه. كان جاهزاً للمغادرة حين استعدّت **سابرينا**، وقد رافقتهما **تامي**. أما **كاندي** فقد تخلّفت عن الذهاب، إذ قالت إنها **تعاني** من وجع في رأسها ولا تزال تشعر بالغثيان. لقد مرّوا جميعاً بأوقات عصيبة جداً في ذاك الأسبوع بحيث لم ترغب **سابرينا** بالضغط على أحد. وقد أمكنها البقاء مع **كريس**.

كانت الزيارة الثانية **لآني** في ذاك اليوم أسوأ بكثير من الأولى. كانت لا تزال تشعر بالنعاس من جراء تأثير المهدّئ وقد غرقت في حالة اكتئاب. واكتفت بالجلوس في سريرها والبكاء، وبالكاد تكلّمت. فبكى والدها عندما رآها، وحاول أن يقول لها بصوت متهدج بأن كل شيء سيكون على ما يرام. قال لها إن بوسعها البقاء معه، وأن أخواتها سيعتنين بها، ممّا دفعها إلى البكاء أكثر.

"لن أحظى بحياة حتى. لن يكون عندي صديق حميم أبداً. لن أتزوّج. لن أستطيع العيش بمفردي. لن أستطيع الرسم. لن أرى أبداً شروق الشمس ولن أشاهد أي فيلم سينمائي. لن أعرف شكل كل واحدة منكن. لن أتمكّن من تسريح شعري". تمزّقت قلوبهم لدى سماعها تعدّد الأمور التي ما عاد بوسعها فعلها.

ذكّرتها **سابرينا** قائلة: "هنالك العديد من الأشياء التي لا يزال بوسعك فعلها. ربما لم يعد بمقدورك الرسم، ولكن بوسعك التدريس".

"كيف عساي أقوم بالتدريس؟ وأنا أعجز عن رؤية ما أتكلّم عنه. لا يسع المرء تدريس تاريخ الفن وهو يعجز عن رؤيته". "أراهن أنكِ ستتمكّنين من ذلك، كما وأن الكثير من الأشخاص الفاقدين للبصر يتزوّجون. لم تنتهِ حياتك يا **آني**، وإنما غدت مختلفة فحسب. هذا ليس نهاية كل شيء. إنه تغيير فحسب".

"يسهل عليكِ قول ذلك. لقد انتهت حياتي، وأنت تدركين ذلك. كيف عساي أعود إلى إيطاليا على هذه الحالة؟ عليّ أن أعيش في منزل والدي، مثل الأطفال". ثم عادت للبكاء من جديد.

قالت **تامي** بهدوء: "هذا غير صحيح. بوسعك العيش معنا لفترة إلى أن تعتادي على الأمر. وفي النهاية يصبح بمقدورك العيش بمفردك. أنا واثقة بأن معظم الأشخاص الفاقدين للبصر يعيشون وحدهم. أنت لست متخلّفة عقلياً، وإنما فقدت بصرك فحسب. بوسعك إيجاد بعض الحلول

لنفسك. يوجد مدارس تدرّس المهارات الحياتية لفاقدي البصر. بعد ذلك يصبح بمقدورك العيش بمفردك".

"لا، لا أستطيع. ولا أريد ارتياد المدرسة. أريد أن أرسم". فاقترحت **تامي**: "ربما يسعك النحت". فرفعت **سابرينا** إبهامها إلى الأعلى موافقة على كلامها. فهذا لم يخطر على بالها على الإطلاق.

"أنا لستُ نحّاتة بل رسامة".

"ربما بوسعك تعلّم النحت. امنحي نفسك الوقت لتفكّري في هذا الأمر".

قالت **آني** بحزن شديد: "لقد انتهت حياتي". ثم بكت كالأطفال. في حين كان والدهنّ يمسح الدموع من عينيه. خطر **لسابرينا** حينها أنه ربما يتوجّب عليهم أن يقسوا عليها بعد حين، ويجبروها على بذل الجهود التي ترفض بذلها. وكانت **تامي** تفكّر بالأمر نفسه. إن كانت **آني** ستشعر بالأسف على نفسها، ورفضت التعاون، يجب دفعها على ذلك. ولكن كان الوقت مبكراً جداً على ذلك. فلقد اكتشفت لتوها مسألة فقدانها للبصر، وقد بدا كل شيء بالنسبة إليها جديداً ومروعاً.

لبثوا عندها حتى وقت العشاء، من ثم اضطرّوا إلى المغادرة بالرغم من عدم رغبتهم بذلك. كانوا قد أمضوا معها معظم اليوم، ووعدوا بالعودة لزيارتها في الصباح، وقد فعلوا.

كان نهار الأحد مشابهاً، وربما كان أسوأ من اليوم الذي سبقه، بعد صدمة الواقع الجديد. كان هذا ردّ الفعل المتوقّع منها حتى تتقبّل ما حصل لها. تركوها عند الساعة السادسة. وقد كانت الليلة الأخيرة **لتامي**. لذا كان لا يزال أمامها توضيب حقائبها، كما أنها أرادت تمضية بعض الوقت مع والدها. كان **كريس** قد وعد بتحضير اللازانيا لهم، وهو أيضاً سيعود إلى نيويورك في تلك الليلة.

قبّلت **تامي آني** المستلقية في السرير، والدموع تتدحرج من عينيها. كانت عيناها مفتوحتين، ولكنها عجزت عن الرؤية.

كانت عيناها لا تزالان خضراوين جميلتين ولكن ما عادتا تنفعانها بعد الآن.

ذكّرتها **تامي** قائلة: "سأغادر في الصباح ولكنني أريدك أن تبقي صلبة في غيابي. سأعود لزيارتك ربما في عطلة العمال، ولكن حتى ذاك الحين أريد أن أراك تقومين بالكثير من الإنجازات بنفسك. هل اتفقنا؟"

ردّت عليها أختها الأصغر منها قائلة: "لا". ولكن للمرة الأولى بدت غاضبة وليست حزينة. "لن أقوم أبداً بتسريح شعري من جديد". بدا وكأنها في الخامسة من عمرها، فابتسم الجميع. بدت جميلة جداً وهي مستلقية في السرير. كانت **سابرينا** قد سرّحت لها شعرها الكستنائي، فلمع لونه. وقد كانت الممرضات قد غسلن لها شعرها في وقت سابق.

قالت **تامي** بشكل عملي: "حسناً في هذه الحالة أعتقد أنك محقة. لن تجدي لنفسك زوجاً أو صديقاً حميماً، إن كففت عن تسريح شعرك. آمل أنك تنوين الاستحمام".

قالت **آني** وهي جالسة في السرير مكتوفة اليدين: "لا لن أفعل". فضحك الجميع. وقد ضحكت **آني** أيضاً للحظة على الأقل، رغماً عن إرادتها. قالت وقد بدأت بالبكاء من جديد: "هذا ليس مضحكاً".

قالت **تامي**: "أعلم أنه ليس بالأمر المضحك". وقبّلتها. "ليس مضحكاً على الإطلاق. ولكن ربما نستطيع سوياً أن نجعل من الوضع مقبولاً أكثر. إننا جميعاً نحبّك كثيراً".

قالت **آني** وهي تغرق رأسها في وسادتها: "أعلم. لست أدري كيف سأتأقلم مع الوضع. إنه مخيف جداً". وقد كانت الدموع تنهمر من عينيها.

أكّدت لها **تامي**: "لن يعود الأمر مخيفاً بعد فترة". قالت لها والدموع تنحسر في عينيها هي الأخرى: "بوسعك الاعتياد على أي شيء، إن اضطررت. إن العائلة بأكملها تقف إلى جانبك".

قالت **آني** بحزن: "أمي ليست إلى جانبي". ثم نزلت دمعتان كبيرتان على وجنتيها، فتنحّى والدها. قالت **تامي**: "صحيح، ولكن نحن إلى جانبك، ونحن نحبّك جداً. سآتي من لوس أنجلوس، ومن الأفضل لك أن تسمعيني أخباراً جيدة. إن أخبرتني **سابرينا** أن رائحتك باتت كريهة، سأعود وأقوم بتحميمك بنفسي بليفتي التي تكرهينها". ضحكت **آني** من جديد. "لذا كوني فتاة عاقلة. لا تكوني مزعجة". هذا ما اعتادت على قوله لها في صغرهما. كان فارق السن بينهما مجرد ثلاث سنوات، وكانت **آني** مصدر إزعاج دائم **لتامي** التي كانت تحسب نفسها أنها باتت راشدة. كانت **آني** قد أفشت أسرارها ملايين المرات خصوصاً في ما يتعلّق بالشبان. لذا عمدت **تامي** إلى تهديدها بالضرب عدة مرات، ولكنها لم تفعل أبداً.

قالت **آني** بحزن: "أنا أحبّك. اتصلي بي دائماً".

"تعلمين أنني سأتّصل بك". قبّلتها للمرة الأخيرة، وخرجت من الغرفة. قبّلها الآخرون، وغادروا أيضاً. قالت **سابرينا** إنها ستعود هي و**كاندي** في اليوم التالي ولكن ليس قبل فترة العصر. لم تخبر **آني**، ولكنها كانت ستتوجّه لرؤية المنزل في نيويورك في صباح اليوم التالي. كانت ستتوجّه إلى المدينة في نفس الوقت الذي ستغادر فيه **تامي** إلى المطار عند الساعة الثامنة. كانت **سابرينا** ستصطحب **كاندي** معها أيضاً، كي تحسما الأمر مباشرة في حال أعجبهما المنزل.

خلال تناول العشاء تلك الليلة، حاول الجميع أن يجدوا أفكاراً من شأنها مساعدة **آني**. حيث ليس هناك شكّ بأن عليها التوجّه لمدرسة مخصصة لفاقدي البصر. لقد كانت محقّة بوجود الكثير من الأمور التي لم يعد بوسعها فعلها الآن. كان عليها تعلّمها كلها، وتعلّم كيفية القيام بها دون القدرة على النظر. كيفية ملأ حوض الاستحمام، وتسريح شعرها...

قالت **سابرينا** بإصرار: "عليها أن ترى الطبيبة النفسية". كانت قد اتصلت بالطبيبة النفسية، وتركت رسالة على بريدها الآلي. قالت **لتامي**:

"أعتقد أن فكرتك حول النحت ممتازة. إن أبدت استعداداً، سيكون ذلك مفتاح الحل. في هذه الأونة تشعر أن حياتها قد انتهت. بالفعل انتهت حياتها التي كانت تعيشها سابقاً. عليها أن تقوم بالانتقال إلى حياة جديدة. وهذا ليس بالأمر السهل حتى في سنها هذا".

قال والدهنّ بحزن وهو يسكب لنفسه من طبق اللازانيا اللذيذة الذي أعدّه **كريس**: "وليس سهلاً في سنّي أنا أيضاً". ثم قال **لكريس**: "بالمناسبة أظنّ أن عليك ترك مهنة المحاماة لتصبح طاهياً".

كان **كريس** يستحق وزنه ذهباً في الأسبوع الفائت نظراً لمساعدته المثمرة في عدة طرق. "بوسعك الحصول على وظيفة عندنا متى شئت".

"لن أنسى عرضك هذا في حال سئمت من القضايا القانونية".

ولكن تعليق والدهنّ دفعهنّ إلى الاعتقاد أن تكيّفه هو الآخر سيكون صعباً أيضاً. فقد كان متزوّجاً لخمسٍ وثلاثين سنة تقريباً وقد بات الآن وحيداً. لم يكن معتاداً على العناية بنفسه. كان قد اعتمد على زوجته لفترة تمتدّ إلى أكثر من نصف حياته، لذا سيضيع من دونها، إذ لم يقدر حتى على الطهو. كانت **سابرينا** قد تركت رسالة لمدبرة المنزل لتطلب منها أن تبدأ بترك وجبات له، ليقوم لاحقاً بتسخينها في المايكروويف عند رحيلهنّ.

حذّرته **تامي**: "ستقوم كل أرملة ومطلقة في الجوار بطرق بابك، ستصبح بضاعة مطلوبة جداً، إذ سيكثر الطلب عليك".

قال بتجهّم: "لا يهمّني الأمر. أنا أحبّ والدتكنّ. لا أريد أية امرأة أخرى". لم تعجبه الفكرة.

"لا ولكنهنّ سيبدين اهتماماً بك".

قال: "لديّ أمور أفضل من ذلك لأقوم بها". ولكن كانت المشكلة أنه لا يوجد أمور لديه ليقوم بها. إذ لم يكن لديه ما يفعله على الإطلاق من دون زوجته. كانت تهتمّ بكل أموره، فقد نظّمتْ حياتهما الاجتماعية،

ورسمت الخطط لكل شيء. كانت تُبقي حياته مفعمة بالحيوية، فيقومان بزيارة المدينة لحضور حفلات موسيقية، وبالذهاب إلى المسرح، أو عروض باليه. لم تتخيّل أي من بناته أنه قد يقوم بهذه النشاطات بمفرده. فقد كانت ترعاه كالطفل الصغير. وبالنتيجة بات معتمداً عليها.

"يجدر بك المجيء إلى المدينة وزيارتنا يا أبي". ذكّرته **سابرينا** بشأن المنزل الذي ستذهبان لتفقّده في اليوم التالي.

"يبدو ظريفاً".

"قد يكون كذلك أو يمكن أن يكون سيئاً جداً. تعلم حال السماسرة. يقولون الأكاذيب وذوقهم مريع جداً". هزّ برأسه وخطر له فجأة كم سيصبح وحيداً في المنزل عندما تغادر الفتيات من جديد.

قال وقد بدا عليه الاكتئاب: "ربما يجدر بي التقاعد". فردّت الفتيات الثلاث معاً: "لا يا أبي!" من ثم ضحكن. كان آخر ما يحتاج إليه هو الإقدام على المزيد من تمزيق حياته. إذ كان يحتاج إلى أن يبقي نفسه مشغولاً، بشكل أكبر الآن، وليس أقل. "أنت تحتاج إلى العمل ومقابلة الأصدقاء، والخروج كما اعتدت أن تفعل برفقة أمي".

"وحدي؟" بدا مرتعباً، في حين تنهّدت **سابرينا**، ورمقتها **تامي** بنظرة من الجهة المقابلة من الطاولة. الآن باتَ لديهنّ **آني** ووالدهنّ ليعتنين بهما.

قالت **تامي**: "لا مع أصدقائك، فهذا ما قد تريده منك أمي. لا تودّ منك أن تجلس هنا بمفردك، لتشعر بالأسف على نفسك". فلم يجبها، وبعد وقت قصير، صعد إلى الطابق العلوي لينام. عاد **كريس** إلى المدينة بعد العشاء، حتى يستطيع العودة إلى عمله في اليوم التالي. كرهت **سابرينا** أن تراه يغادر، ولكنها كانت ممتنّة لحبّه ومساعدته الكبيرين. قبّلها قبل مغادرته عندما مشت معه إلى سيارته. قالت له: "كم كان أسبوعاً مريراً".

"نعم بالفعل. ولكنني أعتقد أن الجميع سيكونون على ما يرام. أنتن محظوظات لتواجدكنّ إلى جانب بعضكنّ البعض". ثم قبّلها من جديد. "وأنا إلى جانبك".

تنهّدت قائلة: "حمداً لله". ثم عانقته، وبعد ذلك ركب في السيارة. كان يصعب التصديق أن الحادث قد حصل منذ ثمانية أيام فحسب. "قُدْ بحذر. سأذهب إلى المدينة في الغد لأرى المنزل. ولكنني لن أبقى طويلاً. عليّ العودة إلى هنا. ربما أترك **كاندي** مع أبي في ليلة ما من هذا الأسبوع، وأتوجّه لزيارتك".

"سيكون ذلك لطيفاً. فلتتدبّري الأمر. سآتي إليك نهار الجمعة إن احتجت إليّ". شعرت فجأة وكأنها متزوّجة، حيث يطلّ الزوج في عطلة نهاية الأسبوع إلى منزله، في حين تبقى الزوجة في الريف مع الأطفال. إلاّ أن الأطفال في هذه الحالة هم والدها وأختاها.

شعرت **سابرينا** وكأنها فجأة باتت والدة الجميع بمن فيهم نفسها. "حاولي تخفيف العبء عن نفسك، وتذكّري أنه ليس بوسعك فعل كل شيء". كان قد قرأ ما يدور في ذهنها. "سأتّصل بك عندما أصل". وقد أدركت أنه سيفعل. كان **كريس** صلباً ويمكن الاعتماد عليه. وقد أثبت ذلك من جديد في الأسبوع الماضي. ولكن هذا لم يكن بالأمر الجديد عليها. كان هذا جزءاً ممّا تحبّه فيه. كان **كريس** أفضل رجل عرفته في حياتها فضلاً عن والدها.

مازحتها **تامي** قائلة لها لدى عودتها إلى المنزل: "إن لم تتزوّجي به فأنا سأفعل". مشت **بولا** إلى زاوية المطبخ، نظرت إليهما ببؤس، وبدت مكتئبة. كانت دوماً تشعر بالحزن عند مغادرة **كريس**. "أريد رجلاً مثله. فهو طبيعي، وسليم، ولطيف، ومُعين، وطيب مع عائلتي، ويجيد الطهو، ووسيم. أنّى لك كل هذا الحظ، في حين ينتهي بي الأمر دوماً مع المغفلين".

مازحتها قائلة: "أنا لا أعيش في لوس أنجلوس. ربما يساعدك هذا الأمر بعض الشيء. أو ربما أجبتُ على الإعلان الصحيح".

"صدّقيني لو أنني ظننت أنني سأجد الرجل المناسب في إعلان ما، لكنت حاولت".

"لا لما فعلتِ وأنا لن أسمح لك بذلك. نظراً لحظّك لن تحصلي سوى على قاتل متسلسل في الإعلانات الشخصية. في أحد الأيام يا **تام** سيظهر الرجل المناسب في حياتك".

"صدّقيني لم أعد في عجلة من أمري. أحسبني ما عدت أبالي لهذا الأمر. أدّعي أنني أبالي، ولكنني أعتقد أنني اعتدت على التذمر من هذا الأمر كحال الجميع. في الحقيقة أنا سعيدة بوجودي وحيدة في المنزل ليلاً مع كلبتي، حيث أتمتّع بالسيطرة الكاملة على جهاز التحكم عن بعد. ولست مضطرة إلى مشاطرة خزانتي مع أحد".

"الآن بات ينتابني القلق عليك. في الحياة ما هو أكثر من الوصاية الكاملة على جهاز التحكم عن بعد". فقالت: "لم أعد أذكر هذه الأمور". ثم تنهّدت قائلة وهي تصعد السلالم: "يا الله كم أكره المغادرة".

شعرت فجأة وكأن جو المنزل تحوّل إلى ما كان عليه عندما كنّ في مرحلة الطفولة. كانت **كاندي** قد شغّلت الموسيقى وكان الصوت مرتفعاً جداً. فانتظرت **تامي** أن تطلّ أمها برأسها من باب الغرفة لتطلب من **كاندي** تخفيض صوت الموسيقى. "الجو غريب جداً هنا من دون أمي". همست بهذه الكلمات حتى لا يسمعها والدها وهما تمرّان بمحاذاة غرفته. قالت **سابرينا**: "نعم بالفعل. سيكون الجوّ أغرب بكثير بالنسبة إلى أبي". أجمعت الاثنتان على هذه الفكرة. سألتها **تامي**: "هل تظنّين أنه سيتزوّج من جديد؟" لم تكن هي نفسها تتصوّر الأمر ولكن من يدري. أكّدت لها **سابرينا**: "مستحيل، كان مغرماً جداً بأمي، ولا يمكن له أن ينظر إلى امرأة أخرى".

"ما يزال شاباً. لقد خرجتُ مع رجال في مثل سنه".

"لن يجد لها مثيلاً في أي سن. كانت امرأة حياته". وكانت المرأة المثالية بالنسبة إليهنّ كأم.

اعترفت **تامي**: "لا أظنّني أستطيع التأقلم مع فكرة وجود زوجة أب شريرة". فضحكت **سابرينا**.

"لا أظنّنا سنواجه مثل هذا الوضع في حياتنا. لعله يتوجّه لزيارتك في لوس أنجلوس يوماً ما. إذ سيشعر بالوحدة الشديدة خلال عطل نهاية الأسبوع".

قالت **تامي**: "هذه فكرة جيدة". وهمّت بإخراج حقيبتها لحزم أمتعتها، ودخلت **كاندي** إلى الغرفة. تبادلت الأخوات الثلاث الحديث خلال قيام **تامي** بحزم أمتعتها. وبعد منتصف الليل توجّهت كل واحدة إلى غرفتها. كان **كريس** قد اتّصل **بسابرينا** عندئذ. وقد كانت كلباتهن نائمة على أسرّتهنّ. كان والدهنّ قد خلد للنوم عند الساعة العاشرة. فعمّ السكون المنزل، وقبل أن تغفو **سابرينا** حدّثتْ نفسها بأنها عندما تغمض عينيها ستتخيّل أن أمها لا زالت موجودة. كانت كل واحدة من الفتيات الثلاث تفكّر بالأمر نفسه في سريرها. وحتى ولو لبرهة قصيرة قبل أن يغرقن في النوم. فلقد كان من اللطيف أن يتخيّلن أن شيئاً لم يتغيّر. في حين أنه في الواقع كل شيء قد تغيّر ولن يعود إلى سابق عهده من جديد.

الفصل الحادي عشر

وصلت السيارة التي ستقلّ **تامي** إلى المطار في تمام الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي. كانت قد استفاقت، وارتدت ملابسها، وحضّرت نفسها للمغادرة عند وصول السيارة. نزل والدها و**كاندي** إلى الطابق السفلي لوداعها. وقد كانت **كاندي** ترتدي قميصاً قطنياً وبنطال جينز ممزقاً. كان القميص شفافاً كالعادة، وعندما وقفت في الخارج تلوّح بيدها مودعة أختها بشعرها الأشقر الطويل الأشعث والملفت، لفتت نظر السائق. عانقت **تامي**، وكذلك فعل والدها و**سابرينا**، من ثم ركبت **تامي** في السيارة مع **خوانيتا** الموجودة في حقيبة *البركين*. ودّ الجميع لو لم تغادرهم. بعد دقيقتين ركبت **سابرينا** و**كاندي** السيارة لتتوجّها إلى وسط المدينة من أجل معاينة المنزل. فوصلتا إلى وسط المدينة عند الساعة التاسعة والنصف، وعرّجتا على شقة **سابرينا**، لأخذ المزيد من الثياب، والبريد.

قالت **كاندي** إنها ليست بحاجة للذهاب إلى شقتها. حيث بدا أن لديها عدداً غير محدود من القمصان الشفافة، أما **سابرينا** فشعرت وكأنها قد غادرت شقتها منذ سنوات. شعرت بالغرابة لدى إدراكها أنها في المرة الأخيرة التي رأت فيها شقتها كانت أمها لا تزال على قيد الحياة ولم تكن **آني** ضريرة. لقد تغيّر الكثير من الأمور في وقت قصير، وأدركت أن العديد من الأمور ستتغيّر الآن. وخصوصاً إن انتقلت من شقتها. لم تكن متعلّقة جداً بشقتها، لذا لم تلقِ بالاً كبيراً لمسألة انتقالها. ولكنّ العيش مع

كاندي و**آني** سيكون تغييراً كبيراً عليها. فلقد عاشت بمفردها منذ تخرّجها من الجامعة، أي منذ ثلاث عشرة سنة تقريباً. سيكون الانتقال للعيش مع أختيها بمثابة خطوة إلى الوراء بالنسبة إليها. إذ ستفتقد إلى استقلاليتها، ولكن السبب كان وجيهاً. وأملت **سابرينا** أن تكون **آني** قد تكيّفت مع وضعها الجديد بعد سنة، لتصبح جاهزة للعيش بمفردها. وبعدها تتمكّن **كاندي** من العودة إلى شقتها الأنيقة، وتستطيع **سابرينا** أن تحصل لنفسها على شقة جديدة. ولكن في السنة المقبلة يجب أن تتحلّيا بروح رياضية وتساعدا **آني** على مواجهة التحديات الكبيرة التي تنتظرها، والتي تُعتبر عظيمة جداً.

غادرتا شقة **سابرينا** عند الساعة العاشرة إلاّ خمس دقائق. وفي الوقت الذي كانتا تركنان فيه السيارة في الشارع رقم 84، اتصلت بها **تامي** على هاتفها الخلوي، وقالت إنها تصعد في هذه الدقيقة على متن الطائرة.

"أتّصل لتوديعكما من جديد". كانت الفتيات قد أصبحن متعلقات ببعضهنّ البعض أكثر من ذي قبل في تلك الأيام، وكأنهنّ يحاولن التعويض عن الحلقة المفقودة. لقد هزّ غياب أمهنّ كيانهنّ بشدة.

قالت **سابرينا** وهي تطفئ محرك السيارة: "أتمنّى لك رحلة سالمة. إننا على وشك رؤية المنزل". "إذاً أخبريني عن هذا المنزل لاحقاً". شعرت **تامي** فجأة بأنها معزولة عنهما، وتمنّت لو كانت معهما.

"سأفعل". قالت لها **سابرينا** مشجّعة إياها: "اختاري شاباً ظريفاً على متن الطائرة".

"أنا لا أجلس إلاّ إلى جانب الكهنة، أو النساء المسنات، أو الأطفال المصابين بألم في آذانهم. هذا حظي".

ضحكت **سابرينا** عليها وقالت لها: "أنت مريضة".

"لا وإنما مصممة وحسب على أن أصبح عانساً. هذا قدري".

"في أحد الأيام ستتمشين لحظة غروب الشمس إلى جانب نجم سينمائي كبير، أو شاب وسيم من هوليوود، وتغيظيننا جميعاً".

"من فمك لأبواب السماء كما يقولون في لوس أنجلوس".

كانت **سابرينا** و**كاندي** واقفتين أمام المنزل عندها، وكانت السمسارة بانتظارهما، وكانت **تامي** جالسة على مقعدها في الطائرة.

"عليَّ الذهاب. سأتّصل بك لاحقاً. أتمنّى لكِ رحلة موفقة. أحبّك. إلى اللقاء". ثم أعطت الهاتف إلى **كاندي** حتى يتسنّى لها هي الأخرى توديعها، في الوقت الذي اقتربت منهما السمسارة مبتسمة. كانت امرأة تتّسم بالطول، وكان جسمها ممتلئاً بعض الشيء، وشعرها أشقر فاتحاً، وتضع الكثير من العطر، وقد شعّثتْ شعرها ليزداد حجماً. وبسبب خشونة صوتها أدركتْ **سابرينا** أنها من عداد المدخنات. كان مفتاح المنزل بين يديها. عرفتها **سابرينا** على **كاندي** بمجرد أن أنهت المكالمة، ثم فتحت السمسارة الباب، وأطفأت جهاز الإنذار، وأدخلتهما.

"سنرى إن كان المنزل سيعجبكما. لديَّ بضعة منازل أخرى أيضاً، في وسط المدينة ولكن أظنّ أن هذا المنزل سيناسبكما". أملت **سابرينا** أن توافقاها الرأي. بالتأكيد ستكون الفتاتان محظوظتين إن أعجبهما أول منزل يعاينانه. ف**سابرينا** تعتقد أن إيجاد منزل للسكن عبارة عن مصدر تعب لم تحبّه أبداً في حياتها. بدت **كاندي** أكثر استمتاعاً منها، ووجدت أن الأمر ممتع. حيث كانت تتجول في أرجاء المنزل، وتتفقّد كل غرفة فيه وتفتح كل الأبواب.

كان المدخل معتماً، ولون الدهان فيه أخضر ممّا بعث الكآبة في نفس **سابرينا**. ولكن الأرض كانت مرصوفة بالحجر الرخامي الأبيض والأخضر، كما ولاحظت وجود مرآة جميلة على الحائط، ولوحات صيد إنكليزية أعطت المدخل جواً بريطانياً. كان الصالون شرِحاً ومشمساً ويطلّ ناحية الجنوب، والمكتبة صغيرة ومظلمة وتحتوي على مدفأة صغيرة بدا

أنها تعمل، وجدرانها مرصوفة بالكتب، وقد وجدت **سابرينا** أنها سبق لها وقرأت العديد من الكتب الموجودة فيها. نظرت **كاندي** من حولها وابتسمت، وأومأت برأسها معلنة موافقتها ل**سابرينا**. لقد أعجبهما المنزل بعدما رأتا الطابق الأول فحسب. تبادلتا موافقتهما عبر الابتسام، وهزّ الرأس. كان دافئاً وجميلاً، وكان السقف عالياً، ويوجد حاملات مصباح جدارية عتيقة الطراز على مختلف الجدران. كان المنزل يتلقّى مقداراً كبيراً من النور الخارجي. وحتى بالنسبة لشخص طويل مثل **كاندي** كانت السلالم مناسبة.

نزلن إلى القبو لتفقّد المطبخ وغرفة الطعام. كان المطبخ حديث الطراز بما فيه الكفاية، ويسهل العمل فيه، ويحتوي على طاولة مستديرة جميلة، تتسع لثمانية أو عشرة أشخاص، وله منفذ إلى الحديقة، التي بدت مقبولة وإنما غير نظيفة. احتوت الحديقة على مقعدين للجلوس، وفناء مرصوف، وموقد فحم ثابت للشواء وقد بدا أنه استُعمل كثيراً من قبل. أدركت **سابرينا** أن **كريس** قد يحبّ ذلك. كانت غرفة الطعام أكثر رسمية، وجدرانها مطلية باللون الأحمر الداكن. ووجدت **سابرينا** أن المنزل يتّسم بلمسات احترافية جميلة في كل أرجائه، على الرغم من أنه بدا جلياً أن هذه اللمسات لم تُضف منذ فترة قريبة. ولكن أحبّت **سابرينا** هذه الناحية فيه. حيث لا يشعر المرء وكأنه يمشي في أحد المنازل المعروضة في المجلات. كان مكاناً مريحاً للسكن، ولم يكن محتشداً بالمفروشات. بحيث يمكن أن يتّسع لبعض مفروشاتها، وقد أحبّت الكثير من مفروشات المنزل. حتى أنها نوت أن تخزّن أغراضها في حال سُمح لها بذلك. ساد في المنزل جو رائع، واستطاعت أن ترى سبب تعلّق مالكه به ورغبته باسترجاعه. فقد كان مكاناً جميلاً للعيش. عبرّت **كاندي** عن حماستها بإطلاق صفرة عندما غادرت السمسارة الغرفة. قالت والحماسة بادية عليها: "لقد أحببته".

ابتسمت **سابرينا** وقالت: "أنا أيضاً". حتى الآن نال المنزل رضاهما.

كانت غرف النوم صغيرة، كما سبق وأخبرتها السمسارة، ولكنها مناسبة وفيها شبابيك جميلة، وستائر حريرية جيدة ذات ألوان فاتحة، بشرابات وربطات **أنيقة**. وكل غرفة تحتوي على سرير كبير الحجم أعجب **كاندي** وقد ينال إعجاب الأخريات أيضاً، خصوصاً إن دخل رجال في حياتهن. كما وأن السرير الكبير الحجم ضروري جداً **لكريس** لأنه فارع الطول. أما غرفة النوم الرئيسية فهي أكبر بقليل. والغرفة المحاذية لها صغيرة بعض الشيء، ولكن لم تكن الفتيات بحاجة إليها على كل حال، وستكون ممتازة كغرفة للضيوف. كانت غرفتا **كاندي** و**آني** تتسمان بالحميمية ومزينتين بطريقة جميلة. تحتوي الحمامات على أحواض استحمام. وكانت غرف النوم مطلية بألوان فاتحة وباعثة على البهجة، والحمامات مرصوفة بالرخام. نظرت **سابرينا** إلى السمسارة باندهاش، حيث إنه لم يكن في البيت شيء إلاّ ونال إعجابها. ووجدت أن **كاندي** أعجبت بالمنزل هي الأخرى. ففيه جوّ جميل وطاقة جيدة بحسب ما قالته **كاندي**. وكما أخبرتها السمسارة كان منزلاً ساحراً في عدة نواحٍ. سيكون ممتازاً لهنّ، وليس فيه أي شيء معقد يمثّل صعوبة بالنسبة **لآني**. كانت السلالم مباشرة وسهلة، وبدا المنزل مكاناً يسهل فيه التنقل حتى بالنسبة لشخص ضرير.

قالت **سابرينا** وهي تبتسم: "بينغو". كانت **كاندي** فرحة للغاية، وهزّت رأسها دلالة على موافقتها. قالت **لسابرينا** إن هذا المنزل قد أعجبها أكثر من شقتها. حيث وجدته أكثر دفئاً وحميمية. أما شقتها فمعقدة ومبهرجة وباردة بعدة طرق. بدت كصورة في المجلة وليست كمنزل. شعرت **كاندي** براحة أكبر هنا منذ اللحظة الأولى. إنه ذاك النوع من الأماكن الذي يدفع بالمرء إلى الرغبة بالجلوس على كرسي كبير ومريح والبقاء في

المنزل. ففيه جو رائع. ويُؤمل أن يكون مكاناً ملائماً **لآني** أيضاً، بمجرد أن تستوعب ما حلّ بها، ممّا لن يأخذ وقتاً طويلاً. كان منزلاً صغيراً يضمّ غرفتين من الحجم الكبير نوعاً ما في كل طابق.

سألت **سابرينا** أختها باحترام: "ما رأيك؟" كانت تدرك رأيها في المنزل حيث إن **كاندي** كانت موافقة تماماً.

"أنا أقول نعم. فلنتمسك به. بوسعي جلب **زو** إلى هنا، صحيح؟" فهي لم تكن تذهب إلى أي مكان دون كلبتها، على الرغم من أنها تركتها مع والدها في ذاك الصباح. فقد خشيتْ أن تشعر بالحرّ الشديد في السيارة، كما وأنها كانت تسلّي **بولا**، التي بقيت في منزل والديها أيضاً. فضلاً عن أن **سابرينا** لم تشأ أن تخيف السمسارة بكلبة أكبر. أضف إلى أن **بولا** كانت تصاب بالدوار لدى ركوب السيارة، لذا لم تكن مرافقتها لهما ممتعة.

عرفت **سابرينا** من السمسارة أن المالك لا يمانع بوجود الكلاب.

"سألته هذا الصباح وقال إنه لا بأس بوجود الكلاب. لم يقل حتى كلاباً صغيرة. قال كلاب فحسب. كما ولم يحدّد أيضاً عددها لأنه كان يمتلك كلبين". بدا البيت وكأنه مبني خصيصاً لأجلهنّ بكل الطرق، حيث إنه يتّسم بالدفء، والحميمية، والراحة، والجمال كما وأن سعره مناسب جداً. كانت **كاندي** قد قرّرت أن تؤجر شقتها مفروشة، ممّا يدفع بالمستأجر إلى الرغبة بها أكثر. كانت ستعرضها في السوق في ذاك الأسبوع. وقد كانت الشقق الموجودة في المبنى تؤجّر طيلة الوقت بأسعار خيالية لذا ستجني الكثير من المال من ايجار شقّتها. وقد كان بدل ايجار المنزل في الشارع الرابع والثمانين الشرقي قليلاً نسبياً.

قالت لها **سابرينا**: "سنأخذه. متى يصبح متوفراً لنا؟"

"في الأول من آب". فنظرت الفتاتان إلى بعضهما البعض. كان ذاك الموعد مبكراً، ولكنه على الأرجح مناسب جداً. إذ لا يزال أمام **سابرينا** وقت لإنهاء عقد استئجار شقتها، ولكنها حسبت أن بوسعها ذلك مقابل دفع

بعض المال. كانت **آني** ستخرج من المستشفى بعد أسبوع. وستمضي أسبوعاً أو أسبوعين في منزل والدها. وبمجرد أن تجهّز **سابرينا وكاندي** المنزل فسيكون بوسعها الانتقال إليه.

أكّدت **سابرينا** للسمسارة: "يناسبنا هذا الموعد". ستنشغلان جداً بمساعدة **آني**، وبالعناية بوالدهما، وبالانتقال إلى منزل جديد. أدركت **سابرينا** فجأة أنه من حسن الحظ قيام **كاندي** بإخبار الوكالة بأنها ستأخذ شهر آب عطلة. إضافة إلى باقي تموز. كما أنه كان يتوجّب على **سابرينا** العودة إلى عملها في الأسبوع المقبل، لذا ستغرق في عملها كالعادة بمجرد أن تعود إليه. عرضت السمسارة عليهما قائلة: "بوسعي أن أحاول إقناع المالك بتسليمه لكما في وقت أبكر إن أردتما. أعتقد أنه يسكن في منزل الشاطئ خاصته، وسيغادر إلى أوروبا بعد أسبوعين".

وافقت **سابرينا** وقالت: "لعلّها فكرة جيدة. فنحن نحتاج إلى الانتقال قريباً جداً. إذ ستخرج أختي من المستشفى بعد أسبوع". سألتها السمسارة وهي متفاجئة: "هل هي مريضة؟"

قالت **سابرينا** بحزن وهي غير راغبة بإعطائها التفاصيل: "لقد تعرّضت لحادث نهار الرابع من تموز. وفقدت بصرها".

"آه أنا آسفة عندما قلتِ إنها ضريرة، لم أدرك أنها فقدت بصرها منذ وقت قريب، حسبت... هل ستنتقلن أنتن الثلاث إلى هنا للعيش سوياً؟"

"إلى أن تعتاد على وضعها. ستجد صعوبة شديدة في التكيّف مع وضعها الجديد". قالت المرأة متعاطفة معها: "بالتأكيد أتفهّم وضعها". ومالت أكثر إلى المساعدة. "سأتكلّم مع المالك وأرى ما ردّه". تابعت وقد بدا عليها التأثر: "إنه لطف منكما أن تنتقلا للعيش معها". كان طبعها الحاد بعض الشيء قد أصبح أكثر ليونة على الفور، واختفى في وجه ما كانتا تفعلانه لأجل أختهما.

قالت **كاندي**: "بالطبع فنحن أخوات".

قالت السمسارة: "ليست جميع الأخوات متقاربات مثلكنّ، فأنا لم أرَ أختي منذ عشرين سنة".

قالت **كاندي**: "كم هذا مؤسف".

سألتها **سابرينا**: "ما هي الأوراق التي يجدر بنا توقيعها؟"

"إنه عقد إيجار عادي، يجدر بك دفع إيجار الشهر الأول والأخير، ودفعة العربون. لا أحسبه يودّ دفعة كبيرة. سأدوّن لكِ المعلومات كلها، وأرسلها إلى مكتبك".

"لن أتواجد في المكتب هذا الأسبوع. أنا في كونيتيكيت في منزل أبي. وبوسعي المجيء إلى هنا وأخذ الأوراق".

"سأجهّزها لك في الغد".

قالت **سابرينا**: "حسناً". أرادت أن تمضي ليلة مع **كريس** على كل حال، وبوسع **آني** أن تتحمّل المسؤولية لليلة واحدة. "هل تحتاجين إلى تواقيعنا كلها؟"

"سأكتفي بتوقيعك في الوقت الحالي. بوسعنا إضافة توقيعي أختيك عندما تأتيان إلى هنا، تسهيلاً للأمر عليكنّ".

"جيد. سأجلب لكِ أختيّ في الأسبوع المقبل". تصافحتا بعد إتمام الصفقة، وأعادت الأختان التجوّل في المنزل مرة أخرى، حتى أنهما أعجبتا به أكثر في المرة الثانية. بعد خمس دقائق عادتا إلى السيارة والسعادة في أعينهما. لم تطيقا صبراً لإخبار **آني**. اتصلت **سابرينا بكريس** من السيارة وفرح لأجلهما. قال إنه متحمّس لرؤية المنزل. وكانت ستخبران **تامي** بمجرد أن تحطّ طائرتها.

كان والدهما خارج المنزل عندما وصلتا، بالرغم من أنه قد أخذ إجازة لعدة أسابيع من عمله. حضّرت **سابرينا** الغداء، الذي لم تأكل منه **كاندي**، وقد أنّبتها على ذلك.

"أنت لا تعملين الآن. لست مضطرة إلى التضوّر جوعاً".

"لستُ أتضور جوعاً. أنا لست جائعة فحسب. بسبب الحر".

"أنت لم تتناولي طعام الفطور أيضاً". بدت **كاندي** منزعجة، ونهضت لتجري بعض الاتصالات على هاتفها الخلوي. إذ لم تكن تحبّ أن تسمع تعليقات أحد حول ما تأكله أو ما لا تأكله. كان ذلك موضوعاً حساساً بالنسبة إليها ولطالما كان كذلك لسنوات. حتى أنها كانت تغضب من أمها عندما تأتي على ذكر هذا الموضوع. كانت قد بدأت بذلك من عمر السابعة عشرة، عندما انطلقت في مهنة عرض الأزياء.

عند الساعة الثانية، ذهبتا لرؤية **آني** في المستشفى، وعندما وصلتا وجدتاها نائمة. فاستفاقت عندما سمعتهما تدخلان الغرفة.

قالت **سابرينا**: "نحن أختاك". وابتسمت في وجهها، ولكن لم تقوَ **آني** على رؤيتها وإنما استطاعت سماع الحماسة في صوتيهما.

"أعلم أنكما أتيتما، إذ بوسعي اشتمام عطرك، كما سمعت صوت الأساور في يد **كاندي**". لم تعلّق **سابرينا**، ولكن بطريقة ما كانت **آني** تتكيف بشكل غريزي مع مسألة عجزها عن النظر ممّا بدا أمراً جيداً، إن صح التعبير. بدا أن سمعها وحواسها الأخرى باتت أكثر دقة.

قالت لها فرحة: "لدينا مفاجأة لك".

قالت **آني** وهي متجهمة الوجه: "هذا لطيف. ففي الآونة الأخيرة لم تكن المفاجآت سارّة جداً". بوسع الجميع موافقتها على هذا الرأي. ولكنهما أملتا أنها في حال سمعت عن المنزل فستدخل بعض البهجة قلبها. "ماذا كنتما تفعلان؟" قالت لها **سابرينا**: "لقد عدنا لتوّنا من المدينة". توجّهنا مباشرة إلى هناك بعد مغادرة **تامي**. وقد طلبتْ منا أن نقبّلك نيابة عنها، إليك القبلة". ابتسمت **آني**، وانتظرت باقي الحديث. "ذهبنا لرؤية منزل".

"منزل؟" بدت فجأة مرعوبة. "هل سينتقل أبي إلى المدينة؟" لم تشأ أن يتغيّر كل شيء بهذا الوقت القصير. فقد كانت تحبّ منزل والديها، وتحبّ الإقامة حينما تأتي للزيارة. لذا لم تشأ أن يبيعه، وأملت ألاّ يفعل.

أكملت **سابرينا** كلامها: "بالطبع لا. ذهبنا لنبحث عن منزل لنا".

"هل ستتزوّجين **كريس** أو ستنتقلان للعيش سوياً؟" بدت مرتبكة، فضحكت **سابرينا**. كان الحصول على المنزل المثالي لهنّ من المرة الأولى بمثابة انتصار كبير.

"لا، ليس الآن على كل حال. هذا المنزل لك، ولي، **ولكاندي**. سنعيش فيه مدة سنة إلى أن تنظّمي حياتك... وحسناً... حتى تعتادي على الأمور". حاولت أن تكون دقيقة في كلامها. "وبعد سنة من الآن يمكنك أن تقرّري ما تودّين فعله في حياتك. إذ بوسعك التخلّص منا إن شئت. أو بوسعنا استئجار منزل آخر. إنه ظريف جداً. ويقع في الشارع الرابع والثمانين الشرقي".

"ماذا عساي أفعل هناك؟" بدت حزينة وفاقدة للأمل.

"ربما ترتادين مدرسة ما. ستفعلين خلال هذه السنة كل ما يتوجّب عليك فعله للحصول على استقلاليتك". حاولت **سابرينا** أن تغفل أمر التغييرات التي يتوجّب عليها إحداثها. إذ لم تكن الفتيات مدركات لحقيقة هذه التغييرات بعد. فهنّ بانتظار خطة علاجها ليعلمن متى ستخرج من المستشفى.

"كنت أتمتّع بالاستقلالية منذ أسبوع فحسب. والآن في هذه الحالة سأصبح أشبه بطفلة في الثانية من عمرها".

"لا لن تكوني كذلك. نريد أن نكون شريكتين لك في السكن يا **آني** وليس سجّانتين. بوسعك الدخول والخروج إلى المنزل متى يحلو لك".

"وكيف برأيك سأفعل ذلك؟ بعصا بيضاء؟" وفاضت الدموع من عينيها. "أنا أجهل كيفية استخدامها". عندما قالت هذا الكلام خطر للأخوات الثلاث منظر الأشخاص الذين يحاولون عبور الشارع وسط زحمة السير ويحتاجون إلى من يساعدهم. "أفضّل الموت على ذلك. ربما سأكتفي بالبقاء في منزل أبي". بدا كلامها أشبه بقبلة الموت

بالنسبة إليهما. حتى والدهنّ سيعود إلى عمله في الأسابيع المقبلة، وستبقى وحدها في المنزل طيلة النهار، غير قادرة على الحركة. "سيقتلك الضجر هناك. ستكونين أفضل حالاً في المدينة معنا". بوسعها على الأقل أن تستقل سيارات الأجرة للتنقل.

"لا لن أفعل. سأكون عبئاً عليكما. ربما إلى الأبد. لِمَ لا تضعونني في مصحّة ما وتنسون أمري؟"

"ربما كان هذا الأمر سيعجبني عندما كنتُ في الخامسة عشرة من عمري وحين كنتِ في السابعة. ولكنني أظنّ أن الأوان قد فات على ذلك. هيا يا **آني**. دعينا نحاول بذل أفضل ما بوسعنا. سيكون العيش سوياً ممتعاً للغاية. ستؤجّر **كاندي** شقتها لمدة سنة، وأنا سأنهي عقد إيجاري. وبوسع **تامي** أن تأتي لزيارتنا في عطل نهاية الأسبوع. انظري إلى هذه الفرصة. إننا نواصل التكلم عن مدى اشتياقنا لبعضنا البعض. ربما هذه ستكون الفرصة الوحيدة لاجتماعنا سوياً. لمدة سنة. سنة واحدة. من ثم نكبر جميعاً إلى الأبد".

هزّت **آني** رأسها وهي مستلقية في سريرها ويبدو عليها التجهم. "أريد العودة إلى إيطاليا. أنا أحاول الاتصال **بتشارلي**. بوسعه السكن معي في منزلي. لا أريد العيش هنا".

حاولت **سابرينا** إقناعها بالمنطق: "أنت لا تودّين التواجد في فلورنسا بمفردك".

كانت بالفعل فكرة يمكن أن يُكتب لها النجاح في حال وافقت **آني** عليها. وقد بات **تشارلي** نسياً منسياً. إنها لم تدرك هذا الأمر، ولم ترغب **سابرينا** أن تكون هي الشخص الذي يخبرها بذلك. كانت **آني** تحاول طيلة الصباح الاتصال به على هاتفه الخلوي. ذكرت ذلك **لسابرينا**، وتساءلت أختها ما إذا كان قد أوقف هاتفه الخلوي خشية اتصالها به. فهي تتوقّع منه ذلك بعد الحديث الذي دار بينهما في الأسبوع الماضي.

قالت **آني** بغضب: "لا أريد العيش معكما وكأنني معاقة، لا أقصد أن أكون غير ممتنة، ولكنني لا أريد أن أكون الأخت الضريرة التي يأسف الجميع لحالها ويتوجّب عليكما أنتما الاثنتان الاعتناء بها".

قالت **كاندي** بطريقة عملية: "أنا لا أستطيع ذلك على أي حال. فأنا كثيرة السفر. و**سابرينا** في عملها. عليك أن تتعلّمي كيفية العناية بنفسك. ولكن بوسعنا مساعدتك".

"لا أريد المساعدة. أريد فحسب أن أذهب إلى مكان ما بمفردي. كما ولديّ شقة في فلورنسا. لست بحاجة إلى منزل في نيويورك".

قالت **سابرينا** محاولة أن تكون أكثر صبراً معها: "**آني**، بوسعك أن تعيشي في أي مكان في العالم بمجرد أن تتكيفي مع وضعك. ولكن قد يحتاج ذلك إلى بعض الوقت. ألا تعتقدين أنه من الأفضل لك أن تسكني معنا في البداية؟"

"لا سأعود إلى فلورنسا وأعيش مع **تشارلي**. إنه يحبّني". قالت هذا الكلام بثقة وقد انفطر قلب **سابرينا** عليها. فهو لم يكن يحبّها. ولم يكن بوسعها العودة إلى إيطاليا بمفردها. ليس بعد، على أي حال، وربما ليس بعد أشهر طويلة إن لم يكن للأبد.

"ماذا لو لم يرغب **تشارلي** بذلك. ماذا لو عجز عن التعامل مع الأمر، أو بدا أن الأمر يفوق قدرته؟ ألا تفضلين لو تجرّبين حظك معنا؟"

"لا، أفضّل البقاء معه".

"أتفهّم ذلك. ولكنك ستصعّبين الأمور عليه. نحن عائلتك. وهو ليس فرداً من هذه العائلة. كما ويوجد بعض مراكز إعادة التأهيل الممتازة للأشخاص الفاقدين للبصر في نيويورك".

صرخت **آني** في وجهها: "لا أريد ارتياد مدرسة للعميان. أستطيع التكيّف بنفسي". ثم عادت للبكاء من جديد، وكانت **سابرينا** توشك على البكاء هي نفسها من جراء الإحباط.

"لا تـزيدي مـن صعوبة الأمر على نفسك. هيا يا **آني**. سيكون هذا الأمر صعباً بما فيه الكفاية. دعينا نساعدك".

قالت **آني**: "لا". واستدارت بظهرها إلى الناحية الأخرى في سريرها.

تبادلت **سـابرينا** و**كاندي** نظرة طويلة ولم تقولا شيئاً. صرخت قائلة: "لا تنظـرا إلى بعضكما البعض بهذه الطريقة". فقفزت **سابرينا** من مكانها حينما قالت هذا الكلام.

"بـات لـديكِ الآن عيـنان في مؤخرة رأسك؟ لقد أدرتِ لنا ظهرك. واعذريـني علـى مـا سأقوله ولكنك ضريرة، لذا أنّى لك أن تعرفي ماذا نفعل؟"

قالت **آني** بغضب: "أنا أعرف". وضحكت **سابرينا**.

"أتعلمين ما تزالين تتصرّفين كطفلة مدللة مثلما كنت في السابعة من عمرك. عندما كنت تتجسّسين عليّ أيتها الحمقاء، وتذهبين مباشرة إلى أمي لإخبارها".

"وكذلك كانت **تامي**".

"أعلـم ولكـنك كـنت أسوأ. وهي لطالما صدقتك، حتى عندما كنتِ تكذبين".

بقـيت **آنـي** تديـر لهما ظهرها ولكن تمكّنت **سابرينا** من سماعها تضحك في سريرها.

"إذاً هـل ستواصـلين الـبقاء كطفلة مدللة أو ستتعقلين؟ وجدت أنا و**كانـدي** منـزلاً رائعاً وأعتقد أنك ستحبّينه. نحن جميعاً سنحبّه. وسيكون عيشنا سوياً أمراً ممتعاً".

"لن أشعر بالمتعة أبداً من جديد".

قالـت **سـابرينا** بعـناد: "أشكّ بذلك". لم تطق صبراً حتى تكلّمها الطبيـبة النفسية. ف**آني** بحاجة إليها جداً. جميعهنّ كذلك. ربما تخبرهنّ مـا علـيهنّ فعله مع **آني**. "سأوقّع عقد الإيجار غداً مساء. وإن خسرنا

هـذا المنـــزل بسبب مزاجك السيئ سأغضب منك كثيراً". كان لديها الحق بما هو أكثر من المزاج السيئ، ولكن تصوّرت **ســابرينا** أنه ربما فـي حـال قست عليها فسيكون ذلك لصالحها. جلّ ما أرادت فعله هو ضـمها إلى صدرها، ولكن ربما أرادت **آنـي** ما هو أقوى من ذلك. ما استطاعتا السماح لها بالاستغراق في الشعور بالأسف على نفسها بالرغم من صعوبة هذا الأمر عليهما.

"سـأفكر فـي الأمـر". هـذا كل ما استطاعت **آني** قوله، ورفضت الاستدارة ناحيتهما. "غادرا الغرفة واتركاني وحدي".

قالت **سابرينا** وهي تبدو مصدومة: "هل تعنين ما تقولينه؟" ولم تتلفّظ **كاندي** بكلمة. فهي لطالما كرهت مزاج **آني**. كانت **آني** بالنسبة إليها الأخت الكبيـرة التي تسبّبت لها بالكثير من المصاعب خلال الطفولة. كان الفارق العمري بينهما خمس سنوات.

قالت **آني** بحزن: "نعم". وقد كانت تشعر وكأنها تكره العالم أجمع.

بقيت **سابرينا** و**كاندي** لمدة نصف ساعة أخرى، وحاولتا إخراجها من مـزاجها الـسيئ ولكـن دون جدوى. وفي النهاية امتثلتا لكلامها وغادرتا الغـرفة، ووعدتاها بالعودة في وقت لاحق في حال اتصلت بهما، وأرادت منهما العودة، أو ستعودان في اليوم التالي.

تكلّمـت الأخـتان فـي الأمر لدى عودتهما إلى المنـزل. اعتقدت **سـابرينا** أن غـضبها ربمـا يعتبر إشارة جيدة. فلم يكن لديها من تصبّ غـضبها عليه سواهما. في الواقع كانت تنتفض على القدر الذي سلب أمها منها بلمح البصر وتركها ضريرة. كان قدراً قاسياً جداً.

سألتها **كاندي** والقلق في عينيها: "ماذا عسانا نفعل بالمنـزل؟ ماذا لو رفضت الانتقال للسكن معنا؟"

قالت **سابرينا** بهدوء: "سترضى. ليس أمامها أي خيار".

شعرت **كاندي** بالأسف لحالها من جديد وقالت: "كم هذا محزن".

"نعم بالفعل. الأمر برمته محزن. لها ولأبي ولنا. ولكن علينا أن نبذل جهدنا لتحسينه". كانت لا تزال متحمسة للمنزل الذي وجدتاه. كان مناسباً جداً لهنّ. قالت **سابرينا**: "ستقتنع". وهي آملة جداً بذلك.

عندما وصلتا إلى المنزل، وجدت **سابرينا** رسالة لها من الطبيبة النفسية. أعادت **سابرينا** الاتصال بها، وأخبرتها بما حدث، ووافقت على المجيء من المدينة لرؤية **آني**. قالت إن مقرّ عملها في نيويورك، ولكن تحت ظروف معينة، كانت تقوم بالاستثناءات وتزور المرضى في أماكن سكنهم. وقد بدت ظروف **آني** خاصة بما فيه الكفاية بالنسبة لها. وعدت أن تأتي نهار الأربعاء، وتشجّعت لدى علمها أنهنّ سينتقلن إلى نيويورك بعد أيام. كان لديها متسع من الوقت لتأخذ **آني** كمريضة لها، وبدت مهتمة بحالتها. ارتاحت **سابرينا** وقالت إنها بدت لطيفة على الهاتف. كان جراح **آني** قد أوصى بها بثقة تامة.

كانت **سابرينا** قد تركت رسالة على هاتف **تامي** الجوال تقول لها فيها إنهما أخذتا المنزل. وأمضت بقية فترة بعد الظهر وهي تردّ على الاتصالات التي تلقّتها وتدوّن الملاحظات. اتصلت بمكتبها وتفقّدت الأمور، من ثم اتّصلت بمؤجّرها، وتكلّمت معه بشأن إنهاء عقد إيجارها لشقتها. بدا ذلك إجراء بسيطاً بالنسبة إليها. شرحت له ظروفها وتعاطف معها وساعدها.

لم تعودا إلى زيارة **آني** حتى اليوم التالي. عندما وصلتا إليها، كانت ممرضة تقوم بتمشيتها في الرواق ولم تبدُ **آني** سعيدة. شعرت بهما قبل أن تلقيا التحية عليها. فأخذت عندها بيد **سابرينا**، وعادت الفتيات إلى الغرفة. بدت متوترة وقلقة بشأن ارتطامها بالأشياء أمامها. بعد أن رأتها أختاها خارج غرفتها أدركتا أكثر من ذي قبل كم أنها باتت معرّضة للأخطار. كانت أشبه بسلحفاة من دون ترسها. كانت هادئة جداً عندما عادت إلى غرفتها، ثم أخبرتهما أخيراً. كانت قد تكلّمت مع **تشارلي**. بدت حزينة لحظة أخبرتهما، وعلمتا السبب.

"كان في اليونان، وقال إن هاتفه كان خارج نطاق الإرسال حتى لحظة اتصالها". تردّدت لوهلة ثم أكملت. "قال إنه تعرّف على فتاة أخرى. هذا ظريف أليس كذلك؟ تركتُ فلورنسا قبل أقل من أسبوعين وكان حينها غارقاً في حبي بجنون. وفي غضون أيام التقى بفتاة أخرى. بدا دنيئاً على الهاتف. لم يرد التكلم. أحسبه ذهب إلى اليونان برفقتها". انهمرت دمعتان على وجنتيها عندما قالت هذا الكلام ومسحتهما **سابرينا** بلطف.

"الرجال خسيسون في بعض الأحيان. أعتقد أن النساء خسيسات أيضاً. بوسع الناس أن يصبحوا خسيسين. ما فعله بك عملاً دنيئاً". حتى أنه كان أكثر دناءة ممّا كانت تعرف.

"نعم بالفعل. لم أخبره أنني فقدت بصري، لذا لم تكن مسألة إصابتي بالعمى هي السبب. إلاّ أنني أخبرته عن الحادثة، وعن وفاة أمي. ولكنني قلت إنني على ما يرام. لم أرده أن يشعر بالأسف عليّ. لو أن الأمور ظلّت على ما يرام بيننا لكنت أخبرته. حتى يقرّر إذا ما كان الأمر يناسبه. ولكن لم يتسنَ لي أبداً ذلك. أخبرني بمجرد أن أجاب على الهاتف". بعد الاستماع إليها قرّرت **سابرينا** أن ما حصل أفضل لها. وقد سُرَّت لأنها اتصلت به مسبقاً وأعلمته. لو أن **آني** أخبرته وصدها على الهاتف لكان الوضع أسوأ. بهذه الطريقة تظنّ أنها قد هُجرت مثل أي شخص آخر بسبب الحظ السيئ، وسوء تصرف من قبله. ولن تكون الصدمة قاسية لأن الرجل ما عاد يريدها لأنها أصبحت ضريرة. كانت خسارته لمصلحتها. بدا واضحاً أنه شخص ليس صالحاً.

قالت **سابرينا**: "يؤسفني ما حصل يا **آني**". وقالت لها **كاندي** إنها ستلتقي بشبان آخرين وأنه ليس إلاّ شخص حقير.

"لن ألتقي أبداً بشبان آخرين في حياتي". قالت وهي تأسف لحالها: "لا أحد يريد امرأة ضريرة". قرّرت **سابرينا** ألاّ تخبرها بعد عن الطبيبة النفسية، ولكنها سُرَّت لأنها ستأتي لرؤية **آني**.

قالت **سابرينا** بلطف: "بلى ستحظين بالتعرف على شبان آخرين. فأنت لا زلت جميلة وذكية ولطيفة تماماً كما كنت من قبل. لم يتغيّر فيك أي من تلك المواصفات".

أضافت **كاندي**: "أتعلمان، يهجرني الشبان طوال الوقت". فضحكتا لما قالته. كان يصعب تصديق ذلك نظراً لشكلها الرائع. "العديد من الشبان الذين أخرج معهم سفلة. خصوصاً الشبان بمثل سني. إنهم يجهلون ماذا يريدون. يحبّونك اليوم ويريدون امرأة أخرى في الغد. أو أنهم يريدون اللهو معك فحسب أو حضور حفلة ما. هناك الكثير من الاستغلاليين في العالم". أدركت **سابرينا** أن هذا على الأرجح من أبرز سمات حياة **كاندي**. يريد العديد من الأشخاص استغلالها. وكانت لا تزال صغيرة في السن لتقوى على السيطرة على ذلك. وكانت **تامي** تواجه صعوبة أيضاً مع الرجال في مثل سنها أو من هم أكبر سناً منها. أحياناً يكون التعامل مع الرجال صعباً في أي سن كانوا.

"أنتما الاثنتان تشعرانني بالسعادة لكوني ما عدت صغيرة في السن. كنتُ قد نسيت سفالة الشبان في عمر العشرينيات. خرجت مع بعض الشبان الخرقى قبل أن ألتقي **بكريس**". بعد ذلك تحدثت **كاندي** و**آني** عن أهوال المواعدة، ولكن استطاعت **سابرينا** أن ترى الحزن في عيني **آني** وراء المزاح. أن يهجرها **تشارلي** مباشرة بعد إيجاده لامرأة سواها حسبما زعم هو بمثابة صدمة لها وخصوصاً الآن. كانت واثقة تماماً أنه رجل أحلامها. كانت تقريباً مستعدة للعودة إلى نيويورك لأجله. ولكن لم تذكّرها **سابرينا** بذلك.

"لن يضرك شيء إن سكنت معنا لفترة من الوقت. كما أنه سيكون أمراً ممتعاً".

قالت **آني** بعناد: "لن يكون ممتعاً. لن أشعر بأية متعة في حياتي بعد الآن".

"قولي لي ذلك بعد ستة أشهر عندما تواعدين رجلاً آخر".

قالت **آني** بحزن: "لن يكون هنالك أي رجل آخر في حياتي". وقد رأت كلتاهما أنها تقصد فعلاً ما تقوله.

قالت **سابرينا**: "حسناً. أنا أقبل هذا التحدي. اليوم هو الرابع عشر من تموز. أراهنك على مئة دولار أنك بعد ستة أشهر من الآن، أي في الرابع عشر من كانون الثاني، ستكونين إما تواعدين شاباً منذ فترة أو أنك ستكونين قد بدأت بمواعدته. أراهن بمئة دولار على أنك ستواعدين من جديد، و**كاندي** شاهدة على الأمر. ستدينين لي بمئة دولار يا **آني** لذا حريّ بك أن تبدئي بادخار المال". "لكِ ذلك يا أختي. أراهنك أنني بعد ستة أشهر أو ست سنوات لن أكون قد خرجت بموعد غرامي بعد".

قالت **سابرينا** بحزم: "الرهان على ستة أشهر. إن رغبت برهان لمدة ست سنوات سأفرض عليك مبلغاً أكبر من المال. لن تستطيعي تحمّل كلفته. خذي رهان الستة أشهر. وتذكّري أنك ستدينين لي بمئة دولار. هذا على وجه التأكيد".

كانت **آني** مستلقية في السرير وتبتسم. كانت مكتئبة بسبب **تشارلي**، ولكنها استمتعت بالتواجد مع أختيها. فلقد جعلتاها تشعر بتحسن. كانت **تامي** قد اتصلت بها عندما عادت إلى لوس أنجلوس في الليلة السابقة، وحتى أنها دفعتها إلى الضحك إثر إخبارها قصصاً عن **خوانيتا** وعن شاب مجنون كانت قد جلست بالقرب منه على متن الطائرة. وبعد فترة قصيرة تركتاها وعادتا إلى المنزل. قبل مغادرتهما المستشفى، أخبرتها **سابرينا** أنها ستذهب إلى المدينة لتوقّع أوراق الإيجار.

قالت: "لم أقل بعد إنني موافقة". وكانت لا تزال مكتئبة على الرغم من أن حالتها تحسّنت قليلاً عما كانت عليه لدى وصولهما. كانت غاضبة من **تشارلي** وقد حقّ لها ذلك. ولكنها على الأقل باتت الآن غير متسرعة للعودة إلى فلورنسا. حيث إن تواجدها هناك وحدها وهي ضريرة سيكون مستحيلاً عليها، وقد أدركت ذلك بنفسها. ولكنها أصرّت على عدم التخلي

عن شقتها في فلورنسا. طلبت منها **سابرينا** مناقشة هذا الأمر مع والدهن. فهذا الأمر يعود له، وأدركت أن شقة **آنـي** هناك كانت من النوع الرخيص لذا ربما يسمح لها بالاحتفاظ بها.

قالـت لهـا **سـابرينا**: "حسناً في حال لم تنتقلي للسكن معنا، عندها سـأعيش **وكانـدي** سوياً وستفوتين ذلك عليك". ابتسمت **آني** بتمهّل عندما قالت لها هذا الكلام.

"حسناً حسناً سنرى. سأفكّر في الأمر".

قالت **سابرينا** عندما كانت تهمّ هي **وكاندي** بالوقوف للمغادرة: "أعدك بـشيء واحـد يا **آني آدامز**. إن لم تأتِ للعيش معنا ستفوتين عليك فرصة عمرك. فأنت لن تجدي مثيلاً لنا لتسكني معه".

"لا لـستِ كـذلك". ضحكت **آني** عليها، ونظرت مباشر إليها وكأن بوسعها رؤيتها.

"لقد عشت معكِ إلى أن بلغت العاشرة من عمري وأستطيع القول إنك مزعجة للغاية. **وكاندي** ليست أفضل حالاً بكثير. إنها الفتاة الأكثر فوضوية على وجه الأرض". فقد كانت جميع أخواتها يدركن أنها لطالما كانت كذلك لسنوات، ولكن بدا أنها تتحسّن في الآونة الأخيرة.

قالـت **كاندي** وهي تشعر بالمهانة: "لم أعد كذلك، كما وأننا سنحتاج إلى خادمة إن عشنا سوياً. فأنا لن أقوم بتنظيف المنـزل".

قالـت **آنـي** وهـي تبتسم: "يا إلهي خادمة أيضاً... بات الأمر الآن يـستحقّ التفكيـر فيه". قالت بسعادة: "سأعلمكما بقراري النهائي". وبدت وكأنها عادت إلى حالتها الطبيعية للمرة الأولى.

قالـت **سابرينا**: "حسناً فلتفعلي". وقبّلتها وخرجت من الغرفة **وكاندي** خلفهـا مباشـرة. اسـتدارت **سابرينا** لتغمز **كاندي** التي رفعت لها إصبع النصر. فقد كانت **آني** على وشك الموافقة. إذ لم يكن أمامها أي خيار آخر.

الفصل الثاني عشر

التقت الطبيبة النفسية **بآني** في المستشفى عصر الأربعاء كما وعدت، ثـم اتّصلت **بسابرينا** بعد لقائها بها. لم يكن بوسعها الإفصاح عن أي شيء قالـته **آني** بسبب سرية المهنة، ولكنها أخبرت **سابرينا** أنها تشعر بالرضا عـن لقائهما، كما وتنوي لقاءها من جديد، لمرّة إضافية في المستشفى قبل أن يُـسمح لهـا بالمغادرة، كما وترغب بلقائها بصورة منتظمة بعد انتقالها إلـى نـيويورك. حتـى الآن لم تكن **آني** قد أبلغت **سابرينا** بموافقتها على الانـتقال معهمـا إلـى المنـزل، ولكنها بدت وكأنها ستنتقل. وقد وقّعت **سابرينا** عقد الإيجار الليلة الماضية.

أعـادت الطبيبة النفسية التأكيد **لسابرينا** أن أختها لا تعاني من أية ميول انـتحارية أو اكتـئاب شديد. وإنما تمرّ في كل المصاعب العاطفية التي كانت مـتوقّعة لها بعد التعرّض لمثل هذه الصدمة القوية، التي خسرت بنتيجتها أمها وبـصرها. فقـد كانت صدمة مزدوجة ومؤلمة. لقد اقترحت عليها كما اقترح الجـراح أن تـنضمّ **آني** إلى برنامج لإعادة التأهيل الذي يعمل مع الأشخاص الفاقدين للبصر. ولكنها قالت إن الطبيب سيحول **آني** إلى هذا البرنامج قبل أن تعـود إلـى المنـزل. حتى ذاك الوقت، كانت الطبيبة راضية عن حالة **آني**. بالنسبة **لسابرينا** كان كلام الطبيبة جيداً بما فيه الكفاية.

كان اللقاء مثيراً للأهمية بالنسبة **لآني** على وجه التحديد، التي شعرت بالغـضب عندما دخلت الطبيبة النفسية إلى غرفتها، وعرّفتها بنفسها. حيث

قالت لها إن **سابرينا** اتصلت بها، فرفضت **آني** التكلم في البداية، وقالت إنها لا تحتاج إلى أية مساعدة، وإنها تبلي حسناً بمفردها.

أكّدت الطبيبة النفسية، **إيلين شتاينبرغ**، على كلامها وقالت: "أنا واثقة من ذلك. ولكن لن يصيبك مكروه إن تكلّمت معي". انفجرت **آني** في النهاية في وجه الطبيبة وقالت لها إنها لا تمتلك أدنى فكرة عمّا تمرّ به، وإنها لا تدري معنى أن يكون المرء ضريراً. فأجابت الطبيبة **شتاينبرغ** بهدوء: "على العكس، إنني أدرك ذلك تماماً. لقد سبق وفقدت بصري جرّاء تعرّضي لحادث سير مثلك تماماً، مباشرة بعد تخرجي من كلية الطب. لقد حدث ذلك منذ 24 سنة. فعشت سنوات عصيبة جداً إثر الحادث. إذ قرّرتُ التخلي عن مهنة الطب. كنت قد درستُ الجراحة لذا بدا جلياً أنه قضى على مستقبلي المهني. فليس هناك طلب كثير على الجراحين فاقدي البصر". ذهلت **آني** ممّا سمعت. "وقد كنت واثقة تقريباً من عدم وجود اختصاص آخر يستهويني. كنت أحسب أن علم النفس عبارة عن اختصاص للمعتوهين. فماذا عساي أفعل مع مجموعة من المجانين والعصابيين؟ أردت أن أكون جراحة قلب وهو عمل له وزنه في المجتمع. لذا جلست في منزلي، وانطويت على نفسي بضع سنوات، ودفعت بعائلتي إلى الجنون، وبدأت بالإكثار من الشرب ممّا عقّد الأمور كثيراً. أخيراً، أخبرني أخي كم أنني حمقاء، وأن الجميع ملّوا من شعوري بالأسف على نفسي، لذا يجدر بي الحصول على وظيفة والكفّ عن معاقبة الجميع بسبب التعاسة التي أغرقت نفسي فيها. لم أقوَ على فعل أي شيء. لم أكن أملك أدنى فكرة عن أية وظيفة عدا الطب. حصلت على وظيفة في شركة لسيارات الإسعاف، كنت أقوم بالإجابة على الاتصالات الهاتفية. وبنوع من الحظ حصلت على وظيفة ثانية على خط الانتحار الساخن، وقد أعجبني الأمر جداً، ممّا قادني إلى علم النفس. عدت إلى الدراسة، ودرست علم النفس. وبات الماضي نسياً منسياً. ثم التقيت بزوجي عندما عدت إلى

الدراسة، كان أستاذاً شاباً في كلية الطب. تزوّجنا وأنجبنا أربعة أطفال. أنا عادة لا أتكلّم عن نفسي بهذه الطريقة. أنا هنا للتكلّم عنك يا **آني** وليس عن نفسي. ولكنني ظننت أنك ستستفيدين في حال عرضت أمامك ما قد حصل لي. وسبب الحادث كان سائقاً سكّيراً، إذ صدمني بسيارته. فتمّ زجّه في السجن لسنتين. فيما فقدت بصري للأبد. ولكن في الواقع لو نظرنا إلى الأمر بطريقة أخرى لوجدنا أن هذا الحادث ربما كان نعمة عليّ. فقد انتهى بي الأمر باختصاص أحبّه، وتزوّجت من رجل أحبّه، وأنجبت أربعة أطفال رائعين".

قالت **آني** مندهشة: "كيف استطعتِ فعل كل هذا وأنت ضريرة؟" ولكنها لم تكن تتصوّر أنه من الممكن أن يحدث معها أي من هذا.

"المرء يتعلّم. ينمّي مهارات أخرى. إن الناس يقترفون الأخطاء سواء كانوا مبصرين أم فاقدين للبصر فهذا طبيعي. قد تكدّين أكثر من سواك في بعض الأحيان، وقد تصابين بخيبات الأمل، وينفطر قلبك مثل الأشخاص المبصرين. ليس هناك من فوارق جوهرية كبيرة في النهاية. وإنما تفعلين ما يتوجّب عليك فعله. لمَ لا نتكلّم حولك لبعض الوقت؟ كيف تشعرين الآن؟"

قالت **آني** بصوت يشبه صوت الأطفال: "خائفة". وبدأت الدموع تنهمر من عينيها. "إنني أفتقد إلى أمي. لا أنفكّ أفكّر أنه وجب عليّ محاولة إنقاذها، وأنني المذنبة في موتها. لم أستطع الإمساك بمقود السيارة. في الحقيقة لم يتسنَ لي الوقت". بدت حزينة جداً وهي تتكلّم.

"لا يبدو أنه كان باستطاعتك ذلك. لقد قرأت تقرير الحادث قبل مجيئي إلى هنا".

سألتها **آني**: "كيف قرأته؟"

"لقد طلبتُ ترجمته إلى طريقة برايل. يسهل جداً فعل ذلك. أنا أطبع جميع تقاريري بطريقة البرايل أي بالحروف النافرة، ثم تعيد سكرتيرتي طباعتها للأشخاص المبصرين".

تحدثتا لأكثر من ساعة، ثم تركتها الطبيبة **شتاينبرغ**. وقبل مغادرتها أخبرت **آني** بأنها ستعود للتحدث معها إن رغبت بذلك. قالت **آني** بلطف: "بالطبع، أودّ ذلك". شعرت وكأنها عادت طفلة من جديد تحت رحمة الجميع. وقد أخبرتها أيضاً عن **سابرينا** و**كاندي** اللتين تنتظران منها الانتقال للسكن معهما. سألتها الطبيبة **شتاينبرغ**: "ماذا تودّين أن تفعلي؟" فقالت **آني** إنها لا تودّ أن تكون عبئاً على أحد.

"إذاً لا تكوني. اذهبي إلى مدرسة ما. لتتعلّمي ما يجدر بك معرفته حتى يصبح بمقدورك الاستقلال عن غيرك".

"أعتقد أن هذا ما فعلته أنت".

"ولكنني أضعت الكثير من الوقت قبل ذلك فيما كنت غارقة في الأسف على نفسي. ولا أعتقد أنك بحاجة لفعل ذلك بنفسك، فأنت محاطة بعائلة مُحبة، كذلك كنت أنا، ولكنني عاقبت الجميع لمدة طويلة. آمل ألاّ تحذي حذوي. ففي ذلك هدر لوقت ثمين بالنسبة لك. ستستمتعين بوقتك من جديد إن فعلت ما احتجت إلى فعله. بوسعك أن تفعلي كل شيء تقريباً يقوم به المبصرون عدا مشاهدة التلفاز على ما أعتقد. ولكن عدا ذلك يبقى أمامك الكثير من الأمور التي يمكنك القيام بها".

قالت **آني** بحزن: "لم يعد بوسعي الرسم. "هذا جلّ ما أردت فعله في حياتي".

"أنا لم أستطع أن أكون طبيبة جراحة أيضاً. ولكنني أحببت علم النفس أكثر. ربما يوجد الكثير من الأمور الفنية التي يسعك القيام بها. يوجد لديك مواهب لا تدركينها بعد. ويكمن السرّ في إيجادها، وأن تقبلي بالتحدي الذي فرضه عليك القدر. لقد أُعطيتِ فرصة هنا، أن تكوني أكثر ممّا كنت عليه من قبل. ولديّ إحساس بأنك ستفلحين. ولا يزال العمر بأكمله أمامك، وأمامك الكثير من الأبواب التي لم تفتح، إن كنت مستعدة لبذل المحاولة". لم تجب **آني** لفترة طويلة من الوقت وهي تفكّر بكلامها.

وبعد دقائق معدودة نهضت الطبيبة **شتاينبرغ** لتهمّ بالمغادرة. فتمكّنت **آني** من سماع صوت عصاها وهي تطرق على الأرض.

"ألا تملكين كلباً؟"

"لديّ حساسية تجاه الكلاب".

"أنا أكره الكلاب".

"إذاً لا تحصلي على كلب. **آني** ما زلت تتمتّعين بمعظم الخيارات التي كنت تحظين بها من قبل وربما أكثر. أراك في الأسبوع المقبل".

هزّت **آني** رأسها موافقةً، وسمعتْ صوت إقفال الباب. أرجعت ظهرها إلى الوراء وتمدّدت على سريرها وهي تفكّر بكل ما قالته الطبيبة.

الفصل الثالث عشر

كانت الأسابيع الأخيرة مضنية جداً بالنسبة **لسابرينا**. فقد اعتنت بوالدها، وحاولت رفع معنوياته. أما **كاندي** فلم تقدّم المساعدة التي توقّعتها منها. إذ كانت لا تزال مشوشة، وغير منظمة، وحزينة جداً على وفاة والدتهنّ ممّا منعها من مساعدة **سابرينا** بالطرق التي كانت تحتاج إليها. فقد كانت **كاندي** لا تزال طفلة في كثير من النواحي، وباتت الآن تتوقّع من **سابرينا** أن تكون أماً لها. وقد بذلت **سابرينا** أقصى جهدها، حيث كان يصعب عليها ذلك جداً في بعض الأحيان.

بعد توقيع العقد، عادت **سابرينا** و**كاندي** إلى المنزل لتقرّرا أيّاً من الأثاث تودّان الاحتفاظ به. إذ يوجد العديد من القطع الجميلة التي أجمعتا على الإعجاب بها. كما ساعدت **سابرينا** **كاندي** على عرض شقتها للإيجار. كانت ستُعرض في السوق بعد ثلاثة أيام، وستعود بالربح الكثيرعلى **كاندي**. كانت ستحصل على الكثير من المال من جراء تأجيرها بحيث تتمكّن من تغطية نفقات الإيجار الجديد. كذلك تمكّنت **سابرينا** من إنهاء عقد إيجارها بأقل قدر ممكن من الغرامات. وقد باعت بعضاً من أثاث شقتها، ووضعت قطعاً أخرى في المخزن، وحدّدت ما ستحتاج إليه في المنزل الجديد. كانت **كاندي** قد أجّرت شقتها بأثاثها الكامل لذا لم تضطرّا إلى نقل أي شيء منها. طلبت **سابرينا** من **كاندي** أن تحجز موعداً في شركة نقل الأثاث في الأول من آب. وكان ذلك أمراً بوسعها فعله للمساعدة. وبين الأربعمئة اتصال التي وجب

عليها إجراؤها كانت **سابرينا** تزور **آني** يومياً. فقد كانت **آني** قد قرّرت الانتقال للسكن معهما بعد طول انتظار. وبعد ثاني لقاء لها مع الطبيبة شتاينبرغ، قالت **آني** لأختيها إنه في حال عاملتاها كطفلة أو دفعتا بها إلى الشعور بأن لا حيلة لها ولا قوة فلن تواصل السكن معهما. فوافقتا وقالتا إنهما ستحترمان مشيئتها، وستنتظران حتى تطلب منهما المساعدة إلاّ في حال كانت ستقع عن السلالم.

بحلول الأسبوع الثالث من تموز، وبعد أن غادرت **آني** المستشفى، كانت الفتيات الثلاث يشعرن بالحماسة تجاه المنزل والعيش سوياً من جديد بالرغم من السبب الذي سينتقلن إلى المنزل لأجله.

كانت أيام **آني** الأولى في منزل والدها صعبة. خصوصاً وأن تواجدها هناك دون أمها أمر جديد عليها. كانت أختاها قد تواجدتا في المنزل لثلاثة أسابيع من دونها. أما بالنسبة إلى **آني** فقد كان ذلك أمراً جديداً. كانت تعرف المنزل جيداً، لذا أمكنها التنقّل فيه بسهولة تامة، ولكنها كانت تتوقّع سماع صوت أمها في كل غرفة. فتحت خزانتها، ولمست ملابسها بيديها، وقرّبتها إلى وجهها. فشمت رائحة عطرها، وشعرت بها وكأنها موجودة في الغرفة. كان وجودها في المنزل محزناً جداً في بعض الأحيان، ويذكّرها مراراً وتكراراً بآخر ما أبصرته وهو مقود السيارة الذي كان ينزلق من يدي أمها، وهي تُقذف من السيارة. كانت هذه الذكرى تطارد **آني**، وكانت تتكلّم عنها في كل جلسة لها مع الطبيبة. إذ لم تستطع إخراجها من رأسها، ولم تتمكّن من الكفّ عن الشعور بأنه وجب عليها أن تقوم بأمر ما لمنع الحادث، ولكن لم يتسنَ لها الوقت. حتى أنها كانت تحلم بهذه المآسي ليلاً. أما خسارة **تشارلي** فلم تزد الأمور إلاّ سوءاً. بطرق معينة كانت سعيدة لانتقالها إلى نيويورك وليس إلى فلورنسا. إذ كانت بحاجة إلى انطلاقة جديدة. وكان والدها قد وافق على عدم التخلي عن شقتها لفترة من الوقت.

وُضِعت خطة علاجها حيّز التنفيذ مباشرة بعد مغادرتها المستشفى، حيث سبق وشرحها طبيب العيون **لسابرينا**. باتت **سابرينا** تشعر وكأنها والدة **آني** أكثر من كونها أختاً لها. لقد أصبحت مسؤولة عن الجميع الآن. فهي مسؤولة عن **آني**، وعن **كاندي** لأنها كانت لا تزال صغيرة في السن ولا تحمل أية مسؤولية في بعض الأحيان، وعن أبيها الذي بدا وكأنه يفتقر إلى القوة مع مرور كل ساعة. حيث إنه أضاع أشياء، وكسر أشياء أخرى، وجرح نفسه مرتين، ولم يقوَ على تذكّر أماكن أي شيء، أو ما هو أسوأ من ذلك، لم يعرف مكانها على الإطلاق. كانت **سابرينا** قد علّقت على هذا الأمر في اتصال هاتفي مع **تامي** في وقت متأخر من الليل في إحدى المرات قائلة إنه لا بدّ وأن أمها كانت تقوم بكل شيء له ما خلا مضغ طعامه. لقد اعتاد على الدلال، والرعاية المفرطة، والاتكالية. كانت أمهنّ الزوجة المتفانية له، ولكن **سابرينا** ليست على هذا الشكل. حاولت دفعه إلى القيام ببضعة أمور بنفسه، ولكن باءت محاولاتها بالفشل. كان يتذمّر كثيراً، ويتمتم باستمرار، ويبكي في أغلب الأحيان. تفهّمت **سابرينا** وضعه، ولكنها تحت ضغط كبير، إذ تقوم بالعناية به وبالجميع.

أراد طبيب **آني** منها أن تجري فحوصات إشعاعية بعد عملية الدماغ الجراحية، وقد نصحها بأن ترتاد مدرسة لفاقدي البصر في نيويورك لمدة ستة أشهر. كان قد قال لها **ولسابرينا** إن ذلك من شأنه أن يساعدها على التمتّع بالاستقلالية، بحيث تتمكّن من العيش بمفردها لاحقاً، وهو هدفهنّ النهائي. تجاهلت **آني** هذا الكلام لأيام، وما انفكّت تتجول في أرجاء منزل والدها مكتئبة. كانت تمتلك عصا بيضاء، ولكنها لم تستخدمها. فهي تتدبّر أمرها جيداً في منزل والدها، طالما أن أحداً لم يحرّك غرضاً من مكانه. كانت **كاندي** قد سحبت كرسياً من مكانه في غرفة الطعام وتركته على هذا الحال، وحينما كانت **آني** تتجول في الغرف وقعت فجأة على وجهها. فاعتذرت منها **كاندي** بشدة وهي ترفعها عن الأرض.

قالت **آني**: "لم يكن هذا ظريفاً!" وهي غاضبة منها، ولكن غاضبة أكثر من القدر الذي جعلها على هذا النحو. "لِمَ فعلتِ هذا؟"

"لقد نسيتُ... أنا آسفة... لم أفعل ذلك عن قصد". كانت **كاندي** تكثر من قول ذلك في صغرها وما زالت تفعل. فالنية هي جلّ ما يهمّها وليس النتيجة. وقد صمّمت **آني** على الاستحمام وحدها، ومنعت أختيها من دخول الحمام معها، بالرغم من أنها لم تكن تتحلّى بالخجل الشديد من قبل، مثل حال جميع الأخوات. حيث كان والدهنّ يأخذ الحيطة دوماً إذ لا ينزل لتناول طعام الفطور دون ارتداء الروب، وكذلك كانت أمهنّ، أما الفتيات فقد اعتدن على دخول الغرف والخروج منها بحثاً عن مجفف الشعر، والمقصات، ومزيل طلاء الأظافر، وبنطال نظيف، وصُدَيريّة مفقودة دون الحاجة إلى ارتداء كامل ملابسهنّ. أما اليوم فباتت **آني** ترتدي ملابسها كاملة وتدخل إلى الغرفة وتقفلها وراءها. في ثاني يوم لها في المنزل، فاض حوض الاستحمام في حمامها، وعندما تسرّبت المياه من خلال الثريا الموجودة في غرفة الطعام تحت الحمام مباشرة، أدركت **سابرينا** ما حصل، وهرعت إلى الطابق العلوي. طرقت الباب على **آني**، وبعد مناقشة معها سمحت لها بالدخول. فأوقفت **سابرينا** تدفّق المياه من صنبور الحوض وهي واقفة وسط إنشين من الماء في الحمام.

قالت **سابرينا** بهدوء: "الوضع ليس جيداً على ما هو عليه، أعلم أنك ترفضين المساعدة، ولكنك تحتاجين إليها. تحتاجين إلى تعلّم بعض الأمور التي تساعدك وإلّا فستدفعين بالجميع إلى الجنون". سألتها **سابرينا**: "ماذا عساي أفعل لأساعدك؟" وهي تنظّف الحمام.

صرخت في وجهها: "اتركيني وشأني فحسب". واحتجزت نفسها في غرفتها.

قالت **سابرينا** وهي غاضبة: "لا بأس". ولكنها لم تضف كلمة أخرى. كان عليها في النهاية أن تتّصل بالكهربائي، وبشركة السجاد كي تنشّف

السجاد، وبالدهان كي يرمّم ما تمّ إتلافه. كانت **آني** غاضبة من أختها ومن نفسها على حدٍّ سواء. لقد استغرق الأمر من **آني** حادثين آخرين على الأقل حتى بدأت تفكّر في موضوع ارتياد مدرسة في أيلول لتعلّم كيفية معالجة أمورها بشكل بنّاء على ضوء حالة فقدان البصر التي تعاني منها. حتى ذاك الوقت ادّعت بينها وبين نفسها أنها مجرد حالة مؤقتة وبوسعها تحمّل وزرها بمفردها. ولكنها لم تستطع. كان هذا القدر من الحوادث يكفيهم جميعاً، وكان غضبها فوق ذلك كله أكثر ما أرهقهم. إذ باتت إنسانة جديدة لم يعهدوها من قبل. حتى أنها لم تسمح **لسابرينا** أو **لكاندي** أن تسرّحا لها شعرها، وفي الأسبوع الثاني لتواجدها في المنزل، قصّته بنفسها. وكانت النتيجة كارثية، حيث وجدتها **سابرينا** جالسة في غرفتها على الأرض تبكي وشعرها الكستنائي الطويل منتشر حولها. بدت وكأنها تعرّضت لهجوم بمنشار، وعندما رأتها **سابرينا** ألقت بذراعيها حولها وبكتا سوياً.

قالت **آني** بعد جهد وهي تلقي برأسها على كتف أختها: "حسناً، حسناً... لا يسعني فعل ذلك... أكره حالة فقدان البصر التي أنا فيها... سأرتاد المدرسة... ولكنني لا أريد كلباً".

"لستِ مضطرة إلى امتلاك كلب". ولكن بدا واضحاً أنها بحاجة إلى المساعدة. كانت مجرد رؤيتها في الحالة النفسية التي كانت عليها تبعث الحزن في نفس والدها أيضاً. إذ كان يشعر بالعجز عندما كان يراها تتعثّر وتقع، أو تسكب القهوة الساخنة على يدها، أو توقع طعامها مثل فتاة صغيرة في الثانية من عمرها.

سأل **سابرينا** بتعاسة: "ألا يسعك فعل أي شيء لها؟"

قالت: "أنا أحاول". وهي تحاول جهدها المحافظة على هدوء أعصابها معه.

كانت تتّصل خمس أو ست مرات في اليوم **بتامي** التي كانت تشعر بالذنب لأنها بعيدة عنهم، والتي لم تجد بعد نجمة بديلة لتحلّ محلّ نجمتها

الحامل. لقد كانت حياتها في حالة فوضى أيضاً، وشعرت وكأنها تخذل عائلتها بتواجدها في لوس أنجلوس. كان الجميع في حالة تعاسة بطريقة أو بأخرى وأكثرهنّ تعاسة كانت **آني**.

سمحت أخيراً **لكاندي** بتصليح قصّة شعرها. كانت تشعر بالحرج الشديد من الذهاب إلى مصفّف الشعر الذي كان يصفّف شعر أمها حتى يصلح شعرها الذي أفسدته. فهي لم ترد أن يراها أحد على هذه الحالة، ضريرة، وشعرها يبدو وكأنه قُصّ بسكين. كانت قد استخدمت مقصاً عادياً موجوداً في الدرج، لذا بدا شعرها بشعاً جداً. بعد أن كان جميلاً، وناعماً، وطويلاً ويشبه شعر **كاندي** وإنما أطول منه، ولونه بني محمر وليس أشقر.

قالت **كاندي** وهي تجلس إلى جانب **آني** على الأرض في اليوم التالي لقيام **آني** بقصّ شعرها: "حسناً سأمنحك قصّة شعر جديدة ومذهلة". حتى تلك اللحظة كانت تبدو كمن خرجت من السجن لتوّها. إذ كان شعرها ناتئاً إلى الأعلى، بعضه قصير والبعض الآخر طويل، ويبدو في حالة فظيعة. أكّدت لها **كاندي**: "في الواقع أنا ماهرة جداً في قصّ الشعر. أقوم دوماً بترتيب شعر الجميع بعد حملات التصوير، بعد أن يقوم مصفف شعر أخرق بعمل ما، فيفسد شعر العارضة، حتى ولو بدا شعرها رائعاً وقت التصوير". قالت **كاندي** بفرح: "ولكن الأنباء السارة هنا أنك تعجزين عن رؤية ما أفعله. لذا عندما أفسده لن تغضبي". ما قالته كان فظيعاً جداً إلى حدّ أنه دفع **بآني** إلى الضحك، ثم جلست دون حراك في الوقت الذي كانت **كاندي** تقوم فيه بقصّ شعرها، وتسريحه، وسحب الخصل، ومن ثم قصه من جديد. بعد أن فرغت منه، بدا جميلاً ومواكباً للموضة، وباتت **آني** شبيهة بفتاة إيطالية أنيقة حيث بدت خصل شعرها منتصبة، مع خصل طويلة بعض الشيء على جانبي الرأس. وقد أبرز شعرها بلونه الكستنائي الفاتح وجهها وعينيها الخضراوين. كانت **كاندي** تبدي إعجابها بعملها عندما دخلت **سابرينا** الغرفة، ورأت الشعر منثوراً في أرجائها. لقد كانت

الغرفة في حالة فوضى عارمة. ولكن بدت **آني** أجمل من ذي قبل، إذ بدت وكأنها قصّت شعرها عند مصفّف شعر ماهر في لندن أو باريس، فمنحها قصّة شعر مواكبة للموضة.

قالت: "واو". وهي واقفة عند الباب، ومتأثرة بمدى كفاءة **كاندي**. كان ذلك مجال عملها الذي تبرع فيه في النهاية، وهو إعطاء مظهر مواكب للموضة، ومثير، وجميل. كانت أجمل قصّة شعر رأتها **سابرينا** منذ سنوات". **آني** تبدين رائعة. إنها قصّة جديدة جداً عليك. الآن بتنا نعرف ما تستطيع **كاندي** فعله بعد أن تصل مهنة عرض الأزياء إلى نهايتها. بوسعك بالتأكيد فتح صالون. وبوسعك تصفيف شعري في أي يوم شئت".

سألتها **آني** وهي تبدو قلقة: "هل حقاً يبدو شعري جيداً؟" كانت مبادرة ثقة كبيرة جداً من **آني** أن تسمح **لكاندي** بقصّ شعرها. فهي لم تملك أدنى فكرة عن مدى بشاعة شعرها بعد أن أقدمت على قصّه بتلك الطريقة العبثية، فلقد بدا فظيعاً جداً وكان منظره مخيفاً. وقد حولته **كاندي** إلى شعر جميل وساحر. كان مثيراً وشبابياً ويشبه **آني** نفسها. في الواقع، بدا أجمل من شعرها الطويل الأملس، حيث اعتادت **كاندي** على القول لها إنه يجعلها تبدو كالهيبية، حيث كانت تُجدّله في معظم الأحيان. لقد تحولت بين يدي **كاندي** من امرأة تقليدية إلى نجمة سينمائية. أكّدت لها **سابرينا**: "شعرك يفوق في جماله مجرد الجيد، تبدين كالفتيات اللواتي يظهرن على غلاف مجلة فوغ. أختنا الصغرى بالتأكيد بارعة في قصّ الشعر. يا لهذه المواهب الخفية التي ظهرت فينا. يبدو أنني اشتقت إلى العمل كخادمة. وبالمناسبة أيتها السيدتان إن رغبتما بمواصلة ممارسة لعبة صالون الحلاقة – وهي اللعبة التي كانت الفتيات يهوين ممارستها في صغرهن حيث اعتدن على تصفيف شعر بعضهنّ البعض وتقليم أظافرهنّ فيحدثن إثر ذلك فوضى عارمة – فهلاّ تكرّمتما ومارستما هذه اللعبة في الحمام؟ أودّ لو أذكّركما أن **هانا** أخذت عطلة هذا الأسبوع وأنا المسؤولة عن التنظيف. لذا عن إذنكما..."

تفاجأت **كاندي** وبدت محرجة. فهي حتى لم تلاحظ الفوضى التي أحدثتها. إذ لم تلاحظ ذلك قطّ من قبل. فقد اعتادت أن يقوم الأشخاص الآخرون بانتظارها والتنظيف من ورائها في حملات التصوير وفي شقتها، وبذلك لا تنتبه أبداً للفوضى العارمة التي تحدثها. كان الشعر منتشراً في كل مكان. "آسفة **سابرينا** سأنظّف الغرفة".

أضافت **آني**: "آسفة". متمنّية لو كان بإمكانها المساعدة، ولكن لم تقوَ أبداً على رؤية الشعر أو حتى الشعور به كي تساعد في تنظيفه.

قالت **سابرينا لآني**: "لا تقلقي بهذا الشأن. بوسعك أن تفعلي شيئاً آخر لتساعديني ربما بوسعك مساعدة أبي في وضع الصحون داخل غسالة الصحون. لا بدّ وأنه يعاني من مشكلة في البصر هو الآخر، فهو يواصل وضع الصحون فيها وهي مليئة ببقايا الطعام. لا أظنّه يفهم كيف تعمل غسالة الصحون. إذ عند وضعها وهي مليئة ببقايا الطعام تقوم غسالة الصحون بإلصاق الطعام الموجود على الصحون والأواني بدلاً من إزالتها. أظنّ أن أمنا لم تكن تسمح له بالمساعدة حتى".

قالت **آني**: "سأنزل إلى الطابق السفلي". فنهضت على قدميها، وتحسّست طريقها لتخرج من الغرفة. بدت جميلة جداً بقصّة شعرها الجديدة، وقد أخبرتها ذلك **سابرينا** من جديد.

بعد عشرين دقيقة، وجدت **سابرينا** والدها و**آني** في المطبخ. استطاعت **آني** تحسّس الطعام على الصحون، وقامت بغسلها. وقد قامت بعمل أفضل من أبيها الذي لم يكن ضريراً، وإنما مجرد مدلّل لا حول له ولا قوة.

بدا منظر ضياعه إثر فقدان زوجته باعثاً على الحزن. فقد اختفى من أمام أعينهنّ ذلك الوالد القوي والحكيم. وغدا ضعيفاً، وخائفاً، ومرتبكاً، ومكتئباً ويبكي طوال اليوم. فاقترحت عليه **سابرينا** أن يزور طبيباً نفسياً هو الآخر ولكنّه رفض بالرغم من حاجته إليه كحال **آني** التي بدا أنها تحبّ طبيبتها.

سمحت **لآني** أن تراعيه في الوقت الذي ذهبت فيه هي **وكاندي** إلى المدينة لتجهيز نفسيهما للانتقال. كانت **آني** قد زارت ذاك المنزل، ودارت تتحسّس طريقها في أرجائه. قالت إنها أحبّت غرفتها بالرغم من عدم تمكّنها من رؤيتها. أحبّت أن يكون لها مكانها الخاص، وقالت إن حجمها مناسب، وارتاحت لكون غرفة **كاندي** في آخر الرواق، في حال احتاجت إليها. ولكنها لم ترد مساعدة أحد إلاّ في حال طلبت المساعدة بنفسها. أوضحت ذلك جيداً. كانت ترتطم بالأشياء على الدوام، ولكنها كانت تحاول دوماً تفاديها، وكانت في بعض الأحيان تحقّق النجاح فيما تفشل في أحيانٍ أخرى، ممّا كان يدفعها إلى الغضب وذرف الدموع. لم يكن العيش معها ممتعاً هذه الأيام ولكنها كانت معذورة. أملت **سابرينا** أن يتحسّن سلوكها بعد ارتيادها مدرسة العميان. فإن لم تفعل سيكون وجودها فيما بينهما صعباً لمدة طويلة. بين اكتئاب والدهنّ الشديد لفقدانه زوجته وبين غضب **آني** لفقدانها بصرها، كان الجو عصيباً على الجميع. ولاحظت **سابرينا** أن **كاندي** تقلّل أكثر وأكثر من تناول الطعام. وبدا الاضطراب في تناول الطعام الذي تعاني منه في أوجه منذ وفاة والدتهنّ. كان الشخص الطبيعي الوحيد الذي بوسع **سابرينا** التحدث معه هو **كريس**، الذي كان يتحلّى بصبر كبير، ولكنه كان مشغولاً جداً أيضاً بآخر قضية يعمل عليها. شعرت **سابرينا** وكأنها ممزقة في أربعة عشر اتجاهاً، خصوصاً وأنها عادت إلى العمل فقد كانت تعتني بالجميع، وتنظّم تحركات الجميع.

سألها في إحدى الليالي مبدياً قلقه عليها: "هل أنتِ بخير؟" كانا في شقتها القديمة، وقد قالت إنها متعبة جداً إلى حدّ أنها تعجز عن تناول الطعام. كانت قد اكتفت بتناول الشراب وحسب تلك الليلة.

صارحته القول: "أنا متعبة". وهي تلقي برأسها في حجره. بدأتْ بحزم كتبها في حين كان **كريس** يشاهد مباراة البايسبول على التلفاز. كانت

ستنتقل مع أختيها إلى المنزل الجديد بعد ثلاثة أيام، وكانت تجتاح المدينة موجة حرّ بحيث عجز حتى مكيف الهواء لديها عن تبريد الجو. كانت تشعر بالحرّ والتعب، وبعد ساعات من حزم حاجياتها شعرت بأن جسمها بات متسخاً. "أشعر وكأنني مسؤولة عن العناية بنصف سكان العالم. لستُ أدري حتى أين أتوقّف. بالكاد يستطيع والدي أن يربط شريط حذائه. ومع كل يوم يزداد جهله بتدبير حاله. إنه يرفض العودة إلى عمله. **وكاندي** تبدو شديدة الإرهاق. **وآني** كادت تقتل نفسها بعد أن جرحت معصمها وهي تقطع الخبز وتأبى أن يساعدها أحد. ولا أحد يبذل مجهوداً لتحسين هذا الحال ما عداي". فأحسّ بها توشك على البكاء، وقد بدت تعبة جداً.

"ستتحسّن الأحوال بمجرد أن ترتاد **آني** المدرسة". لقد حاول تشجيعها، ولكنه اختبر بنفسه كل ما قالته. كان التواجد قرب عائلتها في هذه الأيام مزعجاً للغاية ممّا أثار قلقه هو الآخر وخصوصاً عليها. إذ كانت تَحمل الحمل كله على كتفيها، وقد كان ثقيلاً جداً عليها أو على أي شخص. شعر بالعجز وهو يشاهدهنّ، وفعل ما بوسعه كي يساعدهنّ.

قالت **سابرينا** وهي تتنهّد: "ربما. إن التزمتْ بحضور تلك المدرسة وكانت على استعداد للتعلم. تريد **آني** أن تفعل كل شيء بنفسها وهناك بعض الأشياء التي تعجز عن فعلها. وحين تعجز عن فعل شيء ما ينتابها الجنون، وتبدأ بقذف الأشياء، عادة في وجهي. أشعر أننا جميعاً بحاجة إلى طبيب نفسي".

"لعلها ليست فكرة سيئة. ماذا ستفعلين بشأن **كاندي**؟" كانت دوماً تسمع عبارة "ماذا ستفعلين؟" وكأنهم جميعاً أطفال والحمل يقع عليها. لقد أعادت تبجيل أمها الآن لتربيتها لأربع بنات والاعتناء بزوجها وكأنه مولودها الخامس. وقد تساءلت كيف أمكنها فعل ذلك؟ ولكنه كان عملها الوحيد طيلة فترة نشأتهن. أما **سابرينا** فكانت تعمل في شركتها القانونية، وتسعى للانتقال إلى منزلها الجديد، وتنتقل ذهاباً وإياباً من كونيتيكت إلى

المدينة، وتلتزم برفع معنويات الجميع ما عدا معنوياتها هي.

"لن أفعل شيئاً بشأن **كاندي**. فلقد اعتادت أن ترى شخصاً ما من أجل اضطرابها الغذائي عندما كانت أصغر سناً. وكانت أفضل حالاً لفترة، ليست بحالة عظيمة وإنما أفضل حالاً. الآن أفلت الأمر كلياً من يدها من جديد. أراهنك أنها خسرت خمسة باوندات وربما عشرة، منذ وفاة أمنا. ولكنها راشدة. إنها تبلغ الحادية والعشرين من عمرها. لذا لا أستطيع أن أجبرها على الذهاب إلى الطبيب إن رفضت هي ذلك. وعندما أذكر لها هذا الأمر يجنّ جنونها. هناك خطر بأن تصاب بالعقم، أو تفقد أسنانها أو شعرها، أو ما هو أسوأ من ذلك، أن تصاب بأزمة في قلبها أو تموت. إن مرض فقدان الشهية ليس بالأمر السهل. ولكنها لا تستمع إليّ. إنها تقول إنها لا تريد أطفالاً، وهي على كل الأحوال تضع في شعرها خصلاً اصطناعية كي تزيد من كثافته، وحتى الآن لا يبدو أن صحتها قد تأثرت. ولكن في أحد الأيام سترى نتيجة ما تفعله بنفسها، وسينتهي بها الأمر في المستشفى والمصل في يدها أو ما هو أسوأ. كانت أمي تعالج الأمور أفضل مني، فقد كان تأثيرها أقوى. لا أحد يستمع إليّ، يريدون مني أن أقوم بحلّ المشاكل فحسب والابتعاد. لستُ أدري كيف علقت في هذه الدوامة ولكنها متعبة جداً". كانا يعرفان كيف علقت في هذه الدوامة. لقد ماتت أمها وكانت **سابرينا** الثانية في مرتبة تحمل المسؤولية حيث إنها الفتاة البكر. كما وتتمتّع بشخصية تجعلها تتحمّل مشاكل غيرها، وتحاول حلّها بغضّ النظر عن تأثير هذه المشاكل على حياتها. كانت تتمتّع بهذه الصفات في عملها أيضاً. وبالرغم من كلام **كريس** وحثّه لها على تيسير الأمور عليها، لطالما كانت تقدّم الخدمات لغيرها. وهي التي تجد دوماً أن حاجاتها لم تُلبَّ، والآن بات **كريس** في هذه الحالة أيضاً. بالكاد كانا يحظيان بخمس دقائق من السكينة وحدهما في الثلاثة أسابيع والنصف الأخيرة بعد الحادثة.

كان يسلّي والدها، ويطهو للعائلة كلها في عطلة نهاية الأسبوع، وهي تتولّى فعل كل شيء آخر. باتا فجأة أشبه بوالدين لعائلة كبيرة يعتنيان بأولادهم الكثيري العدد باستثناء أن جميعهم كانوا لسبب أو لآخر بالغين يعانون من خلل ما. شعرت وكأنها هي وعائلتها تتداعيان. ولكن **كريس** كان على الأقل موجوداً. حذّرتها **تامي** بأنه لن يبقى إلى جانبها إن لم تتروَّ وتهدّئ من وتيرة حياتها. كان يسهل عليها قول ذلك وهي تعيش في كاليفورنيا التي تبعد ثلاثة آلاف ميل، في الوقت الذي تدير فيه **سابرينا** دفة الأمور، وتحاول لملمة الأمور من كل الأنحاء. شعرت وكأن حياة العائلة التي كانت منظمة في أحد الأيام باتت أشلاء من حولها. فاستلقت على الأريكة وبكت.

قال لها **كريس** حينها: "هوّني عليك. سأضعك في السرير فأنت منهكة. بوسعك إكمال التوضيب في الغد".

"لا أستطيع. سيأتي عمال النقل لأخذ الأغراض إلى المخزن، وعليّ العودة إلى منزل العائلة غداً مساء".

قال لها وهو يسحبها من يدها ليقودها إلى غرفة النوم: "إذاً سأوضب الأغراض. كفى. حان وقت النوم. من دون نقاش". بدّل لها ملابسها وهي تبتسم في وجهه. كان بحق أروع رجل في العالم. لقد كانت تشعر بالإنهاك الشديد.

قالت وهي تستلقي في سريرها: "أحبّك".

فقال لها: "أنا أيضاً أحبك. بمجرد أن تنتقلين إلى المنزل الجديد سآخذك في عطلة نهاية الأسبوع وستكونين لي وحدي. بتنا أشبه بشخصين مسنين ومملين. سيتوجّب على أختيك أن تتدبّرا أمرهما من دونك ليومين".

أدركت أنها كانت بحاجة إلى تمضية بعض الوقت معه أيضاً. فهذا حقّه. فهما لم يحظيا بلحظة واحدة سوياً منذ وفاة أمها. ولقد كانت لا تزال تشعر بالأسى الشديد على وفاة أمها حالها حال الجميع. وقد تفهّم **كريس** ذلك

ولكنه اشتاق إلى الحياة التي كانا يعيشانها قبل الحادث. كان يعلم أن الأمور ستتحسّن مع مرور الوقت، ولكن كان يصعب تحديد الوقت وخصوصاً بالنظر إلى حجم مأساة **آني**.

لم يكن واثقاً كيف ستكون حياته مع **سابرينا** عندما ستعيش مع أختيها سوياً. هناك احتمال بأن تتحول التجربة إلى دراما حقيقية وفوضى عارمة، أو كمن يعيش في مهجع ما للبنات. أراد أن يحظى ببعض الوقت على انفراد معها وخشي ألاّ يحظى بمثل هذا الوقت في السنة المقبلة. كانت فترة مخيفة، ولكنه لم يشأ إزعاجها بالتلفظ بمخاوفه أو بالتذمر. كانت تواجه ما فيه الكفاية ولم يرد أن يزيد من همّها. ولكنه مثل **سابرينا**، كان اليأس قد وصل إليه.

استلقى إلى جانبها على السرير، وداعب شعرها، وفرك ظهرها وبعد خمس دقائق غرقت في النوم، استلقى إلى جانبها متسائلاً ما إذا كانا سيتزوّجان يوماً ما في حياتهما. إن تحمّلها المسؤولية الكاملة عن عائلتها في هذه الفترة لم يبدُ وكأنه دعم لقضية زواجهما. كان سيمنحها بضعة أشهر لتهدأ، ومن ثم سيفاتحها في الموضوع. أراد أن يتزوّج ويرزق بأطفال. وأراد منها أن تتشجّع يوماً ما وتأخذ القرار. لم يرد لها أن يفوتها القطار في إنجاب الأطفال بسبب خوفها، ولأنها رأت في عملها الكثير من قضايا الطلاق والتنازع المرير على رعاية الأبناء. لم يكن هذا بالعذر الكافي؛ فهو لم يعد كذلك بعد تواجدهما سوياً لمدة ثلاث سنوات. في الأحوال العادية كانت علاقتهما على خير ما يرام ولكنّ **كريس** أراد المزيد. كانت أسوأ مخاوفه ألاّ يريا هذا الخير من جديد وتصبح أخواتها محور حياتها.

عندما استفاقت **سابرينا** في الصباح كان قد غادر. إذ كان لديه اجتماع باكر مع مستشار في قضيته، كي يسرّع في حل القضية. كان قد ترك لها رسالة يطلب فيها أن تهوّن على نفسها. فابتسمت عندما قرأتها. قال إنه سيراها في كونيتيكيت نهار الجمعة ليلاً. من ثم سيعود إلى المدينة

نهار السبت ليساعدها على الانتقال. ستكون عطلة نهاية الأسبوع هذه متعبة. كما وستأتي **كاندي** إلى المدينة لتقدّم المساعدة. وسيعتني والدهنّ **بآني**. وليس العكس. أملت **سابرينا** أن يتكاتف الجميع سوياً وألاّ تحدث كارثة كبرى. لم تعد تؤمن بالحياة كما في السابق، وبأن الأمور كلها ستفضي إلى الخير. أظهرت لها وفاة أمها أن كل شيء قد يتغيّر في غضون جزء من الثانية. إذ قد تنتهي الحياة. وانظروا ماذا حدث إلى **آني**.

الفصل الرابع عشر

غادر **كريس** و**سابرينا** و**كاندي** كونيتيكيت عند الساعة السادسة من صباح يوم السبت. وتولّى **كريس** قيادة السيارة، فيما كانت **سابرينا** تتفقّد لائحة أعمالها التي لا تنتهي، وتقوم **كاندي** بتقليم أظافرها. قالت **كاندي** إنها حجزت في ناديها الصحي للحصول على جلسة تدليك في فترة بعد الظهر. فسألتها **سابرينا** وعلت وجهها نظرة ذعر: "كيف عساكِ تحجزين للحصول على جلسة تدليك؟ إننا ننقل مكان إقامتنا".

قالت بهدوء: "هذا الأمر يثير توتّري. أنا لا أتأقلم جيداً مع الأماكن الجديدة. قالت لي معالجتي القديمة إن السبب يعود إلى أن أمي كانت كبيرة في السن عندما أنجبتني. الانتقال من مكان السكن أمر محزن جداً بالنسبة لي. كما وأنني لا أنام بسلام في الفنادق أيضاً".

نظرت **سابرينا** إليها باستخفاف: "إذاً تحتاجين إلى جلسة تدليك؟" فقد كانت تكره هذه الممارسات: العلاج بالعطور، والبخور، والتجارب المستنسخة عن الحياة في الرحم. كانت إنسانة تتّسم بالعملانية، بحيث تأبى الاستماع إلى كل هذه الأمور ولا تريد قول أية كلمة قاسية في هذا الصدد. ابتسم **كريس** عندما رأى وجهها. إذ كان يعرفها جيداً، ويعرف **كاندي** أيضاً.

"أعلم أنك تحسبينها أموراً لا طائل منها ولكنها تساعدني. أحتاج إلى الحفاظ على تركيزي. ومن ثم سأحصل على جلسة تقليم أظافر يديّ

وقدمي". عندئذ بدأت **سابرينا** تغلي وقالت: "إذاً تقليم أظافر الرجلين يحافظ على تركيزك؟" وقد كان الوقت لا يتعدّى الساعة السادسة والنصف صباحاً. كانت **سابرينا** قد بقيت مستيقظة حتى الساعة الثانية صباحاً وهي تساعد **آني** على توضيب أغراضها وتنهي بعض الأعمال التي جلبتها معها من المكتب. لم تكن **سابرينا** تتمكّن من إنهاء عملها أبداً. والآن تشعر بإرهاق شديد وهنّ لم يبدأن بعد. كان عمال النقل سيصلون عند الساعة الثامنة لتوصيل كل ما انتقوه في اليوم السابق. كانت **كاندي** قد وضّبت كل ما جلبته من شقتها في حقائب لويس فوتون وحقيبتي سفر. جلبت **كاندي** ملابسها فحسب إلى المنزل. لذا احتوى المنزل وديكوره على أغراض كل من **سابرينا** والمالك.

قالت **كاندي** بتكلف: "إنهم يقومون بتدليك قدميّ في الوقت نفسه حين يقلّمون أظافر قدمي. هل تعلمين أن جميع المراكز العصبية موجودة في القدمين؟ يمكن شفاء كل الأمراض تقريباً بواسطة تدليك الأقدام. فقد قرأتُ مقالة ممتازة عن هذا الموضوع في مجلة فوغ".

"**كاندي** أنا أحبّك، ولكن إن لم تخرسي فقد أضطرُّ إلى قتلك. لقد تسلّمت أربع قضايا جديدة هذا الأسبوع، وسكرتيرتي استقالت، وانتابت **آني** أربع عشرة نوبة غضب، ولم يكفّ أبي عن البكاء لمدة شهر. وعندما قمتُ بتوضيب أغراضي من الشقة أُصيبت **بولا** و**زو** بالإسهال ووسّختا الشقة بأكملها فقمت بتنظيفها، وأنت لم تفعلي ذلك كله، وأضيفي على ذلك أنني مصابة بوجع في رأسي واليوم سننقل مكان إقامتنا. أرجوك لا تحدّثيني عن تقليم الأظافر وتثيري بذلك أعصابي".

قالت **كاندي** والدموع في عينيها: "لقد بتِّ عدائية جداً وقاسية للغاية، وهذا يدفعني إلى الاشتياق لأمي أكثر". كانت تجلس في المقعد الخلفي في سيارة **كريس** الرانج روفر. فاستدارت **سابرينا** للنظر إليها وهي تتنهّد.

"أنا آسفة. أنا متعبة وحسب. أنا أيضاً مشتاقة إلى أمنا. إنني أشعر بالقلق على الجميع. أنت تفقدين الوزن، وأبي مكتئب، وأمي رحلت، و**آني** ضريرة، ونحن ننتقل. بالكاد يسعني تحمّل كل هذا". عرضت عليها **كاندي** قائلة: "هل تودّين مني أن أحجز لك للحصول على جلسة تدليك؟" في محاولة منها لردم الهوة بينهما.

لكن فارق الثلاث عشرة سنة بينهما واختلاف شخصيتيهما جعلا من الأمر تحدّياً كبيراً وخصوصاً في ذاك الوقت المبكر من الصباح ومع قلة النوم. شعرت **سابرينا** وكأنها في دوامة تسير بها بأقصى سرعة، وهي على وشك أن تطير منها، وتحطّ على أرض النسيان، وتتكسّر إلى مليون قطعة. فكل ما كان يجري يفوق قدرتها على التحمّل، ولكن على الرغم من ذلك اضطرّت إلى التحمّل. إذ لم تملك أي خيار آخر. فقد كانت الوحيدة في الميدان. أما **كاندي** فلم تقوَ على تحمّل مثل هذا المسؤولية، فقد كانت طفلة. وكذلك والدها عجز عن تحمّل هذه المسؤولية. وباتت **آني** الآن عاجزة أيضاً رغماً عن إرادتها. كانوا جميعاً كالأطفال، وباتت هي فجأة الأم. وهي التي رفضت على الدوام هذا الدور في حياتها.

صارحتها **سابرينا** القول: "أفضّل البقاء في المنزل وترتيبه". لم تعتد على الحصول على الدلال أو حتى علىّ تدليل نفسها. بالنسبة إلى **كاندي** كان ذلك جزءاً من عملها، وكان كذلك طيلة السنوات الأربع الأخيرة. "أفضّل أن أجهّز المكان لكما حتى نقوى على الانتقال إلى المنزل في الغد والمكوث فيه".

سألتها **كاندي** بقلق: "هل تظنّين أن أبي سيكون على ما يرام من دوننا؟"

"عليه ذلك. ليس هناك خيار آخر. جميع الناس يستطيعون المضيّ قدماً. وهو لا يستطيع الانتقال للسكن معنا. وإلاّ ازداد الحمل كثيراً. بوسعك أنت و**آني** أن تتنقلا بين هنا وهناك طيلة هذا الشهر. أنت لن تعودي إلى

عملك حتى شهر أيلول، وهي ستبدأ مدرستها في ذاك الوقت أيضاً. بوسعكما التنقل ذهاباً وإياباً. أنا عليّ العمل. وعلى كل الأحوال سيبقى وحده في أيلول أيضاً. عليه الاعتياد على هذا الأمر عاجلاً". هزّت **كاندي** برأسها. أدركت الأختان أن هذا الكلام صحيح.

عند الساعة الثامنة وخمس دقائق وصلوا إلى المنزل الواقع في الشارع الرابع والثمانين غرباً بعد أن توقّفوا في مقهى ستاربكس. شعرت **سابرينا** بتحسّن بعد أن احتست كوباً من الكابوتشينو وكذلك **كريس**. شربت **كاندي** كوباً كبيراً من القهوة المثلّجة الخالية من السكر التي من شأنها أن تبقي أعصابها متوترة لمدة شهر، ولكنها ادّعت أنها تحبّها. كانت تشرب أربعة أكواب من هذه القهوة يومياً عندما كانت تعمل في المدينة. لا عجب أنها لم تكن تأكل. إذ كانت نسبة الكافيين في جسدها عالية طيلة الوقت، كما وكانت تدخن أيضاً ممّا يقطع شهيتها أيضاً.

كان عمال النقل قد وصلوا إلى المنزل وبدأوا العمل بسرعة. وعند الساعة الواحدة كانوا قد أفرغوا الشاحنة من حمولتها، وأمضوا بقية فترة بعد الظهر يفرغون محتويات الصناديق. عند الساعة السادسة كانت الأغراض من صحون، وكتب، ولوحات وملابس تنتشر في كل مكان. فعمّت المكان فوضى عارمة، فحاولت **سابرينا** وضع حاجياتها في الأماكن التي تريدها بمساعدة **كريس**. كانت **كاندي** قد غادرت قبل ساعتين متوجّهة إلى جلسة التدليك وتقليم أظافر اليدين والقدمين وقالت إنها ستعود عند الساعة السابعة. اتصلت **سابرينا** بوالدها، وأخبرته أنهما ستمضيان الليلة في المدينة في المنزل الجديد لترتّبا كل الفوضى. فأخبرها أنه و**آني** بخير. قال إنه يطهو لها طعام العشاء أي لفائف البيض المثلّجة والحساء السريع التحضير. ابتسمت **سابرينا**، فقد بدا بحالة أفضل ممّا كان عليه طيلة الأسبوع. وقال إن **آني** تمدّ يد المساعدة. وقد جهّزت الطاولة. باتوا جميعاً أطفالاً من جديد. في الوقت الحالي كان هذا أفضل ما يقومان به.

كان **كريس** يحمل صندوقاً ضخماً من الألعاب إلى الطابق الأخير عندما مرّت بمحاذاته على السلالم وقد كانت تنزل إلى الطابق السفلي. قبّلها وقال إن المكان يبدو بأروع حال. أدركت أن المكان سيصبح رائعاً ولكن ليس بعد. ما زال الطريق أمامهما طويلاً وهناك أيام طويلة من العمل. وكان يُفترض بهم الانتقال رسمياً في الليلة القادمة. كانت تفكّر في الطلب من **كاندي** و**آني** التريث في الانتقال مدة أسبوع حتى تقوى هي و**كريس** على إنهاء العمل. إذ إنه ليس باستطاعة **آني** تدبّر أمرها في المنزل بوجود هذا الكم من الصناديق والفوضى التي تعمّ المكان. حيث إنها لن تستطيع تحسّس طريقها وسط كل هذه العوائق. عند وصولها يجب أن يكون كل شيء نظيفاً، وفي مكانه حتى تقوى على حفظ مواقع الأشياء. أدركت **سابرينا** ذلك بشكل جلي. اتصلت **كاندي** عند الساعة السابعة والنصف وقالت إنها التقت بصديق لها في النادي الصحي. أرادت أن تعلم إن كانت **سابرينا** تمانع خروجها معه إلى العشاء. قالت إنها لم تَرَه منذ ستة أشهر منذ عاد من باريس، أو إن كانت **سابرينا** و**كريس** يرغبان بأن تجلب معها طعام العشاء.

قالت **سابرينا** إنهما سيكونان على ما يرام، حيث إنهما سيطلبان البيتزا. وأخبرت **كاندي** بأنها لن تعود إلى كونيتيكيت تلك الليلة، وإن أرادت **كاندي** فبوسعها النوم في المنزل في المدينة إن استطاعت إيجاد أغطية السرير التي جلبتها معها في الحقائب والتي أدركت **سابرينا** أنها من ماركة براتيسي. أما هي فكانت قد اشترت أغطيتها من متجر ماكي وقت التنزيلات، ولكنها كانت راضية بها. قالت **كاندي** إنها ستعود في وقت لاحق. إذ سيذهبان إلى سيبرياني في وسط المدينة، وربما إلى نادٍ ليلي كما توقّعت **سابرينا**. لم تكن **كاندي** قد خرجت مع أصدقائها منذ فترة وقد مرّت بأسابيع عصيبة. لم تحسدها **سابرينا** على الراحة التي تشعر بها، إذ لم تكن تمدّ يد العون على كل الأحوال. لذا كان من الأسهل عدم تواجدها بين رجلي **سابرينا** وهي تعمل.

"سألها **كريس** وهو متفاجئ لِمَ لم تطلبي منها العودة إلى هنا للمساعدة؟" كان يعتقد أن **سابرينا** متساهلة جداً مع أخواتها، وغالباً ما كانت أخواتها يقمن باستغلالها بسبب مسامحتها واستعدادها لفعل كل شيء بنفسها. "هل تظنّ حقاً أنها ستقدّم لنا مساعدة قيّمة؟ قد تفسد طلاء أظافرها وستمضي ساعتين على الهاتف. أفضّل أن أنهي الأعمال بنفسي". أنّبها قائلاً: "لهذا السبب لا تتعلّم. أنت تعفينها من العمل كثيراً".

قالت **سابرينا** ببساطة: "لهذا السبب لستُ بأم ولا أريد أن أصبح أماً. فأنا فاشلة في الأمومة".

"لا لن تفشلي. ستكونين أماً رائعة. وأنت رائعة معها. أعتقد فحسب أن عليك أن تكوني أكثر قسوة بقليل وأكثر تطلباً. لِمَ عساك تفعلين كل الأمور المضنية؟ من الذي جعلها الأميرة الجميلة وأنت سندريلا التي تقوم بتنظيف أرض القصر. يحقّ لك أن تكوني الأميرة الجميلة مثلما يحقّ لها ذلك تماماً. دعيها تقوم ببعض التنظيف من باب التغيير".

قالت **سابرينا** وهي تبتسم في وجهه: "أحبك". ثم قبّلته. "كما وأفضّل أن أبقى معك على انفراد". كان عمال النقل قد غادروا وكانا يعملان بمفردهما وينعمان بالسكينة. وبعد نصف ساعة أخذا استراحة، وصعدا إلى الطابق العلوي، ووضعا الغطاء على سريرها ومارسا الحب ولبثا بين ذراعي بعضهما البعض لمدة ساعة. شعرا بسعادة غامرة كحالهما دوماً. وقد ذابت بين ذراعيه إلى أن نهضا وعادا إلى تفريغ محتويات الصناديق ووضع الأغراض في أماكنها. كانت المرة الأولى في ذاك الشهر التي يشعر فيها **كريس** أنه حاز على انتباهها كاملاً، وأنها على الأقل لساعة من الزمن عادت ملكه من جديد. فشعر بالفرح الشديد وأعطاه ذلك أملاً بأن حياتهما قد تعود إلى طبيعتها من جديد يوماً ما. ولكن لم يسعه إلاّ التساؤل متى يأتي هذا اليوم.

أما في كونيتيكيت، كان والدها قد حضّر طعام العشاء **لآني**. لم ترد **آني** التذمر، ولكن كانت لفائف البيض المثلجة مريعة بالرغم من أن الحساء

كان مقبولاً نوعاً ما. فاعتذر لكون مهاراته محدودة في الطهو، وضحكت **آني** معه.

"لا بد أن الأمر وراثي يا أبي. أنا أيضاً لست بطاهية ماهرة". بعد العشاء أعطاها بعض الآيس كريم بعد أن سألها إذا ما كانت تريد الآيس كريم بالشوكولاته أم بالفانيليا مع شوكولاته مرّة أو الحليب. فاختارت آيس كريم الفانيليا مع الشوكولاته المرّة وكانت تستمتع في أكلها عندما سمعت جرس الباب. ذهب والدها لفتح الباب في حين انتظرت **آني** في المطبخ. سمعت صوت امرأة تحدّث أباها وكلمات: "يا لها من مفاجأة" من أبيها ولكنها لم تلقِ للأمر بالاً إلى أن أنهت الأكل وتبعت الأصوات لترى ماذا كان يفعل ومع من. عندئذ كان يقف خارجاً على العشب الأخضر يتحدّث إلى امرأة لم تتعرّف على صوتها. جلّ ما استطاعت معرفته أنها بدت من صوتها شابة. قال للمرأة المجهولة و**آني** تقترب منهما: "تذكرين **آني** أليس كذلك؟ لقد باتت شابة الآن".

أضافت **آني** مثيرة صدمة الجميع: "وضريرة أيضاً". كانت تكرّر مثل هذا الكلام طيلة أسابيع. إنها طريقتها للتعبير عن غضبها. أشارت لها **سابرينا** في وقت سابق بألطف طريقة ممكنة أن التصرف مع الناس بفظاظة لن يعيد لها بصرها. لم يُعهد من **آني** التصرف على هذا الشكل. لم يُعهد منها ذلك حتى الآن.

ملأ صوت والدها الحزن على الفور وقال: "نعم. كانت مع أمها في الحادث". كانت **آني** لا تزال تجهل إلى من يتحدّث والدها.

سألته عندما وصلت إليهما: "مع من تتحدّث يا أبي؟" كانت تشمّ رائحة عطر غير مألوف وهو مصنوع من سوسن الوادي.

"هل تذكرين **ليسلي طومبسون**؟ ارتاد أخوها المدرسة مع **تامي**".

قالت **آني** بصراحة: "لا، لا أذكرها". في حين توجّهت إليها الشابة بالكلام.

"مرحباً لقد ارتاد أخي **جاك** المدرسة مع **تامي**. أنا أخته الكبرى. كنت و**سابرينا** صديقتين". راجعت **آني** أفكارها لمدة خمس دقائق، فتذكّرتها. كانت أكبر سناً من **تامي** وأصغر من **سابرينا**. كانا انتهازيين ولم تحبّهما أمها. تذكّرت تلك الفتاة التي كانت شقراء وجميلة والتي نعتها **سابرينا** بالساقطة عندما تحرّشت بصديقها الحميم. كانت **سابرينا** عندئذ في السابعة عشرة من عمرها وفي السنة الدراسية الأخيرة و**ليسلي** في الخامسة عشرة وقد وصفتها أمها "بالسريعة". لم تسمح لها **سابرينا** أبداً بزيارتها من جديد. "لقد عدتُ لتوي من كاليفورنيا وسمعت بما جرى لأمك. أتيت لأعبّر لكما عن أسفي". استطاعت **آني** سماع شيء آخر في صوتها ولكنها لم تكن واثقة من هذا الأمر. فقد تغيّرت نبرة صوتها عندما تكلّمت مع **آني**. فعندما كانت تتكلّم مع أبيها كان صوتها دافئاً، ولكنها بدت الآن منزعجة وكأن وجود **آني** أزعجها. شعرت **آني** أن هذا الوعي الكبير الذي بات لديها أشبه بلعنة عليها. إذ بدأت فجأة تسمع إشارات لم تكن تسمعها من قبل. بدا وكأنها تستمع إلى ما يفكّر به الناس وهذا ما كان أمراً غريباً.

قال والدها بحرارة: "لقد جلبتُ لنا فطيرة تفاح. من صنع منزلي. كنا على وشك تناول الحلوى. هل تودّين الدخول والانضمام إلينا؟" عبست **آني** عندما سمعت هذا الكلام. لمَ كان والدها يكذب؟ كانا قد تناولا الآيس كريم. ظنّت أنه يحاول فحسب أن يكون مؤدباً.

"لا لا بأس. يجدر بي العودة. أردت فقط إلقاء التحية والتعبير عن مدى أسفي. أوصاني **جاك** أيضاً بإبلاغ أسفه لكم". سألت **آني** دون أي سبب محدد: "متى ستعودين إلى كاليفورنيا؟" ولكنها بدت وكأنها تتمنّى عودتها قريباً.

"في الواقع لن أعود. سأبقى مع والديّ طيلة فترة بحثي عن شقة في المدينة. كنت أعيش في بالم سبرينغ، وقد حصلت على الطلاق منذ فترة

قريبة. لقد دام زواجي عشر سنوات وحصلت مشاكل". ثم قالت وقد عاد الدفء إلى صوتها من جديد: "لذا عدتُ الآن". فهزّت **آني** رأسها محاولة استيعاب الفكرة.

قالت **آني**: "أنا سأنتقل أيضاً للعيش في المدينة". على الرغم من أن **ليسلي** لم تسألها. "سننتقل في الغد، أنا و**كاندي** و**سابرينا**".

قالت **ليسلي**: "هذا مؤسف جداً". في الوقت الذي اشتمّت فيه **آني** عطرها من جديد وقرّرت أنه قوي جداً. "أحسب أن والدك سيشعر بالوحدة عند غيابك".

أجابها بسرعة: "نعم صحيح". ثم قالت **ليسلي** إن عليها المغادرة بعد أن ودّعتهما. قال والدها: "لا تعتبري نفسك غريبة، أرجو أن تعودي إلى زيارتنا وقتما تشائين يا **ليسلي**". ومن ثم سمعت **آني** **ليسلي** تقفل باب السيارة وتنطلق بها.

سألته **آني** عابسة في وجهه على الرغم من عدم قدرتها على رؤيته: "لِمَ قلتَ ذلك؟" وقد اضطرتْ إلى الإمساك بذراعه للدخول إلى المنزل. فقد لفتها قوله لها: "لا تعتبري نفسك غريبة". "ماذا عساي أقول؟ لقد جلبت لنا فطيرة تفاح". التي كان يحملها في يده الأخرى. "لم أرد أن أكون فظّاً يا **آني**".

"لِمَ عساها تأتي لزيارتنا؟ فنحن لم نرَها منذ كانت **سابرينا** في سنتها الدراسية الأخيرة". فكرت في الأمر لمدة دقيقة وهي تدخل المنزل ثم تركت ذراعه. إذ كان بوسعها التنقل في المنزل دون مساعدة. "أشتمّ منها رائحة الانتهازية". في الواقع ما كانت تشتمّه هو رائحة سوسن الوادي وقد كانت رائحة قوية جداً. "هذا سخف يا **آني** إنها شابة لطيفة، كانت تعرفكنّ منذ الصغر وقد سمعت بما جرى لأمك".

"هذا قصدي يا أبي لا تكن ساذجاً جداً".

"لا تكوني شديدة الارتياب. فشابة بمثل سنها لن تسعى ورائي. لقد سبق وقلت لك إنني لن أواعد أحداً. أنا أحببت أمك وسأظلّ أحبّها". شعرت

آني بالقلق حيال هذا الأمر على كل الأحوال. تمنّت لو أمكنها رؤيتها وتقييم الوضع بنفسها. احتفظت في رأسها بملاحظة أرادت نقلها إلى **سابرينا** عندما تأتي. إذ لم تعجبها فكرة أن تقوم امرأة بالسعي وراء والدها. وخصوصاً فتاة مثل **ليسلي طومبسون** في حال كانت لا تزال بالمواصفات التي كانت عليها في مرحلة الصغر. جلّ ما أمكنها تذكّره منها هو شعرها الأشقر ووصف **سابرينا** لها بالساقطة. كانت **آني** تبلغ حينئذ التاسعة من عمرها فحسب. ولكنها تذكّرت كيف كانت تُغْضِب أختها الكبرى بشدة. من المضحك كيف تترك تلك الأشياء انطباعاً لا يزول. كانت طيلة ذاك الوقت ساقطة في عقل **آني** استناداً إلى سلوكها في عمر الخامسة عشرة.

بعد ذلك وضعت **آني** الصحون في غسالة الصحون. وتناول أبوها قطعة من فطيرة التفاح وقال إنها لذيذة الطعم جداً، فردت **آني** عليه بالتجهم. ثم صعدا إلى الطابق العلوي. كانت **آني** متحمسة بشأن المنزل الجديد ومسألة الانتقال يوم غد. كان منزل والدها هادئاً جداً ممّا دفعها إلى الشعور بالوحدة. قد تستمتع بوجودها في المدينة بالرغم من أن حركتها ستكون محدودة ولن يكون باستطاعتها الخروج وحدها. سيكون تغييراً منعشاً.

جلست في غرفتها بهدوء لفترة من الوقت تستمع إلى الموسيقى وتفكّر في حياتها في فلورنسا. في الرسم، وزيارتها لسيينا، وساعاتها الطويلة في غاليري يوفيتزي، والأشهر التي قضتها مع **تشارلي**. كانت لا تزال تشتاق إليه وتمنّت لو باستطاعتها الاتصال به لمجرد إلقاء التحية عليه. ولكنها كانت لا تزال مصدومة لإيجاده امرأة سواها وهجره لها بهذه السرعة. ولكن على الأقل لم تكن مضطرة لإخباره بأنها باتت ضريرة. ولن يأسف لحالها. اتصلت ب**سابرينا** وقالت لها إن كل شيء يسير على ما يرام في المنزل، واتصلت ب**تامي** في لوس أنجلوس التي كانت وحدها في المنزل ليلة السبت. قالت إنها تحمّم **خوانيتا** وتغسل بعض الثياب. حزنت

عندما أدركت أنها لن تقوى على رؤية وجوههنّ من جديد أو النظر في أعينهنّ. كان باستطاعتها الشعور بهنّ، ولمسهنّ، ولكنها ستظلّ تذكرهنّ لبقية حياتها بشكلهنّ الحالي. إذ لن تكبر أخواتها أبداً في عقلها ولن يتغيّرن أبداً. خلدت إلى النوم وهي تقلّب هذه الأفكار في رأسها وحلمت بأنها و**تشارلي** يتمتّعان بمشاهدة غروب الشمس في فلورنسا، وعندما التفتت إليه لتقول له إنها تحبّه، اختفى.

الفصل الخامس عشر

أتت **سابرينا** بمفردها نهار الأحد لتقلّ **آني**. كانت **كاندي** قد بقيت وحدها في منزل المدينة، بعد أن عادت إليه عند الساعة الرابعة صباحاً. وكما توقّعت **سابرينا** وأخبرت **كريس**، كانت قد ذهبت إلى نادٍ للرقص برفقة صديقها. كما وكان **كريس** قد ذهب إلى مباراة بايسبول برفقة أصدقائه في ذاك اليوم، بعدما أمضى اليوم الأول في المنزل الجديد برفقة **سابرينا**. وقد ارتاحا في غرفتهما وأحبّا السرير الذي كان كبيراً جداً وأفضل بكثير من سريرها السابق الذي كان صغير الحجم، وكثير التكتل، وصلباً جداً. كان السرير في منزلهنّ الجديد أشبه بالحلم. لقد أحبّت **سابرينا** كل ما في المكان وكذلك **كريس**. حيث تمتّعا بطابقهما الخاص، لذا لم يتمكّنا حتى من سماع **كاندي** تدخل المنزل عند الساعة الرابعة. وكانت لا تزال نائمة عندما غادرت **سابرينا** المنزل في الصباح.

وجدت **سابرينا** **آني** ووالدها جالسين قرب حوض السباحة مع الكلبتين. باتت **زو** و**بولا** صديقتين عزيزتين، حيث كانت **كاندي** قد تركت **زو** هناك في اليوم السابق. لم ترد لها أن تضيع أو تتأذّى بوجود العمال الذين يدخلون المنزل ويخرجون منه. كانت **سابرينا** قد سألت والدها إن كان يمانع بقاءهما معه لفترة. فالكلبتان تستمتعان في الريف وفي الوقت عينه تسليانه، كما وأنها هي و**آني** ستنشغلان في الانتقال وكذلك **كاندي**. كان يدور في رأسها الكثير من المشاغل في تلك الآونة، ولم ينقصها القلق بشأن الكلبتين.

قال لها والدها إن من دواعي سروره الاعتناء بالكلبتين الحفيدتين.

بعد الغداء غادرت وآني بالسيارة عائدتين إلى المدينة. بدت **آني** في مزاج هادئ وحزين، فتركتها **سابرينا** وشأنها. غالباً ما كان يحدث ذلك. فهناك تغيّرات كثيرة عليها التكيّف معها، كما أنها كانت إنسانة من النوع الذي يحبّ أن يسرح في التفكير في كل الأحوال، وتتميّز بكونها حالمة بعض الشيء. إذ كانت دوماً تمضي ساعات طويلة وهادئة تفكّر بفنها.

عندما وصلتا إلى منتصف الطريق نطقت **آني**. قالت: "هل تذكرين **ليسلي طومبسون**؟" وكأنّ الاسم قد خطر في رأسها فجأة.

"لا لماذا؟ من تكون؟"

"كنتِ تكرهينها. كان أخوها يرتاد مدرسة **تامي** نفسها، وقد حاولتْ التحرش بصديقك الحميم آنذاك".

"حقاً؟ متى؟" بدت **سابرينا** غافلة عن الموضوع كلياً فضحكت **آني**.

"أظنّك كنتِ في السنة الدراسية الأخيرة، وأنا كنت في السابعة من عمري، ولكنني لا أزال أذكر أنكِ كنت تنعتينها بالساقطة".

"حقاً؟" ضحكت **سابرينا** بصوت عال. "يا الله!" التفتت لتنظر إلى أختها ثم عادت لتنتبه إلى طريقها. باتت أكثرَ حذراً في القيادة خصوصاً على الطريق السريع منذ يوم الرابع من تموز. كما وقالت **تامي** إنها أيضاً باتت كذلك منذ عادت إلى لوس أنجلوس. "لقد تذكّرتُها. كانت سافلة وإنما جميلة بطريقة رخيصة. كانت فتاةً لعوباً. وقد نعتتها أمي بالنمرة المثيرة. يا لقرفها. ما الذي دفعك إلى التفكير بها؟"

"لقد مرّتْ علينا البارحة".

"لماذا؟ لم أرَها أبداً منذ ذاك اليوم".

"قالت إنها تطلّقت لتوها، وعادت من كاليفورنيا، وأتت إلى منزلنا لتبدي أسفها على وفاة أمنا. وجلبت معها فطيرة لأبي".

رسمت **سابرينا** على وجهها ملامح القرف وقالت: "هل تمزحين؟" ومن ثم أعادت النظر إلى أختها وتمنّت لو أنها تبصر. لكانتا تبادلتا نظرة ليس لها مثيل. "تباً، ها نحن قد بدأنا، ولكن أليست صغيرة بعض الشيء؟ لا بد وأنها باتت تبلغ الثانية والثلاثين أو الثالثة والثلاثين كحدٍّ أقصى. كانت حينها في الخامسة عشرة من عمرها. تذكّرتُها الآن بالضبط، وتذكّرت كم كنتُ أكرهها. الساقطة. أتمنّى لو بوسعك إخباري كيف باتت تبدو الآن وكيف نظرت إلى أبينا".

"تبدو مزيفة، وكانت تضع عطراً رخيصاً وتكثر منه".

"يا للقرف".

"بالفعل. وهي ذكية. أحضرت الفطيرة في صحن يُفترض إرجاعه. لا بد وأنها تعتقد أنه يمتلك المال. لا يمكنها أن تسعى وراء رجل بهذا السن. تباً، إنه أكبر منها بمرتين".

"نعم ولكنه يملك المال وبات أرملاً الآن". بدت **سابرينا** منزعجة: "بالتأكيد لم تهدر الوقت". لم يكن قد مضى على وفاة والدتهنّ سوى شهر واحد فحسب. "لعلها كانت صادقة وتشعر بالفعل بالأسف لما حصل لنا".

قالت **آني**: "مستحيل". وضحكت **سابرينا**.

"نعم أنا أيضاً أظنّ ذلك. ولكن لنأمل ألاّ يقع والدنا بين يديها. فالمسكين لا يملك أدنى فكرة عمّا ينتظره. فكل امرأة على مسافة مئة ميل ستطرق بابه. إنه في سن معقول، ووسيم، وناجح، ووحيد. عليه أن يأخذ حذره". كانت بناته جميعاً يشعرن بالقلق عليه ويردن حمايته. وقد كان ساذجاً جداً، وغير مستعد البتة لما كان ينتظره.

"حاولتُ أن أقول له ذلك ولكنه قال لي إنني شديدة الارتياب". "أنا أثق بحدسك. ما كان شعورك حيالها؟"

قالت **آني**: "قذرة، ماذا تتوقّعين من ساقطة؟" فضحكت الاثنتان.

فكّرتا في الموضوع بصمت لفترة، ثم تكلّمتا في مواضيع أخرى. أخبرتها **سابرينا** عن الأشياء التي اكتشفتها حول المنزل والتي لم تكن قد اكتشفتها من قبل، وكم كان مريحاً. ثم أجمعتا على أسفهما لكون **تامي** لن تسكن معهنّ ولكن لم يكن أمامها سبيل لتترك عملها. فقد كان عملها أثمن من أن تتركه.

عندما وصلتا إلى المنزل كانت **كاندي** لا تزال نائمة. ثم بعد قليل ظهرت عند أعلى السلالم مرتدية سروالاً داخلياً وقميصاً شفافاً، وهي تتثاءب ومسرورة لرؤيتهما.

قالت **لآني**: "أهلاً بك في المنزل الجديد". في الوقت الذي كانت فيه **آني** تتحسّس طريقها في أرجاء المنزل. كان مهماً بالنسبة إليها محاولة تحديد مواقع الأثاث حتى تقوى على التنقل من مكان إلى آخر بسهولة. بعد أن تفقّدت بتركيز كبير غرفة الجلوس والصالون، اتّجهت إلى الطابق العلوي وانتهى بها الأمر في غرفة **كاندي** بدلاً من غرفتها، فتعثّرت مباشرة بحقيبة، وكادت تقع.

قالت بصوت عال: "تباً". محاولة تقويم وقفتها وهي تفرك ذقنها. "يا لك من فوضوية". "آسفة". أسرعت **كاندي** لإبعاد الحقيبة وإفساح المجال أمام **آني**. وسألتها محاولة المساعدة: "أتريدينني أن أريك أين غرفتك؟" فصرخت في وجهها على الفور. فمحاولة التكيّف مع المنزل كانت تثير توترها، ولكنها أدركت أن الوضع سيكون أسهل بعد أن تعتاد عليه.

قالت **آني** صارخة عليها من جديد: "لا، بوسعي إيجادها بنفسي". ثم بعد دقيقة وجدت غرفتها، وكانت **سابرينا** قد وضعت حقيبتها على سريرها. فقد أدركت أن **آني** قد تودّ إفراغ محتوياتها بنفسها. أتت بعد دقائق لترى إن كانت الأمور تسير على ما يرام. قالت **آني** لها بلطف: "شكراً لك لعدم إفراغ حقيبتي من محتوياتها". إذ كان يعني الكثير لها عدم معاملتها كطفلة.

"خطر لي أنك قد تفضلّين ترتيب أغراضك بنفسك، لكي تعرفي أماكنها. نادني إن احتجت إلى المساعدة".

قالت **آني** بحزم: "لن أحتاج إليها". ثم تحسّست طريقها في أرجاء الغرفة، فتفقّدت الخزانة وفتحت الأدراج. وجدت مكان الحمام، ووضعت مستحضرات التجميل في أماكنها. ولأن شعرها بات قصيراً لم يعد تصفيفه يأخذ وقتاً طويلاً كالسابق.

كان وقت العشاء قد حان عندما تفقّدتها **سابرينا** من جديد، كذلك دخلت **كاندي** إلى غرفتها. صار الآن الوقت مناسباً جداً لإخبار **كاندي** أن فتاة من أيام المدرسة الثانوية مرّت على منزلهنّ للتحرش بأبيهنّ. بدت كاندي مذهولة وقالت: "هل تمزحين؟" في حين ابتسمت **آني**، وجلست على سريرها. كانت منهكة بعد أن أفرغت محتويات حقيبتها. لم تجلب معها الكثير من الأغراض من فلورنسا وكان هذا كل ما تملكه. "كم عمرها؟"

أجابتها **سابرينا**: "اثنتان وثلاثون أو ثلاث وثلاثون كحدٍّ أقصى".

"هذا مقرف. من تكون هذه؟"

أجابتها **آني**: "الساقطة". وقد نطقت بهذه الكلمة بفرح فضحكت الفتيات الثلاث.

سألت **كاندي** باهتمام: "ماذا قال أبي؟"

كان تجاذب الأخوات لهذا الموضوع ممتعاً، طالما أنه ليس هناك من خطر ناجم عن هذا الموضوع، وقد أدركن أنه لن يكون هنالك أي خطر. كانت الفتيات يعرفن والدهنّ.

أجابت **آني**: "لقد أصرّ على براءة مبادرتها. يا له من طفل. انهار بسبب عطر رخيص".

"يا للقرف. قد أدفع نصف عمري لأعرف شكلها". قالت **آني** بحزن: "أنا أيضاً". فرمقت **سابرينا كاندي** بنظرة تحذير. وقالت: "أراهن أن شعرها

أشقر وثدييها اصطناعيان". غافلة عن أنها بذلك تصف أختها الصغرى أيضاً. "آه... آسفة... لا أعني مثلك أنت... أعني فتاة رخيصة".

ضحكت **كاندي**، وأخذت تعليقها برحابة صدر. "سامحتك، أحسبك محقّة".

أخبرن **تامي** عن هذا الأمر عندما اتصلت ليلاً، إضافة إلى **كريس** بعد أن مرّ عليهنّ مع صديق له بعد أن لعبا البايسبول.

كان صديقه هذا محامياً آخر من شركة المحاماة، كان شاباً ووسيماً، وكاد يغمى عليه عندما رأى **كاندي** مرتدية سروالاً قصيراً جداً وقميصاً عاري الظهر والكتفين. بدت خاطفة للأنفاس بجمالها وهي تتنقّل في المكان برشاقة. ولكنّ **كريس** رأى أن زيارة **ليسلي** قد تكون بريئة.

خالفته **سابرينا** الرأي: "لا لم تكن بريئة. كيف عساك تقول ذلك؟ لِمَ تجلب فتاة في سنها فطيرة لأبي؟"

"لعلها إنسانة لطيفة. كونها حاولت سرقة صديقك الحميم في الصف الثالث لا يجعل منها إنسانة مفترسة".

"كنتُ في السنة الدراسية الأخيرة، وكانت هي في الخامسة عشرة من عمرها وكانت ساقطة. ويبدو أنها ما زالت على حالها".

قال وهو يضحك عليهنّ: "أنتن قاسيات أيتها فتيات". بدت جميع الفتيات في معنويات عالية وسعيدات بالمنزل الجديد. وهو أيضاً أحبّ المنزل. قالت **سابرينا** وهي ترمقه بنظراتها: "أنت بمثل براءة أبي".

قرّر الجميع الخروج لتناول طعام العشاء، فتوجّهوا إلى مطعم إيطالي في وسط المدينة. في البداية رفضت **آني** الذهاب، ولكنهم أصرّوا عليها لكي ترافقهم. كانت المرة الأولى التي تخرج فيها إلى مطعم بعد الحادثة. وضعت على عينيها نظارة سوداء، وأحكمت الإمساك بذراع **كاندي**. كان الأمر مربكاً بالنسبة إليها، ولكن بعد حين اعترفت أنها قضت وقتاً ممتعاً، وقالت إن صديق **كريس** بدا لطيفاً.

"ما هو شكله؟"

قالت **كاندي**: "طويل ووسيم. أميركي من أصول أفريقية. عيناه فيروزيتا اللون".

أضافت **سابرينا**: "حصّل علومه من جامعة هارفرد. ولكنني أظنّ أن لديه صديقة حميمة وهي موجودة خارج المدينة. سأسأل **كريس** إن شئت".

كان **كريس** قد قرّر المبيت في شقته تلك الليلة تاركاً المجال لهنّ للشعور بالاستقرار في المنزل. كان يودّ البقاء ولكنه لم يشأ التطفل على **آني** و**كاندي**. كان هذا الشيء الوحيد الذي لم يحبّه في طريقة عيش **سابرينا** الجديدة. لم يشأ إزعاج أختيها على الرغم من أنهما أصرّتا على أنه لم يكن يزعجهما وأنهما تحبّانه. ولكن مع ذلك غادر. قال **لسابرينا** إنه سيمضي معها ليلة الثلاثاء عندما تعود **كاندي** و**آني** إلى كونيتيكيت لتبيتا مع والدهما. كانت **سابرينا** ستبقى في المدينة طوال الأسبوع. قالت **سابرينا**: "سأرى ما إذا كان **لفيليب** صديقة حميمة".

قالت لها **آني** بسرعة: "لا تكلّفي نفسك عناء ذلك". إذ لم تكن تهتمّ لأمر الرجال في تلك الآونة أو ربما حتى آخر العمر. "خطر لي فحسب أنه بدا لطيفاً. وقد تساءلتُ عن شكله. إذ تزعجني عدم قدرتي على تحديد الوجه للصوت الذي أسمعه". إن إفصاحها عن هذا الأمر على الملأ أعاد الحزن إلى الأخوات من جديد. كان وضعاً محزناً جداً بالنسبة إليها، وبالنظر إلى كل الأمور كانت تتمتّع بروح رياضية حيال كل ما يجري. قالت بحزم: "لن أواعد أحداً في حياتي".

قالت لها **كاندي**: "لا تكوني غبية. بالطبع ستواعدين. أنت رائعة".

"لا لستُ كذلك. هذا إضافة إلى أن أحداً لا يودّ مواعدة فتاة في مثل حالتي. سيكون ذلك مثيراً للشفقة".

قالت **سابرينا** بهدوء: "لا، بل المثير للشفقة أكثر أن تستسلمي في سنك هذا. أنت تبلغين السادسة والعشرين من عمرك. أنت ذكية، وجميلة،

وموهــوبة، ومــثقفة، وسافرت كثيراً، وحضورك ممتع. سيكون أي شاب محظــوظاً إن خــرج معك، سواء أكنت تبصرين أم لا تبصرين. إذ لديك مواصفات كثيرة أخرى تعوّضك عن فقدانك للبصر. الرجل الذي يستحقك لن يهمّه ما إذا كنت ترين أم لا. وتباً للآخرين".

قالــت **آنــي** وهــي غيــر مقتنعة: "نعم ربما". كانت هي والدكتورة **شتاينبرغ** تتحدثان في هذا الموضوع. لم تكن **آني** تتصوّر أنها ستواعد أي رجل من جديد، أو أن يرغب بها أي رجل على حالتها هذه. قالت **سابرينا** بلطــف: "امنحي نفسك بعض الوقت يا **آني**. فلقد انفصلت منذ آونة قريبة عــن شــاب، وفقدنا أمنا، وتأذّيت في الحادث". والمهنة التي درستها طيلة حــياتها قــد ذهــبت أدراج الرياح. أدرك الجميع ذلك. كان يصعب عليها التكــيّف مع كل هذه المآسي التي فاقت ما يواجهه معظم الناس في حياتهم. وقد أصابتها هذه المآسي كلها بين ليلة وضحاها.

استقرّت الفتيات في غرفهنّ في تلك الليلة، وعندما كانت **آني** مستلقية فــي ســريرها وبجانبها هاتفها الخلوي على الطاولة، رنّ هاتفها، ولوهلة تمــنّت أن يكون **تشارلي** هو المتصل، ليقول لها إنه غيّر رأيه وترك الفتاة الأخرى ويريد استرجاعها إلى حياته. ولكن إن صح ذلك ماذا عساها تقول لــه؟ كــادت لا تجيب على الهاتف، ولكنها أجابت في النهاية. سُجّل على الهاتف اسم المتصل ولكنها عجزت عن رؤيته. قالت بتأنٍ: "آلو؟" ثم ذُهلت عــندما أدركــت أن **سابرينا** هي المتصلة، تتّصل بها من غرفة نومها في الطابق العلوي.

قالــت وهي تتثاءب: "أتّصل بك لأقول لك عمتِ مساء وإنني أحبّك". فقد كانت تفكر فيها، وقرّرت الاتصال بها قبل أن تغفو.

"أنت مجنونة وأنا أيضاً أحبّك. ظننتُ لوهلة أن **تشارلي** هو المتصل. يــسرني أنه لم يكن المتصل". ربما لم يكن كلامها صحيحاً، ولكن **سابرينا** تأثّرت لسماعها تقول ذلك، وأسفت لاضطرارها لمواجهة كل هذه التحديات

العــصبية. فالحياة لم تنصفها. قالت **آني** بسعادة: "أعجبني منــزلنا الجديد وقد شعرت بالسرور لإيجاد من أتكلم معه". فقد كانت تشعر بالوحدة. قالت **سابرينا**: "وأنا كذلك". لقد اشتاقت إلى نوم **كريس** بجانبها تلك الليلة ولكنها استمتعت بالتواجد مع أخواتها.

ســألتها **كاندي**: "مع من تتكلّمين؟" حين أطلت برأسها من باب غرفة **آني** ورأتها تتكلّم على هاتفها الخلوي. ضحكت **آني** وقالت: "مع **سابرينا**".

توجّهت **كاندي** إلى أعلى الدرج وصاحت: "عمتِ مساء". ثم اقتربت مــن **آنــي** وقالت لها ممازحة: "لمَ لم تتصلي بي أنا؟" ثم قبّلتها متمنية لها نوماً هنيئاً. قالت لها بلطف: "أحبّك يا **آني**".

قالــت **آني** **لسابرينا** على الهاتف الخلوي **ولكاندي** الموجودة بقربها: "أنا أيضاً أحبّكما. شكراً لكما على ما تفعلانه من أجلي".

قالت **كاندي**: "يسرنا ذلك". وقد وافقتها **سابرينا** القول عندما سمعتها.

قالت **سابرينا**: "عمتِ مساء. أتمنّى لك أحلاماً سعيدة". وأقفلت الخط، وقــد انتــشر صــدى أصواتهنّ في المنــزل، وعادت **كاندي** إلى غرفتها. قــبعت **آنــي** في سريرها بعد ذلك تفكّر أنها بالرغم من كل ما حصل لها كانت محظوظة جداً. ففي النهاية وبغضّ النظر عما حصل أو المآسي التي أصابتهنّ، كانت الأخوات جميعاً محظوظات لتواجدهنّ إلى جانب بعضهنّ الــبعض. فهنّ أخوات وصديقات في الوقت عينه. وهذا أهم ما في الأمر، وكان حتى اللحظة كافياً.

الفصل السادس عشر

بـدا أن الوقت يمرّ بسرعة البرق. وأخيراً وجدت **تامي** نجمة جديدة لبرنامجها، وتمكّنت من السفر إليهنّ مساء الجمعة في عطلة العمال. أقلّتها **سابرينا** من المطار. وقد قضت **كاندي** و**آني** الأسبوع بأكمله في كونيتيكيت، وقالتا إن والدهما يبلي حسناً. كان يصعب عليهنّ التصديق أنه قد مضى شهران على رحيل والدتهنّ. فقد حدث الكثير منذ ذاك الوقت.

وكالعادة، كانت **خوانيتا** ترافق **تامي**، وتنام بسلام في حقيبتها. سألت إذا ما أعجبهنّ المنزل فقالت **سابرينا** إنه أعجبهنّ جداً. فقد كان رائعاً. ولكن ما يزعجها أنها لن تتمكّن من رؤية **كريس** كثيراً. إذ بدا خجولاً بعض الشيء من التطفل على أخواتها.

قالت **تامي**: "سيعتاد على الأمر. إنه فرد من العائلة. أفترض أنه سيأتي للزيارة في عطلة نهاية الأسبوع هذه؟"

"غداً. أراد أن يتركنا هذه الليلة على انفراد. أترين قصدي؟ إنه يتراجع نوعاً ما عندما يرانا مجتمعات".

"أظنّه يحاول التصرف بلباقة".

تبادلتا الحديث في طريقهما إلى كونيتيكيت، ووصلتا عند الساعة التاسعة والنصف مساء. كان الآخرون يجلسون قرب حوض السباحة، وغمرت السعادة الكلبتين عندما رأتا **خوانيتا**. شعر الوالد بالسرور عند رؤية **تامي**، وكذلك أختاها. بقين مستيقظات حتى وقت متأخر من الليل،

كما اعتدن أن يفعلن عندما يجتمعن سوياً بعد طول انقطاع. كانت **تامي** قد غابت لمدة ستة أسابيع. وقد مرّ الوقت بسرعة عليهنّ جميعاً.

في الصباح وصل **كريس**، فأمضى الجميع عطلة نهاية أسبوع جميلة ومسلية. لعبوا الألعاب سوياً، وقرأوا جريدة الأحد. ولمّا عجزت **آني** عن فعل أي من هذه النشاطات، ولاحظت **سابرينا** النظرة المرتسمة على وجهها، أشارت للآخرين أن يضعوا الألعاب جانباً. أدركت **آني** على الفور ما أقدموا عليه والسبب وراءه، فأصرّت على أنها ليست منزعجة، ولكن بدا العكس واضحاً. فعمد الجميع إلى التخفيف من وطأة هذه اللحظات عبر ممازحة والدهنّ بشأن زيارة **ليسلي طومبسون** وفطيرة التفاح التي جلبتها هدية له.

قال بابتسامة: "أنتن يا فتيات بدون رحمة. لقد مرّت تلك المسكينة بفترة طلاق عصيبة. وبدأت بمشروع خاص بها وزوجها السافل أخرجها من حياته".

التفتت **آني** إليه مشكّكة بأمره: "كيف علمتَ بذلك؟ فهي لم تذكر شيئاً حول هذا الموضوع عندما أتت إلى هنا". إلاّ في حال ذكرتْ هذا الكلام قبل أن تنضمّ إليهما **آني**. ولكن لم تكن هذه هي الحالة كما أوضح والدها.

"عادت إلى هنا لاسترجاع صحن فطيرة التفاح عندما كنتِ و**كاندي** في المدينة تنتقلان إلى المنزل الجديد".

علّقت **تامي** قائلة: "يا لسرعتها". ونظرت إلى **سابرينا**. لم ينتبه والدهنّ إلى النظرة التي تبادلتاها. "وماذا قالتْ غير ذلك؟"

"عاشت حياة عصيبة. تزوّجت بذاك الرجل لسبع سنوات. خسرت مشروعها بسببه. وأنجبت طفلاً ومات بسبب عارض مفاجئ وقد كان طفلها الوحيد. بعد ذلك غادرت وعادت إلى هنا. أظنّ أن ذلك كله حدث في السنة الماضية. كما وقالت إن طلاقها نهائي. ولكن ربما كان هذا السبب وراء شعورها بالأسف الشديد لخسارتكنّ والدتكنّ. باتت تدرك معنى خسارة شخص عزيز. فقد كان الطفل يبلغ من العمر خمسة شهور فقط،

وهـي مـدة كافية لتتعلّق به، ومن ثم رحل فجأة". كان باستطاعة الفتيات التوقّع من كلام والدهنّ أن حديثهما تطرّأ للأمور الشخصية.

سـألته **سـابرينا:** "كـم أخذها من الوقت حتى تستعيد صحتها؟" في الواقـع شعرتُ بالأسف الشديد لحالها عندما أخبرتني بكل ما حصل معها، فدعـوتها إلـى الغداء. إنها فتاة لطيفة. إنها تسكن مع والديها إلى أن تجد مكاناً لها. يجدر بكنّ أيتها الفتيات منحها فرصة".

قالت **سابرينا:** "نعم، حسناً... ربما..." وهي تشعر بالأسف لخسارتها طفلهـا ولكن الذكريات التي كانت تحملها عنها لم تكن مُرضية. كان ذلك فعلـياً قـبل ثمانـي عشرة سنة، والناس يتغيّرون عندما يكبرون. "كم هو مؤسف خسارتها لطفلها".

"إنهـا تبكـي كلما ذكرت هذا الأمر. أظنّ أن الجرح ما زال حياً في قلـبها". بدا محرَجاً عندها. "عليّ الاعتراف أنني بكيت أيضاً عندما تحدثتُ عن والدتكنّ".

همـست **تامي لسابرينا** وفي عينيها نظرة قلق: "لا بد وأنه كان غداء مفرحاً". وبعد قليل دخل والدهنّ إلى المنـزل، فعلّقت **تامي** قائلة إنه بريء جداً إلى حدّ أنه سيكون فريسة سهلة لبعض النساء اللواتي يردن استغلاله، وأملت ألاّ تكون **ليسلي** واحدة منهنّ.

أكّدت **سابرينا** للجميع قائلة: "أشك بذلك. إنها صغيرة جداً في السن. وهذا لا يوافق ذوقه". وقد صدّقت ما تقوله.

علّقت **تامي** ساخرة: "من يدري؟ يرى المرء الكثير من هذه الأصناف فـي لـوس أنجلوس. نساء في مثل سنها مع رجال في مثل سنه. إنه أمر عادي وخصوصاً إن كان الرجل يمتلك المال".

قالـت **سـابرينا:** "لعلّه على الأرجح يفكّر فيها كواحدة منا، كمجرد طفلـة. أنـا لـستُ بطفلة على الإطلاق ولكن والدي يحسبني طفلة. وهي أصغر مني ببضع سنوات".

حذّرت **تامي:** "هذا ما أقصده".

قالـت **آني:** "لا نستطيع أن نحبسه. ربما يجدر بنا ذلك إلى أن يزداد حكمة وإلماماً بشؤون الحياة. لعلّه توجد مدرسة من أجله هو الآخر لتعلّمه الحذر من النساء الاستغلاليات". ضحك الجميع على هذه الفكرة.

مرّت العطلة بسرعة، وغادر الجميع صباح نهار الاثنين، حتى يتمكّن من اصطحاب **تامي** لترى المنـزل الجديد. فبدا والدهنّ حزيناً عندما لوّحن بأيديهن وهنّ يودّعنه، وقد وعدته **كاندي وآني** بالعودة قريباً لزيارته، وهذه المرة اصطحبن كلباتهنّ معهنّ نظراً إلى أنهنّ تمتّعن أخيراً بالاستقرار في المنـزل.

قال إنه سيشتاق إليهنّ جميعاً.

قالـت **تامـي:** "ربمـا يجدر بنا شراء كلب له. سيشعر بالوحدة في المنـزل".

قالـت **سـابرينا:** "أعلـم، أشعر بالذنب لاستعادة **بولا**، ولكنّ **كريس** مشتاق إليها أيضاً".

قالت **تامي:** "أشعر بالأسف الشديد لأجله. أنا حقاً أظنّ أن فكرة الكلب سديدة جداً. أما إذا لم يكن مستعداً للعناية بهذا الكلب؟! فهذه مسألة أخرى. ولكنه سيسلّيه".

كانت **خوانيتا وبولا** نائمتين بسلام في المقعد الخلفي. وكانت **آني** قد ركـبت سـيارة **كانـدي وزو** معهما. وكان يفترض **بكريس** موافاتهنّ إلى المنـزل.

أحـبّت **تامي** المنـزل عندما رأته، وقالت إنهنّ قد أضفن الكثير من التحـسينات علـيه. كان يتّسم بجو سعيد وحميمي. بدتْ أغراض **سابرينا** المنتـشرة فـي أرجاء المنـزل جميلة، وكانت **وآنـي** قد اشترتا مجموعة كبيـرة من النباتات. وقد كانت أساسيات المنـزل جيدة، والديكور ساحراً، كمـا قالـت السمسارة. وعندما رأت **تامي** غرفة النوم الصغيرة الموجودة

علـى مقربة من غرف **سابرينا** أحبتها كثيراً. كانت محتوياتها كلها زهرية اللون. بدت أشبه بعلبة حلوى وبالرغم من كونها صغيرة كان جوّها مميزاً جداً.

"هذه ستكون غرفتك متى شئت الحضور إلى هنا". بدت **تامي** مبتهجة وكـذلك **خوانيتا** التي قفزت على السرير، وغفت. كانت **بولا** تركض على السـلالم صعوداً ونزولاً، **وزو** تنبح في وجه الجميع سعيدة بوجود الجميع تحت سقف واحد.

أمـا **آني** فكانت أقل سعادة بنباح **زو** بشكل متواصل خارج غرفتها. فخـرجت لتـصرخ علـيها، فوقعت عليها بعد أن وقفت **زو** بين رجليها. فانقلبت **آني** على وجهها.

صـرخت فـي وجههـا: "أيـتها الكلبة اللعينة". فتقدّمت منها **زو** ولعقـتها على وجهها. فابتسمت **آني** رغماً عنها عندما لعقت **زو** أنفها. "ألـم يخبـرك أحد أنني أكره الكلاب؟ وإن أوقعتني مجدداً سأرميك في الحديقة".

صـرخت **كاندي** عليها وقالت: "إياك أن تجرئي على ذلك! فقد كانت تحـاول إلقـاء التحـية عليك فحسب". "حسناً قولي لها أن تبقى بعيداً عن رجليّ". عند تلفظها بهذه الكلمات هرعت **بولا** بمحاذاتهما وهي في طريقها لإيجاد **سابرينا**. قالت **آني** بعد أن وقفت على رجليها من جديد: "يا الله هذا المكان أشبه بمستشفى مجانين. حمداً لله أنني لا أملك كلباً".

قالت **تامي** بحماسة: "أحببت هذا المكان. أتمنّى لو يسعني البقاء".

رحّـبت **سـابرينا** بها قائلة: "فلتأتي إلى هنا متى يحلو لك، إذ لديك غـرفة خاصـة بك". بصراحة كان **كريس** يفضّل لو يبقى معها وحده في الطابق حتى يتمكّن من التجول مرتدياً سرواله القصير. ولكنها أدركت أنه لن يمانع مبيت **تامي** في بعض المناسبات. إذ كان يحبّ أخواتها واعتبرهنّ بمثابة أخواته.

تلـك اللـيلة، تناولت الفتيات العشاء في المطبخ. وقد تعاون الجميع في التنظيف. ثم أقلّت **سابرينا تامي** إلى المطار لتستقلّ رحلتها إلى لوس أنجلوس.

قالت **تامـي** وهي تنظر إلى أختها بحزن: "كم أكره المغادرة". ثم تمسكتا ببعـضهما الـبعض للحظـة طويلة قبل أن تتركها لتصعد على متن الطائرة. ذكرهما ذلك بما كانت تقوله أمهما وهو أن أعظم هدية قدّمتها لهنّ هي بعضهنّ البعض. كانت الفتيات بحق هدايا ثمينة في حياة بعضهنّ البعض.

قالت **سابرينا** بصوت مختنق: "أحبّك يا **تامي**".

همـست **تامـي**: "أنـا أيضاً أحبّك". ثم أخذت **خوانيتا** الموجودة في حقيبـتها، ولـوحت بيدها للمرة الأخيرة لأختها. ومرّت عبر رجال الأمن لتصعد على متن الطائرة المتوجهة إلى لوس أنجلوس.

حطّـت الطائـرة فـي لـوس أنجلوس عند الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل. كان الوقت قد تأخّر كثيراً لتعيد الاتصال بأخواتها. وعندما شغّلت هاتفها الخلوي، وجدت أنه قد وصلتها رسائل من كل منهنّ. وعندما دخلـت إلى منـزلها في تلك الليلة، شعرت بوحشة شديدة لم تشعر بها من قبل، وبغربة موحشة وهي بعيدة عن أهلها. إذ لطالما كان العيش في لوس أنجلوس رائعاً بالنسبة إليها. فقد عاشت هناك منذ أيام الجامعة. ولكن الآن مع رحيل والدتها كانت تشعر بوحشة في التواجد هناك. شعرت بالذنب عند استلقائها فـي سـريرها تلك الليلة وكأنه يُفترض بها التواجد مع أخواتها لمساعدتهنّ. ولكن ما استطاعت ذلك بأي طريقة. إذ كانت تحبّ منـزلها، وعملهـا، ومـا حقّقته من إنجازات هنا، ولكنها فجأة شعرت بأنها معزولة عـنهنّ جمـيعاً وكأنها تخذلهنّ. حتى **خوانيتا** بدت عليها التعاسة لقدومها إلى المنـزل. وقـد استلقت علـى سرير **تامي** وأنّت. إذ اشتاقت إلى الكلبات الأخـرى. فأنّبـتها **تامي** وقالت: "كفّي عن هذا، فهذا لا يجدي نفعاً". ولامست شعرها الحريـري. كانت الساعة قد شارفت الخامسة صباحاً، فأطفأت **تامي** الأنوار، وخلدتا للنوم. حلمت بهنّ طيلة الليل وهنّ في منـزل نيويورك.

في صباح اليوم التالي كانت تشعر بالإنهاك عندما ذهبت إلى العمل. وكالمعتاد فُتحت أبواب جهنم كلها في اليوم الذي يلي عطلة نهاية الأسبوع. كـان تقنيو الصوت يواجهون مشاكل، والمدراء يتذمّرون، وانتاب الممثلين الغضب، فهدّدوا بالاستقالة. وقد انسحب واحد من الراعين الكبار. فألقى رئيس الشبكة باللوم عليها. وكانت نجمتهم الحامل تودّ رفع دعوى عليهم لأنهم استبدلوها بممثلة أخرى دون إعطائها خياراً بالعمل، بالرغم من أن الطبيب أفاد بعدم تمكّنها من ذلك.

قالت **تامي**: "والآن أين المنطق في ذلك؟" وهي تجول في أرجاء مكتبها ممسكة في يدها برسالة التهديد من محامي النجمة. "قالت لنا إنها ستمكث ستة أشهر في السرير من أجل الراحة. والآن ما العمل، أيفترض بالشخصية التي تلعبها في برنامجها أن تُحتجز في منزلها أيضاً؟ إنها تعجز عن العمل. هي أخبرتنا ذلك. والآن تريد مقاضاتنا؟ كم أكره الممثلين والتلفاز". وجب عليها الاجتماع بقسم الشؤون القانونية بشأن صحة القضية التي تهدّد بها وارتداداتها المحتملة. وكل ما أمكن له أن يسوء في ذاك اليوم، قد حصل وساء. تمتمت قائلة وهي تغادر موقع التصوير عند الساعة التاسعة في تلك الليلة متوجّهة إلى المنزل **وخوانيتا** في حقيبتها: "أهلاً بك في هوليوود".

اتّصلت **سابرينا** بها في سيارتها أثناء عودتها إلى المنزل. كان التوقيت لديها منتصف الليل. "كيف كان نهارك؟"

"قولي لي إنك تمزحين. كيف كان وقع قنبلة هيروشيما في اليوم الأول؟ كان يومي سيئاً جداً. لقد رفعوا دعوى ضدنا من ضمن كوارث أخرى. أتعلمين، أحياناً أكره عملي".

ذكّرتها **سابرينا**: "ولكنك تحبّينه أحياناً أخرى".

وافقتها **تامي**: "نعم أظن ذلك. أنا مشتاقة إليكنّ يا أخواتي. كيف حالك أنتِ؟"

"حسناً، أنا متوترة بعض الشيء **فآني** ستبدأ بارتياد المدرسة في الغد. مزاجها معكر جداً. أظنّها خائفة جداً".

"هذا أمر متوقّع". وقد دفع قلق **تامي** على أختها إلى جعلها تتناسى عملها بعض الشيء. "إنه على الأرجح أشبه باليوم الدراسي الأول للطفل أو حتى أسوأ. كنتُ دوماً أخشى عدم إيجاد الحمام في المدرسة. ولكنني كنتُ أعلم أنكِ موجودة معي فيزول خوفي". ابتسمت الأختان لهذه الذكرى. كانت **تامي** خجولة جداً في صغرها، وكانت لا تزال خجولة في بعض الأحيان، إلاّ في عملها. وفي اللقاءات الاجتماعية كانت لا تزال متحفظة، إلاّ في حال كانت تعرف الأشخاص جيداً. "هل سترافقينها؟"

"إنها لا تسمح لي بذلك. تقول إنها تريد أن تستقلّ الباص". وقد بدت **سابرينا** قلقة. إذ باتت بمثابة الأم في غضون شهرين فحسب.

"هل يسعها ذلك؟"

"لستُ أدري. فهي لم تفعل ذلك من قبل".

ربما يجدر بها الانتظار حتى يعلموها ذلك في المدرسة. قولي لها أن تستقلّ سيارة أجرة إن أرادت الذهاب وحدها". كان ذلك اقتراحاً عملياً لم يسبق **لسابرينا** التفكير فيه وقد بدا منطقياً جداً.

"إنها فكرة رائعة. سأخبرها ذلك في الصباح".

"قولي لها أن تكفّ عن هذا الحرص الشديد على المال. بوسعها تحمّل كلفة سيارة أجرة". فضحكت الاثنتان. كانت **آني** تحبّ التقتير في صرف المال، وبسبب كونها فنانة كانت حريصة جداً في صرف المال لسنوات. كانت الأخريات أقل حرصاً منها على المال نظراً للرواتب التي كنّ يتقاضينها.

ابتسمت **سابرينا**: "سأبلغها بفكرتك".

كانت **تامي** قد وصلت إلى منزلها في ذاك الوقت، وجلست في سيارتها لدقائق معدودة تتحدث مع **سابرينا**، ثم قالت إن عليها دخول منزلها. كانت الساعة العاشرة تقريباً ولم تأكل منذ الفطور. إذ لم يتسنَ

لهـا الـوقت لتـناول الطعام. وقد كانت معتادة على ذلك. كانت قد أكلت الحلوى طيلة النهار لتقوى على مواصلة نهارها.

قالـت **تامي**: "اتّصلي بي في الغد وأخبريني بما سيجري". في حين وقفـت **خوانيتا** على المقعد المحاذي لها وتمدّدت وتثاءبت. كانت قد أكلت لحـم الحـبش وقـت الظهر. إذ اعتادت **تامي** على الاهتمام بها أكثر من اهتمامها بنفسها.

قالـت **سـابرينا**: "سأفعل، احصلي على بعض الراحة. فالمشاكل لن تنتهي. لا يسعك أن تحلّي المشاكل كلها في يوم واحد".

قالـت **تامي**: "لا ولكنني أحاول، في الغد سيكون بانتظاري كم هائل آخر من المشاكل إذ يبدو أن لكل يوم مشاكله". ثم أقفلت الخط.

في اليوم التّالي، تبيّن أنها كانت محقّة. وبالرغم من صعوبة تصديق الأمر إلاّ أن اليوم التالي كان أسوأ. فقد واجهوا اعتصاماً غاضباً. كان تقنيو الصوت ينسحبون. بات كل شيء في موقع التصوير في حالة فوضى. وقد كان ذلك كابوس كل منتج. ووصلت إلى **تامي** أنباء بأن نجمتهم الحامل قد رفعت دعوى. فبدأت الصحافة بالتعليق على هذا الأمر.

قالـت **تامي** وهي تجلس على كرسيها، وتكافح ذرف الدموع: "يا الله لا أصدق الأمر". قالت لمساعدتها: "لا يعقل أن كل هذا يحدث". ولكنه كان بالفعل يحـدث. وقـد كان باقي النهار أسوأ. "ذكّريني من جديد لمَ رغبتُ بالعمل في التلفـزيون وتخصّصتُ فيه. أدرك أنه لا بد من وجود سبب لذلك، ولكن يبدو أنني نسيته". كانت قد بقيت في مكتبها إلى ما بعد منتصف الليل، ولم يتسنَ لها أبداً الاتصال **بسابرينا**. كانت قد وصلتها أربع رسائل منها إلى المكتب، واثنتان علـى بـريدها الصوتي تقول فيها إن كل شيء على ما يرام، ولكن لم تتمكّن **تامـي** من الردّ على اتصالاتها وقد تأخر الوقت جداً. فقد كانت الساعة الثالثة فجراً في نيويورك. وتساءلت كيف سار يوم **آني** الأول في المدرسة.

الفصل السابع عشر

كـان الـيوم الأول **لآني** في مدرسة باركر لفاقدي البصر كارثياً. أو علـى الأقل الجزء الأول من اليوم كان كذلك. كان قد أعجبها اقتراح **تامي** الـذي نقلـته إليها **سابرينا** فاستقلّت سيارة أجرة إلى المدرسة التي تقع في وسط فيلاج، وهو حي يضجّ بالناس في هذه الأيام، ولكنه على مسافة بعيدة مـن مكـان إقامـة الفتـيات. كانت زحمة السير خانقة، فتأخّرت **آني** في الوصول. وقد أخذت معها عصاها البيضاء، وأصرّت على أنها تعلم كيفية اسـتخدامها. وقـد رفضت أن تصطحبها **سابرينا** إلى المدرسة كطفلة في الخامسة من عمرها.

قالـت بتكبّـر: "كنت أعيش في إيطاليا، وعندما وصلتُ إلى هناك لم أكـن أتكلّـم اللغة الإيطالية. لذا أستطيع تدبّر أمري في نيويورك من دون بصري". ولكنها سمحت لأختها الكبرى بأن توقف لها سيارة الأجرة.

أعطـت **آني** السائق العنوان، وارتعبت **سابرينا** لدى رؤيتها تغادر. قاومت رغبتها الملحّة بالاتصال **بآني** على هاتفها الخلوي لتحثّها على اتخاذ الحيطة. ذُعرت فجأة من فكرة أن يقوم السائق باختطافها واغتصابها لأنها شـابة، وجميلة، وضريرة. شعرت **سابرينا** بألم في معدتها من شدّة خوفها على **آني** عندما عادت ودخلت إلى المنـزل.

تقاسمت خوفها مع **كاندي** التي قالت لها إن أختهما مجنونة. كانت قد عـادت أخيراً إلى عملها في ذاك الأسبوع، وكانت ستغادر في اليوم التالي

إلى ميلانو لتقوم بحملة تصوير لبازار هاربر. فانتشرت الثياب والحقائب في كل مكان. وقد تعثّرت **آني** باثنتين منها لدى خروجها من المنزل. فحذّرت **سابرينا كاندي** من جديد بعدم وضع العوائق في طريق أختها. وفي الوقت الذي كانت **سابرينا** تقول فيه هذا الكلام **لكاندي** وقعت فوق كلبتها.

قالت وهي تصعد إلى الطابق العلوي لتنهي ارتداء ثيابها: "هذا المكان أشبه بمستشفى المجانين". كانت قد تأخرت على مكتبها، ووجب عليها الحضور إلى المحكمة عصر ذاك اليوم في محاولة منها لوقف طلاق لم ترد له أن يحصل منذ البداية. ولكنها لم تقوَ على التفكير إلاّ **بآني** في الوقت الذي كانت ترتدي فيه تنورتها وتنتعل حذاء عالي الكعب.

عندما وصلت **آني** إلى المدرسة، دفعت للسائق نقوده، وأخطرت **سابرينا** بوصولها. خرجتْ من السيارة، وفتحت عصاها البيضاء كما تمّ تعليمها، ومدّتها، وتعثّرت مباشرة بحافة عالية جداً، فوقعت وجرحت ركبتيها. كانت قد مزّقت سابقاً بنطال الجينز عند الركبتين، ممّا تسبّب بجرحهما، فشعرت بالدم يتدفّق على رجليها. أقل ما يُقال عن هذا اليوم الأول أنه ليس بيوم واعد على الإطلاق من بدايته.

أتى حاجب يقف خارج المدرسة لمساعدتها في الدخول إلى المدرسة. فأخذها إلى المكتب ووضع لصاقات الجروح على ركبتيها بنفسه، ثم رافقها إلى الطابق العلوي ليقوموا بتوجيهها. أرشدها إلى الاتجاه الصحيح ولكنها تاهت على الفور، وانتهى بها الأمر في صف التثقيف الجنسي للطلاب المتقدمين، ولدى سماعها ما يجري أدركتْ أنها دخلت إلى الصف الخطأ. اصطحبها شخص آخر إلى الصف الصحيح، ولكن كان كل من في قسمها قد غادروا الصف في جولة على أرجاء المدرسة. لذا ضاعت من جديد، ووجب عليها أن تطلب المساعدة لتلتقي بمجموعتها. اعترفت لاحقاً لأخواتها أن الوضع دفعها إلى البكاء. كانت تشعر بوجود الدم على بنطالها

الجينز الممزق، ولاحظت أنها جرحت يديها أيضاً، وكانت تبكي بشكل يثير الشفقة، فقد احتاجت أيضاً إلى دخول الحمام ولم تكن لديها أدنى فكرة عن مكانه، كما وعجزت عن إيجاد منديل ورقي لتنظّف أنفها. فسألتها **سابرينا** عندما سمعت بالقصة لاحقاً: "وماذا فعلت؟" فبمجرد سماعها، كانت على وشك البكاء هي الأخرى. أرادت لو تحتضن **آني** ولا تسمح لها بالخروج أبداً من جديد. أجابت **آني** بابتسامة وبشكل عملي: "استخدمتُ كمّي. أعني من أجل أنفي. وانتظرت بعض الوقت حتى وجدتُ الحمام. احتبست نفسي. وفي النهاية وجدت مجموعتي".

قالت **سابرينا** وهي تتلوى في مقعدها: "يا الله كم أكره هذا".

قالت **آني**: "وأنا أيضاً". ولكنها كانت تبتسم عندها على عكس حالتها في المدرسة.

خلال التوجيه شرحوا لهم كيف ستسير الأشهر الستة التالية. كانوا سيتعلّمون كيف يتدبّرون أمرهم في وسائل النقل، وكيفية العيش في شقتهم الخاصة، وإخراج النفايات، والطهو، ومعرفة الوقت، والطباعة بأحرف نافرة أي بطريقة برايل، والتقدم لوظيفة حيث إن مكتب التوظيف سيجد لهم وظيفة إن لم يتمكنوا من إيجاد واحدة، وتبضع الثياب، وارتداء ملابسهم بأنفسهم، والتعامل مع كلب مرشد إن رغبوا بذلك. كان هنالك برنامج تدريبي إضافي للعمل مع كلب، ومن شأنه أن يمدّد فترة الدراسة إلى ثمانية أسابيع، ويتمّ العمل مع كلب مرشد خارج حرم المدرسة. وذكروا أن هناك صف تثقيف جنسي للطلاب المتقدمين، وأدرجوا عدة خيارات أخرى من ضمنها صف فني. عندما استمعت **آني** لكل اللائحة كان رأسها قد بدأ يفتل. وفقاً لهم كان الشيئان الوحيدان اللذان ستعجز عن فعلهما بعد قضاء ستة أشهر في مدرسة باركر هما قيادة السيارة والتحليق بالطائرة. حتى أنه يوجد صف للتمارين الرياضية وفريق للسباحة، وحوض سباحة بحجم أولمبي ومجازات للركض. شعرت بالإنهاك لمجرد سماعها بكل هذه

النـــشاطات. وبعد التوجيه توجهوا لتناول الغداء في الكافيتيريا وتمّ تعليمهم كيفـــية تدبّـــر هذا الأمر أيضاً، وكيفية دفع المال، وانتقاء ما يودّون تناوله. كانـــت أسماء الوجبات مكتوبة بالأحرف النافرة، وسيتعلّمون طريقة الكتابة هـــذه فـــي أول صف كل صباح. هذا اليوم كان معهم مساعدون ليخبروهم بالوجـــبات المتاحة أمامهم، وساعدوهم على وضع الصحون على الصواني وأخـــذها إلى الطاولة. كان غداء اليوم الأول مجانياً ترحيباً بهم في مدرسة باركر. اختارت **آني** اللبن وكيساً من رقاقات البطاطا. ولكنها شعرت بتوتر مـــنعها عن الأكل. كان اللبن على نكهة الأناناس، وهي لا تحبّذه على أي حال.

ســـمعت صوتاً إلى جانبها يقول: "يا الله كم هذا صعب، أليس كذلك؟ لقد تخرّجتُ من جامعة هارفرد، وبدا لي الأمر أسهل بكثير من هذا. كيف حالك؟ هل أنت بخير؟" بدا صوتاً شاباً ومتوتراً بقدرها.

قالت بحذر: "أظنّ ذلك". كان صوت ذكر.

"إذاً مـــا الـــذي أتى بك إلى هنا". قالت له باستهزاء: "من أجل القيام ببحث لكتاب".

قـــال وقد بدت عليه الخيبة: "آه أنا ضرير". شعرت فجأة بالأسف من جـــراء الكـــلام الذي بدر عنها. قالت بطريقة أكثر لطفاً: "أنا أيضاً. اسمي **آنـــي**. مـــا هو اسمك؟" شعرتْ وكأنهما طفلان يلتقيان في باحة المدرسة، ويتعرّفان على بعضهما البعض في اليوم الدراسي الأول.

"أنـــا **باكـــستر**. اعتبرت والدتي أنه يجدر بي المجيء إلى هنا. لا بد وأنها تكرهني. إذاً ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟"

"حـــادث ســـيارة في تموز". كانت هنالك ناحية حميمية في العتمة التـــي كانـــا يعيـــشان فيها، وكأنهما في مكان اعتراف. حيث بدا أسهل علـــيهما الـــبوح بمـــا يجـــول في خاطرهما في العتمة، دون رؤيتهما لبعضهما البعض.

"لقـــد تعرّضتُ لحادث وأنا أركب على متن دراجة نارية مع صديق لـــي. كنتُ مصمم إعلانات سابقاً. لذا أتصوّر أنني سأتحوّل الآن إلى بائع أقـــلام في كوب على ناصية الشارع". قال وهو يبدو مأساوياً ومضحكاً في آن معاً: "لا يوجد في هذا العالم الكثير من فرص الأعمال لمصمّم ضرير". ولكنها أُعجبت به وبدا صوته ودوداً.

"أنا... كنتُ رسامة. لذا لديّ المشكلة نفسها. كنت أعيش في فلورنسا".

"إنهم يقودون كالمجانين هناك. لا عجب أنك تعرّضت لحادث سير".

"لقـــد حـــصل الحادث هنا يوم الرابع من تموز". لم تخبره عن وفاة أمهـــا. لكان هذا كثيراً جداً حتى في عتمتهما المشتركة. كان يستحيل عليها الـــبوح بذلك. ربما تخبره لاحقاً إن أصبحا صديقين مقرّبين. ولكن كان من اللطـــيف أن تحظى بشخص تتكلّم معه في اليوم الأول. قال فجأة ودون أي سؤال: "بالمناسبة أنا شاذ".

ابتسمت وقالت: "أنا مستقيمة جنسياً. هجرني صديقي الحميم منذ وقت قريب، بعد الحادث، ولكنه لم يعرف أنني فقدت بصري".

"كم هذا تصرّف دنيء من قِبله".

"نعم، حسبما أعتقد".

"كم تبلغين من العمر؟"

"أبلغ السادسة والعشرين من عمري".

"أنـــا أبلغ الثالثة والعشرين. تخرّجتُ السنة الماضية". سألته: "من أي جامعـــة تخرّجت؟" "من جامعة ريسدي". وهذا هو الاختصار لجامعة رود آيلاند للتصميم، ويعرف هذا الاسم المختصر كل الأشخاص المنخرطين في هـــذا المجـــال. قالـــت: "ثـــم ارتدتُ أيضاً جامعة بوزا آر في باريس بعد تخرجـــي، وحصلت على شهادة ماجيستير. وكنت أدرس في فلورنسا منذ ذاك الوقت. وما عسى كل هذه الشهادات تنفعنا الآن. بعد ريسدي وبال ها نحن ذا الآن هنا، حيث سيتسنّى لنا تعلُّم كيفية استخدام المايكروويف وفرك

أسناننا. لقد وقعتُ خارج المدرسة هذا الصباح عندما كنتُ أخرج من سيارة الأجرة". وفجأة لم يبدُ الأمر مأساوياً جداً بل بدا مضحكاً تقريباً. "ثم دخلتُ عن طريق الخطأ إلى صف التثقيف الجنسي وسألوني إن كنت قد جلبت معي واقياً ذكرياً. قلت لهم إنني سأجلب معي بعضاً منها في الغد". فضحك على ما قالته. سألها باهتمام: "هل تسكنين مع والديك الآن؟ أنا أسكن مع والدتي منذ حزيران". قال ذلك وكأنه يشعر بالوحدة: "كنتُ أعيش مع صديقي قبلاً. لقد مات في الحادث. الدراجة التي تعرّضنا للحادث على متنها كانت له".

قالت بلطف ومن كل قلبها: "أنا آسفة". ولكنها ما زالت تعجز عن إخباره عن أمها. "أنا أعيش مع أخواتي لمدة سنة حتى أنهض على قدميّ من جديد. كانت أخواتي لطيفات جداً معي".

"أمي أيضاً تتصرّف معي بلطف، ما عدا أنها تعاملني وكأنني طفل في الثانية من عمري". قالت آني وهي تفكّر بالأمر: "أظنّ أن الوضع مخيف بالنسبة إليهنّ أيضاً".

ثم قيل لهم إنه آن الأوان كي يذهبوا إلى الصف. كانوا سيُقسّمون إلى أربع مجموعات.

همس لها باكستر: "آمل أن أكون في مجموعتك". وهي أملت ذلك أيضاً. بات لها صديق جديد في المدرسة. استمعوا بحذر لمجموعاتهم، وفرحا جداً عندما اكتشفا أنهما في المجموعة نفسها. تبعا باقي المجموعة إلى غرفة الصف، ووجدا مقعديهما. كان المقعد رقم 101 مكتوباً بأحرف نافرة.

همس لها: "أنا لا أذكر هذا الصف في الجامعة، ماذا عنك؟" فضحكت كالأطفال. كان مرحاً، وكثير المزاح، وذكياً، لذا أحبّته. لم تكن لديها أدنى فكرة عن شكله الخارجي، وإذا ما كان طويلاً أم قصيراً، سميناً أم نحيفاً، أبيض البشرة أم أسود أم آسيوياً. جلّ ما عرفته أنه أعجبها وأن كليهما فنانان وسيكون صديقها.

شعر الاثنان بالتعب عند نهاية اليوم. سألته إن كان بحاجة لمن يقلّه إلى المنزل، إن كان يعيش في الجزء الأعلى من المدينة وطريقه على طريقها. قال إن عليه أن يستقل باصين وقطار أنفاق إلى بروكلين، حيث عليه أن يأخذ باصاً آخر للوصول إلى منزله.

سألته بإعجاب: "كيف قطعتَ كل هذه المسافة؟"

"أعمد إلى طلب المساعدة طيلة الطريق. يستغرقني الأمر نحو الساعتين للوصول إلى هنا. ولكن إن لم آتِ إلى هنا فقد تقتلني أمي".

ضحكت آني على كلامه. "وأخواتي قد يفعلن الأمر نفسه أيضاً".

سألها: "هل ستحصلين على كلب. تظنّ أمي أنه يفترض بي ذلك".

"آمل ألاّ أضطرّ إلى ذلك فأنا أكره الكلاب. الكلاب مزعجة وكريهة الرائحة".

قال بشكل عملي: "بهذه الصفات أظنّها ستكون مفيدة جداً. وستكون رفقتها مسلية عندما أعيش في منزلي الخاص. لا أظنّ أن هناك اهتماماً كبيراً بالشاذ الضرير. أحسبني سأقضي الكثير من الأوقات وحدي". بدا حزيناً عندما قال ذلك، وعكس بكلامه مخاوفها كونها باتت امرأة ضريرة.

اعترفت قائلة: "كنت أفكر كثيراً بالأمر نفسه".

همس قائلاً: "من المؤسف جداً أنني شاذ".

"نعم بالفعل. لعلك تشفى".

بدا مذهولاً وقال: "ممّ؟"

"من الشذوذ".

"هل أنتِ جادة؟" بدت صداقتهما وكأنها على وشك أن تنتهي.

قالت وقد انفجرت بالضحك: "لا".

"لقد أحببتك يا آني".

"أنا أيضاً أحببتك يا **باكستر**". كان الاثنان يقولان هذا الكلام من قلبيهما، وقد كان أمراً لطيفاً. بدا لقاؤهما في الكافيتيريا وجلوسهما على الطاولة نفسها أشبه بالمعجزة. فنانان مصابان بالعمى ضمن بحر من الناس! حيث يوجد في المدرسة 800 شخص. كما وتعتبر هذه المدرسة إحدى أفضل مدارس تدريب المصابين بالعمى في العالم. شعرا فجأة بأنهما محظوظان لتواجدهما هناك، بعد أن شعرا في وقت سابق أن الأمر أشبه بعقاب.

سألها قبل أن يغادر كل منهما إلى منزله: "هل سنصبح صديقين حميمين؟" كانت رحلة عودتها أقصر وأسهل من رحلته. بدت لها رحلته أشبه بالطوفان حول العالم.

وعدته قائلة: "إلى الأبد". ثم تصافحا. "أتمنّى لكَ رحلة آمنة إلى المنزل".

"وأنت أيضاً. حاولي ألاّ تقعي على وجهك من جديد عندما تخرجين. فهذا يعطي للمدرسة صيتاً سيئاً. لا بأس بذلك لدى الدخول، ولكن لدى المغادرة يجدر بك على الأقل أن تحاولي إظهار نفسك وكأنك تعرفين ما تفعلينه". فضحكت من جديد.

كان المرشدون يتواجدون في الممر لمساعدة الطلاب الجدد على إيجاد الباب الرئيسي، ولمساعدتهم على إيجاد وسيلة للنقل في الخارج. أخبرت **آني** واحداً منهم إنها بحاجة إلى سيارة أجرة. فطلب منها أن تنتظر ليأتي لاصطحابها عندما يوقف لها سيارة أجرة. كانت تقف في الباحة الرئيسية وتشعر بالضياع من جديد عندما تكلّم معها أحدهم. وقد كان صوته هادئاً ولطيفاً.

"آنسة **آدامز**؟"

"نعم". بدت مترددة وشعرت فجأة بالخجل.

"أنا **براد باركر**. أردتُ أن ألقي عليك التحية فحسب وأرحب بك في المدرسة. كيف سار يومك الأول؟" لم تكن واثقة ما إذا كان يجدر بها

إخباره الحقيقة. فقد بدا راشداً جداً على عكس **باكستر** الذي كان لا يزال صغيراً في السن، حتى أصغر سناً من سنه الحقيقي.

قالت بتواضع: "لا بأس به".

"سمعتُ أنكِ تعثّرتِ لدى دخولك إلى هنا. علينا أن نطلب من المسؤولين في المدينة أن يفعلوا شيئاً بشأن هذه الحافة. فهذا يحدث طيلة الوقت". شعرت بأنها أقل غباءً لوقوعها عندما قال هذا الكلام، وقد بدا كلامه لطيفاً سواء أكان حقيقياً أم لم يكن. "هل أنتِ بخير؟"

"أنا بخير. شكراً جزيلاً لك".

"هل وجدت صفوفك ممتعة؟"

ابتسمت وقالت: "نعم". لم تخبره إنها دخلت عن طريق الخطأ إلى غرفة الواقي الذكري. فهي لم تكن تعرفه بالقدر الكافي.

"فهمتُ أنك تتكلّمين اللغة الإيطالية بطلاقة، وأنك كنتِ تعيشين في فلورنسا". بدا وكأنه يعرف كل شيء عنها، فتفاجأت لذلك.

"كيف علمتَ بهذا الأمر؟"

"إنه مدوّن في طلب دخولك، لقد قرأت كل بياناتك. لفت الأمر انتباهي لأنّني كنت أعيش في روما لفترة طويلة. فقد كان جدي السفير الأميركي هناك عندما كنت طفلاً. وقد اعتدنا على زيارته في الصيف".

تساءلتْ فجأة، وقرّرت أن تطرح عليه السؤال بما أنه يعرف الكثير عنها، حتى أنه يعرف بأمر وقوعها. "هل أنتَ ضرير؟"

"لا لستُ ضريراً؟ ولكن والديّ كانا ضريرين. فبنيتُ هذه المدرسة تخليداً لذكراهما، إثر توصية منهما لبنائها. لقد توفيا في حادث تحطم طائرة عندما كنت في الجامعة".

أثّر كلامه في **آني** كثيراً فقالت: "كم هذا مذهل!" وقد وجدته رجلاً لطيفاً. تأثّرت لكونه قد كلّف نفسه عناء التكلم معها، وقد قرأ طلبها قبل ذلك، وعلم حتى بأمر وقوعها. كان ملمّاً بكل شيء خصوصاً في مدرسة بهذا الحجم.

"لقد كبرتْ مدرستنا كثيراً منذ تأسيسها. مضى على تأسيسها ست عشرة سنة فحسب. آمل أن تستمتعي بوجودك عندنا، وإن كان بوسعي تقديم أية خدمة لك خلال وجودك عندنا، ما عليكِ إلاّ أن تحيطيني علماً".

قالت بلطف: "شكراً لك". لم تجرؤ على مناداته باسمه **براد**. لم تكن عندها أدنى فكرة كم يبلغ من العمر. ولكن بما أنه مؤسس المدرسة افترضت أنه ليس صغيراً في السن، وقد بدا لها رجلاً راشداً وليس صبياً مثل **باكستر**. لذا لم يكن بوسعها معاملته إلاّ بشكل رسمي إذ لم ترد أن تبدو فظّة.

في الوقت الذي كانا يتحدثان فيه دخل المرشد لاصطحابها. كان قد أوقف لها سيارة أجرة وهي بانتظارها. فألقى التحية على **براد** بشكل غير رسمي، ثم ودّعته بدورها، وأخذها المرشد إلى الخارج، وساعدها على ركوب سيارة الأجرة. شكرته، وأعطت السائق العنوان. وكما وعدت **سابرينا** سابقاً اتصلت بها وأخبرتها أنها في طريقها إلى المنزل. سألتها **سابرينا**: "كيف كانت هذه التجربة؟" وقد بدا عليها القلق. كانت تشعر بالقلق عليها طيلة النهار.

قالت **آني**: "لا بأس بها". ثم ابتسمت في المقعد الخلفي للسيارة. "حسناً كانت تجربة جيدة".

فابتسمت **سابرينا**، وارتاحت: "حسناً يسعدني سماع ذلك. شعرتُ وكأنني أرسلتُ ابني الوحيد إلى التخييم. كنت أشعر بالتوتر طيلة النهار. فقد خشيت أن تكرهي هذا الأمر برمته أو أن يعاملك أحد ما بقسوة. ماذا تعلمتِ؟"

ضحكت وقالت: "الواقي الذكري 101".

"عذراً".

"في الحقيقة تهتُ، ودخلتُ الغرفة الخطأ بعد أن وقعت على الحافة في الخارج. لقد تعلّمنا طريقة البرايل".

"حريّ بك أن تخبريني عن كل شيء عندما أصل إلى المنزل أي بعد نحو الساعة". كانت **آني** قد غادرت المدرسة بعد الساعة الخامسة. كان دوامهم في المدرسة من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الخامسة عصراً، خمسة أيام في الأسبوع، لستة أشهر. لقد كانت دورة مكثفة.

عندما وصلت **آني** إلى البيت كانت **كاندي** لا تزال تحزم حقائبها للسفر إلى ميلانو، فكانت غرفتها تضجّ بالحقائب. ستسافر لمدة ثلاثة أسابيع، ولكن بعد محاضرة **سابرينا** في صباح ذاك اليوم، أبقت جميع حقائبها في غرفتها حتى لا تتعثّر **آني** بها وتقع عندما تصل إلى المنزل. ثم رأت ركبتي البنطال الذي ترتديه **آني**. كانتا ممزقتين وملوثتين بالدماء.

تعاطفت **كاندي** معها على الفور وقالت: "ماذا حصل لك؟"

"ماذا تقصدين؟"

"ركبتاك".

"آه لقد وقعت".

"هل أنتِ بخير؟"

"نعم أنا على ما يرام".

"كيف سارت الأمور في المدرسة؟"

قالت **آني**: "لا بأس بها". ثم ابتسمت في وجهها وهي تبدو كطفلة صغيرة أكثر من أي وقت مضى. "في الواقع كان الجو جميلاً تقريباً".

ضحكت **كاندي**: "جميل تقريباً؟ هل التقيت بشبان؟"

"أجل. شاب في صفي وهو مصمم إعلانات. ارتاد جامعة يال وهو شاذ. كما والتقيت برئيس المدرسة وهو يبلغ مئة سنة من العمر تقريباً. أنا لم أذهب إلى هناك للقاء الشبان".

"هذا لا يعني أنه لا يسعك اللقاء بهم وأنت هناك".

"هذا صحيح".

استطاعت **كاندي** التوقّع أنها تشعر بالفرح لذهابها إلى المدرسة، باستثناء الركبتين المجروحتين لم تصب بأي أذى.

بدا يومها الأول مقبولاً لهنّ جميعاً. اتصلت **تامي** للاطمئنان عليهنّ في صباح اليوم التالي، فشعرت بالسرور هي الأخرى لدى سماع ذلك. سألتها **سابرينا** إن كانت الأمور تسير بسلاسة أكبر ممّا كانت عليه قبل أن تغادر من أجل العطلة.

"ليس بالضبط. أنا أواجه اعتصاماً غاضباً. وأكثر من 400 أمر يوجع الرأس، ولكنني بخير". بدت متوترة وكانت تشعر بالقلق على **آني**. كانت جميع أخوات **آني** إضافة إليها راضيات عن يومها الأول في مدرسة باركر.

أملت **سابرينا** أن يكون ذلك نذير خير للمستقبل، واحتفلن سوياً بذلك تلك الليلة.

الفصل الثامن عشر

سار أسبوع **تامي** من سيئ إلى أسوأ. مشاكل مع الممثلين، ومشاكل مع الشبكة، ومشاكل مع الاتحادات والنصوص. لذا مع حلول نهاية الأسبوع، كان التعب قد أخذ منها مأخذاً. وكان يزداد شعورها بالذنب في كل يوم لعدم وجودها مع أخواتها للمساعدة على تدبّر الأمور التي نجمت عن وفاة أمهنّ. كما وبدت حالة والدها مريعة. كانت **كاندي** في رحلة إلى أوروبا لثلاثة أسابيع، لذا كانت **سابرينا** تتحمّل كل المسؤولية وحدها. إذ تعتني **بآني** وحدها، وتحاول أن ترفع من معنويات والدها عن بُعد، وتتحمّل كمّاً هائلاً من الأعمال في مكتبها. لذا لم يبدُ ذلك منصفاً. والآن مع مسؤولية الاعتناء **بآني** وزيارة والدها في وقت فراغها، شعرت وكأنه بالكاد يتسنّى لها الوقت لرؤية **كريس**. كان ينام في منزلهنّ بضع مرات في الأسبوع، ولكنها قالت إنها بالكاد تملك الوقت لتتكلّم معه. كانت جميع المسؤوليات ملقاة على عاتقها، وليس على عاتق أي أحد سواها. وحتّى عندما تكون **كاندي** في المنزل، فهي صغيرة ويعوزها النضج لتتمكّن من مدّ يد العون. إذ تبلغ الحادية والعشرين من عمرها، ولكنها تبدو وكأنها في الثانية عشرة أو ربما السادسة من عمرها.

أمضت **تامي** عطلة نهاية أسبوع طويلة وهادئة لم تكفّ فيها عن التفكير. لقد أُوقف البرنامج بسبب الاعتصام، وأدركوا أنهم لن يتمكّنوا من التصوير في الأسبوع القادم بسبب هذا الاعتصام. قال الاتحاد إن بوسعهم

مواصلة الاعتصام لشهور قادمة. وبالنتيجة ستخسر الشبكة كمّاً كبيراً من المال في حال فعلوا ذلك. ولكنّ لم يكن بوسع **تامي** فعل أي شيء. ولكن الموضوع الذي كانت غارقة في التأمل فيه كان حياتها الخاصة. أمضت وقتاً طويلاً وهادئاً مع **خوانيتا**، تربّت عليها بلطف حتى نامت الكلبة الصغيرة على حجرها. لطالما كانت تشعر بحسٍّ من الأمان حينما تحمل الكلبة، وعند حلول مساء الأحد أدركت ما عليها فعله. كان القرار صعباً. كما وكان القرار الأكثر رعباً في حياتها.

في صباح يوم الأحد، اتصلتْ بالمنتج التنفيذي المسؤول عن البرنامج، وحدّدت موعداً معه عصر ذاك اليوم. كما وحدّدت موعداً آخرَ مع رئيس الشبكة في اليوم التالي. فقد كانت مدينة بذلك لهما ولنفسها. بدت حزينة عندما دخلت إلى مكتب المنتج التنفيذي وابتسم عندما نظر إليها. "لا تنزعجي إلى هذا الحدّ. لا يمكن أن يتواصل الاعتصام إلى الأبد. سنسوّي الأمر في غضون بضعة أسابيع وسنعود للعمل من جديد". فكانت نظريته أكثر تفاؤلاً ممّا كانت تسمعه من حولها. قالت وهي تجلس: "آمل أن يكون ما تقوله صحيحاً". لم تعرف من أين تبدأ. "بالمناسبة أنا آسف لخسارتك". لقد قال لها الجملة التي باتت تكرهها كثيراً. إذ بدا لها أن الناس لا يعرفون سوى هذه الجملة، وأنها طريقة سهلة للخروج من موقف ما. تماماً مثل (أتمنّى لك كل الأفضل). أي أفضل هذا؟ فخسارتها لم تكن مجرد خسارة عادية. فقد خسرت والدتها وعيني أختها. وقد كان هذا بالتحديد سبب وجودها في مكتبه. ولكن لم يكن الذنب ذنبه. إذ كان رجلاً لطيفاً، ولطالما كان رئيساً محترماً في العمل. كما وكانت تحبّ البرنامج جداً. إذ أصبح بمثابة طفلها المدلل طيلة ذاك الوقت. والآن أتت لتعيده. كان الأمر بمثابة تخلّي المرء عن ابنه. فملأت الدموع عينيها حتى قبل أن تتفوّه بكلمة.

"ما الأمر يا **تامي**، تبدين حزينة؟"

قالت: "بصراحة، أنا حزينة بالفعل". وسحبت منديلاً ورقياً من جيبها ومسحت عينيها. "لا أودّ أن أفعل ما سأفعله ولكنني مضطرة".

قال بهدوء: "لستِ مضطرة إلى فعل أي شيء لا تودّين فعله". استطاع توقّع بعض ما ستقوله، ولكنه حاول التخفيف من وطأة الأمر قبل أن تنطق به. ولكن لم تعد هناك جدوى.

قالت ببساطة والدموع تنهمر على خديها: "أتيت إلى هنا لتقديم استقالتي".

قال بلطف: "ألا تظنّين أنك تتسرّعين بعض الشيء باتخاذك هذا القرار؟"

كان يتعامل مع الأزمات بشكل يومي ويجيد التعامل معها جيداً. وبشكل عام هي أيضاً كانت تجيد ذلك. ولكنها أدركت جيداً أنه في هذه الآونة بالتحديد، هذا ليس المكان الذي تنتمي إليه. فقد احتاجت إلى الذهاب إلى ديارها. كانت لوس أنجلوس ديارها منذ أيام الجامعة، وقد أحبّت منزلها وعملها. ولكنها تحبّ أخواتها أكثر.

"إنه مجرد اعتصام".

"لا يتعلّق الأمر بالاعتصام".

"إذاً ما الأمر؟" كان يتكلّم معها وكأنها طفلة. ولكنها بالنسبة إليه كانت مجرد امرأة هستيرية تجلس على الكرسي في الجانب الآخر من مكتبه، على الرغم من أنه يكن احتراماً كبيراً لها. كانت رؤيته لها على هذه الحالة غير معهودة البتة.

"توفّيت أمي في تموز كما تعلم. وفقدت أختي بصرها جراء الحادث. وحالتي أبي يرثى لها. أحتاج إلى الذهاب إلى دياري لفترة ومدّ يد العون لهم".

"أتريدين أن تأخذي إجازة يا **تامي**؟"

"أودّ ذلك ولكن ذلك لن يكون منصفاً لك. أريد الذهاب إلى دياري لمدة سنة، لذا أتيت إلى هنا لتقديم استقالتي من العمل. أنا أحبّ عملي، أحبّ جميع الموجودين هنا. لذا أشعر بالضيق كثيراً لتركي العمل، ولكن ليس

بوسعي فعل أي شيء آخر... عدا أن أكون مع أهلي. إنهم يحتاجون إليّ هناك. فأختي الكبرى تتحمّل كل العبء على عاتقها. وأختي الصغرى صغيرة جداً في السن. وأختي التي فقدت بصرها تحتاج إلى كل المساعدة التي يمكن تقديمها لها. لذا سأنسحب". بدت حزينة جداً وهي تقول هذا الكلام. إذ كانت أكبر تضحية تُقدِم عليها في حياتها ولكنها أدركت أن هذا هو الصواب. وقد كان تركها للبرنامج أشبه بتركها لديارها أيضاً.

بدا مصدوماً وقال: "هل أنتِ واثقة؟" ولكن استحال عليه أن يجادلها في ما قالته. فقد بدا جلياً أنها تمرّ بأوقات عصيبة. أوقات عصيبة جداً، وكان يدرك مدى قربها من عائلتها. وهو أمر غير معتاد ونادر الحصول.

"نعم أنا واثقة".

"أنت تتخلّين عن الكثير".

قالت بطريقة مأساوية تقريباً: "أعلم. ولن أحظى أبداً بعمل أحبّه بقدر ما أحبّ عملي هذا، ولكنني لا أستطيع أن أخذل عائلتي". وكانت تشعر في قلبها أنها تفعل الصواب والمنطق. إذ كانت تتعذّب لتركها عائلتها منذ عادت إلى لوس أنجلوس.

"ليس هناك من برامج تليق بمستواك في نيويورك".

"أعلم ذلك أيضاً ولكن حتى لو اضطررتُ إلى العمل في برنامج ليس بالمستوى المطلوب، فسيكون ذلك لأجل عائلتي. لن أسامح نفسي أبداً إن تركت عائلتي. ففي النهاية هذا ليس سوى برنامج. وما يمرّون فيه هو حياة واقعية. تحتاج أخواتي إلى مساعدتي وكذلك أبي".

"هذا تصرّف نبيل منك يا **تامي**، ولكنها أيضاً تضحية هائلة من ناحيتك. قد تؤثّر على حياتك المهنية برمتها".

سألته بعد أن التقت عيناها بعينيه: "وإن بقيت؟ ما تأثير ذلك عليّ كإنسانة؟" لم تعتد أبداً أن تتردّد لدى اتخاذها لقرار ما. وقد ذُهل لشدة تصميمها وهي جالسة في الناحية الأخرى من المكتب.

سألها وهو يبدو قلقاً: "متى تريدين المغادرة؟"

"بأسرع وقت ممكن. هذا الأمر يعود لك. أنا لن أنسحب من تلقاء نفسي. ولكنني أودّ أن أعود إلى عائلتي في وقت قريب".

لم يحاول إقناعها بالعدول عن رأيها، فقد أدرك أنه سيعجز عن ذلك.

"لو تمهلينا حتى الأسبوع المقبل، أستطيع أن أطلب من أحد المنتجين المساعدين أن يأخذ مكانك. من المحتمل أن يتواصل الاعتصام، لذا يمنحنا ذلك بعض الوقت". في مجال عملهم، لا أحد يطيل البقاء عند تقديمه إشعار بالاستقالة، إذ تقوم عناصر الأمن بمرافقة المستقيل مباشرة إلى الخارج في غضون دقائق. ما كان أبداً ليفعل هذا بها. كان الأمر يعود له بالكامل. وقد كانت مستعدة لفعل ما يشاء، حتى لو طلب منها المغادرة في اللحظة ذاتها. فقد حسمت أمرها.

قالت وقد بدأت بالبكاء من جديد: "لا بأس سأنتظر حتى الأسبوع المقبل. أنا آسفة، آسفة جداً". قال بلطف: "أنا الآسف لأجلك". فنهض، واقترب منها، وعانقها. "آمل أن تتحسّن الأمور كلها وأن تصبح أختك على ما يرام".

"أنا كذلك". ابتسمت **تامي** بالرغم من الدموع التي تجري على خديها. "شكراً لك. أشكرك على لطفك معي وعدم رميي خارجاً".

"ما كنت لأفعل هذا بك".

"سأتفهّم ذلك إن فعلت".

شكرها من جديد، وتمنّى لها الخير وهو يرافقها إلى خارج مكتبه. اتفقا على أنها ستغادر نهار الجمعة القادم. بقي أمامها تسعة أيام عمل، وبعدها تصل حياتها المهنية إلى نهايتها - على الأقل في الوقت الراهن - وقد لا تحصل على وظيفة مرموقة بعد الآن. أدركت ذلك وهي تغادر مكتبه، ولكنها شعرت أن لا خيار أمامها.

كان اجتماعها مع رئيس الشبكة في اليوم التالي أقل عاطفيةً. فقد كان غاضباً في البداية، ثم غدا أكثر ليونة. حيث إنه ظنّ أن ما تفعله **تامي**

ضرباً من الجنون. قال لها إنها ترمي بحياتها المهنية في مهبّ الريح. وأشار لها أن تركها لعملها الذي كان أكثر من مجرد عمل لن يعيد لأختها بصرها. قالت **تامي** إن هذا صحيح، ولكنه قد يساعد على دعمها للخروج من هذا المحنة العصيبة، كما ويساعد الآخرين الذين يقفون إلى جانبها. فتمكّن من فهم وجهة نظرها، ولكنه ما كان ليأخذ مثل هذا القرار لو كان مكانها. لهذا السبب كان هو من يتولّى منصب رئيس الشبكة وليست هي. ولكنّ **تامي** أدركت أيضاً أن حياته العائلية كانت مأساوية. كانت زوجته قد تركته منذ سنتين لأجل رجل آخر. وولداه الاثنان يتعاطيان المخدرات. لذا لعله من وجهة نظر مهنية كان محقاً. ولكن من الناحية الشخصية لم تكن على استعداد لمبادلة حياتها بحياته. إذ كانت تفضّل أن تتهاون بحياتها المهنية على أن تخذل أخواتها. وربما يوماً ما تسنح لها فرصة في شبكة تلفزيونية أخرى. أما في هذه الآونة فكان عليها أن تثق بقدرها. وقد كانت تقوم بما يتحتّم عليها القيام به وبالطريقة الصحيحة أملاً أن يُحسن القدر إليها.

شكرت رئيس الشبكة على وقته، وغادرت مكتبه. لقد أُنجزت المهمة. جلّ ما بقي عليها فعله هو إنهاء هذين الأسبوعين. وقرّرت ألاّ تخبر **سابرينا وآني** بأي شيء عن الموضوع الآن. فقد أدركت أنهما ستعارضان من أجل مصلحتها. كان الأمر بمثابة هدية تودّ إعطاءها لهما وكان ذلك هو خيارها هي.

على مدى الأسبوعين حزمت حقائبها بتروٍ. وقرّرت ألاّ تؤجّر منزلها. إذ بوسعها حتّى الآن تحمّل كلفة إبقائه على حاله والاكتفاء بإقفاله. كانت حريصة في إنفاق المال، وقد ادّخرت الكثير من المال ممّا يكفيها حتى لو بقيت عاطلة عن العمل طيلة السنة القادمة، على الرغم من أنها تنوي البحث عن عمل ما في نيويورك. لا يعرف المرء ما قد يطرأ عليه. ومع بعض الحظ ستعود إلى هنا في السنة القادمة. لذا لم تنوِ بيع أي

شيء، أو القيام بأية تغييرات جذرية كالتي أقدمت عليها. على الأقل سيبقى لها المنزل بعد أن خسرت الوظيفة.

شعرت بغصّة في قلبها في يومها الأخير في العمل. فقد بكى الجميع عندما غادرت وكذلك هي. عادت إلى منزلها تلك الليلة منهكة القوى، واستلقت في الظلام و**خوانيتا** نائمة على صدرها. كانت قد حزمت كل شيء أرادت أخذه معها في أربع حقائب سفر كبيرة. كانت ستترك بقية الأغراض في منزلها. استقلّت رحلة الساعة التاسعة صباحاً في اليوم التالي أي نهار السبت، وحطّت الطائرة في مطار **جون كينيدي** في نيويورك عند الساعة الخامسة والثلث بالتوقيت المحلي. وقبيل الساعة السابعة رنّت جرس الباب في المنزل الواقع في الشارع الرابع والثمانين. لم تدرِ حتى إن كانت ستجدهنّ في المنزل. وإن لم تجدهنّ نوت أن تذهب إلى فندق حتى مساء الأحد في حال كنّ في كونيتيكيت يقضين عطلة نهاية الأسبوع.

لم يصدر أي صوت من الداخل لبضع دقائق، ومن ثم فتحت **سابرينا** الباب، وحدّقت في **تامي** التي بدت حزينة جداً، وتجرّ وراءها أربع حقائب ضخمة و**خوانيتا** في حقيبة يدها.

سألتها **سابرينا** وهي مذهولة: "ما الذي تفعلينه هنا؟" إذ لم يخطر لها أبداً أن **تامي** قد تأتي، وهذا بالضبط ما أرادته **تامي**. لم يكن هذا القرار قرارهنّ بل قرارها هي. "أردتُ أن أفاجئكن". ابتسمت **تامي**، وجرّت حقائبها إلى الداخل. كان الجو لا يزال دافئاً ولطيفاً في نيويورك. فسألتها **سابرينا** وهي تساعدها: "جلبتِ معك كل هذه الأغراض من أجل تمضية عطلة نهاية الأسبوع؟" وهي تتساءل عن سبب قدومها. فوجدتْ نظرة غريبة في عيني أختها.

قالت **تامي** بهدوء: "لا لستُ هنا لتمضية عطلة نهاية الأسبوع".

توقّفت **سابرينا** وحدّقت بها بنظرة قلق: "ماذا تقصدين؟"

"لقد عدتُ إليكنّ. تركتُ وظيفتي".

"ماذا فعلتِ؟ هل جننتِ؟ أنت تحبّين عملك وتجنين الكثير من المال".

فابتسمت **تامي** في وجهها.

"ما الذي فعلتِه بحق الجحيم؟"

قالت **تامي** ببساطة: "لم أستطع أن أدعك تحملين العبء كله بمفردك. فأنتِ أختي أيضاً".

قالت **سابرينا**: "أيتها المعتوهة". وألقت بذراعيها حول رقبة **تامي**. "أين ستعملين هنا؟ لا يسعك مجرد المكوث في المنزل".

"سأجد وظيفة ما. ربما في ماكدونالدز". وابتسمت. "هل ما زالت الغرفة الزهرية محجوزة لي؟"

تنحّت **سابرينا** جانباً وقالت: "إنها لكِ بالكامل". ثم ظهرت **آني** أمامهما والسماعات في أذنيها. فقد كانت تستمع إلى محاضرة لمدرسة باركر وعندما نزعتهما عن أذنيها سمعتْ صوت أختها.

"**تامي**؟ ماذا تفعلين هنا؟"

قالت لها: "سأنتقل للعيش معكنّ".

"حقاً؟"

"أجل. لمَ عساكنّ تحصلن على المتعة كلها من دوني". عندما قالت هذا الكلام نظرت إلى أختيها، وأدركت أنها قامت بالعمل الصحيح. ولم يساورْها أي شك البتة بذلك. وعندما ساعدتها **سابرينا** بجرّ حقائبها على مسافة طابقين، أدركت دون أي شك أن أمها كانت لتفرح بما كانت تفعله. بل أفضل من ذلك كانت لتشعر بالفخر بها.

عندما دخلتا إلى الغرفة التي ستكون غرفتها للسنة القادمة، التفتت **سابرينا** إلى **تامي**، وابتسمت، ونظرت إليها نظرة ارتياح وقالت: "شكراً لك يا **تامي**".

الفصل التاسع عشر

غيّر وصول **تامي** إلى المنزل من الأجواء بشكل كبير. كانت راشدة أخرى تتشاطر أعباء المسؤولية مع **سابرينا**، وهذا هو السبب بالتحديد الذي دفعها إلى المجيء. إن مجيئها جعل من المنزل أكثر احتشاداً من ذي قبل. بالرغم من كون **كاندي** لا تزال مسافرة. وقد أدرك الجميع أن الوضع سيصبح أكثر احتشاداً بعودتها. إذ يوجد أربع نساء وثلاث كلبات تحت سقف منزل صغير. قال **كريس** إنه يشعر بأن هناك تفوّقاً عليه في كمية الإستروجين الكبيرة الموجودة في المنزل هذه الأيام، وكانت هذه العبارة توحي بالكثير من المعاني. ففي كل مكان تنتشر أحذية نسائية، وقبعات، وفراء، ومعاطف، وصدريات، وملابس داخلية. قالت **تامي** بعد أسبوع من وجودها هناك إنها تشعر وكأنها تخلّت عن وظيفتها لتصبح خادمة.

قالت في صباح يوم أحد بعد أن غسلت آخر دفعة من الغسيل: "أنا لستُ مرتاحة في ظلّ هذا الوضع". كانت **كاندي** قد عادت إلى المنزل في الليلة الفائتة، وجلبت معها كل غسيلها، بالرغم من أنه أمكنها غسله في الفندق حيث كانت تنزل. ولكنها قالت إن الفندق قد تسبّب بانكماش كل غسيلها في المرة الماضية التي كانت تنزل فيها هناك، لذا جلبت غسيلها كله إلى المنزل. كانت **تامي** قد أصبحت المسؤولة عن الغسيل بما أنها لم تعدْ تعمل. فأعلنت عند الفطور قائلة: "أحبّكن يا فتيات". في حين حاول

كريس البقاء على الحياد. وقد أسمته **آني** "أخت شرف" في الأسبوع الماضي، فعلّق قائلاً إنه لا يعتقد أن العبارة مضحكة على الرغم من أنها قصدتها كمجاملة. ولكنه قال إنه بدأ يشعر وكأنه داستن هوفمان في فيلم (توتسي)، أو أسوأ من ذلك مثل روبن ويليامز في (السيد داوتفاير). أكملت **تامي**: "أحتاج إلى شيئين لتكتمل سعادتي: وظيفة وخادمة". فقد بدأت تدرك أنه طالما أنها عاطلة عن العمل فستصبح طاهية، وخادمة، ومسؤولة عن الغسيل، ومخبولة ما. احتاجت إلى الخروج من المنزل وإيجاد عمل. كما واحتاجت أخواتها إلى سواها لأداء الأعمال المنزلية. فهي لم تكن تقوم بها في منزلها في لوس أنجلوس حتى. فلِمَ عساها تقوم بذلك هنا؟

قالت **سابرينا** وهي سارحة في التفكير وتعطي الجزء الرياضي من جريدة صانداي تايمز إلى **كريس**: "إنها فكرة رائعة". كانوا جميعاً جالسين حول طاولة الطعام يتناولون البسكويت، ومافن العنبية، والخبز المحلى بالشوكولاته. كانت الأخوات الثلاث الكبيرات يأكلن، أما **كريس** فلم يكن يأكل لأنه سبق وأكل العديد منها. لم تلمس **كاندي** شيئاً من الطعام. لاحظ الجميع ذلك، كما ولاحظوا أنها فقدت مزيداً من وزنها خلال رحلتها الأخيرة. ولكن لم يأتِ أحد على ذكر الأمر حتى الآن. أرادت **سابرينا** التكلم مع **تامي** حول هذا الموضوع في وقت لاحق من هذا النهار.

قالت **تامي** وهي تبدو منزعجة خلال تناولها المزيد من البسكويت: "أرى أنكم جميعاً تأثّرتم باقتراحي". وكانت على عكس **كاندي** تكثر من تناول الطعام. إذ ليس لديها ما تفعله سوى الجلوس في المنزل، وتناول الطعام لدى قيامها بغسيل الثياب التي لا تنتهي. لقد كانوا يُنهكون غسالات المالك. "حسناً تجاهلوني. سأجد خادمة بنفسي". ووظيفة على الرغم من عدم معرفتها ما قد تكون عليها الوظيفة هنا.

عصر ذلك اليوم ذهب **كريس** والأخوات الأربع إلى السينما، وفي غضون ذلك لاحظت **تامي** كم باتت **آني** تجيد استخدام العصا البيضاء. لقد

صنعت الثلاثة أسابيع التي أمضتها في مدرسة باركر فارقاً كبيراً. إذ بدت مرتاحة أكثر في التجول في أرجاء المنزل، وكانت تستخدم المايكروويف بسهولة أكبر، وتعلمت الكثير من الاستخدامات اليدوية. وقد كانت تمضي وقتاً ممتعاً مع **باكستر** في المدرسة، وغالباً ما كان يتّصل بها في عطل نهاية الأسبوع. كما ولم تلتقِ مجدداً **ببراد باركر**. إذ كان لديه من هو أهم منها ليتحدّث إليه.

لم يكن الفيلم الذي ذهبوا لمشاهدته مسلياً جداً بالنسبة إلى **آني**، ولكنها رافقتهم لتمضي بعض الوقت معهم. وقد استطاعت متابعة الفيلم بالإصغاء للحوار، بالرغم من أنها علّقت على الفيلم لاحقاً بأنه تافه. بعد الفيلم خرجوا سوياً لتناول البيتزا ومازحت **كاندي كريس** بشأن حريمه.

اشتكى قائلاً: "سيبدأ الناس بالتفكير بأنني قوّاد من الطراز العالي". ولكن كانت الأخوات الثلاث مرتبطات ببعضهنّ بشكل قوي جداً. والآن بعد أن بتن يسكنّ سوياً، بالكاد تسنّى له الوقت لينفرد **بسابرينا** وحدها. ولكنه لم يشتكِ من هذا الأمر غير أنه أعلمها بأنه لاحظ ذلك. وقبل مجيء **تامي** بالكاد كانت تبيت ليلة واحدة في شقته نظراً لانشغالها بالعناية **بآني**.

كان مساء الأحد، لذا عاد إلى شقته تلك الليلة بعد تمضية بعض الوقت مع **سابرينا** وحدهما في غرفتها. أينما ذهب المرء في ذاك المنزل يجدْ أحداً ما في غرفة ما، في المطبخ، أو الصالون، أو غرفة الجلوس، أو غرفة الطعام. إذ يوجد عدد كبير من الأشخاص يعيشون تحت سقف واحد. ولكنه كان يتمتّع بروح رياضية في هذا الشأن، واقترحت **تامي** على **سابرينا** ألاّ تزيد الأمر عن حدّه.

"إنه رجل في النهاية يا **سابرينا**. لا بد وأن يسأم من رؤيتنا جميعاً عندما يودّ التواجد معك. لمَ لا تكثرين من البقاء معه في شقته؟"

"أفتقد إليكنّ عندما أكون في شقته". كانت تعي دوماً أن هذا الحال سيدوم لسنة فحسب. ولكن **تامي** لم تكن واثقة من أن ذلك واضح **لكريس**.

اعـتقدت **تامي** أنه يبدو منـزعجاً من هذا الواقع في بعض الأحيان، ولكن **سابرينا** لم تعتقد ذلك.

قالـت لهـا **تامي**: "أنت تعرفينه أكثر مني، ولكني ما كنت لأريد من وطأة الأمور لو كنت مكانك. فقد يفيض به الصبر يوماً ما".

فـي اليوم التالي فعلت **تامي** ما وعدت به، واتصلت بوكالة من أجل جلـب خادمة. شرحت للوكالة طبيعة ما تحتاج الأخوات إليه، وردّت عليها الوكالة بأن لديها خادمتين بالمواصفات المطلوبة. واحدة منهما امرأة كانت تعمل في فندق على مدى عشر سنوات، ولا تمانع العمل لدى عدد كبير من الأشـخاص. ولكـنها تعمـل ليومين في الأسبوع فحسب، وهذا لا يكفي. فـبوجود أربـع فتـيات في المنـزل، وتواجد **كريس** في بعض الأحيان، يـتكدّس الكثير من العمل. قالت لها موظفة الوكالة: "أما الخادمة الأخرى فهـي غيـر عادية بعض الشيء". كانت يابانية، ولا تتكلّم الإنكليزية على الإطـلاق، ولكـنها نظيفة ومجدّة في العمل. كانت تعمل لدى عائلة يابانية غادرت البلاد. قالت الموظفة إن لديها سجلاً مشرفاً، وأوصوا بها كثيراً.

"كيف عساي أتكلّم معها إن كانت لا تتكلّم سوى اللغة اليابانية؟"

"إنها تدرك ما عليها فعله. إن العائلة التي كانت تعمل لديها تتألّف من خمسة أولاد وجميعهم صبيان. هذا أصعب بكثيرٍ من تنظيف منـزل تقطنه أربع شابات بالغات وثلاث كلبات".

قالت **تامـي**: "ما كنت لأثق بهذا الأمر إلى هذا الحدّ لو كنتُ مكانك". وذلـك بعـد أن اختبرت بنفسها الحال إذ كانت تقوم بكل الأعمال بنفسها. ولكـن أن تحـصل على خادمة ناطقة باللغة اليابانية أفضل من لا شيء، وأفضل بكثير من أداء الأعمال كلها بنفسها.

"إنهـا تدعـى هيروكو شيباتا. أتودّين مني أن أرسلها لك عصر هذا اليوم؟"

قالت **تامي**: "نعم بالتأكيد". إذ لم يكن عندها ما تفعله.

وصلت السيدة شيباتا إلى المقابلة على الوقت، وكانت ترتدي كيمونو. وتبيّن أنها ليست عاجزة كلياً عن تكلّم اللغة الإنكليزية، فقد قالت نحو عشر كلمـات، كانت تكرّرها على الدوام سواء أكانت في موقعها أم لم تكن. في الحقـيقة بـدت فعلاً نظيفة جداً، حيث تركت حذاءها بكل أدب عند الباب عندما دخلت المنـزل. كان التفصيل الوحيد الذي غفلت الوكالة عن ذكره، وربمـا لم يُسمح للموظفة بذكره، هو أنها كانت في الخامسة والسبعين من عمرها على الأرجح، وقد فقدت جميع أسنانها. كانت تنحني أمام **تامي** في كـل مرة تتكلّم فيها معها، ممّا دفع **بتامي** إلى الانحناء أيضاً. وبدا أنها لا تمانـع وجـود الكلاب، وقد كان ذلك أمراً ملحوظاً على الأقل. قالت عدة مرات: "الكلاب لطيفة جداً". وبعد أن قامت **تامي** باستخدام لغة الإشارات، والـتكلّم بـصوت مرتفع، الأمر الذي لم يكن منه أي رجاء، والإشارة إلى سـاعة يـدها، أفلحـتْ أخيراً في إفهامها بأن تعود في صباح اليوم التالي لتجـربتها. لم تخطر لها أدنى فكرة إذا ما كانت ستأتي أم لا، ولكنها سُرَّت عندما وجدتها قد أتت.

وقفـت السيدة شيباتا عند باب المنـزل الرئيسي وخلعت حذاءها، ثم انحـنت احتـراماً للجمـيع، أي **لكاندي** التي كانت ترتدي سروالاً داخلياً وقميصاً شفافاً، و**آني** التي كانت تخرج من المنـزل متوجّهة إلى المدرسة، و**سـابرينا** التي كانت متوجّهة إلى العمل، والكلبات التي يدبّ فيها النشاط عـند النظـر إلـيها. شـعرت **تامي** بالسرور لبقاء الخادمة حتى الساعة السادسة، وقد بات كل شيء مرتباً عند مغادرتها. إذ غيّرت أغطية الأسرّة ورتّبـتها بدقة متناهية، ونظّفت الثلاجة، وغسلت غسيل الفتيات، والمناشف كانـت نظـيفة ومطويّة. حتى أنها أطعمت الكلبات. المشكلة الوحيدة أنها أطعمـتها طحالـب البحر، وهي ما تبقى من الغداء الذي جلبته معها وهو عـبارة عـن مخلـل حرّيف، وطحالب البحر، والسمك النيئ؛ أما رائحته فكانـت مـريعة، فتقيّأت الكلبات من جراء تناولها لهذا الطعام. وبالنتيجة

أمضت **تامي** وقتاً أكبر في التنظيف وراء الكلبات ممّا قد تمضيه في تنظيف المنزل. لذا عندما أتت السيدة شيباتا للعمل في اليوم التالي، كما أشارت إليها **تامي** سابقاً بشتّى الطرق الممكنة، أشارت لها بخصوص الكلبات، وأطباقها، وطحالب البحر قاصدةً إفهامها بتعابير الوجه ألاّ تعيد الكرّة من جديد. فانحنت السيدة شيباتا نحو ست عشرة مرة في كل الاتجاهات لتُعلم **كاندي** أنها فهمت.

كانت **كاندي** قد نشرت الفوضى في جميع أرجاء المنزل في الليلة السابقة بعد أن مرّ عليها أصدقاؤها، لذا كان أمام الخادمة الكثير من العمل. وقد كانت ترتيبات توظيفها تسير على خير ما يرام. حيث أخبرت **تامي** الوكالة أنها وظّفت السيدة شيباتا، فباشرت في عملها، وحافظت على نظافة المنزل وترتيبه، وعندها شعرت **تامي** أنها امرأة حرة. إذ لم تعد مضطرة إلى غسل المناشف أو التخلّص من النفايات من جديد. وقد أشعرها ذلك بالراحة نظراً لأن أحداً لم يكن مستعداً لتولي هذا الأمر عنها.

كانت المشكلة الأولى قد حلّت، ولكن وجب على **تامي** الآن حلّ مشكلة أكثر أهمية، قبل أن تتمكّن من البحث عن وظيفة. وكانت قد اتفقت **وسابرينا** على وجوب القيام بشيء ما بشأن عدم انتظام أكل **كاندي** قبل أن تصاب بالأذى، لذا واجهتاها بالأمر تلك الليلة. وقد كانت الليلة الأنسب لفعل ذلك، لأن **كريس** كان يشاهد مباراة كرة سلة مع أصدقائه، وكان ذلك أمراً حسناً، لأن صراخ **كاندي** وصل حتى بروكلين نتيجة غضبها واستنكارها لكلامهما. وقد قالت أختاها الكبيرتان إنهما ما عادتا تأبهان للعذر الذي تتمسك به لخسارتها وزنها. لذا أمامها خياران، إما المستشفى أو طبيب نفسي. فبدت **كاندي** مذهولة.

"هل تتكلّمان بجدية؟ كيف عساكما تكونان بهذه القسوة. من الفظاظة أن تقوما بتكبير مسألة وزني بهذه الطريقة. ما كانت أمي لتفعل ذلك أبداً. كانت أكثر لطفاً منكما بكثير".

قالت **تامي**: "هذا صحيح، ولكننا نحن هنا الآن أما هي فلا، وأنت أيضاً لن يعود لك أي وجود إن لم تفعلي شيئاً بصدد نحافتك. **كاندي** نحن نحبك، ونعتقد أنك ستصابين بالمرض الشديد. لقد خسرنا أمنا. ولا نريد خسارتك". كانتا محبتَين وإنما حازمتان. فأقفلت باب غرفتها بعنف، وألقت بنفسها على سريرها، وبكت لساعات، ولكن لم تتأثّر أختاها بذلك قيد أُنملة. فقد كانتا تدركان أنها جنت ما يكفي من المال لتحظى بالاستقلالية وشراء شقتها الخاصة ولكنها لم تكتفِ. فقاطعتهما ليومين، وكانت في تلك الأثناء تقلّب الفكرة في رأسها. وفي النهاية، فاجأت الجميع، ورضخت للذهاب إلى طبيب نفسي. قالت **كاندي** إن أكلها لا يشكو شيئاً، وإنما المشكلة فيهما، فهما كانتا تريانها تأكل فحسب، وإن ما كانت تأكله مفيد للصحة. ربما مفيد لصحة عصفور كناري أو همستر، وإنما ليس لامرأة يبلغ طولها مئة وثمانين سنتم. أكّدتا لها أن ما عليها أن تسمن لترضيا عنها، وأنهما بالتأكيد لا تشعران بالغيرة منها. حتى أنها أشارت إلى أن وزن **تامي** يزداد، وهذا صحيح. فبالرغم من أنها هي الأخرى لم تكن سمينة، ولكنها كانت أقصر بكثير من **كاندي**، لذا حتى ولو ازداد وزنها قليلاً فسيظهر ذلك جلياً. كان وزنها قد ازداد خمسة باوندات منذ وصولها إلى نيويورك. ولكن كانت المسألة الأهم وفقاً لهما، والتي قد ينجم عنها نتائج خطيرة، مسألة أكل **كاندي** الذي خرج عن السيطرة.

أخذت **تامي** موعداً من الطبيبة النفسية، واصطحبتها إلى اللقاء الأول. لم تدخل معها، ولكنها كانت قد اتّصلت مسبقاً بالطبيبة وتكلّمت معها. كانت **كاندي** غاضبة عندما خرجت، ولكنها أعطتهما لائحة مشتريات قامت **تامي** بشرائها على الفور، وعلى الأقل بات الجميع يراها تأكل ولم يتمّ تجاهل المشكلة. لهذا السبب كانت أختاها إلى جانبها. من المفروض أنهما موجودتان لأجل **آني**، ولكن من الواضح أن **كاندي** احتاجت إلى مساعدتهما أيضاً. بسبب وجودهنّ تحت سقف واحد، بات التعاطي مع هذه المسائل

أسهل بكثير. سألت **سابرينا تامي** وهما مستلقيتان على الأريكة بعد نهار مضنٍ في العمل: "هل خالجك شعور بأننا أنجبنا ابنتين راشدتين هذا الصيف؟" كانت قد مثلت في المحكمة ثلاث مرات هذا اليوم.

ضحكت **تامي** وقالت: "نعم شعرت بذلك. بتّ أكن احتراماً لأمي أكثر من أي وقت مضى. لست أدري كيف تحمّلتنا عندما كنا صغاراً".

كانت الأختان لا تزالان قلقتين على أبيهما، ولم يتسنَّ لهما الوقت لرؤيته منذ عدة أسابيع. إذ كانت كل الفتيات منشغلات جداً في المنزل. ما عدا **تامي** التي باتت تمضي وقتها بتقديم التوجيهات للسيدة شيبانا بلغة الإشارة، واصطحاب **كاندي** و**آني** إلى الطبيبتين النفسيتين. شعرتْ أكثر من أي وقت مضى أنها أم لفتاتين مراهقتين، ممّا أدّى بها إلى المشروع رقم ثلاثة وهو إيجاد وظيفة. ولكنها أدركت أنها لن تجد وظيفة مثل التي كانت تشغلها في كاليفورنيا، إذ لم يساورها أي شك في ذلك. ولكنها احتاجت إلى أن تملأ وقتها بأشياء أكثر من التي كانت تقوم بها، وإلاّ فسيصحّ كلام **كاندي**، وجلّ ما ستفعله هو الجلوس وتناول الطعام. كانت تحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك في الحياة. إذ كانت **كاندي وسابرينا** تعملان. و**آني** ترتاد المدرسة. أما هي فكانت الوحيدة بين أخواتها التي لم يشغلها أي شيء مهم، ما عدا التواجد في المنزل ليلاً لدى عودة الجميع. فشعرت وكأنها سيدة منزل، وكأنها تفقد هويتها.

أخذ المشروع الثالث وقتاً أطول من المشروعين الأول والثاني. لم تقوَ على ترتيب مقابلات عمل حتى منتصف تشرين الثاني. وقد تكلّمت مع العديد من القيّمين على البرامج التلفزيونية، ولكنها كرهت طريقة تنفيذهم لها. كان مستوى البرامج أقل مرتبة بكثير من البرامج التي كانت تنفّذها. أخيراً، تكلّمت مع أشخاص قيّمين على برنامج سمعت به ولكن لم تشاهده من قبل. كان من عداد برامج الواقع. وكان عنيفاً، ورخيصاً جداً. ويركّز البرنامج على الأزواج الذين يواجهون متاعب في علاقاتهم، ويُسمح لهم في

هذا البرنامج بشكل أساسي بالمشاجرة على شاشات التلفزة. لم يكن مسموحاً التضارب بالأيدي، إلاّ أن أي شيء عدا ذلك كان مسموحاً به. وقد كانت تتابعهم طبيبة نفسية في البرنامج، تبيّن لاحقاً أنها امرأة مجنونة تشبه الرجال إلى حدٍّ ما. يدعى البرنامج ***هل يمكن إنقاذ هذه العلاقة؟ الأمر عائد لكم***. بدا البرنامج فظيعاً جداً بحيث تقدّمت **تامي** للعمل فيه رغماً عنها. من الناحية المهنية، سيكون محرجاً لها أن تربط اسمها بهذا البرنامج، ولكن كانت نسبة مشاهدته جيدة، كما وكانوا في أمس الحاجة إلى منتجة. حيث إن المنتج الذي بدأ البرنامج معهم قد ترك عمله من أجل المشاركة في برنامج ناجح جداً على محطة أخرى. لم يصدّقوا أن أحداً بمؤهلات **تامي** مستعد للتكلم معهم. وهي نفسها لم تصدّق الأمر.

لم تخبر أياً من أخواتها أنها ستتكلّم معهم حول الوظيفة. ولكنها كانت واثقة بأنهنّ سيُذهلن، تماماً كحالها هي. ولكنها كانت تشعر بالضجر الشديد نتيجة مكوثها في المنزل دون القيام بأي شيء ما عدا انتظار عودة أخواتها في المساء. وكانت **آني** تبلي بلاء حسناً في مدرسة باركر بعد الأسبوع الخامس. باتت **تامي** الوحيدة التي لا تملك هدفاً في حياتها، على الرغم من أنها كانت مسرورة لانتقالها إليهنّ لتمضية السنة معهن. إذ شعرت وكأنهنّ بحاجة إليها ويستفدن من وجودها، وهي أيضاً كذلك بعد خسارتهنّ لوالدتهنّ منذ ثلاثة أشهر ونصف.

ذهبت **تامي** إلى الموعد عصر نهار الخميس. كانت قد أرسلت إليهم في وقت سابق سيرتها الذاتية، وعلموا بأمر إنتاجها لبرنامج في لوس أنجلوس. كانت محترفة من الدرجة الأولى. وإن قبلت بالعمل معهم فلقد توقّعوا منها أفكاراً جديدة للمحافظة على البرنامج، الذي كان نجاحه قد بدأ بالانحدار بعض الشيء، على الرغم من أن نسب مشاهدته ما تزال مرتفعة ممّا أثار اندهاش **تامي**، إذ إن فكرة البرنامج كانت تجذب المشاهدين. يمثّل البرنامج أو يعكس المشاكل التي يواجهها الناس في علاقاتهم، من الخيانة،

إلى العجز الجنسي، أو الأذى العاطفي، أو الحموات المتسلطات. بدت أيضاً إساءة استخدام المواد وجنوح الأطفال من أبرز أسباب مشاكل الناس، وقد أثيرت في البرنامج أيضاً. يمثّل البرنامج شريحة من الحياة وكل ما يريد المرء معرفته حول علاقات الناس وحياتهم. وقد شدّ انتباه الجمهور إليه. هذا ما أظهرته تصنيفات نيلسن لنسب المشاهدين.

توجّهت **تامي** إلى الاجتماع بتخوّف، والتقت بالمنتج المنفذ في مكتبه. وتفاجأت عندما وجدته إنساناً طبيعياً. كان حائزاً على شهادة في علم النفس من جامعة كولومبيا، وفضّل أن يُبقي مقر البرنامج في نيويورك عندما أطلقه. كان متزوّجاً منذ ثلاثين سنة وأنجب ستة أبناء. عمل كمستشار للأزواج طيلة سنوات عديدة، قبل دخوله عالم التلفزيون. حيث بدأ العمل في عالم الرياضة، ثم تمكّن أخيراً من صياغة فكرته على التلفاز بظهور برامج الواقع. كان ذلك بالنسبة إليه بمثابة حلم قد تحقّق، تماماً كما كان برنامجها بالنسبة إليها. وإنما كان نوعاً مختلفاً جداً من البرامج. ومثل معظم برامج الواقع لم يكن مستواه جيداً. ولكنّ بعض الأزواج الذين صوّروهم بدوا معقولين حتى بالنسبة إليها. أما أغلبهم فيسيؤون التصرف وهذا ما يفضّل الجمهور مشاهدته.

جرى بينهما حوار ممتاز، واعترفت أنه أعجبها، على الرغم من أن المنتج المساعد كان مغفلاً وأساء التعامل معها. كان يدافع عن نفسه، أراد هذه الوظيفة الكبيرة لنفسه، ولكن لم يُطرح اسمه ليشغلها. سألها المنتج المنفذ إيرفينغ سولومون عند وصول لقائهما إلى نهايته: "إذاً ما رأيك؟"

أجابت بصراحة: "أظنّه برنامجاً مثيراً للاهتمام". لم تقل إنه أعجبها وإلاّ ما كان ما تقوله صادقاً. إذ إن موضوعه ما كان يرقى لمستواها الفكري بما فيه الكفاية من عدة نواحي. ذلك لأنه لم يسبق أن استمالها استغلال مشاكل الناس ولا الغرق في هذا النوع من الرياء. ولكن من ناحية أخرى أرادت أن تعمل. وكان هذا البرنامج على ما يبدو هو الوحيد المتوفر

هناك. فقد كانت خيارات البرامج في نيويورك ضئيلة جداً. سألت بتركيز عال: "هل فكّرتم بجعل البرنامج أكثر جدية؟" لم تكن واثقة كيف ستقوم بذلك ولكنها كانت مستعدة لطرح الفكرة.

"لا يريد مشاهدونا البرامج الجادة. لديهم ما يكفيهم من الألم في حياتهم الخاصة. يريدون أن يروا الناس يعبّرون عمّا بداخلهم لفظياً بالطبع وليس جسدياً، بالطريقة التي يتمنّون أن يفعلوها مع شريكهم أو شريكتهم إن تجرّؤوا على ذلك. إننا الأنا البديل لديهم. إننا نملك الشجاعة التي يفتقرون إليها". كانت تلك هي طريقته في النظر إلى فحوى البرنامج، ولكن **تامي** لم تنظر إليه من هذه الناحية. ولكنهم لن يوظفوها لتغيّر صياغة البرنامج أو لتحسّنه، وإنما لمجرد إبقائه على الهواء ورفع نسبة مشاهديه إن أمكنها ذلك. كان هذا هدف أي برنامج تلفزيوني. كيف يمكن رفع نسبة المشاهدين أكثر؟ هذا ما أرادوه بالضبط. "ما الذي أتى بك إلى نيويورك بالمناسبة؟ فالبرنامج الذي انسحبتِ منه مذهل". شعرت من خلال كلامه ببعض اللوم، فهزّت رأسها. وصوّبت له فكرته: "أنا لم أنسحب، بل قدّمت إشعاراً باستقالتي، ومن ثم استقلت". قالت بكبرياء شديد: "حصلت مأساة في عائلتي هذا الصيف وأردتُ التواجد هنا". فهزّ برأسه.

"يؤسفني ما حصل معك". سأل ببعض الاهتمام: "هل تحسّن الوضع؟"

"الوضع في تحسّن، ولكنني أودّ أن أبقى هنا الآن لأحرص على أن تبقى الأمور في نصابها".

"هل عندكِ وقت للعمل في البرنامج؟"

قالت بثقة: "نعم عندي وقت". فبدا عليه الارتياح. كانت محترفة من الدرجة الأولى، وقد أدرك أنها ما كانت لتتكلّم معه إن لم تكن مهتمة بالوظيفة. وقد تمنّى من كل قلبه أن تكون مهتمة. أدرك مباشرة أنه يريدها أن تعمل معه. فلم يقابل أحداً سواها، وتكلّم معها كثيراً حول البرنامج. أعطاها أشرطة للبرنامج، وطلب منها أن تفكّر في الموضوع وتردّ عليه.

لم يرغبوا بتغيير تفاصيل البرنامج الناجحة. وأراد منها أن تحترم هذا الأمر أيضاً. وعدته قائلة: "سأردّ عليك بعد بضعة أيام". إذ أرادت أن تشاهد أشرطة البرنامج. ثم لحظة خروجها، التقت بالطبيبة النفسية. لم تصدّق الشكل الذي رأتها عليه. فكلمة مبهرجة لا تفيها حقها. كانت تضع نظارة مزينة بحجر الراين، وترتدي فستاناً ضيقاً جداً يكشف عن صدرها الضخم. بدت كامرأة تعمل في ماخور، ولكنّ المنتج المنفذ ادّعى أن الجمهور والأزواج يحبّونها. إنها تدعى ديزيريه لافاييت، ولا يعقل أبداً أن يكون هذا اسمها الحقيقي. بدت **لتامي** وكأنها من عداد المتحوّلين جنسياً، وتساءلت إذا ما كانت فعلاً كذلك. ما كان ليفاجئها شيء في هذا البرنامج، ناهيك عن طبيبة نفسية كانت رجلاً في يوم من الأيام.

عادت إلى المنزل، وشغّلت الشريط الأول وكانت تشاهده بعناية عندما رجعت **آني** من المدرسة. وقفت في غرفة الجلوس لدقيقة، واستمعت إلى ما كانت **تامي** تشاهده، وانفجرت بالضحك.

"ما هذا بحق الجحيم؟"

قالت وهي تركّز على زوجين يظهران على الشاشة: "إنه برنامج أتفحّصه". كانا يتصرّفان بطريقة تفوق القدرة على التصور، وقد شتما بعضهما بكل الأساليب.

"آمل ألاّ تكوني جدية".

"بل أظنّني جدّية. لنغيّر الموضوع، كيف كانت المدرسة؟"

"جيدة". لم تقل أبداً ممتازة ولكنها على الأقل لم تقل إنها فظيعة، وقد شعرت أخواتها أنها بدأت تحبّها. نظرت **تامي** إلى ساعتها. إذ كان عليها اصطحابها إلى طبيبتها النفسية، وذكّرتها بذلك في حال أرادت تناول بعض الطعام قبل مغادرتهما. "أنا في السادسة والعشرين من عمري ولست في الثانية. أستطيع الذهاب بسيارة أجرة إن أردتِ مواصلة مشاهدة هذه التفاهات".

قالت **تامي** وهي تغلق جهاز التلفاز: "أستطيع مشاهدته لاحقاً". ولكنها كانت قد أخذت قرارها. كان فظيعاً، ولكن لمَ لا تجرّب حظها؟ كانت ديزيريه لافاييت أسخف ممّا يمكن وصفها. كما وأن البرنامج يتّسم بخاصية معينة، نوع من التعاسة غير المحبّبة، ولكن مع ذلك، كان وراء كل سلبياته بارقة أمل. نادراً ما كانوا يقولون للناس أن يضعوا حدّاً لعلاقاتهم، وقد حاولت ديزيريه أن تمدّهم بالأفكار حول كيفية تحسين هذه العلاقات، حتى لو كانت هذه الأفكار غريبة بعض الشيء. والمشاركون في البرنامج غاية في الوقاحة. لم يكن في البرنامج أي شيء مشرّف.

علّقت **آني** لدى خروجهما: "لا بدّ وأنك وصلت إلى أقصى درجات اليأس طلباً لوظيفة ما".

اعترفت **تامي**: "أظنّني فعلاً كذلك". وقد فكرتْ في الأمر خلال انتظارها **لآني** في عيادة الطبيبة شتاينبرغ. لقد بدا أن جلسات **آني** مع الطبيبة النفسية تجديها نفعاً. إذ أصبحت تتقبّل وضعها أكثر ممّا كانت عليه في البداية، كما وتناقص الغضب لديها. وأحبّت **تامي** الاعتقاد بأن إحاطتها **لآني** هي وأختيها اللتين تحبّانها جداً، كانت تنفعها جداً.

تلك الليلة، أكملت مشاهدة بقية الشرائط في غرفتها. وقد كان بعضها أفضل حالاً والبعض الآخر أسوأ، إلى أن كوّنت فكرة عامة عن البرنامج. إن وجود هذا البرنامج على سيرتها الذاتية قد يبدو في غير صالحها، خصوصاً بعد البرامج الأخرى التي عملت فيها والتي كانت بمستوى عالٍ. ولكنه كان البرنامج الوحيد المتوفّر لها حالياً. كانت قد اتّصلت بجميع معارفها ولم يرغب أي منهم بتوظيف منتجة في هذه الآونة. كما ولم يكن لديها ما تفعله.

اتّصلت بإيرفينغ سولومون في صباح اليوم التالي، وقالت له إن الوظيفة تهمّها. ذكر بعض التفاصيل، فقالت له إن وكيلتها ستتّصل به. كان عليها الاتصال بها في لوس أنجلوس، إضافة إلى الاتصال بمحاميها. سيتوجّب عليها

قضاء وقت كبير في التفسير لهما لمَ وافقت على المشاركة في هذا البرنامج.

كان عقدها السابق يضمّ عبارة "من غير منافس"، لسنة مقبلة، ولكن ليس في هذا البرنامج أية خاصية تجعله في موضع منافسة مع برنامجها السابق. كانت واضحة في هذا المجال. كما وأن الراتب الذي عرضه عليها بدا معقولاً. وكان العمل صادقاً حتى لو كان مبتذلاً بعض الشيء. فالعمل يبقى عملاً. كما ولم تكن إنسانة ترغب بأن تبقى عاطلة عن العمل، وتمضي حياتها في التسوق وتناول الغداء مع صديقاتها. حتى أنه لم يكن لديها صديقات في نيويورك، وكل أخواتها مشغولات. فأرادت أن تشغل نفسها هي الأخرى. قال إيرفينغ إنه في حال توصّلا إلى اتفاق بسرعة يريد منها الحضور في الأسبوع المقبل. فقالت إنها ستفعل ما بوسعها حتى تسرع من خطى وكيلتها.

أعلنت عن هذا الخبر لأخواتها وقت العشاء، فحدّقن فيها. كانت **آني** على علم بذلك، أما **سابرينا** فوجدتها مجنونة. قالت **كاندي** إنها سبق لها وشاهدت البرنامج ووجدته قذراً جداً. سألتها **سابرينا** وهي تبدو قلقة: "هل أنت واثقة؟ هل سيؤذي ذلك سمعتك لاحقاً؟"

قالت **تامي** بصدق: "آمل ألاّ يفعل؟ لا أظنّ ذلك. قد يبدو الأمر غريباً بعض الشيء ولكن لن يضرّني أن أجرّب تلفزيون الواقع من جديد. لقد قمتُ بذلك منذ بضع سنوات، ولم يضرّ حياتي المهْنية شيء. طالما أنني لا أجعل منه مهنتي طوال الحياة".

دفع ذلك **بسابرينا** إلى الشعور بقليل من الذنب نظراً لما تخلّت عنه **تامي** لمجيئها إلى هنا، وقد قامت بكل هذا من أجل مساعدتها. ولكي تكون إلى جانب **آني** أيضاً التي كانت بيت القصيد. ولكن لم يبدُ على **تامي** أنها ندمت على مغادرة لوس أنجلوس. كانت قد أقفلت الباب على برنامجها القديم، ولم تنظر أبداً إلى الوراء. وهي الآن تفتح باباً جديداً. مع أزواج غاضبين، وطبيبة نفسية تدعى ديزيريه لافاييت تنتظر لتتعرّف عليها. مجرد التفكير في ذلك أرعب **سابرينا**، ودفع **بتامي** إلى الضحك.

الفصل العشرون

بمجرد أن بدأت **تامي** بالعمل بدأت وتيرة الحياة في المنزل الواقع في الشارع الرابع والثمانين شرقاً تسرع جداً. إذ كانت **سابرينا** تحظى بفصل خريف مليء بالانشغالات، حيث بدا وكأن نصف الأزواج في نيويورك يودّون الحصول على الطلاق وكانوا يتّصلون بها. فبعد انقضاء فصل الصيف، وبمجرد عودة الأولاد إلى المدرسة كان الناس يتّصلون بمحاميهم ويقولون: "خلّصونا ممّا نحن فيه". كانوا عادة يفعلون ذلك أيضاً في الأعياد.

أما **كاندي** فكانت تذهب يومياً للقيام بحملات تصوير، بعدما عادت من أوروبا. وقد أسعفها بعض الشيء التدخل الذي أقدمت عليه أختاها بشأن اضطراب أكلها. فلم تعانِ أبداً من مرض الضور، ولكنها كانت تعزف عن تناول الطعام فحسب، وتعاني من مرض فقدان الشهية. بدت **كاندي** وكأنها زادت بضعة كيلوغرامات، على الرغم من أنها لا تزال تحت الوزن المطلوب بكثير، وكان هذا ما تتطلّبه طبيعة عملها. فقد كانت تتقاضى الكثير من المال لتبقى على هذا الخط. وكانت هذه معركة يصعب الفوز بها. عندما تكلّمت طبيبة **كاندي** النفسية مع **سابرينا** سمت ما أصابها بمرض فقدان الشهية في مجال الموضة. لم تكن **كاندي** تعاني من مشاكل نفسية متجذرة في طفولتها أو مرحلة رشدها. إلاّ أنها كانت تحبّ شكلها، وكذلك حال ملايين النساء اللواتي يقرأن مجلات الموضة، والأشخاص

الذين يؤلفون هذه المجلات. لذا فالمشكلة ثقافية، ومالية، وبصرية، وليست نفسية ولكن الطبيبة قالت إن الناحية النفسية تمثّل عنصراً مهماً. كانت أختاها قلقتين على صحتها. إذ لم ترغبا أبداً بخسارة فرد آخر من العائلة، حتى ولو ماتت وهي تبدو رائعة الجمال وغنية وتحتلّ صورتها غلاف مجلة فوغ. وكما قالت **تامي** حول هذا الأمر: "تباً لكل ذلك".

بعد شهرين، بدا أن **آني** تبلي حسناً في مدرسة باركر، حيث أصبحت هي **وباكستر** صديقين حميمين، يلتقيان أحياناً خلال عطل نهاية الأسبوع، ويتحدثان حول الفن وآرائهما، والأشياء التي ظنّا أنها مهمة في هذا المجال، والأعمال التي كانا قد شاهداها وأحبّاها. وقد تكلّمت معه لساعات حول يوفيتزي في فلورنسا، وبدل أن تشعر بالغضب باتت تقول إنها ممتنة لأنها رأتها قبل أن تفقد بصرها. لم تأتِ أبداً على ذكر **تشارلي**، إذ كان عبارة عن خيبة أمل كبيرة، ولا زالت تشعر أنه غدر بها. ولكن ليس بالقدر الذي ستشعر به في حال علمتْ بالحقيقة. لم تنطق أخواتها أبداً بكلمة عمّا حصل. كان **باكستر** قد التقى برجل في حفلة حضرها في المدينة. وبدا أن الرجل دمث. كان قد تناول الغداء مع **آني وباكستر** في المدرسة في أحد الأيام، وقالت **آني** إنه يبدو إنساناً طيباً. كان يقتطع من وقتهما سوياً بطريقة ما، ولكنها لم تمانع ذلك. كان يبلغ التاسعة والعشرين من عمره، ويعمل كمصمم أزياء للرجال في دار أزياء عريقة، وقد ارتاد مدرسة بارسونز للتصميم. لم يبدُ أنه يأبه لكون **باكستر** ضريراً، ممّا شجّع **باكستر وآني** ورفع من معنوياتهما. يوجد فعلاً حياة بعد فقدان البصر. ما زالت **آني** تشكّ بأن تحظى بتجارب غرامية فعلية، ولكنها قالت إنها لا تهتمّ ولكن أحداً لم يصدقها. إلاّ أن المهم الآن أنها كانت تتعلّم أموراً مفيدة في المدرسة.

كلّفت **سابرينا آني** بإطعام الكلبات. نظراً لأن السيدة شيباتا غير قادرة على فعل ذلك. فقد كانت على الدوام تطعم الكلبات أشياء تشعرها

بالغثيان. حيث أقدمت مرة على إطعام **بولا** طعام قطط، ممّا دفع بها إلى الخضوع للعلاج عند طبيب بيطري لأسبوع، وقد كلّف ذلك مالاً طائلاً. وكانت مستمرّة بدس طحالب البحر في طعام الكلبات من وقت إلى آخر. كانت **آني** تتواجد في المنزل أكثر من أخواتها، وتعود من مدرستها قبل أن تعود أخواتها من أعمالهنّ، لذلك كلّفتها **سابرينا** بهذه المهمة. فثار غضب **آني**.

"لا أستطيع. أنتنّ تعرفن على كل حال أنني أكره الكلاب".

"لا يهمّني. تحتاج كلباتنا إلى الأكل، ولا أحد سواك لديه الوقت لإطعامها. ليس لديك ما تفعلينه بعد المدرسة ما عدا الذهاب إلى طبيبتك النفسية مرتين في الأسبوع. وستسبّب السيدة شيباتا المرض للكلبات، ممّا قد يكلّفنا مبالغ طائلة لدى الطبيب البيطري. كما وأنك لا تكرهين كلباتنا، والكلبات تحبّك، لذا فلتطعميها". ثارت **آني** غضباً، ورفضت إطعام الكلبات لأسبوع. فتحوّل الأمر إلى معركة حامية بينها وبين أختها الكبرى. ولكن في النهاية تعلّمتْ **آني** كيفية استخدام فتّاحة العلب الكهربائية، وتقدير كمية الوجبة المطحونة، ووضعها في القدور الصحيحة التي كانت تتفاوت في أحجامها. فباتت تضع للكلبات الطعام بامتعاض عندما تصل إلى المنزل، فتضع أحياناً قطعاً باردة **لخوانيتا** التي تعتبر صعبة المراس في الأكل، فترفع أنفها في وجه طعام الكلاب التجاري الذي يشترونه لها. وفي إحدى المرات، طهت للكلبات الأرز بعد أن شعرت بالغثيان إثر معاودة السيدة شيباتا إطعامها طحالب البحر إضافة إلى واحدة من المخللات اليابانية كنوع من التحلية والتي فاحت رائحتها في كامل البيت. فكانت **تامي** تدعوه المخلل البالغ ألف سنة من العمر. إذ إن رائحة هذا المخلل تشير إلى أنه قد تعفّن منذ سنوات، وكادت هذه الرائحة تقتل الكلبات. قالت **آني** بتثاقل: "ليس من واجبي إطعام كلباتكنّ، كما وأنني لا أملك كلباً، إذاً لمَ عساي أطعمها؟"

قالت **سابرينا** بشكل قاطع: "لأنني طلبتُ منك ذلك". فقالت لها **تامي** إنها تظنّ أنها تفرط قليلاً بالقساوة. فاعترفت **سابرينا**: "هذا هو قصدي بالضبط. لا يسعنا معاملتها كعاجزة. أظنّ أن عليها القيام بمهام أخرى أيضاً". فقد كانت **سابرينا** ترسلها إلى مركز البريد لتبعث لها برسائل كلما تسنّت لها الفرص، وتطلب منها أن تجلب بعض الثياب من مصبغة التنظيف على الناشف في آخر الشارع، لأنها كانت تصل إلى المنزل على عكس الأخريات قبل أن تقفل المصبغة أبوابها. فصرخت **آني** في وجهها: "ماذا عساي أبدو لكنّ؟ فتى توصيلات؟ هل عبدكنّ الأخير رحل وبتُّ أنا مكانه؟" كانت المعركة تدور رحاها بينها وبين **سابرينا** التي تطلب منها دوماً الذهاب لقضاء بعض الحاجيات، وجلب أشياء من متجر الخردوات، وشراء مجفف شعر جديد لها بعد أن تعطّل مجفّف الشعر لديها. لقد انحصرت مهمتها في دفع **آني** إلى الاستقلالية، وهذه الطريقة الفضلى لفعل ذلك، على الرغم من أنها شعرت هي الأخرى بقسوتها في بعض الأحيان أيضاً. حتى أنها أنّبتها عندما أوقعت بعض طعام الكلبات في غرفة تخزين الطعام لتعمّ بذلك الفوضى، وطلبت منها أن تنظّف الأرض قبل أن يأتي هذا الطعام بالجرذان أو الفئران إلى المنزل. فبكت **آني** بسبب هذه الحادثة، وقاطعت **سابرينا** ليومين، ولكنها كانت بالفعل تصبح أكثر استقلالية وقدرة على العناية بنفسها مع مرور الوقت. اضطرت **تامي** إلى الاعتراف بأن خطة **سابرينا** تفلح، ولكنه كان حباً قاسياً. وفي أغلب الأحيان كانت **كاندي** تنحاز إلى جانب **آني** دون أن تفهم الدافع وراء هذه المعاملة، وتصف **سابرينا** بالساقطة. فتقف **تامي** موقف الوسيط بينهما. ولكن باتت **آني** تعود إلى ما كانت عليه أي امرأة مستقلة، بغضّ النظر عن فقدانها لبصرها. ولم تعد خائفة من الخروج إلى العالم. فقد باتت تذهب إلى السوبرماركت، والصيدلية، ومتجر الخردوات وإلى أي مكان آخر.

وكانت مشكلتها الكبيرة أنها لا تحظى بحياة اجتماعية. لم يكن لديها أصدقاء في نيويورك، وكانت تشعر بالخجل من الخروج من المنزل.

لطالما كانت أقل أخواتها اجتماعية وأكثرهن انطواء، حيث كانت تمضي ساعات وحدها تضع المخططات، وترسم، وتلون. وخسارتها لبصرها زادت من عزلتها. فلم تكن تذهب إلى أي مكان إلاّ برفقة أخواتها، وقد بذلن كل الجهود لدفعها للخروج. ولكن كان ذلك بمنتهى الصعوبة. كانت **كاندي** تعيش حياة صاخبة مع المصورين، وعارضات الأزياء، والمحررين، وأفراد عالم الأزياء، حيث اعتقدت كل من **سابرينا** و**تامي** أن معظمهم غير مناسبين لها، ولكنهم كانوا ممّن يعملون في مجالها ولا يسعها تفادي تمضية الوقت معهم. أما **سابرينا** فتعمل حتى وقت متأخر، وأرادت تمضية بعض الوقت مع **كريس**، ولكن كلاهما كانا يتعبان جداً ويعجزان عن الخروج كثيراً خلال الأسبوع. أما **تامي** فكانت تعيش ساعات صاخبة في عملها الجديد الذي واجه أزمات كثيرة بقدر عملها في لوس أنجلوس. لذا وفي معظم الأحيان لم يكن لدى **آني** من تخرج برفقته فكانت تبقى في المنزل. كان أمراً عظيماً بالنسبة إليها أن تخرج لتناول العشاء معهنّ مرة في الأسبوع، وقد أجمعت أخواتها أن ذلك لا يكفي، ولكنهنّ لم يعرفن كيفية حلّ هذه المعضلة. وأصرّت **آني** على أنها تحبّذ البقاء في المنزل. كانت قد بدأت بالقراءة بواسطة الحروف النافرة، وأمضت ساعات طويلة وهي تضع سماعات الأذنين وتستمع إلى الموسيقى وتحلم. لم تكن حياة **آني** مليئة بالنشاطات كما يجدر أن تكون حياة فتاة بعمر السادسة والعشرين. إنها تحتاج إلى أشخاص جدد في حياتها، وحضور حفلات، والخروج إلى أماكن معينة، وصديقات، ووجود رجل في حياتها، ولكن ذلك لم يكن يحدث، وخشيت أخواتها ألاّ يحدث ذلك أبداً. لم تقل لهنّ ذلك حرفياً وإنما كانت تطبّقه. لقد انتهت حياتها تماماً كما انتهت حياة والدهنّ الذي مكث في منزله في كونيتيكيت يبكي زوجته الراحلة في معظم الوقت. شعرت **تامي وسابرينا** بالقلق عليهما، وأرادتا أن تفعلا شيئاً ما حيال هذا الموضوع ولكنّ لم يتسنّ لأي منهما الوقت.

كانـت حـياة **تامـي** صاخبة. حيث تبيّن أن إيرفينغ سولومون أراد تسليمها مسؤولية البرنامج كله وحدها. فقد كان يمضي نصف الأسبوع في فلوريدا، ويلعب الغولف كلما تسنّى له ذلك. فلقد بات يشعر بالتعب، وأراد أن يـتقاعد باكـراً، ولكن كان البرنامج عبارة عن الدجاجة التي تبيض له ذهباً. عندما كانت **تامي** تحاول مناقشة مشاكل البرنامج معه، كان يلوّح لها بالخـروج مـن مكتـبه ويقول لها إنها سبق لها وواجهت مشاكل أكبر في برنامجها السابق فلتجد حلاً. لقد وضع ثقته الكاملة بها.

قالت في أحد الأيام للمنتج المساعد: "اللعنة، ماذا عساي أفعل هنا؟ أنا أدير برنامج يضرب فيه الناس بعضهم بعضاً على شاشة التلفزة، وقد بدّلوا توقيت عرض البرنامج مع برنامج آخر. جلّ ما يهمّهم هو نسبة المشاهدين وطالما أنها مرتفعة، لا أحد مستعد لسماع أية كلمة حول البرنامج".

قـدمتْ فكـرة أن يبدو الأزواج المشاركين في البرنامج على الأقل بمظهـر لائق. وطلبت من مساعدتها الاتصال بمتجر بارني للألبسة لترى إن كان بوسعهم مدّهم بالملابس، فيحصلون بذلك على دعاية في برنامجهم. فرحّبوا جداً بالفكرة.

قالـت **تامي** بعد أن شعرت بالراحة: "على الأقل لن نضطرّ إلى مشاهدة الوشـوم التـي تغطي أجسادهم". كانت تحاول أن تُرفع من مستوى البرنامج وتجعل منه أكثر رقياً، وقد كان في ذلك مخاطرة، وأدركت ذلك تماماً.

حـذّرها المنتج المساعد: "لا تصلحي ما هو غير مكسور". ولكن **تامي** كانـت تتّبع حدسها، واعتقدت أن الناس سيتعلّقون بالبرنامج أكثر ويهتمّون به، فـي حال رفعت من مستوى الأشخاص المشاركين فيه. كان جيري سبرنغر يتربّع على قمة برامج هذه الفئة. فأرادت أن تنحت بصمتها الخاصة.

استخدمت مصفّفيْ شعر ممتازين من برنامج معروف، ليصفّفا شعر النساء وليحاولا أن يجعلا من منظر ديزيريه مقبولاً أكثر. غضبت ديزيريه مـن **تامي** لعدم إعجابها بمظهرها، ولكنّ الجمهور أحبّ النتائج. لقد أفلحت

تامي في إلباس طبيبة البرنامج النفسية ثياباً جميلة جداً لونها بيج من صنع كـبار المصممين، وبعض الفساتين الحريرية الأقل بهرجة والتي لا تكشف عـن صـدرها الـضخم. فبدت فجأة كعالمة لها قيمتها في مجالها، وليس كمجرد رجل يرتدي زياً نسائياً. كان منظرها يفوق الوصف من قبل. وفي غـضون ثلاثـة أسابيع من التغييرات ارتفعت أسهم **تامي**، وحصلت على راعيـين جديديْن للبرنامج، الأول صانع صابون لغسل الصحون، والثاني صانع حفاضات أطفال. فارتفعت نسبة المشاهدين.

لـم يـضع ذلـك حـداً للمشاكل الضارية التي كانوا يواجهونها مع الأزواج. ففـي إحـدى المـرات رفع زوج من الأزواج مسدسه في وجه مضيف البرنامج عندما نعته بالخائن الجبان. كان الرجل يفور غضباً طوال الـوقت الـذي تبقّى من البرنامج، فقام لحظة انتهاء البث على الهواء بدفع المـضيف إلـى الحائط، ووجّه مسدسه إلى بطنه. لم يعرف الجميع كيف اسـتطاع إخفـاء المسدس عن أعين جهاز الأمن، ولكن ما حصل كان قد حصل. وقد صادف مرور **تامي** قرب المكان، فرأت ما حدث.

قالـت بهدوء: "أوافقك الرأي يا **جيف**. هذا الرجل حقير. أنا أيضاً لا أحـبّه، ولكـنه لا يـستحقّ أن تُسجن لأجله. وبرأيي بدا واضحاً جداً على الشاشة أن زوجتك لا تزال تحبّك. لمَ تتخلَ عن كل هذا؟ تعتقد ديزيريه أن لـديكما حظـوظاً كبيرة في إصلاح الأمور بينكما". حاولت **تامي** أن تبدو مقـنعة، ومتعاطفة حتى، وأن تخلو نبرة صوتها من التهديد لدى محاولتها تهدئة حامل المسدس، وهي تنتظر أحد أفراد الأمن كي يأتي قبل أن يحاول إطلاق النار عليها هي الأخرى.

قـال الرجل: "حقاً؟" ومن ثمّ ثار من جديد. "أنت لا تعين ما تقولينه، فقد جعلتم منا مغفلين في هذا البرنامج".

"لا أظنّ ذلك. لقد أحبّك الجمهور، وكانت نسبة مشاهدة برنامجنا هي الأعلـى طـيلة هذا الأسبوع". وكانت زوجته تبكي في مكان ما بعيداً عن

المسرح، لأنه تبيّن لها أنه لم يكتفِ بخيانتها مع أعز صديقاتها، بل ومع أختها أيضاً، وكانت تجهل ذلك. ***هل يعقل لهذه العلاقة أن تُنقذ؟*** نأمل ألاّ تنقذ. كانت زوجته قد خانته أيضاً مع أخيه وجميع من في حيهما ما عدا كلبهما حتى تنتقم منه. بنظر **تامي** كان يجدر وضع الجميع في السجن الذي دخله جيف مرتين بتهمة الاعتداء. ما الذي يفعلونه في البرنامج على أي حال؟ ولِمَ تقوم هي بإنتاجه؟ كان هذا هو السؤال الحقيقي. استغرقت تهدئته منهم عشرين دقيقة، حيث إنهم اتصلوا بالشرطة، فاقتادوه مصفّد اليدين، وظهر هذا الخبر في جريدة نيويورك بوست في اليوم التالي. وهذا بالطبع أدّى إلى ازدياد نسبة مشاهدي البرنامج. لم يساور **تامي** أي شك من هذه الناحية. لقد كان برنامجاً مقيتاً جداً يتوجّه إلى غرائز المشاهدين البدائية. كانوا أشبه بمن يختلس النظر إلى علاقات الناس الحميمة وغرف نومهم فيندهش الناس لما يرونه. شعرت **تامي** بالاشمئزاز في معظم الأحيان، وقالت لمساعدتها عندما عادت إلى مكتبها، وجلست على طاولة المكتب ووجهها لا يزال شاحباً: "حسناً كان هذا ممتعاً. من الذي يبحث عن هؤلاء الأشخاص، ومن أين نأتي بهم؟ من لائحة إطلاق السراح المشروط في سجن أتيكا؟ هل تعتقدون أن بوسعنا أن نبذل جهداً أكبر في فحص هؤلاء المعتوهين قبل إشراكهم في البرنامج ودفعهم للغضب؟" أقامت الدنيا ولم تقعدها في الاجتماع الإنتاجي التالي حول هذا الموضوع، وقد اعتذر المنتج المساعد عن ذلك. كان مقدّم البرنامج قد تعرّض لإطلاق نار من قبل. وقد حصل على زيادة كبيرة في راتبه من جراء ذلك، وبات عمله الآن مخاطرة كبيرة. "ما الذي أفعله؟" طرحت على نفسها هذا السؤال لدى مغادرتها للاجتماع، حيث أوقفتها ديزيريه، وقالت إنها أحبّت الملابس الجديدة التي قُدّمت لها، ولكن هل كانت **تامي** مستعدة للتفكير إذا ما كان بوسعها التكلم مع أوسكار دو لا رنتا بخصوص تصميم بعض الملابس خصيصاً لها؟ إذ كانت ديزيريه تحبّ تصميماته. يا لها من دنيا فمنذ شهر مضى كانوا

يُلبسونها من ملابس يأتون بها من محل رخيص في وقت التنزيلات. والآن باتت تريد من أوسكار دو لا رنتا أن يصمّم لها ملابسها. كانوا جميعاً مجانين.

"سأحاول يا ديزي، ولكن ربما لا يفضّل المصمم هذا النوع من البرامج". وخصوصاً إن كان المشاركون فيه يكبّلون بالأصفاد بعد انتهاء كل حلقة. كانوا قد واجهوا حادثة أقل خطورة في اليوم السابق عندما لكمت امرأةٌ زوجها على الهواء وكسرت أنفه. فانتشر الدم في كل مكان. وانهار الناس من الضحك. "أعجبني فستانك اليوم".

قالت: "أنا أيضاً". وبدا عليها الرضا. قالت ديزيريه: "أحببت فستان البارحة أيضاً، ولكن ذاك الغبي لوّثه بالدماء. كل ما قلته خلف الكواليس هو أنني أعتقد أن زوجته شاذة. لم أتوقّع منه أن يتفوّه بذلك على الهواء. كانت قد صارحتني بذلك، ولكنها لم ترده أن يعرف. إلاّ أنه قال لها ذلك، فعمدت إلى كسر أنفه على الهواء مباشرة. فلتهتمّي بهذا الأمر". بدت غير عابئة أبداً بما حدث. "آمل أن يتمكّنوا من إزالة الدماء عن الفستان". كانت ديزيريه قد أضافت بنداً على العقد يجيز لها الاحتفاظ بالملابس التي ترتديها على الهواء، فلذلك لا عجب أنها أرادت أن يقوم أوسكار بتصميم ملابسها الآن. كان حري **بتامي** أيضاً أن تتمتّع بمجموعة ملابس. فهي كانت تعمل مرتدية قمصاناً قطنية، وسراويل جينز، ومنتعلة أحذية رياضية في أغلب الأحيان. إذ كانت تشعرها براحة في التنقل فهي كانت تضطرّ إلى المشي كثيراً خلال عملها. قالت **تامي**: "نعم سأهتمّ بالأمر". وهي تفكّر بينها وبين نفسها كم أن الطبيبة النفسية مجنونة. ولكن بالرغم من كل هذا تمكّنت **تامي** من إضافة راعيين جديدين إلى برنامجها في الأسبوعين التاليين. كان البرنامج يحقّق نجاحاً ساحقاً ممّا أحرجها جداً، فبات الوسط الإعلامي يعزو هذا النجاح إليها وهذا أحرجها أكثر. أملت أن تحاول التكتم قليلاً حول هذا العمل، إلاّ أن ذلك لم يكن ممكناً. بدأ الأصدقاء

القدامى من لوس أنجلوس بالاتصال بها وممازحتها بشأن هذا البرنامج الذي تنفذه في نيويورك.

قال أحدهم: "ظننتُ أنك عدتِ إلى هناك لتعتني بأختك؟"

"هذا صحيح".

"إذاً ما الذي حصل؟"

"ارتادت أختي المدرسة، فشعرتُ بالضجر".

"حسناً لن يعرف الضجر أبداً طريقه إليك في هذا البرنامج".

"لا، على الأرجح سينتهي بي الأمر في السجن".

"أشكّ بذلك. ربما ينتهي بك الأمر وأنت تديرين الشبكة يوماً ما. لا يسعني الانتظار حتى أرى ذاك اليوم".

ولتصبح الأمور أكثر سوءاً، طلب منها فريق الإعداد في برنامج إنترتاينمنت تونايت إجراء مقابلة قصيرة بعدما سحب الزوج مسدسه في وجه مقدم البرنامج، وأراد منها إيرفينغ أن تجري المقابلة. حاولت أن تبقي المقابلة مقتضبة وموقرة قدر المستطاع. أضف إلى ما تقدّم، طلب منها مقدّم البرنامج في اليوم التالي الخروج معه. كان يبلغ الخامسة والخمسين من العمر، وتطلقَ أربع مرات، وأسنانه مستعارة، ويضع شعراً مستعاراً اشتراه من المكسيك. كان ممثلاً ثانوياً في شبابه، وكان يمارس رياضة كمال الأجسام. يُعتبر شكله مقبولاً عن بُعد ولكن عن كثب بدا مريعاً. كان مسيحياً ملتزماً، وقد كان ذلك أمراً عصيباً بعض الشيء عليها. إذ فضّلت أن تكون جرعة الروحانية لديها أقل، إذ اعتاد دوماً على إعطائها أوراقاً دينية. ربما كان يحتاج إلى ذلك ليواجه خطر التعرّض اليومي لإطلاق النار.

"أنا... أه... هذا لطف جداً منك يا إد... لديّ سياسة بألاّ أخرج أبداً مع الرجال الذين أعمل معهم. فقد نواجه مشاكلاً إن لم تسر الأمور بيننا على ما يرام".

قال لها مستغرباً: "ولِمَ عساها لا تسير على ما يرام؟ أنا رجل رائع". لقد كانت حصيلة زيجاته الأربع سبعة أولاد، وكان يعيلهم جميعاً. إنه أمر نبيل منه، ولكنه نتيجة لذلك يقود سيارة عمرها 20 سنة، ويعيش في الطابق الرابع في الناحية الغربية من المدينة. لكن تعرّضه لإطلاق النار في موقع التصوير حسّن من وضعه المالي بشكل كبير. قال إنه سينتقل إلى حي جديد في الشهر القادم. "كنتُ آمل لو نستطيع تناول العشاء سوياً في مكان ما. لعلّنا نتناول طعاماً بسيطاً، فأنا أتّبع حمية نباتية في هذه الأيام".

"آه حقاً". حاولت أن تبدي اهتماماً بالأمر كونها لم تتمكّن من أن تكون لطيفة. "هل تقوم بعلاج للقولون؟" هذا ما كان يقوم به كل غبي التقته في لوس أنجلوس. كان ذلك الدليل الأول الذي أشار لها أنه ليس الرجل المناسب لها. إذ لن ترغب بمواعدة رجل من هذا النوع. كانت تفضّل نذران العفة على مواعدة رجال مثله، وقد تفعل ذلك يوماً ما. كانت هذه الفكرة تترسّخ لديها مع مرور كل يوم.

"هل تخضعين لهذا العلاج يا تامي؟"

"في الواقع لا، لا أخضع لهذا العلاج. أنا مدمنة على تناول المأكولات السريعة. أنا أفضّل تناول الدجاج المقلي والطعام المشبع بالدهون. ما زلت على هذا الحال منذ طفولتي. لذا فعلاج القولون سيكون دون طائل معي".

"هذا مؤسف جداً". بدا متوتراً وهو ينظر إليها، وحاولت ألاّ تحدّق في شعره الذي كان مصبوغاً بلون بشع أيضاً. احتفظت بملاحظة في رأسها بأن تجلب له مزين شعر أيضاً، لم تدرِ لِمَ لم تلاحظ من قبل أن لون شعره كان بشعاً جداً. فقد شتّتت نظرها نوعية الشعر البشعة بحدّ ذاتها. ثم حاولت أن تمعن النظر في ساعة يدها. إذ كان لديها اجتماع بعد أربع دقائق لتجنّب اعتصام. وقد كان اجتماعاً مهماً. ولا يسعها تفويته. "لديّ اجتماع بعد أربع دقائق". "حسناً إذاً ماذا عن العشاء؟ يوجد مطعم نباتي ممتاز في الشارع الرابع عشر غرباً. ما رأيك لو نذهب الليلة؟"

"أنـا... آه... لا... تذكّر سياستي؟ لا أستطيع الخروج مع أي رجل أعمل معه. لن أكسر هذه القاعدة أبداً، كما وعليّ العودة إلى المنزل للعناية بأختي".

"هل هي مريضة؟" بدا مهتماً على الفور.

كرهت **تامي** نفسها بسبب ما هي موشكة على الإفصاح عنه. ولكن من شأن ذلك أن يبعده عنها. فاعتذرت في قلبها **لآني** ونظرت إليه بحزن. "إنها ضريرة. لا أودّ الخروج وتركها وحدها".

"آه أنا آسف... لم تكن لديّ أية فكرة... بالطبع... يا لك من إنسانة طيبة لكي تعتني بها. هل تسكنين معها؟"

"نعم، لقد فقدت بصرها هذا العام وهي في السادسة والعشرين من عمرها". كان أمراً بشعاً أن تستغلّ فقدان بصر أختها بهذه الطريقة المؤسفة، ولكنها احتاجت إلى أي عذر. كانت أيضاً لتخترع حجة بأن جدتها قد ماتت. أكّد لها قائلاً: "سأصلّي من أجلها ومن أجلك أيضاً". قالت **تامي** بأسى: "شكراً لك يا إد". ثم توجّهت إلى اجتماعها. ربما كان إنساناً ممتازاً، إلاّ أنه يفتقر إلى الجاذبية، كما ووجدته ماكراً. إنها دوماً تصادف هذا النوع من الرجال. إذ كان أمثاله الوحيدين الذين يطلبون منها الخروج معهم أينما حلّت. أخبرت أخواتها عنه تلك الليلة حينما كنّ يقمن بالتنظيف بعد العشاء. كانت **آني** تنظّف الصحون، وتضعها في غسالة الصحون. كما قامت **سابرينا** بتفقّد أطباق الكلبات، التي كانت **آني** قد أطعمتها من قبل. قالت **آني** إن **سابرينا** كانت تعاملها كسندريلا، فلم تعلّق أختها الكبيرة على ذلك. دفعت **تامي** الجميع إلى حالة من الهيستيريا عندما وصفت إد.

"أترين ماذا أعني؟ هؤلاء هم الرجال الوحيدون الذين يطلبون مني الخروج معهم. أسنان غريبة، شعر مستعار، حميات غذائية نباتية، وعلاج للقولون في لوس أنجلوس. أقسم أني لم أخرج في موعد مع رجل طبيعي منذ سنوات. لم أعد واثقة كيف يكون عليه هذا الأمر".

اعترفت **كاندي**: "ولا أنا أيضاً. فكلّ الرجال الذين ألتقيهم يتبيّن أنهم شاذون. لم أعد أرى رجالاً طبيعيين أبداً".

لم تقل **آني** شيئاً. حيث شعرت أنها خارج الموضوع كلياً، وكانت كذلك منذ الحادث الذي تعرّضت له هذا الصيف. لو كان وضعها طبيعياً، فهي بعد انفصالها عن **تشارلي** كانت لتبدأ بمواعدة شبان آخرين بعد بضعة شهور. أما الآن فباتت تشعر أن أمرها قد انتهى. كان الشاب الوحيد الذي تكلّمت معه منذ شهور هو صديقها **باكستر** في المدرسة. والذي تمتّع بحياة غرامية أكثر سعادة بكثير من حياتها.

علّقت **كاندي** قائلة: "الوحيدة في العائلة التي لا يسعها التذمر هي **سابرينا**. **فكريس** هو الرجل الطبيعي الوحيد الذي أعرفه".

وافقتها **تامي** الرأي وقالت: "نعم أنا أيضاً، يا لغرابة ما يحصل معي. عندما ألتقي برجال طبيعيين، أو على الأقل الذين يبدون في حالة طبيعية يتبيّن أنهم حقيرون أو متزوّجون. أعتقد أن بوسعي دوماً مواعدة واحد من المشاركين في البرنامج". ثم أخبرت أخواتها عن الحادث الذي حصل مع المشارك في البرنامج هذا الصباح، فهزّت **سابرينا** رأسها مستنكرة الأمر. إذ لم يسعها التصديق أن **تامي** قبلت بوظيفة إنتاج ذاك البرنامج. كان تخليها عن عملها السابق تضحية كبيرة منها. لم تكن تكثر من الكلام عن هذا الموضوع، ولكنهنّ أدركن ذلك جيداً. يُعتبر البرنامج الذي تعمل فيه الآن معاكساً تماماً لبرنامجها السابق، لقد انحدرت من الممتاز إلى السخيف. ولكن لم تشتك **تامي** أبداً. فقد تمتّعت بروح رياضية حيال هذا الأمر، وشعرت بالسرور لإيجادها عمل. ووجدت أن إيرفينغ سولومون، المنتج التنفيذي، رجل محترم بوسعها العمل معه.

في الأسبوع التالي طلب منها رجل آخر الخروج معه. كان هذا الرجل جذاباً جداً، ومتزوّجاً، ويخون زوجته، وشرح لها أن زوجته منفتحة وتتقبّل الأمر برحابة صدر.

قالـت لـه **تامـي** بسخرية: "لعلها تتفهّم الأمر، أما أنا فلا. هذا ليس أسـلوبي، ولكن شكراً على كل حال". رفضته كلياً، ولم تشعر بالإطراء بل بالمهانة. لطالما خالجها هذا الشهور عندما يطلب منها الرجال المتزوّجون الخروج معهم، وكأنها عاهرة رخيصة، يستطيعون أن يحظوا ببعض الوقت المسلي معها ثم يعودون إلى زوجاتهم. إن حظيت برجل في حياتها – وقد بـدأ هـذا الأمر يبدو غير وارد البتة – فهي تريد أن يكون هذا الرجل لها هـي، ولـيس رجـلاً تسرقه من امرأة أخرى أو تستعيره منها. كانت قد وصلت لتوها إلى الثلاثين من عمرها ولا ينتابها الرعب حيال هذا الأمر.

في ذكرى ميلاد **سابرينا** الخامسة والثلاثين، غادرت و**كريس** لتمضية عطلـة نهاية الأسبوع. وكان قد أهداها سوار كارتييه جميلاً ومصنوعاً من الـذهب لـم تخلعـه أبداً من يدها. كانت الأمور بينهما على خير ما يرام كحالهـا دومـاً، بالـرغم من أنه لم يعد يبيت عندها بقدر ما كان يفعل في شـقتها القديمة. كانت دوماً تذكّره أن الأمر سيستمرّ لسنة واحدة لا أكثر، إلـى أن تتكـيّف **آني** مع وضعها، وهو بالكاد كان يعلّق أو يتذمّر. الأمر الوحـيد الذي كان يزعجه هو مرور **كاندي** أمامه في بعض الأحيان وهي نصف عارية، وغير آبهة لوجود رجل بينهنّ. فهي اعتادت أن يراها الكثير مـن الناس عارية أو على الأقل عارية الصدر خلال عروض الأزياء أو حمـلات التصوير لدرجة أنها ما عادت تأبه. ولكنّ **كريس** كان يأبه. فعلى الرغم من أنه كان يكنّ معزة خاصة لأخوات **سابرينا** إلاّ أن كلباتهنّ كانت دومـاً تـضغط على أعصابه. هذا إضافة إلى عدم تمتّعه بالخصوصية مع وجود **تامي** في طابقهما نفسه. كان ذلك يمثّل تحدياً له في بعض الأحيان.

الشيء الوحيد الذي أثار انزعاجهم جميعاً هو الرجل الذي أتت **كاندي** بصحبته في بداية تشرين الثاني بعد أن عادت من حملة تصوير في هاواي اسـتمرّت ثلاثة أيام. قالت **سابرينا** إنها سبق وقرأت عنه. ولم تسمع **تامي** بـه أبداً، وقالت **آني** إنها لم ترتح له ولكن بما أنها عجزت عن رؤيته فهي

لم تستطع تحديد السبب. قالت إنه بدا لها منافقاً مثل **ليسلي طومبسون** التي زارت والـدهنّ وجلـبت له فطيرة. إذ بدا سخيفاً وأحمق نوعاً ما على حدّ وصف **آني**، ويخفي أمراً آخر في رأسه.

قـال إنــه أميــر إيطالي، وكان ينطق بلهجة غريبة، ويدعى الأمير **مارسيللو دي سترومبولي**. لم تصدّق **سابرينا** ما قاله، وذُهل الجميع عندما عرفوا أنه يبلغ الرابعة والأربعين من عمره. قالت **كاندي** إنها التقت به في باريس في حفلة أقامها فالنتينو، وكانت تعرف عارضة أزياء أخرى قامت بمـواعدته، وقالـت إنه لطيف جداً. وقد اصطحب **كاندي** إلى كل الأماكن الراقية في نيويورك وبعض الحفلات الرائعة. نُشرت صورهما في الجرائد علـى الفـور، وعندما سألتها **سابرينا** عن هذا الأمر مبدية قلقها، أجابتها **كاندي** بأنها تمضي وقتاً ممتعاً.

حـذّرتها **سـابرينا**: "خذي حذرك. إنه رجل راشد جداً. أحياناً يقوم الرجال في مثل سنه باصطياد الشابات. لا تخرجي معه إلى أماكن بعيدة أو تـضعي نفـسك في وضعية غريبة". شعرت **سابرينا** أنها بمثابة الأم القلقة علـى أبـنائها، فـضحكت أخـتها الصغرى. "لستُ غبية. أنا أبلغ الحادية والعشرين من عمري. وكنت أعيش وحدي منذ كنت في التاسعة عشرة. أنا ألتقـي برجال أمثاله طيلة الوقت. بعضهم أكبر سناً بكثير. لذا لا أرى أية مشكلة".

بعـد بـضعة أيام سألت **سابرينا تامي** وهي تشعر بالقلق: "إلى ماذا يـسعى بـرأيك؟" لقـد ظهـرا على امتداد الأسبوعين الماضيين في مجلة (دبلـيو)، وعدة مجلات أخرى، وفي الصفحة السادسة من مجلة (بوست). ولكـن ليس هناك مجال للنكران بأن **كاندي** كانت عارضة مشهورة وكان هو عضواً بارزاً في المجتمع النيويوركي. وأمه كانت مشهورة حيث كانت ممـثلة إيطالـية معروفة، ويحمل لقباً، والطلب على الأمراء شديد جداً في الدوائـر الاجتماعية الراقية، ممّا يدفع بالناس إلى التغاضي عن الكثير من

الآثام. كان قد أتى إلى منزل الفتيات عدة مرات ليقلّ **كاندي**، فعامل أخوات **كاندي** كالخادمات اللواتي يفتحن الباب. إذ لم يكلّف نفسه حتى عناء التكلم مع **آني** لأنها كانت تعجز عن رؤية مدى روعة جماله. وقد كان بالفعل جذاباً جداً ويبدو أرستقراطياً، ويتأنق بملابس أوروبية، حيث يرتدي بذات إيطالية أنيقة وقمصاناً منشّاة بشكل جيد، وأطراف كمّيه مزدانة بحلقات من حجر السّفير، ويضع في إصبعه خاتماً ذهبياً عليه نقش العائلة، وينتعل أحذيته التي يصنعها له خصيصاً **جون لوب**. وبوجود **كاندي** متأبطة ذراعه بدا كنجم سينمائي وهي كذلك. لقد شكّلا ثنائياً مذهلاً.

سألت **سابرينا تامي** بوجل في إحدى الليالي، بعد أن أقلّ **كاندي** في سيارة ليموزين بينتلي استأجرها لذاك المساء: "هل تعتقدين أن الأمر جدي". كانت **كاندي** ترتدي فستان سهرة فضي اللون وتنتعل حذاء عالي الكعب. فبدت كأميرة شابة. قالت **تامي** غير آبهة: "لا، أبداً على الإطلاق. أرى رجالاً مثله في عالم السينما طيلة الوقت. إنهم يسعون وراء الممثلات الشهيرات وعارضات الأزياء الشهيرات مثل **كاندي**. يريدون فحسب امرأة أشبه بإكسسوار لنرجسيتهم. إنه لا يأبه لأمر **كاندي** إلاّ بقدر ما يأبه لأمر حذائه".

"قال إنه يريد اللقاء بها في باريس في الأسبوع المقبل عندما تذهب للقيام بحملة تصوير".

"قد يلتقي بها، ولكنّ علاقتهما لن تطول كثيراً. سيظهر في حياتها من هو أعظم شأناً منه وأكثر أهمية. هذا النوع من الرجال يأتي ويذهب. آمل أن يرحل عمّا قريب. هناك شيء ما فيه يشعرني بالتوتر. إذ تفتقر **كاندي** كثيراً إلى الخبرة. صحيح أنها العارضة الأروع في العالم، ولكن خلف كل هذه الروعة والسحر فهي لا تزال طفلة".

وافقتها **تامي** القول: "نعم بالفعل. ولكننا إلى جانبها. على الأقل إنه يعرف أننا إلى جانبها مثل والديها ونحرص جداً على سلامتها".

قالت **سابرينا** وما زال القلق بادياً عليها: "لا أعتقد أنه يأبه لأمرنا. مستواه الاجتماعي أرقى من مستوانا بكثير. ونحن لا نمثّل شيئاً في عالمه". قالت **تامي** بثقة: "أظنّ أنه بوسع **كاندي** تحمّل وزر هذا الموضوع، فهي تلتقي بالكثير من الرجال أمثاله". قالت **سابرينا** وهي تبتسم: "أنا لا أظنّ ذلك على الإطلاق". لقد كان **كريس** مختلفاً جداً عن الأمير الإيطالي وأروع منه بكثير. **فكريس** رجل محترم ومستقيم. وقد شعرت **سابرينا** من كل قلبها أن **مارسيللو** لا يتمتّع بهذه الصفات. إذ يسهل جداً ملاحظة ذلك. ولكن **كاندي** ظنّت أن رفقته ممتعة بالرغم من أن أخواتها ظننّ أنه كبير جداً في السن.

عندما عادت من باريس قالت إنهما حظيا بوقت ممتع جداً. كان قد اصطحبها إلى عدد من الحفلات ومنها حفلة في الفرساي، وعرّفها على كل أهالي باريس. كان كل من يعرفه يتمتّع بلقب.

فباتت مفتونة به أكثر ممّا تودّ **سابرينا** لها أن تفتن. ثم عادت **كاندي** إلى خسارة المزيد من وزنها من جديد. عندما علّقت **سابرينا** على ذلك قالت **كاندي** إنها قد بذلت مجهوداً كبيراً جداً خلال عملها في باريس. ولكن مع ذلك اتصلت **سابرينا** بطبيبتها النفسية. لم تعلّق الطبيبة النفسية، ولكنها شكرت **سابرينا** على الاتصال. كان العيد في الأسبوع المقبل، وقد توجّهت كل الأخوات إلى منزل والدهنّ في كونيتيكيت. فبدا والدهنّ هو الآخر أنحف ممّا كان عليه. فسألته **تامي** إن كان يشعر أنه على ما يرام، مبدية قلقها عليه. قال إنه بخير، ولكنه بدا هادئاً، ووحيداً، وممتناً لزيارة بناته له. تفحّصن أغراض والدتهنّ في عطلة نهاية الأسبوع تلك كما طلب منهنّ والدهنّ، وأخذن الملابس التي يردنها، إذ كان سيتبرّع بالملابس الأخرى. لقد وجد صعوبة في فعل ذلك، ولكن بدا أنه يريد أن ينهي هذه المسألة برمتها. وساعدت الفتيات **آني** على اختيار بعض الملابس بعد قيامهنّ بوصفها لها. لطالما كانت تحبّ بشكل محدّد قمصان أمها الكشمير الناعمة التي بدت جميلة عليها. إذ كان لون شعرها يماثل لون شعر أمها.

سألتهنّ بعد أن ارتدت قميصاً منها لتجرّبه: "كيف أبدو؟ هل أشبه أمنا؟"

فامتلأت عينا **تامي** بالدمع. "نعم أنت فعلاً تبدين مثلها". ولكن **تامي** كانت تشبهها أيضاً وإنما شعرها الأحمر أنصع لوناً وأطول بكثير. ولكن كان يوجد شبه كبير بين أمهن وهاتين الابنتين.

كانت عطلة نهاية أسبوع هادئة وسلسة، لم يقوموا فيها بأية مشاريع اجتماعية. حضّرت الفتيات العشاء الذي يتألّف من ديك الحبش بأنفسهنّ، واستمتعن بتحضير الحشوة وجميع الخضار. وقد ساعدتهنّ **آني** أيضاً.

كان **كريس** قد أتى للمشاركة في العيد، ثم ذهب للتزلج في فيرمونت في عطلة نهاية الأسبوع برفقة أصدقائه. نهار السبت، وجدت **تامي** عن طريق الصدفة حذاء رياضياً في الغرفة المقابلة للمطبخ حيث اعتادت أمها أن تنسّق الزهور، وكانت أمهنّ تنتعل أحذية من قياس ستة. ولم يكن هذا الحذاء لأي من الأخوات. كما وأن قياس رجلي مدبرة المنزل صغير أيضاً. "إلى من يعود هذا الحذاء يا أبي؟" سؤال طرحته **تامي** على والدها، بعد أن أمضت الفتيات النهار في التفتيش في ملابس أمهنّ، وقمن بتكديسها في أكوام، بعض منها لهنّ والبعض الآخر سيتمّ التبرع به. "إنه لا يعود لأمي".

قال باستغراب: "هل أنت واثقة؟" فضحكت **تامي**.

"إلاّ في حال كبر قياس رجلها ثلاثة مقاسات هذه السنة. هل أرميه؟"

"لم لا تتركينه حيث وجدته. لعل أحد ما يطالب به". كان مشغولاً في تصليح شيء ما عندما طرحت عليه هذا السؤال، وكان يدير لها ظهره، لذا لم يتسنّ لها رؤية وجهه. سألته: "مثل من؟" ولكن سؤالها الآن كان بحشرية أكبر حيث قرّرت أن تكون أكثر وقاحة.

كانت قد خطرت فجأة لها فكرة. "أنت لا تواعد امرأة ما أليس كذلك يا أبي؟" استدار بسرعة شديدة كما لو أنها أطلقت عليه النار، ونظر إليها.

"ما الذي دفعك إلى طرح مثل هذا السؤال؟"

"كنتُ أتساءل فحسب. يبدو الحذاء غريباً بعض الشيء". بالتأكيد كان له الحق بأن يواعد من يشاء. كان رجلاً أرملاً، ولكن بدا لها أن الوقت مبكر بعض الشيء لهذا الأمر. فقد مضى على رحيل والدتهنّ خمسة أشهر فقط.

"لقد استقبلتُ بعض الأصدقاء على الغداء منذ بضعة أسابيع. قد تكون واحدة منهم تركت حذاءها هنا. سأتّصل وأرى". لم يَجِبْ عن سؤالها، ولم ترغب بالضغط عليه. أملت فحسب ألاّ تكون **ليسلي طومبسون** صاحبة الحذاء. لم تجلب أية فطائر إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع تلك، ولم يكن في البيت من دليل يشير على تواجد امرأة فيه. ذكرت هذا الأمر لأخواتها في السيارة في طريق عودتهنّ. لقد غادرن في وقت مبكر من نهار الأحد لتفادي زحمة السير في ذاك اليوم. فأنّبتها **كاندي**: "كفّي عن التجسس عليه. فلديه الحق بأن يفعل ما يشاء. إنه رجل راشد". قالت **سابرينا** باهتمام بالغ: "لا أودّ له أن يقع في شباك امرأة ماكرة لمجرد أنه بات وحيداً دون أمي. فالرجال يفعلون ذلك في بعض الأحيان". بدا هشّاً جداً في ذاك الحين، وكان كذلك منذ تموز. على الأقل خلال الصيف كانت بناته معه. اليوم بالكاد يتسنّى لهنّ الوقت للتوجّه لزيارته. بالرغم من أنهنّ يخطّطن لتمضية العيد المقبل معه أيضاً. فقد استمتع الجميع بقضاء هذا العيد سوياً على الرغم من عدم وجود الوالدة. كانت الأعياد قاسية على البنات والأب على حدّ سواء.

أكّدت لهنّ **تامي**: "أعتقد أن والدنا أكثر ذكاء من أن توقّع به امرأة لعوب".

قالت **سابرينا**: "آمل أن تكوني محقة".

بمجرد أن عادت الفتيات إلى المنزل ارتدت **كاندي** ملابسها لتخرج.

نظرت **تامي** إليها متفاجئة: "إلى أين أنت ذاهبة؟"

"دعاني **مارسيللو** إلى حفلة". ثم ذكرت بعض الشخصيات البارزة في المجتمع من الذين قرأت عنهم **تامي** في المجلات وابتسمت.

مازحتها **تامي** قائلة: "يا لهذه الحياة الراقية التي تحيينها أيتها الأميرة".

فردّت عليها ممازحة إياها: "لم أصبح أميرة بعد". ولكنها شعرت وكأنها أميرة مع **مارسيللو**، لقد كانت علاقتها الحميمة معه ممتعة، ولكنها لم تخبر أخواتها بهذا الأمر. كان رجلاً مثيراً جداً ممّا دفع **بكاندي** إلى الاعتقاد بأنها بدأت تحبّه. كان يلمّح لها بالزواج. وبالطبع هي صغيرة جداً في السن، ولكن ربما... بعد بضع سنوات... قال إنه يودّ إنجاب أطفال منها. ولكن في الوقت الحالي كانا يقضيان وقتهما لمجرد الاستمتاع. نوَت أن تبقى في منزله هذه الليلة، وذكرت ذلك بطريقة مبهمة لأخواتها وهي تخرج من الباب. كانت ستلتقي به في شقته حتى تودع حقيبة صغيرة. وقد شكّكت بشأن قدرتهما على التوجّه إلى الحفلة. فأحياناً وبمجرد وصولهما إلى الباب الأساسي، ينتهي بهما الأمر مباشرة في السرير بدلاً من الخروج. وهي لم تكن تمانع ذلك على الإطلاق.

قالت بصوت خافت حينما وصلت إلى منتصف المدخل: "قد لا أعود إلى المنزل الليلة".

قالت **سابرينا**: "مهلاً ماذا قلتِ؟ أين ستبيتين الليلة؟"

قالت **كاندي** بعدم اهتمام: "عند **مارسيللو**". كانت في الحادية والعشرين من عمرها، وقد عاشت وحدها لمدة سنتين، لذا لم يكن لأي من أخواتها الحق بأن تملي عليها ما يجدر بها فعله وما لا يجدر فعله، وقد أدركت هي نفسها ذلك. وأخواتها أيضاً يدركن ذلك على الرغم من قلقهنّ عليها.

قالت **سابرينا**: "انتبهي لنفسك". وتقدّمت ناحيتها لتقبّلها. "بالمناسبة أين يسكن؟"

"إنه يملك شقة في الشارع التاسع والسبعين شرقاً. شقته رائعة جداً".

أرادت **سابرينا** لو تقول لها إن ذلك لا يجعل منه إنساناً طيباً، ولكنها لم تفعل. كانت ترتدي تنورة جلدية سوداء قصيرة جداً، وتنتعل حذاء أسود عالي الكعب وعالي الساق. بدت مذهلة في كنزة الكشمير السوداء الضيقة، وفوقها سترة من فرو المنك رمادية اللون.

قالت **سابرينا** بابتسامة: "تبدين مذهلة جداً". لقد كانت فتاة رائعة الجمال. "أين في الشارع التاسع والسبعين شرقاً؟ تحسّباً في حال حصول أي مكروه، من المفيد أن نعرف مكانك. كما وأن الهواتف الجوالة لا تعمل دوماً".

"لن يحدث شيء". وقد كانت تنزعج عندما تتصرّف **سابرينا** كأم وليس كأخت، ولكنها طاوعتها في هذا السؤال فحسب.

"مئة وواحد وأربعون في الشارع التاسع والسبعين. وإياك أن تذهبي إلى هناك".

وعدتها **سابرينا**: "لن أفعل". ثم غادرت **كاندي**.

عاد **كريس** من رحلة التزلج، ودخل برفقة **سابرينا** إلى الغرفة ليرتاحا، ويتحدّثا، ويشاهدا فيلماً على التلفاز. قضى تلك الليلة عندها، ونامت **تامي** في غرفة **كاندي** حتى يشعرا ببعض الخصوصية وحدهما. أقحمت **تامي** رأسها من الباب لتطمئن على **آني** قبل أن تخلد إلى النوم. فوجدتها تكتب فرضاً بالحروف النافرة.

"كيف يسير الأمر؟"

"على ما يرام حسبما أعتقد". فقد بدت مرتبكة، ولكنها على الأقل بذلت جهداً. بشكل عام كانت أمورها تسير على خير ما يرام، وأجمع الكل أن العطلة كانت مميزة حتى من دون والدتهنّ.

الفصل الحادي والعشرون

مضى نهار الاثنين بعد العيد كالمعتاد. إذ غادرت **سابرينا وكريس** إلى العمل سوياً، وكان أمام **تامي** اجتماع آخر في الشبكة، ووجب عليها الإسراع لحضوره. وتوجّهت **آني** إلى المدرسة بسيارة أجرة. وقد كانت تنوي أن تستقلّ الباص قريباً، ولكنها لم تشعر أنها جاهزة بعد. كان قد مضى على وجودها في مدرسة باركر ثلاثة أشهر. لقد كانت الأمور أكثر تعقيداً في ذاك اليوم لأن الثلج هطل في الليلة السابقة ممّا جعل من الطريق شديد الانزلاق وخطراً جداً. وهذه المرة انزلقت **آني** على قطعة ثلج أمام المدرسة، وسقطت على مؤخرتها وليس على ركبتيها. ولكن على عكس المرة الأولى عندما كادت توشك على البكاء، انفجرت هذه المرة بالضحك.

كانت قد ألقت التحية لتوّها على **باكستر** الذي سمع صوت ارتطامها بالأرض.

سأل: "ما الذي حصل؟" بعد أن أربكه ما يجري. كان صوتها يصدر من ناحية الأرض وكانت تضحك.

"أنا أجلس على مؤخرتي. لقد وقعت".

"مجدداً. أيتها المعتوهة". كان الاثنان يضحكان عندما ساعدها أحد ما على النهوض. لقد كانت يداً قوية وصلبة.

سمعت صوتاً يمازحها: "ممنوع الوقوع أمام مدخل المدرسة يا آنسة آدامز".

لم تتعرّف إلى صاحب هذا الصوت في البداية. "عليك أن تقعي في الحديقة العامة". لاحظت عندما ساعدها على النهوض أن مؤخرة بنطالها الجينز باتت مبلّلة. ولم يكن لديها بنطال آخر لتستبدله به. ثم تذكّرت الصوت. كان **براد باركر**، مدير المدرسة. فهي لم تتكلّم معه منذ يومها الأول في المدرسة.

سمعه **باكستر** يخاطبها، وكانا قد تأخّرا لذا قال **لآني** إنه سيلاقيها في الصف، وطلب منها الإسراع.

قال **براد** بسعادة: "أفترض أنكما بتّما صديقين". ووضع يدها على ذراعه، وأدخلها. كان الثلج يغطّي الأرض. كانت قد أثلجت باكراً هذه السنة، وعادة ينزلق العديد من الأشخاص خارج المنزل في هذه الحالة، على الرغم من أنهم يحرصون على إزالة الثلج من الطريق.

قالت قاصدة **باكستر**: "إنه شاب ممتاز، نحن فنانان، وتعرّضنا نحن الاثنان إلى حادث هذه السنة. أظنّ أن بيننا الكثير من القواسم المشتركة".

قال **براد باركر** مبتسماً: "كانت أمي فنانة. في الواقع، كانت تمارس هواية الرسم. كانت راقصة باليه مع فرقة باليه باريس. تعرّضت لحادث سير بعمر العشرين، ووضع ذلك حدّاً لكل من هاتين المهنتين. ولكنها بالرغم من ذلك حقّقت أشياء رائعة".

سألت **آني** باحترام: "ما الذي فعلته؟" يبدو ملفتاً عدد الأشخاص الذين تُزهق أرواحهم أو تُدمّر حياتهم نتيجة حوادث السيارات. حيث التقت بالعديد منهم في المدرسة والبعض منهم فنانون مثلها. يوجد في المدرسة التي تضمّ 800 شخص الكثير من القصص والأشخاص من جميع مجالات الحياة.

"درّست الرقص. وكانت جيدة جداً. ثم التقت بوالدي عندما كانت في الثلاثين من العمر، ولكنها واصلت التدريس حتى بعدما تزوّجت". ضحك وقال: "كانت إنسانة مثابرة جداً. وكان والدي مصاباً بالعمى منذ ولادته،

وحتى أنها علّمته الرقص. لطالما أرادت أن تفتح مدرسة مثل هذه. أسّستُها كرمى لها بعدما توفيت. لدينا صفوف تدريس للرقص هنا أيضاً. رقص الصالونات والباليه. يجدر بك أن تجرّبي الرقص في بعض الأحيان، قد تحبّينه".

قالت **آني** بحزن: "ليس وأنا عاجزة عن الرؤية".

قال: "يبدو أن الأشخاص الذين يأخذون هذا الصف يستمتعون جداً".

ولاحظ أنها تلمس مؤخرة بنطالها الجينز الذي تبلّل نتيجة وقوعها، وقد تساءلت ما إذا كانت يتوجّب عليها العودة إلى المنزل. "أتعلمين لدينا خزانة تحتوي على ملابس احتياطية من أجل حالات كهذه. أتعرفين مكانها؟" فهزّت رأسها نافية. قال بلطف: "سأدلّك عليها، إذ ستتضايقين بهذه الملابس المبلّلة طيلة النهار". كان صوته ناعماً ورقيقاً، وبدا وكأنه يتمتّع بروح المرح. كان دوماً يبتسم خلال كلامه. كما ولاحظت أنه بدا سعيداً ولطيفاً. بطريقة أبوية نوعاً ما. فتساءلت كم يبلغ من العمر. إذ انتابها شعور أنه لم يكن صغيراً جداً في السن، لكنها لم تستطع طرح السؤال. اصطحبها إلى الطابق العلوي، إلى مخزن يضمّ الكثير من الملابس. إذ كانوا يهبونها إلى طلابهم الحاصلين على منحة، أو يستخدمونها في حالات مثل هذه. نظر إليها وأعطاها بنطالاً من الجينز. "أظنّ أن قياس هذا البنطال يناسبك. توجد غرفة للقياس في الزاوية وفيها ستارة. سأنتظرك هنا. كما ويوجد سراويل أخرى إن شئت". جرّبت البنطال وهي تشعر بالقليل من الخجل، فوجدته واسعاً وإنما جافاً. خرجت وهي تبدو كيتيمة مسكينة، فضحك عندما رآها. "هل لي برفع نهايتي ساقي البنطال لك؟ قد تقعين مجدداً إن لم ترفعيهما".

قالت: "نعم". وهي لا تزال تشعر بالخجل. رفعهما لها وباتا على ما يرام. "شكراً لكَ، أنت محق. فبنطالي مبلل جداً. كنت أفكر في الذهاب إلى المنزل وقت الغداء لتبديله".

قال: "كنت ستمرضين لو بقيت مرتدية بنطالك". فضحكت.

"أنتَ تبدو كأختي. إنها دوماً تخشى أن أصاب بالأذى، أو أقع، أو أمرض. إنها تتصرّف كأمي".

"هذا ليس بالأمر السيئ. جميعنا نحتاج إلى أم في بعض الأحيان. أنا لا أزال مشتاقاً لأمي، وقد مضى على رحيلها نحو العشرين سنة".

تكلّمت **آني** بنعومة وأجابت: "أمي توفّيت في تموز".

قال وبدا صادقاً: "أنا آسف. هذا صعب جداً". قالت بصدق: "نعم بالفعل. سيكون الرابع من تموز المقبل قاسياً علينا هذه السنة". كانت الفتيات يخشين المناسبة دون وجود أمهنّ. فقد تكلّمن حول هذا الأمر عندما قسّمن ملابسها فيما بينهنّ.

قال لها وهو يصطحبها من غرفة المخزن إلى صفها: "لقد خسرت والديّ في وقت واحد في حادث تحطم طائرة. إن خسارة الوالدين تجعل المرء يكبر بسرعة". قالت بعد تفكير: "لم أفكّر أبداً بالأمر من هذه الناحية. ولكن لعلك على حق. ولكن ما يزال لديّ والدي". كانا قد وصلا عندها إلى صفها. وقد كان لديها ذاك الصباح حصة تعليم الكتابة بطريقة برايل، وحصة مهارات مطبخية وقت العصر، حيث يُفترض بهم تحضير فطيرة باللحم، وكانت تكره هذا الطبق ولكن **باكستر** موجود معها في الصف نفسه، ولطالما استمتعا بالتهريج سوياً. بات باستطاعتها تحضير الحلوى والدجاج. وقد طهت هذين الطبقين في المنزل، ولم تلقَ نقداً. "شكراً لكَ على البنطال. سأعيده في الغد".

قال: "وقتما تشائين. أتمنّى لكِ نهاراً سعيداً يا **آني**". ثم أضاف: "استمتعي باللعب بالصندوق الرملي". فضحكت. كان يتفوّق عليها من ناحية أنه يسعه رؤية شكلها، أما هي فتعجز عن ذلك. ولكنه كان يمتلك صوتاً لطيفاً.

جلست على مقعدها في صف البرايل، وظلّ **باكستر** يمازحها بشكل متواصل. ها "إذاً بات الآن رئيس المدرسة يحمل لك كتبك؟"

قالت له: "اخرس، أخذني ليجلب لي بنطالاً جافاً".

"هل ساعدك بارتدائه؟"

"هـلاّ توقفت عن المزاح. لا، رفع لي نهايتي الساقين". فتمتم **باكستر** بينه وبين نفسه وواصل التعليق عليها طيلة الصباح.

"بالمناسبة سمعت أنه ظريف".

صـارحته **آنـي** وقالت: "أظنّه كبيراً في السن". لم يكن **براد باركر** يحـاول التحـرش بهـا. بل كان يحاول مساعدتها فحسب، وهو يتصرّف كرئيس للمدرسة. "كما وأنني لم أرك تساعدني على النهوض بعدما وقعتُ في الخارج على الثلج".

قال **باكستر** ببساطة: "لا أستطيع ذلك. فأنا ضرير أيتها المدللة".

"لا تنعتنـي بالمدللـة". كانـا أشبه بمراهقين في عمر الثانية عشرة. طلـبت منهما المعلمة الالتزام بالصمت، ثم بعد قليل أضاف **باكستر**: "أظنّ أنه يبلغ من العمر ثمانية وثلاثين أو تسعة وثلاثين سنة".

"مـن؟" كانـت تركّـز على الفرض المكتوب بالحروف النافرة، وغـضبت لأنهـا اكتـشفت أن نصفه تقريباً خطأ. لقد كان أصعب ممّا ظنّت.

"السيد باركر. أظنّ أن عمره تسعة وثلاثون".

بدت متفاجئة: "كيف عرفت؟"

"أنا أعرف كل شيء. وهو مطلق وليس لديه أولاد".

"إذاً؟ ماذا يفترض أن يعني ذلك؟"

"ربمـا يشعر بالانجذاب نحوك. إذ لا يسعك رؤيته. ولكن هو يسعه رؤيتك. وقد قال لي ثلاثة أشخاص إنك رائعة الجمال".

"إنهم يكذبون عليك. لديّ ثلاثة رؤوس وذقنان في كل منها. ولا. هو لا يتحرّش بي. كان يحاول أن يعاملني بلطف ليس إلاّ".

"لـيس هـناك من لطف بين الرجل والمرأة. إما أنهما يهتمّان لأمر بعضهما البعض أو لا يهتمّان. وهو على الأرجح مهتم".

قالـت **آنـي** بطـريقة عملية: "لا يهمّني إن كان مهتماً، فرجل بعمر التاسعة والثلاثين كبير جداً. وأنا لم أتجاوز السادسة والعشرين من عمري".

قال **باكستر**: "نعم هذا صحيح. أنت محقة إنه كبير جداً". ثم عادا إلى الدرس محاولين تعلم طريقة برايل.

عـندما عادت **آني** إلى المنـزل ذاك المساء، كانت أختاها الكبيرتان لا تـزالان خارج المنـزل وكذلك **كاندي**. وكانت السيدة شيبانا على وشك المغـادرة. فأطعمت **آني** الكلبات، وبدأت بكتابة فرضها المنـزلي. وكانت لا تزال تعمل عليه عندما وصلت **تامي** إلى المنـزل عند الساعة السابعة. أطلقت تنهيدة كبيرة عندما دخلت من الباب، وخلعت حذاءها، وقالت عندما رأت **آني** إنها متعبة جداً، وسألتها كيف سار يومها.

"علـى مـا يرام". لم تخبرها أنها سقطت أرضاً. لم ترد أن تُشعرها بالقلق، حيث كانت تشعر أخواتها بالخوف من حدوث أمور كهذه خشية أن يرتطم رأسها. فهذا يمثّل خطراً عليها بعد العملية الجراحية في الدماغ التي خـضعت لهـا قـبل خمسة أشهر. ولكنها سقطت على مؤخرتها فحسب. وصـلت **سـابرينا** إلى المنـزل بعد نصف ساعة، وسألت إن كان أحد قد رأى **كانـدي**. فقـد اتّصلت بها عدة مرات على هاتفها الخلوي عصر ذاك اليوم، وفي كل مرة كان يردّ عليها البريد الصوتي.

قالت **تامي** وهي تبدأ بتناول العشاء: "لعلّها تعمل". فهي لم تكن طفلة فـي النهاية حتى ولو عاملنها وكأنها طفلة كما وتشغل مهنة كبيرة. سألت **آني**: "هل أخبرتك ماذا ستفعل اليوم؟" فهزت رأسها نافية ثم تذكّرتْ. "قالت إنها ستأتي إلى المنـزل هذا الصباح لتأخذ أغراضها وحقيبتها". كانت عادة تحمـل معهـا حقيبة مليئة بمستحضرات التجميل، إضافة إلى أشياء أخرى عندما تعمل.

سألت **سابرينا**: "وهل فعلت؟" وذكّرتها **آني** أنها كانت في المدرسة لذلك لا تدري.

قالت **سابرينا**: "سأرى بنفسي". وهرعت إلى غرفة **كاندي**. فوجدت أن الحقيبة وحقيبة العمل وهي حقيبة هيرميز عملاقة مصنوعة من جلد التمساح الأحمر الداكن ما تزالان موجودتين. لقد كانت تحمل **زو** فيها في بعض الأحيان. ولكن **زو** كانت أيضاً في المنزل طيلة النهار مع بقية الكلبات. فانتاب **سابرينا** شعور غريب عندما وجدت أن الحقيبة وحقيبة العمل ما تزالان في غرفتها. فتساءلت ما إذا كان يجدر بها الاتصال بوكالة **كاندي** لترى ما إذا كانوا قد رأوها، ولكنها لم ترد أن تتصرّف كالشرطة. ففي هذه الحالة ستغضب **كاندي**، حتى لو فعلت ذلك بنيّة طيبة. كانت تشعر فحسب بالقلق على أختها الصغرى.

سألت **تامي سابرينا** عندما نزلت إلى المطبخ: "ماذا وجدت؟"

كانت الأخوات جميعاً في المطبخ حينها، ما عدا **كاندي** التي لم تظهر بعد.

قالت **سابرينا**: "أغراضها لا تزال في الغرفة". وبدا عليها القلق.

اتصلن بها عدة مرات بعد العشاء، ولكن ظلّ البريد الصوتي يرد. فبدا لهنّ بوضوح أنه مقفل. تمنّت **سابرينا** لو أنها سألتها عن رقم هاتف **مارسيللو**، ولكنها لم تأخذ رقمه بل عنوانه فحسب، ولم يسعها الذهاب إليه لتسأله عن مكان أختها. وإلا كانت **كاندي** أُصيبت بالجنون. كان على الأقل يسكن في حي جيد، إن كان لهذا أي معنى. وحتّى منتصف الليل لم تصلهنّ منها أية أخبار. كانت **سابرينا وتامي** لا تزالان مستيقظتين، أما **آني** فخلدت إلى النوم. قالت **سابرينا** بتعاسة إلى **تامي**: "كم أكره أن أكون أماً. أشعر بالقلق الشديد عليها". لم ترد **تامي** الاعتراف بذلك ولكنها كانت تشعر بالقلق عليها أيضاً. لم يكن من عادة **كاندي** أن تختفي بهذا الشكل وألاّ تترك أي خبر عنها. لم تعرفا ما يجدر بهما فعله. وتذكّرت **تامي** أنه يوجد خط

ساخن في وكالة الأزياء التي تعمل فيها **كاندي**، حيث يمكن للعارضات اللواتي يواجهن مشاكل الاتصال بهذا الخط ليلاً أو نهاراً. فقد كانت بعض العارضات لا يزلن صغيرات جداً في السن، أو يأتين من مدن أو بلدان أخرى، ويحتجن إلى المساعدة أو النصيحة. فبحثت **تامي** عن الرقم في دفتر عناوين **كاندي** ووجدته. طلبت الرقم فأجابوها فطلبت أن يوصلوها بمديرة الوكالة إن أمكن ذلك. بعد دقيقتين أجابها صوت يبدو عليه النعاس. كانت **مارلين وايسمن** نفسها.

اعتذرت **تامي** على اتصالها في هذا الوقت المتأخر، ولكنها قالت إنها تشعر بالقلق على أختها **كاندي آدامز**. فهي لم تأتِ إلى المنزل منذ ليلة البارحة، ولم يسمعن عنها شيئاً منذ خرجت ليلة البارحة مع صديقها.

فدبّ القلق مباشرة في **مارلين واسمن**. **فكاندي** لم تحضر أيضاً إلى حملة التصوير التي كانت مقرّرة اليوم. ولم يسبق لها أن فعلت ذلك من قبل. "مع من كانت ليلة البارحة؟" "إنه الرجل الذي تخرج معه دوماً في الآونة الأخيرة، إنه أمير إيطالي حسبما أعتقد. **مارسيللو دي سترومبولي**، إنه أكبر سناً منها بكثير. كانا ذاهبين إلى حفلة في الجادة الخامسة".

باتت الآن **مارلين** صاحية بشكل جيد. أصبحت تتكلّم بسرعة أكبر وبوضوح. "هذا الرجل محتال وسافل. إنه يملك بعض المال ويحتال على العارضات. كان يواجه مشاكل مع القانون، وقد تعرّض لاثنتين من الفتيات لديّ. لم تكن لديّ أدنى فكرة أنه ما يزال يخرج مع **كاندي** وإلاّ لكنتُ تكلّمت معها. إنه عادة يسعى وراء فتيات أصغر سناً منها".

قالت **تامي** وهي تشعر بالعجز التام: "لقد ظهرا على أغلفة المجلات بضع مرات".

"أعلم. افترضتُ أنه انتقل إلى واحدة أخرى. عادة يفعل ذلك. أتعرفين أين يسكن؟"

"لقد أعطتنا العنوان". فقرأته لمارلين.

"سـأوافيك إلى هناك بعد عشرين دقيقة. أظنّ أنه من الأفضل لنا أن نتوجّه إلى هناك. لعله يحتجزها هناك بعد قيامه بتخديرها أو ما هو أسوأ". سألتها مستفسرة: "هل لديك زوج أو صديق؟"

قالت **تامي**: "أختي لديها".

"اجلبيه معك. إن لم يسمح لنا بالدخول سنتّصل بالشرطة. فأنا لا أحبّ هـذا الرجل إنه يجلب المتاعب". هذا بالضبط ما كانت أختا **كاندي** تخشيان سماعه. حمداً لله أنهما اتصلتا بها.

اتصلت **سابرينا بكريس** وأيقظته، وشرحت له ما يحصل، وقال لهما إنـه سـيقلّهما بسيارة أجرة بعد عشر دقائق. تردّدت **تامي** في إيقاظ **آني** لإخـبارها بأنهما ستغادران. فقد كانت تغطّ في نوم عميق، ولم يكن هناك مـن سـبب يدعوهما للتفكير بأنها قد تستيقظ في غيابهما. ارتدت الفتاتان ملابـسهما، وانتعلتا حذاءين، ثم ارتدتا معطفين سميكين. كان الثلج يتساقط بكـثافة عندما وصل **كريس** ليقلّهما، وقال إنه كان محظوظاً لإيجاد سيارة أجرة عند الساعة الثانية عشرة والنصف في ليلة مثلجة. وصلوا إلى عنوان **مارسيللو** بعد عشر دقائق، كانوا يمشون وينـزلقون في الشوارع المغطّاة بالـثلج. كانت **مارلين** قد وصلت قبلهم وهي مرتدية معطفاً من فرو المنك فـوق بـنطال جينـز. كانت امرأة جذابة، شعرها رمادي اللون، وهي في نهايـة العقد الخامس، وصوتها ناعم. تكلّمت بطريقة متسلّطة مع الحاجب وقالـت إن الأمير يتوقّع حضورهم وألاّ يزعج نفسه بالاتصال. خشيت ألاّ يتّـبع الحاجب تعليماتها، فأعطته مئة دولار، فسمح للأربعة بالصعود. قال لهم إنه يسكن في الشقة رقم خمسة. ساد الصمت بينهم في المصعد وازداد خفقـان قلـب **تامي** حينما نظرت إلى المرأة الكبيرة التي ترفع شعرها إلى الوراء وترتدي معطفاً **أنيقاً** من فرو المنك.

قالـت بـنعومة: "لا يعجبني هذا الوضع على الإطلاق". فهزّ الجميع رؤوسهم.

أجابـتها **سـابرينا**: "ولا نحن". وتشبّثت بيد **كـريس**. كان لا يزال يبدو نـصف نائم ولم يكن واثقاً تماماً ممّا يجري أو ما أملوا إيجاده. بدا واضحاً له أنـه في حال كانت **كاندي** هناك، فإن ذلك بمحض إرادتها، وقد تغضب عندما تـرى أربعة دخلاء قد هبّوا لإنقاذها. وخصوصاً إن لم ترغب بأن ينقذها أحد. مهما حدث فسيكون مشهداً مثيراً للاهتمام. وصلوا إلى باب الشقة الخامسة بعد لحظة، وأذهلت **مارلين كريس** عندما همست له ليقول إنه شرطي. فقد بدأ يظنّ أنهم جميعاً سيعتقلون نتيجة لهذا التهور. همس لها قائلاً: "أنا محام. لستُ واثقاً أنه يجدر بي القيام بأمر كهذا. فقد اتُهم بانتحال شخصية عنصر من الشرطة".

همست له بطريقة عنيدة: "قد يُتّهم هو بما هو أسوأ من ذلك، قُلْ ذلك فحسب". فرنّ جرس الباب وهو يشعر بالغباء، وحين ردّ عليه صوت ذكر في الجهة المقابلة من الباب نفّذ الدور الذي أملته عليه مارلين. كانت **تامي وسابرينا** ممتنّتين لها **ولكريس** كثيراً لوجودهما معهما.

أمـره **كـريس** بطريقة مقنعة: "افتح الباب فوراً". فساد الصمت من الناحـية الأخرى، وتردّد طويلاً، ثم سمعوا صوت فتح الأقفال. ولكنه أبقى السلـسلة موصدة عندما فتح لهم الباب، وبدا **كريس** مباشرة عنيداً وتقمّص اللعـبة، وقـال: "افتح الباب، لديّ مذكرة باعتقالك". اتّسعت حدقتا **سابرينا** وهي تحدّق **بكريس**. ربما تمادى **كريس** قليلاً في ما يفعله.

"بأية تهمة؟" كان **مارسيللو** نفسه هو الذي فتح الباب وبدا نصف نائم. "بـتهمة الاخـتطاف والاحتجاز. ونعتقد بأنك تروّج المخدرات من شقتك". كانت النساء يقفن وراء **كريس** حيث لا يستطيع **مارسيللو** رؤيتهن.

قـال: "هـذا سـخيف وهو يفتح السلسلة. ومن برأيك اختطفتُ أيها الـشرطي؟" لـم يطلب رؤية أية شارة أو أي نوع من البطاقة الشخصية، ولكـن بدا **كريس** حازماً معه وهو واقف أمامه ويرتدي معطفاً داكن اللون وبـنطال جينـز. كـان رجـلاً يمتلك بنية صلبة وشكله ممتاز، ويوحي بالـسلطة عندما يشاء. وفي هذه اللحظة اختار أن يكون كذلك، على الرغم

من أنه يظنّ أن الجميع مجانين. ولكنه كان يفعل ذلك كُرمى **لسابرينا**. عندها، كان الباب قد فُتح على مصراعيه. فدخل **كريس** إلى الشقة حتى لا يقوى **مارسيللو** على إقفال الباب في وجههم، وبدا **كريس** يفوقه وزناً بنحو خمسة كيلوغرامات على الأقل، ويتمتّع بعضلات مفتولة. دخلت **مارلين**، ووقفت بجانبه ولم تعمد إلى مهاجمته بشكل قاسٍ بل تروّت.

"أنا لم أرفع عليك أية قضية في المرة الماضية لأن الفتاة كانت بعمر السابعة عشرة ولكان ذلك أمراً قاسياً جداً عليها. أما هذه الفتاة فليست صغيرة إلى هذا الحدّ. إنها قادرة تماماً على رفع قضايا ضدك وأنا كذلك. أين هي؟"

قال: "من هي؟" وقد ظهر عليه الشحوب، وبدا جلياً أنه عرف عمّن تتكلّم، وأنه يكره **مارلين**.

قالت **مارلين لكريس**: "لا تفلته من يدك". ثم جالت في الشقة وكأنها مُلك لها.

صرخ فيها: "سأرفعُ قضية ضدك. أنت تدخلين إلى شقتي عنوة".

قالت له وهي تهرع في دخول رواق: "أنت سمحتَ لنا بالدخول".

تصرّف وكأن **تامي وسابرينا** غير موجودتين. كان **كريس** يراقب **مارسيللو** الذي بدأ يركض وراء **مارلين**. ولكن الأوان كان قد فات. فقد سبق وفتحت باب غرفة النوم، بعد أن عرفت بالضبط مكانها، ووجدت **كاندي** فاقدة للوعي، ويوجد شريط لاصق على فمها ويديها ورجليها، كانت مربوطة إلى السرير بحبل. بدت ميتة. وبدا **مارسيللو** مرعوباً جداً عندما لحقها الآخرون إلى الغرفة. كانت **كاندي** عارية وفاقدة للوعي، وكانت أجزاء من جسدها مصابة بجروح كبيرة ورجلاها مفتوحتين. فصرخت أختاها، وأمسك **كريس بمارسيللو** وضربه فاصطدم بالحائط.

قال وهو يُطبق أسنانه على بعضها البعض: "أيها السافل". ثم لكمه بقسوة. "أقسم إنك في حال قتلتها سأقتلك". كانت **سابرينا** تبكي وهي تساعد **مارلين** في فك الحبل. لم تُظهر **كاندي** أية علامة على استعادتها لوعيها.

وقامت **تامي** بالاتصال بالشرطة بيدين مرتجفتين، وحاولت وصف ما وجدوه. وهي بالكاد تقوى على التنفس. تفقّدت **مارلين** نبض **كاندي** في رقبتها، فوجدتها ما تزال على قيد الحياة. تدلّى رأسها على صدرها عندما فكّوا قيدها وغطّوها بملاءة. قال المسعفون إنهم سيأتون في غضون خمس دقائق.

قال **كريس لتامي**: "اتصلي بالشرطة". وأحكم قبضته على **مارسيللو**.

قالت **تامي** بصوت مختنق: "إنهم في الطريق مع سيارة الإسعاف". كانت **كاندي** لا تزال تبدو ميتة، وقالت **مارلين** بصوت ناعم إنه قد تمّ تخدير **كاندي**. لكان الأمر تسبّب بقتلها في النهاية، ولكنّ ذلك لم يحصل بعد. قالت في محاولة لطمأنتهم إن الفتاة الأخيرة بدت أسوأ من ذلك بكثير فقد قام بضربها بقسوة. ولكنها لم تطمئنهم بكلامها هذا على الإطلاق. ثم سمعوا عندها صفارات سيارة الشرطة. بعد لحظات، وصلت الشرطة والمسعفون إلى الغرفة. فحصوا **كاندي**، ووضعوا مصلاً في يدها، وقناع أوكسيجين على فمها، ثم وضعوها على حمالة، وغادروا الغرفة برفقة أختيها المرعوبتين، في حين وضعت الشرطة الأصفاد في يدي **مارسيللو**، وقام كل من **مارلين وكريس** بوصف المشهد الذي وجدوه. غادروا الشقة **ومارلين وكريس** وراءهم. قال بصوت متألم إنه لم يتوقّع أبداً أن يجدها كذلك. أما هي فأملت لو أنهم لم يجدوها هكذا، ولكن خشيت من حصول هذا الأمر.

كانت الفتاتان قد غادرتا المكان مع سيارة الإسعاف، ووُضع **مارسيللو** في سيارة الشرطة وتمّ اقتياده إلى مركز الشرطة. أخذوها إلى مستشفى كولومبيا بريسبايتيريان، ولوّح **كريس ومارلين** بيديهما، وأوقفا سيارة أجرة لينضمّا إلى **سابرينا وتامي**.

كان المشهد في المستشفى محزناً، حيث يوجد مصابون بطلقات نارية وطعنات سكين، ورجل مات لتوّه جراء نوبة قلبية. هرعوا **بكاندي** إلى وحدة الحوادث القوية في حين انتظرت أختاها. بعد ما مرّوا به هذا الصيف مع أمهم وآني، كان المشهد الذي تعيشه **سابرينا وتامي** مؤلماً جداً وقد سبق لهما رؤيته.

لكن هذه المرة عندما خرج الطبيب ليتكلّم معهما، كانت الأخبار أفضل ممّا كانتا تخشيانه، على الرغم من أنها لم تكن بالأخبار الجيدة. وكما تصوّرتا كانت قد تعرّضت للاغتصاب. كانت جروحها سطحية وليس فيها أية كسور، ولكن تمّ تخديرها بجرعة قوية. قالوا إنها ستحتاج إلى أربع وعشرين ساعة حتى تصحو، ثم بوسعهما أخذها إلى المنزل. كانوا قد أخذوا صوراً فوتوغرافية لجميع الجروح من أجل إدراجها في ملفات الشرطة. ولكنهم قالوا إنها لن تعاني من ضرر جسدي طويل المدى، وإنما من مجرد صدمة نفسية وكان ذلك مشكوكاً به أيضاً. الخبر الجيد الوحيد هو أن الطبيب افترض أنها كانت فاقدة للوعي طيلة الوقت الذي تعرّضت فيه للاغتصاب، لذا لن تتذكر شيئاً عن هذا الأمر، وكان ذلك رحمة لها.

كانت الفتاتان تبكيان وهما تستمعان لهذا الكلام وكذلك كانت **مارلين**، في حين بدا على **كريس** الغضب الشديد. فقد أراد لو يقتل **مارسيللو** لقاء ما فعله بفتاة صغيرة ولطيفة مثل **كاندي**.

قالت **مارلين** بحزن: "ليس بوسعكم أن تتخيّلوا عدد عارضات الأزياء اللواتي يتعرّضن لمثل هذه الحوادث. عادة يحدث هذا الأمر مع الفتيات الصغار في السن واللواتي لا يعرفن كيفية حماية أنفسهن".

قالت **تامي** وهي تمسح دموعها: "حسبته **كاندي** رجلاً محترماً".

قال لهم رجال الشرطة إنهم سيتكلّمون معهم في الصباح. تطوّعت **تامي** للبقاء معها حتى يتمكّن **كريس وسابرينا** من العودة إلى المنزل من أجل **آني**، وأرادت **مارلين** البقاء معها أيضاً. قالت **تامي** إنه لا داعي لبقائها، ولكنها أصرّت على البقاء. فجلستا على جانبي سرير **كاندي** طيلة الليل تتحدثان بصوت منخفض عن الشرور الموجودة في العالم.

كانت الساعة قد وصلت إلى العاشرة في الصباح التالي عندما استيقظت **كاندي**. لم تكن لديها أدنى فكرة عن المكان الذي كانت فيه أو

عمّا حصل. جلّ ما عرفته أن كل جزء من جسدها يؤلمها وخصوصاً المنطقة الحساسة كما قالت. قالت: "أين **مارسيللو**؟" ونظرت من حولها. إذ إن آخر ما تذكره هو أنها كانت تتناول العشاء معه في شقته قبل أن يهمّا بالتوجّه إلى الحفلة كما كان مفروضاً. وكان قد دسّ لها المخدر في الطعام.

أجابتها **مارلين**: "في السجن الذي ينتمي إليه". ثم لامست شعرها بنعومة. غادرت **مارلين** المستشفى بعد دقائق قليلة، وبدا عليها التعب والاكتئاب، ولكنها كانت مطمئنة لكون **كاندي** على ما يرام.

سمحوا **لكاندي** بمغادرة المستشفى عند الساعة الخامسة من عصر ذاك اليوم. كانت **تامي** قد اتصلت بمكتبها لتخبرهم أنها لن تأتي إلى العمل. وغادرت **سابرينا** مكتبها لتساعد في إرجاعها إلى المنزل. كانت الفتاتان قد أخبرتا **آني** بما حصل، وكنّ جميعاً منزعجات جداً. وكانت **سابرينا** قد اتصلت بطبيبة **كاندي** النفسية وأخبرتها بما حصل، حيث إن **كاندي** ستحتاج إلى مساعدة، وربما لفترة طويلة من الوقت. كانت طبيبة **كاندي** قد أوصت بطبيبة متخصصة في حالات الصدمات، فاتصلت بها **سابرينا** أيضاً. كانت مجرد كارثة أخرى كانت الفتيات في غنى عن حصولها. بكت **كاندي** عند العودة إلى المنزل ولكن لم تدرِ أبداً السبب. إذ لم تذكر ما حصل على الإطلاق في اليومين الأخيرين، وإنما تذكّرت وجه **مارسيللو** فحسب قبل أن تغفو. كان رجال الشرطة قد توجّهوا للتكلم مع **سابرينا وكريس** قبل مغادرتهما إلى العمل. كانوا قد ذهبوا أيضاً إلى المستشفى لأخذ إفادتي **تامي ومارلين**. كانت **كاندي** لا تزال تتقيّأ بسبب المخدر عندما كانوا هناك. وتبيّن أن **مارسيللو** سيُحاكم بتهم اغتصاب **كاندي**، والاعتداء عليها، وضربها، واحتجازها غير المبرر، واختطافها، وتخديرها. لقد ألقوا عليه جميع أنواع التهم، فحدّد القاضي كفالة تقدّر بخمسمئة ألف دولار. دفعها له صديق، وأطلق سراحه تلك الليلة؛ ليعاود فعلته من جديد.

عمدت **سابرينا** و**تامي** إلى تدليلها بشتى الطرق. كانت شفتها منتفخة وتـوجد كدمات على عينيها، وثدياها مجروحان، وبالكاد كانت تقوى على الجلوس. كانت تجربة لا يمكن لأحد منهنّ نسيانها.

قالـت **تامـي** بحزن: "أعتقد أنني سأتخلّى كلياً عن المواعدة بعد ما حصل". وللمرة الأولى منذ أيام ضحك الجميع.

قالت **مارلين** عندما عادت لزيارتهن: "ما كنت لآخذ مثل هذا القرار، ولكن هذا بالتأكيد درس مهم جداً من أجل اتخاذ الحيطة والحذر الشديدين. إذ يـوجد العديـد مـن الأشخاص الخطيرين جداً في هذا العالم من الذين يسعون للنيل من الفتيات الجميلات". دفع ذلك **بسابرينا** إلى التفكير في مدى إمكانـية تعرّض **آني** لمثل هذا الحادث. فهي لم تكن جميلة وشابة فحسب وإنمـا ضريرة أيضاً. ولكن **كاندي** كانت أيضاً ضريرة بطريقتها الخاصة. كان **مارسيللو** ساحراً جداً وإنما دنيء جداً أيضاً.

فـي نهاية الأسبوع وقفت **كاندي** على رجليها من جديد. وقد سمحت لهـا **مارلين** بأخذ إجازة لعدة أسابيع إلى أن تُشفى الجروح. وكانت تذهب إلـى طبيبـتها النفـسية يومـياً. ولكنها لم تكن تذكر شيئاً، إذ لا توجد أية ذكـريات مؤلمة أو مخيفة. لم تكن مصابة سوى بالجروح التي كانت تلتئم مـع الـوقت. ولكن ما كانت أختاها ولا حتى **كريس** لينسوا المشهد الذي وجـدوها علـيه. وقد شعر الجميع بالامتنان الشديد **لمارلين** لتجاوبها بهذه الـسرعة الكبيرة ولشجاعتها البالغة. فبالرغم ممّا حدث، كانت **كاندي** فتاة محظـوظة جداً. وقد ارتاح الجميع عندما عرفوا أنه سيتمّ ترحيل **مارسيللو** إلـى إيطاليا في نهاية الأسبوع، بسبب العديد من التهم المشابهة. وقد كانت **مارلين** قد استخدمت معارفها لتسريع عملية ترحيله. لذا لن تكون هناك من فـضيحة، أو أي مثول أمام المحكمة، أو أي تسرب للصحافة. سيُعاقب في بلده، ولن تضطرّ **كاندي** إلى رؤيته من جديد. لقد رحل.

الفصل الثاني والعشرون

في اليوم الأخير من المدرسة وقبل العطلة، أوقف **براد باركر آني** في باحة المدرسة ليقوم بتوديعها.

قال لها: "أتمنّى لك عيداً سعيداً يا **آني**". على الرغم من أنه يدرك أن العـيد سيكون صعباً عليها هذه السنة. ثم فعل أمراً لم يسبق له فعله. كان يـضع لنفسه قاعدة قاسية وحازمة، ولكنه كسرها لأجلها لأنه ما فتئ يفكّر فـيها منذ اليوم الذي ساعدها فيه على ارتداء سروال جينـز جاف. كانت فـتاة جمـيلة، وذكـية، ولطيفة، وبدت ناضجة جداً بالنسبة إلى سنها. وقد عانـت الكثير خلال هذه السنة. أكثر ممّا يتخيّل. وأثّرت بها كثيراً الحادثة التي تعرّضت لها **كاندي** في الأونة الأخيرة أيضاً.

"كنتُ أتساءل ما إذا كنت تقبلين بأن تنضمّي إليَّ لاحتساء فنجان من القهـوة في يوم من أيام العطلة". ستطول العطلة لمدة ثلاثة أسابيع. ذُهلت **آنـي** فـي الـبداية ولم تعرف ماذا عساها تقول لذا قالت نعم. لم تشأ أن تتـصرّف معـه بفظاظة، فقد كان في النهاية رئيس المدرسة. شعرت عند سـؤاله لها وكأنها طفلة. ولكن **آني** لم تعد طفلة أبداً. لقد كبرت إلى حدٍّ لا يوصف هذه السنة، وكانت قبلاً تعيش وحدها.

"لـديَّ رقم هاتفك في ملفاتنا. سأتّصل بك. ربما في وقت ما من هذا الأسـبوع. لـستُ أدري إن كنت تحبّين الحلويات، ولكنني أحبّ الحلويات جداً. هناك مكان جميل يدعى السرنديبة. لديهم حلوى ممتازة". قالت: "أودّ

ذلك". لم تشعر بأيِ ضرر من الخروج معه. لن يهاجمها بسبب فطيرة تفاح أو شـراب الشوكولاته الساخن. على الأقل أملت ألاّ يحصل ذلك. إذ إن ما حصل مع **كاندي** أثار انزعاجهنّ كثيراً. ولكنها كانت تعرف أن **براد باركر** رجل صالح. حتى أن أخواتها لن يعارضن.

علـى العكس عندما اتّصل بها تلك الليلة، فرحن جداً وابتهجن وجنّ جـنونهنّ فـرحاً ممّا أحرج **آنـي** عندما أقفلت الخط. كانت الفتيات جميعاً يستمعن إليها وهي تحدّد مع **براد** موعد اللقاء.

قالت **سابرينا** وأمسكت بيدها: "أنتِ مدينة لي بمئة دولار". فبدت **آني** غاضبة.

"لماذا؟"

"لقـد وضـعنا رهانـاً في تموز. قلتُ لك إنكِ ستواعدين رجلاً في غـضون ستة أشهر. فقلتِ إنك لن تفعلي. وراهنا بمئة دولار. مضى على ذلك مجرد خمسة أشهر وأسبوع واحد. هيا ادفعي".

"مهـلاً دقـيقة. هـذا ليس بموعد. إنه لقاء لشرب القهوة مع رئيس المدرسة. هذا ليس بموعد".

أصـرّت **سـابرينا**: "هـذا لـيس صحيحاً. فنحن لم نعمد إلى تحديد التفاصـيل. لـم يذكر أحد أنه يجدر بالموعد أن يكون بثياب أنيقة أو دعوة على العشاء. الدعوة إلى شرب القهوة هي موعد".

قالت **آني** بشكل حاسم: "غير صحيح". ولكن وقفت **تامي وكاندي** إلى جانـب **سابرينا**، وقالتا **لآني** إن عليها دفع المئة دولار. وقد ارتاح الجميع لـرؤية أن صحة **كاندي** قد تحسّنت نسبياً. كانت جروحها تلتئم، وأصبحت معـنوياتها مقبولة نظراً لما حصل. وقد كانت الأخوات جميعاً يتطلّعن إلى العيد المقبل.

شعرن بالارتياح لرحيل **مارسيللو**، وبذلك لن تلتقي به **كاندي في** أي مكـان. سُـعدت **مارلـين** بذلك أيضاً. فقد كان يمثّل خطراً على أية امرأة

يقابلهـا. ولكـن كان **براد باركر** رجلاً مختلفاً تماماً. وشعر الجميع بالفرح الشديد لأجل **آني**.

عرضَ على **آني** أن يقلّها من منـزلها، ولكنها قالت إنها ستلاقيه في المطعـم. وتبـيّن أنه محق، فالحلويات لذيذة جداً. تناولت **آني** طبقاً يسمى الموكاسـينو المـثلّج، وهـو عبارة عن مثلّجات بطعم الشوكولاته والقهوة ممـزوجين مع الكريما المخفوقة ونثرات الشوكولاته على الوجه. وتناول **بـراد** هريس الدراق وهو طبق حلوى لذيذ جداً. وتشاطرا قطعة من فطيرة جوز البقان.

قالت وهي تُرجع بظهرها إلى الوراء: "سيتوجّب عليك أن تدحرجني إلـى خارج الباب". فقد شعرتْ بأنها على وشك الإنفجار من شدة التخمة. وصـفَ لها المطعم، فبدا لها جميلاً ويعود ديكوره إلى العصر الفيكتوري حيث يحتوي على لمبات تيفاني، وطاولات قديمة، وأشياء مسلية للبيع. قال إنه اعتاد على المجيء إلى هنا مع أمه منذ كان طفلاً. كانت **آني** قد سمعت بهذا المطعم من قبل ولكنها لم تزره أبداً.

تحـدثا حول إيطاليا والفن، والوقت الذي أمضته في فلورنسا، ووقته الذي أمضاه في روما. كان لا يزال يتكلّم بعض الإيطالية، وقالت إن لغتها الإيطالـية بـدأت تسوء. تكلّما قليلاً حول المدرسة وآماله بشأن توسيعها. حـيث يأمـل بأن يفتح مدارس أخرى مثلها في مدن أخرى. اعترفت **آني** بتردّد أنه حتى الآن كانت المدرسة مفيدة جداً لها. قالت وهي تضحك: "لقد تعلّمتُ كيفية تحضير الدجاج والكعك المكوّب". "آمل أن نعلّمك ما هو أكثر من ذلك. لمَ لا تأخذين صف نحت؟ يبدو أن الجميع يحبّونه. وقد فكّرت أنا نفسي في حضور هذا الصف، ولكنني لا أميل جداً للفن".

قالت بحزن: "أظنّ أنني بتُّ كذلك أيضاً".

"أشكّ بذلك. فالدماغ لديه طريقة يمكنه بواسطتها إعادة إيجاد الطريق عـندما يـضطرّ لـذلك. قـد تستمتعين بالصف. وإن لم يعجبك فبوسعك

الانسحاب منه. أنا أعطيك الإذن بذلك". عندئذ ضحك الاثنان. أمضيا وقتاً ممتعاً جداً سوياً ثم مشى معها إلى المنزل في الجادة الثالثة، وتكلّما حينها في أمور كثيرة. كانت المسافة إلى المنزل الذي تتشارك السكن فيه مع أخواتها معقولة، وشعرت بالفظاظة عندما قامت فجأة بتوديعه خارج المنزل. فسألته إن كان يودّ الدخول لدقيقة. علمت أن **كاندي** والسيدة شيباتا موجودتان في الداخل. قال إنه سيدخل ولكن لمجرد دقيقة، إذ كان لا يزال أمامه القيام بالتسوق للعيد في فترة العصر. كانت **آني** مرتبكة بشأن كيفية التسوق لهذه السنة، وكانت تنوي أن تطلب من أخواتها مساعدتها في ذلك. دخل إلى المنزل وكانت السيدة شيباتا تنظّف الأرض بالمكنسة الكهربائية والصوت عالٍ جداً، وكانت **كاندي** تستمع إلى الموسيقى بصوت مرتفع جداً، فبالكاد يتمكّن المرء من السماع لكثرة الضجيج. إضافة إلى أن الكلبات الثلاث كانت تنبح في وقت واحد، والهاتف يرنّ، فهاجمته **خوانيتا** وحاولت أن تقضم كاحله بمجرد أن دخل إلى المنزل. عندما سمعت السيدة شيباتا ذلك أطفأت المكنسة الكهربائية، وانحنت أمامهما، وظهرت **كاندي** في أعلى الدرج تعتمر قبعة العيد وترتدي بدلة سباحة.

صرخت من أعلى الدرج وقالت: "مرحباً وركضت لترتدي رداء حتى لا يرى الجروح التي كادت تختفي حتى الآن".

شرحت له قائلة: "هذه أختي **كاندي**. هل ترتدي أية ملابس؟" فقد يتوقّع المرء من **كاندي** أي شيء حتى الآن.

"في الواقع إنها ترتدي بدلة سباحة وتعتمر قبعة العيد".

"هذا كثير من الملابس بالنسبة إليها. عادة ترتدي ما هو أقل من هذا بكثير. آسفة بشأن الكلبات".

"لا بأس، أنا أحبّ الكلاب".

"أنا لا أحبّها. ولكن المرء يعتاد عليها مع الوقت، هذا المنزل يكون صاخباً في معظم الوقت. خصوصاً عندما نجتمع نحن الأربع في المنزل".

اندهش وقال: "هل تعشن دوماً سوياً؟" عندما دخل إلى المنزل شعر بجو من الدفء والترحاب. بوسع المرء الشعور أن الأشخاص الذين يسكنون هنا يحبّون بعضهم بعضاً، وقد كان محقاً تماماً. ممّا يدفع بالمرء أن يودّ البقاء معهنّ للأبد. عبّر عن كل ذلك **لآني** فشعرت بالتأثر.

"في الواقع فعلن ذلك كرمى لي هذه السنة. استأجرت أخواتي هذا المنزل حتى يساعدنني على تنظيم حياتي بعد الحادث. استأجرنا المنزل لسنة واحدة فحسب. استقالت **تامي** من وظيفة مرموقة في لوس أنجلوس من أجل ذلك. إنها تعمل اليوم في برنامج عن تلفزيون الواقع إنه مريع. يحاول الناس إطلاق النار على بعضهم البعض فيه، على الأقل مرة في الأسبوع. يدعى البرنامج: ***هل يمكن إنقاذ هذه العلاقة؟ الأمر يعود لكم***".

فأطلق ضحكة عالية وقال: "يا الله لقد شاهدته إنه فظيع". قالت **آني** بفخر: "بالفعل، أختي **تامي** هي منتجة هذا البرنامج". ثم ذكرتْ برنامج **تامي** السابق، فأثارت بذلك دهشته خصوصاً وأنها تخلّت عنه لتأتي إلى نيويورك من أجل **آني**. "كانتْ أختي **سابرينا** موجودة في نيويورك على أي حال. إنها محامية. لديها صديق حميم يدعى **كريس** ويمكث معنا في بعض الأحيان. إنه محامٍ أيضاً. أما أنا فكنتُ أعيش في فلورنسا قبل الحادثة، وربما سأعود إلى هناك، لا أعرف بعد. ما زالت لديّ شقة هناك. لا أنفكّ أفكّر في تسليمها، ولكن لم يتسنَ لأحد الوقت ليوضّب أغراضي التي بداخلها ولكنها رخيصة جداً لذا ليست بعبء ثقيل. وأختي **كاندي** تجول العالم أجمع. إنها عارضة أزياء".

"**كاندي**؟ أتعنين **كاندي** عارضة الأزياء المشهورة؟ التي تظهر على غلاف مجلة فوغ كل شهر تقريباً؟" فبدا الذهول عليه. إذ إنها تنتمي إلى عائلة من صاحبات الإنجازات الكبيرة ولديهنّ عدد من الكلبات الصاخبة.

"إنها هي التي رأيتَها للتو معتمرة قبعة العيد ومرتدية بدلة السباحة. لقد أخذت إجازة لبضعة أسابيع". لم تأتِ **آني** على ذكر السبب. فهذا لم يكن

من شأنه ولم تنوِ أي منهنّ الخوض في هذا الحديث أبداً. فليس هناك داعٍ لذلك. **كريس ومارلين** كانا الشخصين الوحيدين خارج العائلة اللذين يعرفان بالأمر. حتى أن الفتيات لم يخبرن والدهنّ. لكان ذلك أمراً يصعب عليه تحمّله في ظلّ المآسي التي واجهها.

قال **براد** بإعجاب: "يا لها من مجموعة. لا بد وأن وجودكنّ سوياً أمر رائع". لوهلة نسي الظروف المأساوية التي جمعتهنّ سوياً. لم يدلّ أي شيء فيهنّ على الحزن.

قالت **آني** وهي تبتسم بسعادة: "بالفعل فالجو هنا جميل جداً. في الواقع، كنتُ متردّدة في بداية الأمر بشأن السكن معهنّ. ولكن تبيّن لي لاحقاً أنها تجربة ممتعة".

سألت **كاندي** عندما انضمّت إليهما: "ما هو الممتع؟"

قالت لها **آني**: "سكننا سوياً. هل ارتديتِ ملابسك؟"

ضحكت **كاندي** وقالت: "نعم أنا أرتدي رداء وأعتمر قبعة العيد. فكّرتُ في الذهاب لجلب شجرة العيد اليوم". بالرغم ممّا حصل لها كانت تعيش جو العيد. شعرت بأنها مُنيت بنعمة كبيرة لبقائها على قيد الحياة.

لم يستطعِ **براد** الكف عن التحديق في **كاندي**. فلم يسبق له أن رأى أحداً بمثل هذا الجمال في حياته. أما هي فكانت مرتاحة تماماً ولم تشعر بالإحراج. كانت مثل أية فتاة في مثل سنها، وإنما أجمل منهنّ بألف مرة. إلاّ أنه ظنّ أن **آني** جميلة بقدرها وإنما بطريقتها الخاصة. كانت أقصر وملامحها أنعم، ولكنه أحبّ شعرها الكستنائي وقصّة شعرها القصيرة.

قال حينما دعته **كاندي** للنزول إلى الأسفل: "لقد اشتريتُ شجرتي البارحة". في البداية تردّد، ثم ما لبث أن وجد صعوبة في مقاومة تمضية بضع دقائق أخرى معهما. تبع **كاندي** إلى المطبخ في الأسفل وكانت **آني** وراءه مباشرة، وقد لفتت نظر الثلاثة الرائحة التي كانت منتشرة في الأجواء.

قالت **كاندي**: "آه يا الله". وترجمت **آني لبراد**.

"إن السيدة شيباتا تأكل هذه المخللات اليابانية الفظيعة. رائحتها تشبه رائحة حيوان نافق". ضحك بشكل متواصل على الجنون الذي يحصل في منزلهنّ. انحنت السيدة شيباتا عندما دخلوا إلى المطبخ، ووضعت مرطبان المخلل جانباً. كانت قد وضعت لتوّها بعض طحالب البحر في أطباق الكلبات، فتخلّصت **كاندي** من هذه الطحالب على الفور، وشرحت **لبراد** أن طحالب البحر تصيب الكلبات بالغثيان.

قال **لآني**: "حسبتك قلتِ إنك لا تحبّين الكلاب".

"أنا فعلاً لا أحبّها. إنها ليست لي. إنها لأخواتي".

قالت **كاندي** حينما حملت كلبة اليوركي: "زو لي أنا". فشعرت **بولا** بالمهانة، واستدارت وجلست على الأرض. فانحنى ليلعب معها، وحاولت **خوانيتا** مهاجمته من جديد، ولكن في النهاية استسلمت ولعقت يده. قال **لآني**: "يجدر بك الحصول على كلب أنت أيضاً". كان قد اقترح عليها سابقاً جلب كلب مرشد، ولكنها لم تتحمّس للفكرة. اعترفت له أخيراً أن امتلاكها لكلب مرشد يدلّ الجميع مباشرة على أنها ضريرة أينما حلّت.

غادر **براد** بعد فترة من الوقت بعد أن أسعدته الزيارة جداً. فقد استمتع بلقاء **كاندي**، وأحبّ التحدث إلى **آني**، ولم يطق صبراً حتى يلتقي بالأختين الباقيتين. اتّصل بها في اليوم التالي، ودعاها على العشاء بعد ثلاثة أيام قبل مغادرتها إلى كونيتيكيت من أجل تمضية العيد مع والدها. تردّدت **آني** لوهلة ثم وافقت. بدت لها مواعدة شخص لا يمكنها رؤيته مخيفة بعض الشيء. ولكنه أعجبها، كما وتجمع بينهما الكثير من الأفكار والآراء المشتركة.

وصلت **سابرينا** إلى المنزل مباشرة بعد اتصال **براد بآني** ودعوته لها على العشاء، ومشت **آني** إلى حيث تجلس **سابرينا** لترتاح بعد يومها الطويل والمتعب. ووضعت **آني** خمس ورقات مالية من فئة العشرين دولاراً في حجرها دون أي تعليق. فنظرت **سابرينا** إليها متفاجئة.

"هل ربحت اللوتو اليوم؟ لِمَ كل هذا المال؟"

قالت لها **آني** مدّعية الانزعاج: "لا بأس". في حين كانت مسرورة جداً وتشعر بالحماسة لأجل موعد العشاء مع **براد**. فقد كانت في النهاية في السادسة والعشرين من عمرها فحسب. كان أمراً ممتعاً أن تحظى بموعد مع رجل لطيف مثله.

لقد دفعت لتوّها الرهان الذي اتّفقت عليه مع **سابرينا**. وحينما استوعبت **سابرينا** الأمر رفعت المال عالياً دليلاً على نصرها وضحكت.

صرخت في الوقت الذي أقفلت به **آني** باب غرفتها وقالت: "قد قلتُ لك إن هذا سيحصل".

الفصل الثالث والعشرون

قامت الأخوات الثلاث بمساعدة **آني** على التأنق من أجل موعد العشاء مع **براد**. فجرّبت أربعة أثواب مختلفة، وكان لكل من أخواتها رأي مختلف بشأن ما يجدر بها ارتداؤه في موعدها الأول. كعب عالٍ، كعب منخفض، ثياب تتّسم بالبساطة، أو بالأناقة البالغة، بلوزة مثيرة، لون فاتح، وردة في شعرها، قرطان، دون القرطين! في النهاية اختارت **آني** بلوزة كشمير زرقاء، وتنورة رمادية جميلة، وحذاء طويل الساق ومنخفض الكعب حتى لا تقع وهي تمشي في المطعم، ووضعت قرطين من اللؤلؤ يعودان لأمها. فبدت جميلة، ويافعة، وملفتة، وليس وكأنها تحاول جاهدة لفت نظره أو إغراءه. عندما وصل **براد** ليقلها وجد نفسه محاطاً على الفور بمجموعة الأخوات كلها والكلبات الثلاث. قال عندما عرّفته **آني** **بتامي** و**سابرينا** للمرة الأولى: "يا لها من لجنة ترحيب ملفتة". بعد دقيقتين وصل **كريس**.

قالت **آني** بسعادة: "الآن بتّ تعرف الجميع". غادرا بعد خمس دقائق، وتوجّها إلى مطعم إيطالي صغير وقريب. كان قريباً جداً بحيث توجّها إليه سيراً على الأقدام دون الحاجة إلى أن يستقلا سيارة أجرة. كانت **كاندي** قد أعارتها سترة المنك القصيرة الرمادية اللون، لذا كانت **آني** تشعر بالدفء. وشعرت بسعادة بالغة بسبب أول موعد غرامي لها بعد بضعة أشهر. كان ذلك أمراً مختلفاً جداً عن أيامها الفنية التي عاشتها في فلورنسا برفقة

تشارلي. شعرت أنها راشدة جداً. وخلال العشاء أخبرها أنه يبلغ التاسعة والثلاثين من عمره.

قالت: "أنتَ لا تبدو بهذا السن إذ أراك أصغر سناً". وضحك الاثنان. "أو ربما يجدر بي القول إنه من خلال صوتك تبدو أصغر سناً".

"أنت أيضاً لا تبدين بقدر سنك الحقيقي". استطاعت أن تسمع الابتسامة في صوته. "ظننتك في البداية أصغر سناً". بدا محرجاً حينها. "لقد تفقدتُ سجلك".

قالت له: "إذاً أنت مطلع على أخباري كلها، هذا ليس عدلاً على الإطلاق أنت تعرف عني أكثر ممّا أعرفه عنك".

"ماذا تودّين أن تعرفي؟"

"كل شيء. أية جامعة ارتدت، وماذا درست، وأين نشأت، وما الذي كرهته في الصف الثالث، ولماذا حصلت على الطلاق". فتفاجأ حينها.

"أنتِ أيضاً مطّلعة على أخباري. من أين لك معرفة هذا الأمر؟"

اعترفت له: "أخبرني أحد ما في المدرسة". ولكنها كانت تشعر بالحشرية لمعرفة أخباره. ولأنها عجزت عن رؤيته، أرادت أن تعرف كل المعلومات عنه. وقد ترغب بمعرفتها على أي حال كانتْ. ولكنها تعجز الآن عن رؤية الانطباعات على وجهه، منْ حزن، أو ندم، أو شعور بالذنب. كانت هذه الأشياء مهمة. لذا وجب عليها الاعتماد على ما تسمعه وطريقة قوله للكلام.

"دام زواجي من فتاة أحببتها في الجامعة ثلاث سنوات. كانت فتاة رائعة. إنها متزوّجة الآن من رجل آخر ولديها ثلاثة أولاد. وبتنا صديقين. كنا نريد أشياء مختلفة في هذه الحياة. هي أرادت الحصول على وظيفة في التلفزيون مثل أختك. وأنا أردت عائلة وأولاداً. لقد خسرتُ والديّ في عمر صغير، وأردت تكوين عائلة لي. أما هي فلا. المثير للغرابة أنه هي التي باتت لديها أولاد الآن. ولكنها أنجبت الأولاد الثلاثة في السنوات الأربع

الأخيرة. لقد انفصلنا منذ وقت طويل. لقد حصل الطلاق بيننا عندما كنتُ في الرابعة والعشرين من عمري أي منذ أربع عشرة سنة. كنا في ذاك الوقت غاضبَين جداً من بعضنا البعض. كانت تشعر بأنها تتعرّض للضغط. وأنا شعرت أنني غُششت. نشأنا في شيكاغو، ولكنها أرادت أن تعيش في لوس أنجلوس، وأردت أنا العيش في نيويورك. أنا أردت تأسيس المدرسة، وهي كرهت الفكرة. كانت السنوات الثلاث التي عشناها سوياً مشوبة بالتوتر الشديد وفظيعة بالنسبة إلينا نحن الاثنان".

"إذاً لمَ لم تتزوّج من جديد؟"

"بسبب الخوف، والانشغال، والتردد. كان تأسيس المدرسة عملاً شاقاً. وقد عشت مع امرأة لأربع سنوات. كانت امرأة رائعة ولكنها فرنسية وأرادت العودة إلى فرنسا. فقد اشتاقت إلى عائلتها كثيراً. كنتُ حينها قد أسست المدرسة ولم أرغب بالانتقال. أظنّني كنت متزوّجاً بالمدرسة طيلة ست عشرة سنة. كانت بمثابة أولادي وحياتي. والوقت يمرّ بسرعة عندما تستمتعين به وأنا أستمتع به جداً". لم تقوَ على فهم جملته هذه إلى حدٍّ ما.

كان ينتاب كل من أختيها الكبيرتين هذا الشعور حيال عملهما وهي أيضاً حيال فنها. ولكن ذلك لم يمنعها من عيش حياة عاطفية، أما **تامي** فبلى و**سابرينا** أيضاً إلى حدٍّ ما. فكلتاهما كانتا مدمنتين على العمل، ولعله هو الآخر كذلك. يدفع المرء ثمناً غالياً مقابل الاستغراق في العمل طيلة الوقت، وأحياناً ينتهي به الأمر وحده.

"ماذا عنكِ يا **آني**؟ ألستِ على علاقة برجل ما الآن؟" فضحكت ساخرة.

فهي لم تخرج في موعد غرامي منذ أيام **تشارلي** في فلورنسا، وحسبت أنها لن تخرج في أي موعد غرامي من جديد.

"كان لديّ صديق حميم في فلورنسا قبل الحادثة. ولكنه هجرني من أجل فتاة أخرى، قبل أن يكتشف أنني بتّ ضريرة". لطالما شعرتُ بالراحة

عـندما تفكـر بهذه الطريقة. "ظننتُ أن الأمر جدي ولكنني أحسبه لم يكن كـذلك. أو ليس بقدر الجدية التي حسبتها. وقبل ذلك كان لديَّ صديق حميم واحد بعد الجامعة. كنت دوماً شغوفة بعملي كفنانة، ممّا ألهاني عن الاهتمام بالأمـور الأخرى. لقد تغيّرت الحياة كثيراً بالنسبة لي بعدما خسرتُ فني. الآن لا أملك أدنى فكرة بشأن ما عساي أفعله عندما أكبر في السن". فبدت حـزينة لدقـيقة، ثـم رفعت رأسها، ونظرت باتجاهه رغم أنها لا تستطيع رؤيته. ولكن كان بوسعه أن يرى مدى جمالها. وأثّرت به جداً بصراحتها وصدقها. لم تكن تتكلّف أو تتصنّع على الإطلاق.

قال بلطف: "ستجدين ما تفعلينه". كانت تتمتّع بالذكاء، والشغف، وهي كادحـة، وتتمتّع بالحيوية. مستحيل ألاّ تقوى على إيجاد الطريق الصحيح عاجلاً أم آجلاً. لم يشعر بالقلق عليها على الإطلاق.

طلـب طعـام العشاء وظلاّ يتحدّثان. جلسا إلى الطاولة إلى أن أقفل المطعم، ثم مشى معها إلى منـزلها. لم تدعُه للدخول هذه المرة لأن الوقت كـان متأخراً ولم تكن جاهزة لفعل ذلك. ولأنه من المرجّح أن أخواتها كن يرتدين الآن ملابس النوم ويأخذن قسطاً من الراحة. فشكرته على العشاء، وتوجّهت إلى المنـزل. التفتت إليه وهي تدخل من الباب وابتسمت، وتمنّت له عيداً سعيداً متمنية لو بوسعها رؤية وجهه. كانت أخواتها قد أخبرنها أنه وسـيم. حـيث كـان طـويلاً، وأشقر، وعريض المنكبين، واعتقدن أنهما يشكّلان ثنائياً رائعاً.

قال **براد** بلطف: "عيد سعيد لك أيضاً يا **آني**. لقد استمتعت جداً بوقتي".

قالت: "وأنا أيضاً". ثم أقفلت الباب وراءها. كان الجميع نائماً حينها. فمـشت على أصابع قدميها إلى غرفتها وبدت السعادة عليها. كان موعدها الأول ظريفاً جداً، ويستحقّ كل سنت دفعته **لسابرينا** إثر رهانهما.

كـان الـيوم الأخير من البرنامج قبل إجازة العيد صاخباً كالمتوقّع. فالضيوف في حالة هستيرية، مرتبكون بشأن العيد، وأقسى من المعتاد مع

شريكهم أو شريكتهم. بدأ زوجان منهم بالتلفظ بكلام بذيء، فاضطرّوا إلى قطـع البـرنامج والانتقال إلى الإعلانات. وللمرة الأولى تعرّضت الطبيبة النفـسية لديهم، **ديزيريه**، للضرب على وجهها على يد الزوجين، وانتابتها حالـة هـستيريا. تـناولت حـبة كزاناكس، واتصلت بمحاميها، وهدّدت بالمقاضاة، وقالت إن الأمر سيكلّفهما كثيراً. كان فريق العمل بأكمله يشعر بالتعب والإرهاق بعد حفلة العيد في الليلة الماضية.

قالت **تامي** إلى أحد ما وهي تهرع لجلب كيس من الثلج **لديزيريه** في محاولـة لتهدئـتها: "الحـياة على درب النجاح صعبة جداً". قام الزوجان المتـصارعان بالتـصالح في البرنامج، فقالت **تامي لديزيريه** إن هذا نجاح كبير لها.

ما كان يحصل هو الجنون المعتاد في البرنامج، ثم وفوق كل ما كان يحدث، أتى موظفان تنفيذيان إلى موقع التصوير يريدان مشاهدة البرنامج. أرادا أن يـريا سـبب كـل هـذا النجاح. ولأن **تامي** كانت مسؤولة عن البرنامج، فلقد كان يحظى بدعم كثير من الرعاة، فحقّق نسبة مشاهدة عالية جـداً. كانت تحمل كيس الثلج **لديزيريه** عندما التقت بالموظفَين، وقد سألها أحـدهما إذا مـا كانت قد أخذت صف دفاع عن النفس قبل العمل في هذا البرنامج.

قالـت وهـي تحمل كيس الثلج: "لا، إنما حضرتُ صف الإسعافات الأولية مع الصليب الأحمر. إننا نخضعهم لعلاج بالصدمات الكهربائية في حـال خرجوا عن السيطرة". فضحك وبقي في المكان بعد أن عادت **تامي** مـن غرفة تبديل الملابس حيث تمكث **ديزيريه**. أخيراً تمكّنت من تهدئتها. سـألها أحـد الموظفـين: "هـل هناك من سبب يدعوك للعمل في برنامج للمعتوهـين؟" كـان يعـتقد أن البرنامج ناجح ولكن فكرته رديئة جداً. إذ يحتوي على قدر معيّن من الإنسانية والاحترافية، ولكن بالإجمال كان سيئاً، حتى **تامي** أدركت ذلك.

"إنهـا قصة طويلة. اضطررتُ إلى المجيء إلى نيويورك لسنة. لذا تخلّيتُ عن عملي في لوس أنجلوس. كان أكثر من مجرد عمل". كان الموظف يعرف البرنامج الذي كانت تعمل عليه ولم يصدّق مثله مثل غيره أنها تخلّت عنه.

قال: "من أجل رجل ما حسبما أفترض". فهزّت رأسها نافية ذلك وابتسمت.

"لا لأجل أختي. فقد تعرّضتْ لحادث قوي، فقرّرتُ أنا وأخواتي الباقيات الاعتناء بها لمدة سنة. انتقلنا للعيش سوياً وكان أمراً رائعاً. واستلمتُ هذه الوظيفة. لذا ها أنا ذا ممرضة في قسم المعتوهين، أعطي الناس حبوب فاليوم وأكياس ثلج". فأثارت بكلامها إعجابه. إذ كانت امرأة مذهلة. كان أكبر منها ببضع سنوات وقد انتقل لتوّه من فيلادلفيا. ولقد أعجبها أيضاً، وظنّت أنه يبدو طبيعياً نسبياً، ممّا كان يعني أنه في حال وجدته ظريفاً فهو مجرد أخرق وإنما متنكّر بهيئة الظرافة.

"اسمعي... سأذهب إلى سانت بارت مع عائلتي بمناسبة العيد. أودّ كثيراً لو أراك عندما أعود بعد عطلة السنة الجديدة. سيكون من الممتع جداً رؤيتك حينها".

قالت وهي تبتسم في وجهه: "لا تقلق. فأنا لم أحظَ بموعد في أمسية السنة الجديدة منذ صف الحضانة. وأنا أبكي حينما أسمع أولد لانغ سينغ. أتمنّى لكَ وقتاً ممتعاً في سانت بارت".

وعدها قائلاً: "سأتّصل بك عندما أعود". وقد أدركت أن هذه الجملة هي النسخة المؤدبة للتالي: "آمل ألاّ أراك أبداً من جديد، وسأرمي برقم هاتفك في المرحاض أو أطعمه للقطة". إذ لم تتوقّع على الإطلاق أن تسمع أي خبر منه من جديد. كان ظريفاً جداً، وبدا طبيعياً للغاية. لم يبدُ وكأنه يتّبع حمية نباتية أو أنه اتبع في حياته أي علاج للقولون.

قالت بأدب: "شكراً لكما على زيارة البرنامج". وهرعت لتهتمّ بالأزمات المعتادة، ونسيت أمره على الفور. قال إنه يُدعى **جون سبيري**، كانت واثقة تماماً من أنها لن تسمع عنه شيئاً من جديد.

في اليوم التالي غادرت الأخوات سوياً إلى كونيتيكيت. وقد رافقهنّ **كريس** وذهب الجميع إلى احتفال في دار العبادة في منتصف الليل برفقة الوالد. شعر الجميع بالأسى لدى التفكير بالوالدة، بعد أن اعتادوا على مرافقتها لهم إلى نفس دار العبادة كل سنة. نظرت **كاندي** إلى أبيها، ووجدته يبكي فعانقته. من ثم عانق الجميع بعضهم البعض. كانت لحظة حنان مفعمة بالذكريات والحب، ومفعمة بالأمل بطريقتها الخاصة. كانوا لا يزالون سوياً ويقفون إلى جانب بعضهم البعض بالرغم من كل ما حصل.

كان الطقس بارداً في كونيتيكيت، وقد تساقط الثلج عدة مرات في عطلة نهاية الأسبوع. كان **كريس** والفتيات يمرحون ويتراشقون بكرات الثلج، وقد صنعوا رجل ثلج. أخيراً، بدا والدهنّ وكأنه رجع إلى ما كان عليه. كانت عطلة العيد مثالية بالنسبة إليهم جميعاً. تجمّعوا حول طاولة المطبخ في اليوم الأخير، وتناولوا غداء عظيماً كانوا قد تعاونوا جميعاً على تحضيره.

لاحظت **سابرينا** أن والدهنّ هادئ، وحسبت أن السبب هو مغادرتهنّ له وأنه سيصبح وحيداً من جديد. فقد أدركت أنه يكره البقاء وحيداً، وأعلن أنّ لديه خبراً يودّ نقله إليهنّ. خشيت **تامي** أن يقول إنه سيبيع المنزل وينتقل إلى المدينة. إذ كانت تحبّ هذا المنزل ولا ترغب ببيعه. فأملت ألاّ يكون هذا هو السبب.

قال والحزن بادٍ عليه: "لا أعرف كيف أقول لكنّ. أنتنّ جميعاً رائعات معي وأنا أحبكنّ كثيراً. لا أقصد أن أبدو غير ممتنّ". كان تقريباً يوشك على البكاء، فتألّمت الفتيات لأجله. "كانت الأشهر الستة الأخيرة أسوأ أشهر مرّت عليّ في حياتي دون والدتكنّ. وقد مرّت عليّ أوقات ظننت فيها أنه لم يعد يسعني العيش. ثم أدركتُ أنه يسعني الاستمرار وأن حياتي لم تنته

بسبب وفاتها. وأنا ممتنّ لكنّ جميعاً لتمكّني من مواصلة حياتي". فتأثّرت جميع بناته بكلامه، وابتسمن له.

شرح لهنّ، في حين بدأت الفتيات بالتساؤل عمّا كان يريد قوله: "لا أظنّ أن والدتكنّ تودّ مني أن أبقى وحيداً وتعيساً. أنا أيضاً ما كنت لأتمنّى لها ذلك. الأشخاص في مثل سني لا يجدر بهم أن يبقوا وحيدين. فالمرء يحتاج إلى الرفقة وإلى من يقف إلى جانبه". كان يبدو وكأنه يتّجه في كلامه اتجاهاً غريباً، بحيث بات ما يقوله مبهماً أكثر فأكثر. ثم فجأة بدأت **تامي** **وسابرينا** تعتقدان أنه بدأ يهذي. كان يبلغ من العمر تسعة وخمسين فحسب، ولكن ربما صدمة خسارة والدتهنّ قد أثّرت به كثيراً. بدت كل منهما عابسة الوجه إلى أن وصل إلى الخلاصة. "أشعر بالتعاسة وحدي أو بالأحرى كنتُ أشعر بالتعاسة. أعلم أن ذلك سيكون بمثابة صدمة، ولكنني آمل أن تتفهّمن أنني لا أقصد بذلك الانتقاص من احترام والدتكنّ. فقد كنت أحبّها بعمق، ولكن تعرّضت حياتي للتغييرات، أودّ أن أعلمكنّ أنني سأتزوّج من **ليسلي طومبسون**". هزّت بناته الأربع رؤوسهن، وكأنهنّ راضيات عمّا قاله ثم فجأة استوعبن الأمر. كانت **تامي** أول من استوعبت.

"ماذا؟ لم يمضِ على رحيل أمنا سوى ستة أشهر وأنت تريد الزواج؟ هل تمزح؟" كان بالفعل يهذي. لا بد وأنه يهذي. ثم استوعبت بمن كان يودّ الزواج، وازداد الأمر سوءاً. "**ليسلي**؟ الساقطة؟" انزلقت الكلمة من بين شفتيها، فبدا غاضباً بقدرها تماماً. "لا تتكلمي عنها أبداً بهذه الطريقة. ستصبح زوجتي. كان الاثنان واقفين حول الطاولة يحدّقان ببعضهما البعض، في الوقت الذي كان فيه الآخرون يراقبون برعب، ثم عاودت **تامي** الجلوس على كرسيها، ووضعت رأسها بين يديها.

"آه يا الله أرجوك قل لي إن هذا لن يحدث، وإنني أحلم فحسب". نظرت مباشرة إلى والدها نظرة غضب. "أنت لن تتزوّج فعلاً **بليسلي طومبسون** أليس كذلك يا أبي؟ أنت تمزح فحسب؟" كانت ترجوه وبدا محطّماً.

"بلى سأتزوّج منها. وأملتُ أن تكنّ جميعاً داعمات لي على الأقل. أنتِ لا تعلمين كيف يكون الوضع عليه عند خسارة المرء لامرأة أحبّها لخمس وثلاثين سنة".

"إذاً تهرع لإيجاد بديلة لها بعد ستة أشهر؟ أبي كيف أمكنك ذلك؟ كيف عساك تفعل هذا بنفسك وبنا؟"

"أنتنّ لا تقمن هنا. لدى كل منكنّ حياتها الخاصة. وأنا أحتاج إلى حياة خاصة. أنا **وليسلي** نحبّ بعضنا البعض". قالت **كاندي** لجميع الجالسين على الطاولة: "أشعر وكأنني سأتقيّأ". فنهضت واختفت، في الوقت الذي كانت فيه **سابرينا** تحدّق بوالدها.

"ألا تظنّ أنك تتسرّع قليلاً بهذه الخطوة؟ أنت تعرف ما يُقال للأشخاص الذين يتعرّضون لخسارة كبيرة بألاّ يقدموا على اتخاذ قرار كبير في حياتهم قبل سنة. ربما أنت تتسرّع بعض الشيء". لعلّه فقد عقله بسبب الحزن الشديد أو يمرّ بحالة من الجنون. **وليسلي طومبسون**؟ آه لا... كل النساء ما عداها هي... شعرت **سابرينا** برغبة في البكاء. هذا ما شعرن به جميعاً. وكذلك والدهنّ. بدا أن ظنّه قد خاب بهنّ جميعاً. لا بد وأنه كان يحلم أنهنّ سيحتفلن بزواجه من امرأة أخرى وسيسعدن لأجله. "متى أخذتَ هذا القرار؟" حاولت **سابرينا** أن تبدو هادئة، ولكنها لم تشعر بهدوء الأعصاب، في حين ترك **كريس** المكان وتوجّه إلى خارج المطبخ. انتابه شعور قوي بأنه لا ينتمي إلى ذاك المكان وقد كان محقاً. إذ كان موضوعاً عائلياً بامتياز.

"سنتزوّج في الرابع عشر من شباط. بعد سبعة أسابيع".

قالت **تامي**: "يا للروعة". في حين كان رأسها ما يزال بين يديها. "كم تبلغ من العمر يا أبي؟"

"لقد بلغت الثالثة والثلاثين من عمرها في الأسبوع الماضي. أعلم أنه يوجد فارق كبير في السن بيننا، ولكن هذا الفارق لا يهمّ أياً منا. نحن نتمتّع بروح واحدة، وأعلم أن والدتكنّ كانت لتوافق على هذا الأمر".

حينها جلست **تامي** على كرسيها حينها وخلعت القفازين من يديها. كانت غاضبة جداً من والدها.

"لو أن أمي ليست ميتة، لكانت سقطت ميتة جراء نوبة قلبية لهول صدمتها. هل فقدت صوابك؟ ما كانت أبداً لتفعل ذلك بك. أبداً. كيف عساك تفعل هذا بها وبنا وبذكراها؟ هذا مقرف تماماً".

قال وهو يحدّق بها بجمود: "أنا آسف لشعورك هذا". كان أكبر بست وعشرين سنة من المرأة التي يعتزم الزواج منها بعد سبعة أشهر على وفاة زوجته. وتوقّع أن تفرح بناته لأجله. هذا ما لم يكن ليحصل ولو بعد مئة مليون سنة. وقفت **تامي** وعلى وجهها نظرة غضب وكذلك **سابرينا** أما **كاندي** فعادت إلى الغرفة. استطاع الجميع ملاحظة أنها كانت تبكي بعد أن تقيّأت.

قالت بتعاسة: "أبي كيف أمكنكَ ذلك؟" وألقت بذراعيها حول رقبته. إنها أصغر من **سابرينا**.

قال: "السن ليس مهماً عندما تبادلين شخصاً ما الحب". في حين كانت بناته يتساءلن كيف عساه يُقدِم على جعل نفسه أضحوكة. لم تكن لديهن فكرة إن كانت **ليسلي** تحبّه أو لا، ولكنهنّ لم يأبهن أبداً. تراجعت **كاندي** خطوة إلى الوراء، ورمقت والدها بنظرة أسى. حاولت **سابرينا** التكلم معه بعقلانية لتقنعه بالعدول عن هذه الخطوة: "أبي لِمَ لا تؤجّل هذا الأمر قليلاً؟ ما رأيك لو تنتظر سنة؟"

بدت **تامي** مرعوبة حينها وخطر في بال **تامي** أمر آخر. "آه يا الله هل هي حامل؟"

"بالطبع لا". بدا والدهنّ وكأنه أُهين بشدة، واستفاقت **آني** أخيراً من هول الصدمة. كانت تستمع إليهم جميعاً. كانت تسمع الغضب في صوت **تامي**، والخوف في صوت **سابرينا**، وانفطار القلب في صوت **كاندي**، وخيبة الأمل في صوت والدها.

قالت **آني**: "لا أعلم إن كنتَ تأبه برأيي". وهي تنظر ناحية والدها. "أشكّ أنك تأبه. ولكنني أظنّ أن هذه الخطوة هي الخطوة الوحيدة الأكثر غباء التي أقدمت عليها في حياتك، ليس بالنسبة إلينا وإنما بالنسبة إليك. إنها إهانة لأمنا يا أبي. نحن سنعتاد على الأمر إن اضطررنا، ولكن أن تتسرّع وتتزوّج بامرأة بعد سبعة أشهر على وفاة أمنا فهذا سيجعلك تبدو كالأخرق. لمَ عساها **ليسلي** في عجلة من أمرها؟ ألم تدركَ أنها الطريقة الأكيدة لتدفعنا إلى كرهها؟ لِمَ لا يسعكما أنتما الاثنان الانتظار على الأقل سنة واحدة احتراماً لأمنا؟ إن زواجك بهذه السرعة بمثابة احتقار لنا جميعاً ولأمنا". عندها وقفت هي الأخرى بعد أن عبّرتْ عن رأيها بصراحة.

"لقد خاب ظنّي فيكنّ كثيراً. أنا فعلاً ظننت أنكنّ أفضل من ذلك".

"كنا كذلك عندما كنتَ متزوّجاً من أمنا. أظنّ أن **ليسلي** لا تعبأ البتة بمشاعرنا أو برأيك. فهذه طبيعتها". حينها حملت **آني** عصاها البيضاء وغادرت الغرفة. وجدتْ **كريس** في غرفة الجلوس يجلس بهدوء. كانت طريقة فظيعة جداً لإنهاء عطلة العيد. نظّفت **سابرينا** الطاولة، ووضعت الصحون في غسالة الصحون وبمجرد أن انتهت، ودّعت الفتيات والدهنّ دون مزيد من التعليق على الخبر الذي زفّه إليهنّ. وغادرن منزله، وتوجّهن إلى منزلهنّ في نيويورك.

كانت فورات الغضب في السيارة على أشدها في طريق العودة إلى المنزل. حيث أقسمت **تامي** أنها لن تراه من جديد، وخشيت **سابرينا** أن يكون مصاباً بمرض الزهايمر وأن **ليسلي** تستغله تماماً، وقالت **كاندي** إنها تخسر والدها بسبب ساقطة، وبكت طيلة الطريق إلى المدينة. أما **آني** فقالت بتروٍ إنه أكبر غبي في هذه الحياة، وليس هناك من طريقة على الإطلاق لإقناعها بحضور الزفاف. علماً أنه لم يطلب منهنّ ذلك كما أشارت **سابرينا**. لم يعرفن حتى أين سيقام الزفاف. جل

ما عرفته الفتيات أنهنّ يكرهن الزوجة المرتقبة، وأنهنّ غاضبات من والدهنّ. وفي طريق العودة إلى المنزل كان **كريس** حكيماً جداً ولم ينطق بكلمة.

الفصل الرابع والعشرون

لم تتكلّم أي من الفتيات مع والدهنّ طيلة الأيام الباقية من الأسبوع. كان الجميع في إجازة من العمل، لذا تسنّى لهنّ الكثير من الوقت لبحث هذا الموضوع. وكيفما كنّ يقلّبن الفكرة في رؤوسهن، كنّ يغضبن من والدهنّ، ويمقتن جرأة **ليسلي**. كل يوماً كنّ يزددن غضباً. لم تكن لدى أي منهنّ خطط مشوقة لتمضية سهرة السنة الجديدة، لذا قرّرن تمضيتها سوياً بهدوء في المنزل. فقد كان **كريس** و**سابرينا** يكرهان تمضية هذه الليلة خارج المنزل، ولم يكن لدى **تامي** أي موعد، وقالت **كاندي** إنها ستستقبل صديقاً قادماً من لوس أنجلوس، وسيمضيان الوقت في المنزل. بعد يومين من الكرسمس، اتصل **براد** ب**آني** ودعاها للخروج ليلة السنة الجديدة، ولكنها بدلاً من ذلك دعته لزيارتهنّ في المنزل. إذ بدت طريقة ظريفة لتمضية المساء بدلاً من الخروج.

ليلة وداع السنة الحالية واستقبال السنة الجديدة، حضّر **كريس** والفتيات طعام العشاء. وكان **براد** قد جلب عدة زجاجات من الشراب. واستمتع و**كريس** بتبادل الحديث قبل العشاء وخلاله وبعده، وكانت المفاجأة الأكبر في هذه الأمسية صديق **كاندي** من لوس أنجلوس. فلقد كان على الأرجح الممثّل الأشهر على الكرة الأرضية في تلك الآونة. وتبيّن أنهما التقيا قبل ثلاث سنوات في حملة تصوير، وأصبحا صديقين عزيزين. كان دوماً يمضي الوقت معها عندما يأتي من لوس أنجلوس. ولم تربطهما أية

علاقة رومانسية، وإنما يستمتعان فحسب برفقة بعضهما البعض. وقد دفع الجميع إلى الانفجار من الضحك خلال معظم الأمسية، وتفاجأ **براد** من نوع الأشخاص الذين يأتون إلى منزل الفتيات. أكّدت له **آني** أنها لم تعرف أن أختها تعرفه حتى.

"نعم صحيح، من سيحضر إلى منزلكنّ غيره؟ براد بيت وأنجيلينا جولي؟"

ضحكت عليه وقالت: "لا تكن سخيفاً. أقسم لك إننا نبقى وحدنا مع **كريس** معظم الوقت، ومع الكلبات فقط". "حسناً دعينا نرى، أختك أشهر عارضة أزياء في البلد أو ربما في العالم. وأختك الأخرى كانت واحدة من أنجح المنتجات في لوس أنجلوس وهي الآن منتجة أسوأ برنامج في نيويورك. وتناولنا لتوّنا العشاء مع فنان باهر النجاح، ويفترض بي أن أصدق أنكنّ فتيات عاديات؟ كيف تتوقّعين مني أن أصدّق ذلك؟"

"في الواقع، ربما أخواتي لسن عاديات، ولكن أنا عادية. منذ ستة أشهر كنتُ مجرد فنانة متضورة جوعاً في فلورنسا. والآنَ لم أعد فنانة حتى".

قال بلطف: "بلى أنتِ فنانة، ستجدينَ مخارج أخرى لفنك. فهذا لا يزول بكل بساطة. امنحيه بعض الوقت ليغاود الظهور وإنما بشكل مختلف". وقد بدا واثقاً من حدوث ذلك.

قالت: "ربما". ولكنها لم تصدقه. وفي منتصف الليل عانقوا بعضهم بعضاً. لقد بقي **براد** عندهن، وواصل محادثة الجميع حتى الساعة الثالثة فجراً. وأمضى الممثل صديق **كاندي** الليل نائماً على الأريكة. أما **كريس** و**سابرينا** فانسحبا باكراً. بعد أن طلب منها أن تصعد معه إلى الطابق العلوي بعد منتصف الليل بقليل. ولم يلحظ انسحابهما أحد.

أقفل **كريس** باب غرفة **سابرينا** وقام بتقبيلها. لقد كانت الخصوصية في ذلك المنزل صعبة المنال. جلب معه كوبين وزجاجة من الشراب

الذي اشتراه بنفسه. فابتسمت **سابرينا** في وجهه. إذ مرّت عليها سنة مضنية. حدث خلالها العديد من الأمور، وفي كل المآسي التي وقعت عليهم كان **كريس** دوماً يقف إلى جانبهم. وكان الشجار الذي حدث أخيراً مع والدهنّ مجرد عقبة أخرى في الطريق. وقد أدركت أن بوسعها الاعتماد على **كريس** الذي يقف دوماً إلى جانبها مهما كلّف الأمر.

عندما قبّلها أخرج علبة صغيرة من جيبه، وقرّبها منها، ثم فتحها بيد واحدة، ووضع خاتماً في إصبعها. لم تعرف في البداية ما الذي يفعله، ثم أدركت بعد هنيهة، ونظرت إلى الأسفل لتراه. كان خاتم خطوبة رائع الجمال انتقاه لها بنفسه. وقد كان يخطّط لهذا الأمر منذ أشهر.

بدت مذهولة: "يا الله يا **كريس** ماذا تفعل؟"

جثم على ركبتيه قبل إجابتها، وحدّق فيها من مكانه على الأرض. "إنني أطلبك للزواج يا **سابرينا**. أنا أحبك جداً. هلاّ تزوّجت بي؟" عندما طرح عليها هذا السؤال اغرورقت عيناها بالدموع. فهذا ليس ما كانت تريده. فقد كان الأمر بمثابة صدمة أخرى بالنسبة إليها. وقد مُنيت بالكثير من الصدمات في وقت قصير جداً. من وفاة والدتهنّ، إلى فقدان بصر **آني**، إلى الاعتداء الذي تعرّضت له **كاندي**، والآن رغبة والدهنّ بالزواج من امرأة بنصف عمره والتي لطالما وصفوها بالساقطة، لقد كانت مصاعب تفوق التحمل. لذا لم تكن جاهزة للزواج منه. لم تكن جاهزة. أرادت فحسب أن تنتهي من هذه السنة التي تقوم خلالها بالعناية بأختها **آني**، وتسكن مع أخواتها. وربما بعد ذلك بوسعها و**كريس** العودة إلى حياتهما السابقة، ولكن دون زواج. كانت تحبّه ولكن لم تشعر بوجود حاجة للزواج منه. إذ إن ما بينهما الآن كاف بحدّ ذاته.

خلعت الخاتم من يدها، وأعطته إياه والدموع تنهمر من عينيها والألم يعصر قلبها. "**كريس** لا أستطيع. حتى أنه لا يسعني التفكير بشكل مستقيم في هذه الأونة. لقد حصل الكثير في السنة الماضية. لِمَ علينا الزواج؟"

"لأنني أبلغ السابعة والثلاثين من عمري، وأنتِ في الخامسة والثلاثين، وأريد أن أنجب منكِ أطفالاً، كما ونحن ما زلنا سوياً منذ أربع سنوات تقريباً، ولا نستطيع أن نظلّ ننتظر حتى نكبر في السن".

قالت بحزن: "ربما يعني ذلك. أنا أحبك، ولكنني لا أعرف ماذا أريد. فقد أحببت ما كان بيننا من قبل، عندما كان كل منا يعيش في شقته الخاصة وكنا نجتمع متى شئنا. أعلم أنك شعرتَ ببعض الغرابة عندما عشتُ مع أخواتي وأنا أحبّك. ولكنني لا أشعر أنني جاهزة للقيام بمثل هذا الارتباط لبقية حياتي. ماذا لو أفسدنا علاقتنا برمّتها؟ أنا أقابل الناس في مكتبي كل يوم، مثل حالتنا تماماً، من الذين ظنّوا أنهم يفعلون الصواب، فتزوّجوا وأنجبوا أطفالاً ثم ساءت أمورهم كلها".

قال وهو يبدو قلقاً: "هذه المخاطرة التي نضطرّ إلى أخذها. ليست هناك أية ضمانات في هذه الحياة. أنتِ تدركين ذلك. عليك فحسب أن تأخذي نفساً عميقاً، وتقفزي في الحوض وبذل أقصى جهدك". قالت بتعاسة: "ماذا لو غرقنا؟"

"ماذا لو لم نغرق؟ ولكنني أعرف شيئاً واحداً هو أنني لا أرغب بمواصلة هذه الحياة التي نعيشها. فالحياة تمرّ بسرعة. إن انتظرنا أكثر سنصبح كبيرين في السن، ولن نقوى على إنجاب الأطفال أو أنت ستصبحين كذلك. ولن نحظى بحياة حقيقية. أريد أن أعيش هذه الحياة معك الآن". كانت عيناه تدمعان مع عينيها، وغصّ قلبه عندما هزّت رأسها رافضة عرضه للزواج.

"أنا لا أريد ذلك. لا أستطيع". بدت مرتعبة. "ولن أريد الزواج، سأكذب عليك إن قلت إنني أريد".

حاول إقناعها بالمنطق: "ليس عليك أن تكوني واثقة. علينا فحسب أن نحبّ بعضنا بعضاً يا **سابرينا** وهذا يكفي".

"لا يكفيني أنا".

قال وقد بدأ يفور غضباً: "ما الذي تريدينه بحق الجحيم؟"

"أريد ضماناً بأن ما نفعله صحيح".

"ليس هناك من ضمانات".

"هذا هو قصدي. أنا خائفة جداً من أخذ هذه المخاطرة". كان لا يزال يحمل الخاتم بيده، فأرجعه إلى العلبة، وأغلقها من جديد.

اعترفت **سابرينا** له: "أنا أحبّك، ولكنني غير واثقة من أنني سأسعى للزواج في حياتي". لم يكن بوسعها الكذب عليه. فهي لم تجد سبيلاً للموافقة فحسب، ولم تشعر أنها جاهزة للخطوبة مهما كانت تحبّه.

قال: "أظنّ أن هذا الجواب يكفيني". ولكنه لم يندم على ما فعله. إذ وجب عليه أن يعلم عاجلاً أم آجلاً. استدار صوبها وهو يقف قرب الباب وقال: "أتعلمين أظنّ أن إقدام والدك على الزواج من امرأة أصغر منك أنتِ سناً، وخصوصاً بعد فترة قصيرة جداً من وفاة والدتك، هو الغباء بحدّ عينه. ولكن مهما بدا لنا ذلك غبياً، على الأقل يتوجّب عليكِ احترامه لامتلاكه الشجاعة ليأخذ مثل هذه المخاطرة". فهزّت **سابرينا** رأسها. فهي لم تفكّر بهذا الأمر من هذه الناحية وكانت غاضبة من والدها. ولكن لدى **كريس** وجهة نظر. كان لا يزال والدها يتحلّى بالجرأة الكافية ليأخذ مثل هذه المخاطرة. "أعتقد أن الخلاصة هي أنني لا أملك الشجاعة".

قال لها: "أنت فعلاً لا تملكينها". ثم غادر غرفتها، وأقفل الباب، ثم نزل على السلالم، وخرج من الباب الرئيسي. وبدل الخطوبة التي كان يأمل بها، انفصلا. لم تكن أمسية رأس السنة التي حلم بها أو خطّط لها. لقد حلم بهذه اللحظة منذ وقت طويل، وقد دمّر ردّ فعلها كل أحلامه. فجلست **سابرينا** على سريرها وبكت.

لم تعرف أخواتها ما حصل حتى صباح اليوم التالي، وعندما أخبرتهنّ **سابرينا** أصبن بالذهول.

قالت **تامي** مندهشة: "حسبتكما تمضيان الليلة في غرفتك كعصفوري الحب".

"لا، لقد غادر قبل الساعة الواحدة. أعدت له الخاتم وغادر". بدت وهي تجلس حول طاولة المطبخ مع أخواتها منفطرة القلب، ولكنها أدركت أنها فعلتْ الصواب. إذ لم ترغب بالزواج، حتى من **كريس**. بالنسبة إليها ما كان يربطهما يعتبر كافياً. وإن سعيا إلى المزيد سيكون صعباً عليها.

حزنت كل الأخوات عندما سمعن بما حصل، ولكن ليس بقدر **سابرينا**. فقد كانت فعلاً تحبّه، إلاّ أنها لم تكن تحبّ فكرة الزواج، فكل الأمور يمكن أن تنفع فيها الضغوطات والقوة إلاّ الزواج، حتى وإن اقترنت بتقديم خاتم رائع وبوجود شاب ممتاز.

بين انفصالها عن **كريس** وغضب الأخوات من زواج والدهنّ، عمّ الحزن في شهر كانون الثاني المنزل الواقع في الشارع الرابع والثمانين شرقاً. ولم يعاود **كريس** الاتصال بها من جديد، ولم تقم **سابرينا** بالاتصال به. إذ لم تكن هناك جدوى. نظراً لأنه لم يكن لديها أي جديد لتقوله له. وهو لا يزال منزعجاً جداً ليتّصل بها. وقد بدا محطماً لرفضها عرضه للزواج منها. ولم يشأ أن يواصل العلاقة التي كانت تربطهما لسنوات. لقد أراد المزيد. ولكنها لم ترد ذلك. ثم فجأة لم يتبقَ أي شيء يُقال، ولا أي نتيجة للتوصل إليها، فشدّ رحاله وغادر حياتها.

كانت كل الأخوات في حالة حزن في الأسابيع الأولى من شهر كانون الثاني، ثم بدأت الأمور تسير ببطء نحو التحسّن. إذ خرجت **آني** مع **براد** عدة مرات لتناول العشاء. وكانا دوماً يستمتعان بوقتهما. كان قد أقنعها بحضور صف النحت فاستمتعت به. بالرغم من أنها لم تتمكّن من رؤية ما تفعله، كانت نتيجة عملها جيدة على نحو مفاجئ. وقد أخبرها عن سلسلة محاضرات كان يحاول تنظيمها، وترتكز على الأمور الثقافية، والمسرح، والموسيقى، والفن. سألها إن كانت ترغب بإلقاء محاضرة حول اليوفيتزي،

فتحمّست للموضوع. وقد طبعت المحاضرة بأكملها بطريقة برايل أي بحروف نافرة. وألقت محاضرتها الأولى في نهاية شهر كانون الثاني، ونالت استحساناً كبيراً.

توجّهت **كاندي** إلى باريس في الأسبوع الثالث من شهر كانون الثاني لتشارك بعروض الأزياء الراقية. حيث ستكون عروس كارل لاغرفيلد لدار شانيل. وقد دفعوا لها أموالاً طائلة لتعمل لهم بشكل حصري، في باريس أقامت في فندق الريتز. وفي الطائرة خلال رحلة العودة من باريس، التقت بشاب كان يعمل كمساعد مصور، كجزء من برنامج التخرج حيث كان يدرس في جامعة براون. يبلغ الرابعة والعشرين من عمره، وقد استمتعا بوقتهما واستغرقا بالضحك طيلة رحلة العودة من باريس إلى نيويورك. كان الشاب يدعى **بول سميث**. وسينال درجة الماجيستير في التصوير في شهر حزيران. وينوي افتتاح استديو التصوير الخاص به إثر تخرّجه. قال إنه عمل معها في حملة تصوير منذ سنتين في روما، ولكنه كان مجرد متدرّب حينها، ولم يلتقيا أبداً. أخبرته عن **آني** وعن وفاة أمها في تموز، ثم أخبرته أن والدها سيتزوّج بعد أسبوعين من فتاة تبلغ ثلاثة وثلاثين عاماً.

قال: "يا للهول". مبدياً تعاطفه معها. كان والداه قد تطلّقا منذ كان في العاشرة من عمره، ثم تزوّج كل منهما. ولكنه قال إن زوج أمه وزوجة أبيه لطيفان. سألها عن زواج أبيها: "ماذا تشعرين حيال هذا الأمر؟"

قالت بصراحة: "في الواقع، لا يعجبني الأمر البتة".

سألها باهتمام: "هل التقيتِ بها؟"

"في الحقيقة لم ألتقِ بها منذ أن كنت طفلة. لقد اعتادت أخواتي على وصفها بالساقطة. إذ حاولت سرقة صديق أختي الحميم عندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها".

قال بحذر: "ربما يجدر بك إعطاؤها فرصة".

"ربما. ولكن يبدو الوقت مبكراً جداً بالنسبة إليه ليفكّر بالزواج من جديد".

قال برقة: "الناس يقدمون على فعل أمور غبية جداً عندما يقعون في الحب". ثم انتقلا من هذا الموضوع إلى مواضيع أخرى. كان من ماين، ويحبّ الإبحار، وأخبرها عن مغامرات السباق التي قام بها.

استقلاّ سيارة أجرة للذهاب إلى المدينة، وعندما وصل معها إلى منزلها قال لها إنه سيتّصل بها في المرة المقبلة التي يأتي فيها إلى المدينة. إذ كان سيتوجّه عائداً إلى براون في رود آيلاند في اليوم التالي.

سيبقى هناك حتى تخرّجه في حزيران. لقد بدا لطيفاً أن تتعرّف **كاندي** على شاب يقاربها سناً، من باب التغيير، وينخرط في أمور مفيدة، ويرتاد الجامعة، ويقوم بأمور تناسب سنهما.

عندما دخلت **كاندي** إلى المنزل لم تجد أحداً. فقد كانت **سابرينا** في عملها، وقد زادت ساعات عملها أكثر بعد انفصالها عن **كريس**. وكانت **تامي** مشغولة ببرنامجها الصاخب. أما **آني** فكانت تأخذ صفوفاً أكثر من ذي قبل، وتخرج مع **براد** بوتيرة أكبر خلال عطل نهاية الأسبوع. وبعد أسبوعين فرحت **كاندي** عندما دعاها **بول** لزيارته في براون. إذ كان يقيم معرضاً لأعماله الفوتوغرافية. فاستمتعا بعطلة نهاية الأسبوع، وفرحت **كاندي** بلقاء أصدقائه. وقد ذهلوا عندما عرفوا من تكون، ولكن للمرة الأولى عاملها الجميع كمجرد شابة عادية. وقد حظيت بمرح أكثر ممّا حظيت به في السنوات العديدة الماضية، ووجدت أن حضورها هناك أفضل لها من حضور الحفلات التي كانت تحضرها في نيويورك.

كانت **تامي** تعقد اجتماعات مع الشبكة من جديد، عندما صادفت الرجل الذي التقت به قبل عطلة الكريسمس، والذي لم يتّصل بها أبداً بعد عودته. وقد كانت واثقة من أنه لن يفعل لذا لم يخب ظنّها. فعرّفها على نفسه من جديد بعد اجتماعات الشبكة. قال إنه يدعى **جون سبيري**، ثم عبّر عن أسفه لعدم اتصاله بها.

قال عندما رآها: "لقد أصبتُ بالزكام لأسبوعين". وقد كان عذراً واهياً ولكنه بمثابة أي عذر آخر. نظرت إليه **تامي** وابتسمت. لو أنه كان معتوهاً لكان اتصل. "أنتِ تحسبينني أكذب أليس كذلك؟ أقسم لك أنني كنت مريضاً جداً. كدت أصاب بالتهاب رئوي".

كادت تضحك عليه. فقد سبق لها وسمعتْ جميع أنواع الأعذار. "يمكن لك التذرع بإضاعتك لرقمي، فهذا العذر دوماً يقنعني". على الرغم من أنه أمكن له أن يتّصل بها في موقع البرنامج. ذكّرها قائلاً وهو يبدو محرجاً: "رقمك ليس معي. ولكن لمَ لا تعطيني الرقم الآن؟" فشعرتْ بالسخافة لدى إعطائه الرقم. على كل الأحوال لم يكن ليتسنى لها الوقت للخروج معه. فقد كانت المشاكل تفوق التصور في البرنامج. إذ انتهى عقد مقدّم البرنامج، وأراد أن يضاعف الأجر الذي يتقاضاه. فلقد تعرّض لإطلاق نار مرة وللاعتداء مرتين. فشعر أنه يستحقّ أن ينال المزيد من المال لقاء ما يتعرّض له في البرنامج، ولم يكن مخطئاً، فالجمهور كان يحبّه ممّا دعم من موقفه. كانت تناقش هذه المشكلة مع إيرفينغ سولومون وموظفي الشبكة طيلة الصباح. وقد مالت **تامي** إلى إبعاده عن البرنامج، ولكنها خشيت أن تنخفض نسبة المشاهدين، وهذا الأمر لن يعجب الرعاة.

عادت إلى مكتبها ونسيت أمر **جون سبيري** من جديد. ثم مرّ على مكتبها موضوع يتعلّق بتنظيم برنامج خاص بالفالنتين، وعندما رأته فكرت في والدها مباشرة. إذ كان سيتزوّج في الرابع عشر من شباط، ولم تتكلّم أي منهنّ معه منذ اليوم التالي للكريسمس عندما زفّ لهنّ الخبر. لم تكن واثقة ما الذي يجدر بها فعله. ولن يكون بمقدورهنّ تجاهله إلى الأبد، ولكنها لم تكن جاهزة لاستيعاب فكرة وجود **ليسلي** وزواجهما حتى الآن. كما ولم تكن أي من الفتيات جاهزة لهذا الأمر.

في تلك الليلة أثارت الموضوع في المنزل أثناء العشاء. فطرحت على أخواتها السؤال التالي: "إذاً ماذا سنفعل بشأن أبي؟" وهو الآخر لم

يتّصل بهنّ. بدا أن ردّ فعلهنّ جرحه، وقد ارتعبت بناته ممّا يفعله. إذ شعرن جميعاً أنه يخون والدتهنّ. ولم تتكلّم معه أي منهنّ منذ خمسة أسابيع، وهذا أمر لم يسبق أن حدث من قبل.

اقترحت **سابرينا**: "ربما يجدر بواحدة منا الاتصال به". ولكن لم تتطوّع أي منهنّ.

قالت **كاندي** بسرعة: "لا أريد الذهاب إلى الزفاف".

قالت **تامي** بتنهيدة: "لا تريد أي منا الذهاب إلى الزفاف. كيف عسانا نفعل؟ فهذا قلة وفاء لأمنا".

قالت **كاندي** بتردّد: "ولكنه والدنا".

قالت **آني** بنعومة: "لمَ لا ندعوه إلى الغداء، ونتكلّم في الموضوع، أو ندعوه إلى هنا؟"

كانت هي الأخرى تفكّر في الأمر طيلة أسابيع. في الحقيقة، لقد اشتقن إليه جميعاً، ولكنهنّ لم يرغبن فحسب بوجود **ليسلي** في حياتهنّ، على الأقل ليس الآن وربما أبداً، وذلك استناداً إلى سلوكها. لم تكن أي منهنّ جاهزة لضمّها لأفراد العائلة. كانت معضلة فظيعة، ولكنهنّ لم يردن أيضاً أن يخسرن والدهنّ.

ذكرت **سابرينا**: "هل تدركن أنهما قد يرزقان بطفل؟" فأبدت **تامي** امتعاضها.

قالت **تامي** بتعاسة: "أرجوك أنتِ تشعرينني بالغثيان".

في النهاية وبعد ساعات من النقاش قرّرن دعوته إلى منزلهنّ لتناول العصير سوياً. وبالتالي سيكون الجوّ أقل توتراً ممّا لو كان عليه في حال جلسوا جميعاً في مطعم وتحدّثوا بالأمر والغرباء يحيطون بهم. وقد اختارت الأخوات أن تقوم **سابرينا** بالاتصال به كونها الأخت الكبرى. فكانت تشعر بالتردّد والتوتّر عندما اتصلت بالمنزل في كونيتيكيت. "ماذا لو أجابت **ليسلي** على الهاتف؟"

أجاب بعد الرنة الثانية، وبدا سعيداً جداً لسماع صوتها، فشعرت بالأسف لحاله. بدا واضحاً أنه هو الآخر لم يودّ خسارتهنّ. ووافق على المجيء إلى المدينة في اليوم التالي. لم يأتِ على ذكر **ليسلي** ولو مرة واحدة. أملت **سابرينا** لوهلة أن يكون قد غيّر رأيه. ولكنها أدركت أنه لو فعل ذلك لكان اتصل بهنّ.

عادت كل الفتيات إلى المنزل باكراً للقاء الوالد. ولاحظن أنه بدا متوتراً عندما وصل. مشوا جميعاً إلى غرفة الجلوس، وجلسوا.

بدأت **تامي** وقالت وفي عينيها أمل اضمحل بسرعة: "نفترض أنك ما زلت تنوي الزواج في الرابع عشر من شباط".

"نعم صحيح، في الواقع سنتوجّه إلى لاس فيغاس لعقد قراننا، إن الأمر يبدو سخيفاً بعض الشيء، ولكنني أدركتُ أن أياً منكنّ لا تودّ حضور الزفاف، وما زال الوقت مبكراً جداً لإحداث جلبة كبيرة".

قالت **تامي**: "الوقت مبكر جداً لتتزوّج يا أبي". فالتفت والدها إليها ونظر في عينيها مباشرة.

"لن تقنعنني بالعدول عن فكرة الزواج، هل طلبتنّ مجيئي إلى هنا لهذا السبب. أعلم أن الوقت يبدو مبكراً، ولكن في مثل سني ليس هناك الكثير من الوقت. ليس هناك من سبب يدعونا إلى الانتظار".

أشارت له **سابرينا**: "بوسعك الانتظار لأجلنا ولأجل أمنا".

سألهنّ: "هل من شأن الستة أشهر أن تمثّل فارقاً كبيراً لكنّ؟ هل ستقتنعن أكثر **بليسلي** حينها؟ لا أظنّ ذلك. وهذه حياتنا نحن وليست حياتكنّ. كما وأنني لا أتدخّل بشؤونكنّ. لا أقول **لسابرينا** إن عليها الزواج، وإن **كريس** رجل رائع ويجدر بها القيام بخطوة ما إن أرادت إنجاب الأطفال. ولا أقول **لتامي** إن عليها الكفّ عن العمل في هذه البرامج المجنونة وإيجاد رجل محترم. أو أقول **لكاندي** إن عليها العودة للدراسة. أو **لآني** إن عليها إيجاد وظيفة حتى لو باتت ضريرة. لطالما احترمتكنّ

ووالـدتكنّ. لم نكن دائماً نوافق على كل ما تفعلنه، ولكننا كنا دوماً نمنحكنّ فرصة لتأخذن قراراتكنّ الخاصة وتقترفن الأخطاء لتتعلّمن منها. لذلك عليكنّ أن تفسحن لي المجال الآن. ربما ما أقوم به جنوني بالفعل. ربما ستتركني **ليسلي** بعد ستة أشهر، وتجد لنفسها شاباً أصغر سناً، أو ربما سنعيش سوياً سعيدين مدى حياتنا وستُحسن معاملتي بعد أن أشيخ. ولكنني أحتاج إلى اكتشاف ذلك بنفسي. هذا ما أريده. الأمر لا يتعلّق بما تردنه أنتنّ لأنفسكنّ أو لي، ولكنه يتعلّق بما أريده وما أظنّ أنني بحاجة إليه. إنها امرأة طيبة ونحن نحب بعضنا البعض. ومهما فعلتُ أو لم أفعل، ومهما كان الأمر، لن تعود والدتكنّ. لقد كانت حبّ حياتي. ولكنها رحلت، في الواقع، اعلمن أنني لا أريد البقاء وحيداً. لا أستطيع. فالوحدة صعبة جداً. ورفقة **ليسلي** ممتعة. نحن نحب بعضنا البعض، على الرغم من أن حبّي لها يختلف عن حبّي لوالدتكنّ. ولكن لمَ عساي لا أُمنح فرصة ثانية؟" استمعن إليه دون أية مقاطعة، فبدا بعض كلامه منطقياً. ثم أحاطت **كاندي** عنقه بذراعيها. كانت تفكّر في الكلام الذي قاله لها **بول** في الطائرة حول إعطاء **ليسلي** فرصة أخرى. والوقت كفيل بإظهار الأمور. من أجل والدهنّ أملت أن تكون **ليسلي** امرأة محترمة سواء أحببنها أم لم يحببنها. إلاّ أنه بالنسبة إليهنّ كان الوقت مبكراً جداً على خطوة الزواج.

قالت **تامي**: "نحن نحبّك يا أبي. نودّ منك فقط ألاّ تقترف خطأ أو تتعرّض للأذى".

"لمَ لا؟ أنتِ تقترفين الأخطاء. فالأخطاء جزء من الحياة. إن كان زواجي خطأ فادحاً، سأتّصل **بسابرينا** وأفعل شيئاً ما حيال الأمر". فتبادل هو وابنته الكبرى ابتسامة.

قالت بنعومة: "آمل أن تؤول أمورك إلى الخير يا أبي". لقد شعرت الفتيات بالسعادة جداً لرؤيته من جديد فقد اشتقن إليه كثيراً.

سألت **آني**: "هل يُفترض بنا رؤيتها يا أبي؟" إذ لم ترغب أي منهنّ برؤيتها، ولكنهنّ افترضن أنه يتوقّع منهنّ ذلك. كان والدهنّ أكثر واقعية ممّا ظننّ. وكان لا يزال الأب الذي يحببنه كثيراً.

قال بعقلانية: "فلنتروَّ لفترة من الوقت. دعونا نمشي في أول الطريق الصحيح. حسبتُ أنني لن أسمع منكنّ أي شيء ثانية. شعرتُ بالقلق حيال هذا الأمر طيلة شهر".

قالت **كاندي**: "اشتقنا إليك كثيراً".

اعترف: "أنا أيضاً اشتقتُ إليكنّ". ثم فتحت **سابرينا** زجاجة شراب، فشرب الجميع وعانقوا بعضهم البعض، ووعدوا أن يجتمعوا سوياً قريباً. وبعد فترة وجيزة غادر. جرى هذا اللقاء على نحو أفضل ممّا تخيّلت أي منهنّ. كان سيتزوّج من **ليسلي**، ولكن على الأقل عادت المياه إلى مجاريها بينه وبين بناته، وهو لم يكن يتوقّع منهنّ الترحيب بها كفرد من العائلة أو حتى رؤيتها بعد فترة من الوقت. وإنما أمل أن يعتدن على الفكرة مع الوقت. وأخبرهنّ أنه لن تُقام حفلة الرابع من تموز هذه السنة. سيكون الوضع صعباً عليهم جميعاً بعد أن بات هذا التاريخ ذكرى وفاة والدتهنّ وليس مجرد حفلة. قال إنه سيذهب **وليسلي** إلى أوروبا في تموز، وستكون لديهنّ الحرية للقيام بمشاريع أخرى. فمن شأن ذلك أن يريح الجميع. إذ لم تستطع أيٍ من الفتيات مواجهة تلك الحفلة من جديد، وخصوصاً بوجود **ليسلي**.

سألت **كاندي**: "ماذا سنفعل في الرابع من تموز؟" قالت **سابرينا** بحكمة: "دعونا لا نقلق بهذا الشأن الآن". على الأقل تصالحت الفتيات مع والدهنّ. وقد أجمعن على إرسال باقة ورد له إلى لاس فيغاس في الرابع عشر من شباط. كانت مبادرة هدنة، أدركن أنها ستسرّه. وليس هناك مجال للشك بأنهنّ شعرن بالغرابة الشديدة لوجود زوجة أب لديهنّ أصغر من أختهنّ الكبرى. إذ لم تتوقّع أيٍ منهنّ ذلك على الإطلاق عندما توفيت

والدتهنّ. كما أن والدهنّ أيضاً لم يتوقّع ذلك. حدث الأمر صدفة بأن مرّت عليه **ليسلي** ووقعا بالحب.

كانت الفتيات لا يزلن يتكلّمن عن الموضوع عندما رنّ هاتف **تامي**. لم تتصوّر من المتصل في تلك الساعة. كان **جون سبيري** يدعوها إلى العشاء في اليوم التالي. وقد ذُهلت عندما سمعته.

قالت وهي تبدو مذهولة: "لا أصدّق أنك اتصلت بي".

"قلتُ لك إنني سأتّصل. لماذا تبدين متفاجئة إلى هذا الحدّ". أرادت أن تجيبه على الشكل التالي: "لأن الأشخاص الطبيعيين لا يتّصلون بي أبداً. أنا مغناطيس لجذب المعتوهين والخرقى". ربما كان بهذه الصفات، ويدّعي أنه طبيعي فحسب. من عساه يعرف؟ لم تكن واثقة بأنها قد تتعرّف على رجل طبيعي.

"لستُ أدري لِمَ أنا متفاجئة. أعتقد لأن معظم الناس لا يفعلون ما يقولونه. بالمناسبة كيف وجدتَ سان بارت؟"

"ممتعة. أنا أذهب إلى هناك مع عائلتي كل عيد. لديّ ثلاثة أخوة وجميعهم يجلبون معهم زوجاتهم وأولادهم".

قالت وهي تبتسم: "أنا لديّ ثلاث أخوات". كانت الصورة التي رسمها عن عائلته مثيرة الاهتمام ومشابهة لصورة عائلتها، ما عدا أن أخواتها لسن متزوّجات وليس لديهن أطفال.

"أعلم. سبق وأخبرتني أنكِ تركت عملك للمجيء إلى هنا والاهتمام بأختك. لقد تأثّرتُ بكلامك هذا. في الواقع، تأثّرتُ جداً. ماذا حصل لها؟" كانت **تامي** قد خرجت من الغرفة حاملة هاتفها الخلوي لتتكلّم معه.

"إنها قصة طويلة ولكنها باتت تبلي حسناً". وبمجرد أن قالت هذا الكلام أدركت أن عقد إيجارهنّ قد وصل إلى نصف المدة فشعرت بالحزن. فقد أحبّت العيش مع أخواتها. ربما بعد أن ينتهي عقد إيجارهنّ الحالي يستأجرن منزلاً آخر. لم يبدُ أن واحدة منهنّ تودّ الذهاب إلى أي مكان.

لعلهنّ يعشن سوياً إلى الأبد. أربع عوانس في منزل واحد. كان والدهنّ الوحيد الذي وجد الحب الحقيقي. وبدا أن **آني** تبلي حسناً مع **براد**. وقد أعجبها الشاب الذي التقت به **كاندي** على متن الطائرة. أما حياتها العاطفية وحياة **سابرينا** فكانتا في الحضيض. لا تزال حياتها على هذا الحال منذ سنوات. وبدل حياتها العاطفية كان لديها برنامج عن تلفزيون الواقع.

"قلتِ إن أختك تعرّضت لحادث. ما الذي حصل؟" بدا مهتماً بالأمر. لعل الحشرية تنتابه فحسب، ولكن كان التحدث إليه ممتعاً. إذ بدا رجلاً لطيفاً. كان ذكياً، وحسن المظهر، ويشغل وظيفة مهمة نسبياً.

"لقد فقدتْ بصرها. كان أمراً مأساوياً جداً بالنسبة إليها. إنها فنانة أو كانت كذلك. إنها تخضع لتدريب خاص في مدرسة باركر للعميان".

قال **جون**: "يا للغرابة. أخي أصمّ، ونحن جميعاً نتكلّم معه لغة الإشارات. لقد وُلد مصاباً بالصمم. لا بد وأنه صعب جداً عليها التأقلم بعد خسارتها لبصرها".

"بالفعل. لقد كانت مذهلة وشجاعة جداً".

سألها باهتمام: "هل تستخدم كلباً مرشداً؟"

ابتسمت **تامي** وقالت: "لا، إنها تكره الكلاب. أما نحن فنمتلك ثلاث كلبات هنا، لكل واحدة منا كلبة، ولكن هذه الكلبات صغيرة أو اثنتان منها صغيرتان".

"أختي الكبرى لديها كلبة باست تدعى **بولا**. وتعاني من اكتئاب مزمن". فضحك لدى تصوّره الفكرة.

قال وهو يمازحها: "ربما تحتاج إلى طبيب نفسي".

"لدينا الكثير منهم أيضاً".

"على ذكر ذلك، أخبرني حقيقة ديزيريه لافاييت. هل كانت رجلاً من قبل؟" ضحكت **تامي** بصوت عالٍ.

لطالما تساءلت عن هذا الأمر.

"تبدو كراقصة تعر".

"لعلها تحبّ ذلك. تريد مني أن أجلب لها ملابس يصمّمها أوسكار دو لا رنتا خصيصاً لها. ولم أملك الشجاعة لأطلب منه هذا الأمر بعد. ولا الميزانية".

"أنا واثق أنه يمكن الترتيب لهذا الأمر".

"آمل ألاّ يحصل ذلك".

ضحكا على البرنامج لبضع دقائق. وكرّر دعوتها إلى الغداء. فاقترح عليها الذهاب إلى مطعم تحبّه. بدا الأمر مشوقاً حيث كان من اللطيف أن تخرج من المكتب كنوع من التغيير. فهي لم تكن معتادة على فعل ذلك، حيث تكون عادة مشغولة في تسوية المشاكل ولا يسعها التوقف للأكل. فحدّدا موعداً عند الساعة الواحدة من النهار التالي.

سألتها أخواتها عن المتصل عندما أقفلت الخط، وعادت إلى الغرفة.

"إنه شخص من الشبكة لا أنفكّ ألتقي به في الاجتماعات". قالت دون الإشارة إلى أي التزام: "دعاني إلى الغداء".

قالت **سابرينا** بابتسامة حزينة: "يبدو ذلك ممتعاً". فهي لم تخرج منذ أن انفصلت عن **كريس** منذ شهر مضى. جلّ ما كانت تفعله هو العمل والعودة مباشرة إلى المنزل. كانت حزينة جداً بحيث عجزت عن فعل أي شيء. وقد استغرقت في التفكير به منذ أن تركها. فقد اشتاقت إليه بشكل لا يوصف. وهي لم تسمع أي كلمة منه منذ ذلك الوقت. كما وظلّت تفكّر في الخاتم الجميل، وعرض الزواج الذي دبّ الذعر في قلبها. إذ لم تكن بقدر شجاعة والدها. أو بقدر غبائه. لم تستطع تخيّل كيفية نجاح زواجه من **ليسلي**. ولكنها تمنّت له كل الخير.

وبالرغم من أنها اعتقدت أن في تصرفاته قلة احترام لأمهنّ، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تحبّه، وارتاحت لكونهم تصارحوا في الموضوع. على الأقل باتت أقنية الحوار مفتوحة من جديد. ولكنها مثل

أخواتها كانت قلقة من إمكانية تأثير زواجه من **ليسلي** عليهنّ وعلى علاقتهنّ به.

التقت **تامي بجون سبيري** على الغداء في اليوم التالي. كان ذكياً ومثيراً للاهتمام وأعجبته. كان لديه الملايين من المشاريع في عمله، والكثير من الاهتمامات، ويلعب الكثير من الرياضة، ويحبّ المسرح، وهو طموح في عمله. وكان مقرباً جداً من عائلته، ويبلغ الرابعة والثلاثين من عمره. وقد بدا لهما أن بينهما الكثير من القواسم المشتركة.

سألها عند مغادرتهما للمطعم: "ماذا سنفعل بعد هذا الغداء؟ عشاء أو غداء آخر؟" ثم خطرت له فكرة أخرى. "ماذا عن لعب كرة المضرب في النادي صباح السبت؟"

حذّرته: "ولكنني لاعبة فاشلة". ولكن بدا لها ذلك ممتعاً.

اعترف لها: "وأنا أيضاً. ولكنني أستمتع باللعب على كل الأحوال. هل يسعنا تناول الغداء في النادي بعدها، أو نذهب إلى مكان ما إن كان لديك الوقت؟" كان يبدأ معها ببطء وأعجبها ذلك أيضاً. إذ لم تحبّ الرجال الذين يدعونها على العشاء مرة ويحاولون الإسراع بها إلى السرير. عندها ترضى جداً بأن ينتهي بهما الأمر كصديقين. ولم يكن لديها الكثير من الأصدقاء في نيويورك. كان جميع أصدقائها في لوس أنجلوس. ولم يكن يتسنّى لها الوقت لتراهم على كل الأحوال.

كانت معنوياتها عالية عندما عادت إلى مكتبها، واتّصل بها في اليوم التالي لمجرد إلقاء التحية عليها. وأرسل لها رسالة إلكترونية تتضمّن فكاهة فضحكت بأعلى صوتها وهي في مكتبها. لقد أضفى على حياتها بعض المتعة. لم يكن أشبه بصاعقة برق تنبذها. بل كان الأمر أشبه بدخول شخص محبّب إلى غرفة ما. حيث كانت تشعر بوجوده، ولكن الأمر لم يزعجها أو يضغط على أعصابها ممّا أشعرها بالراحة أكثر. ولكنه لم يكن يتّبع أية حمية غذائية غريبة، ولم يكن ينتمي إلى أية مجموعة راديكالية.

وهو أمر رائع بحدّ ذاته. لم تخبر أخواتها عنه كثيراً، فعلاقتهما لم تصبح وطيدة بعد. عادت إلى المنزل سعيدة ومرتاحة نهار السبت بعد مباراة في كرة المضرب ربحها بكل سهولة. كان يجيد اللعب أكثر ممّا قال بكثير، ولكنها أبلت حسناً. وبعد المباراة تناولا الغداء وذهبا للتنزه في الحديقة العامة. كان الطقس لا يزال بارداً، ولكن ليس كثيراً إلى حدّ يفسد عليهما متعة المشي. عندما وصلت إلى المنزل التقت **ببراد** و**آني** في طريقهما إلى الخروج. كان **براد** يأخذها إلى معرض فني فكري لمسيّ، كان قد قرأ عنه وظنّ أنها ستستمتع به، وكانا منشغلين بالحديث. أراد منها أن تلقي محاضرة أخرى في المدرسة، إذ رأى أن عليها إلقاء سلسلة محاضرات عن المتاحف أو محاضرة عن الفن في كل مدينة زارتها في إيطاليا. كانت ذاكرتها ممتازة ويوجد الكثير لتتشاطره مع أصدقائها الطلاب.

سألتها **آني**: "أين كنتِ؟" بدت **آني** سعيدة مع **براد** وشعرت **تامي** بالسرور لأجلها. كانت **كاندي** قد ذهبت إلى براون لزيارة **بول** من جديد وتمضية عطلة نهاية الأسبوع معه. كان هذا هو الأسبوع الثاني على التوالي الذي يلتقيان فيه.

قالت **تامي** بسلاسة: "كنتُ ألعب كرة المضرب مع صديق. هل **سابرينا** في المنزل؟"

"إنها في الطابق العلوي. أظنّها على وشك الإصابة بالمرض. تبدو بحالة فظيعة".

"استمتعا بوقتكما. إلى اللقاء".

"سنعود في وقت متأخر. سنذهب لتناول العشاء بعد المعرض".

"جيد. فلتستمتعا". كانت **تامي** تبتسم عندما دخلت إلى المنزل. لقد بدت **آني** سعيدة جداً مع **براد**، وقد بدا الاثنان مرتاحين جداً لبعضهما، ويبدوان مناسبين جداً لبعضهما البعض. وقد كانت سعيدة لكسب **سابرينا** الرهان.

صعدت إلى الطابق العلوي لتتفقّد **سابرينا**، فوجدتها مستلقية على سريرها في العتمة. لم تعتقد أنها مريضة وإنما مكتئبة فحسب. كرهت **تامي** أن ترى علاقة أختها تنتهي مع **كريس**. كان خير رجل، وقد عامل **سابرينا** بأحسن الطرق لمدة طويلة. ومن المؤسف أن يكون لها هذا الموقف الرافض للزواج. لو أنها فكّرت يوماً بالزواج لكان **كريس** هو الرجل المناسب لها. ولكنها كما يبدو عجزت عن ذلك. بدا أن **سابرينا** تفضّل خسارته على الزواج به.

سألت **سابرينا** بلطف: "كيف حالك؟" فرفعتْ أختها الكبرى كتفيها. بدت شاحبة، ومتعبة، ومنهكة، ويوجد هالات سوداء حول عينيها. إذ لم يكن الانفصال بمثابة تحرّر من الآخر كما هو بالنسبة إلى كثيرين، بل كان خسارة كبيرة وما يزال. وقد واصلت البكاء لأجله منذ شهر.

قالت **سابرينا**: "لستُ بأفضل حال". ونظرت إلى السقف. "ربما والدنا على حق. ربما يتوجّب على المرء أن يأخذ المخاطر ويجرّب حظه في الحياة. ولكنني لا أستطيع أن أرى نفسي متزوّجة من أحد على الإطلاق، أو أن أنجب الأطفال. إنها مسؤولية كبيرة جداً ومخيفة إلى حدّ كبير".

ذكرتها **تامي**: "أنت تعتنين بنا جميعاً. أنت بمثابة الأم لنا نحن الثلاث خصوصاً **آني** و**كاندي**. ما الفرق بين أخواتك وأولادك؟"

"بوسعي الطلب منكنّ المغادرة". وابتسمت ساخرة. "لا تستطيع الأم أن تفعل هذا مع أولادها. وإن أفسدتِ تربيتهم فستفسدين حياتهم للأبد. أنا أرى ذلك طيلة الوقت في عملي".

"كان يجدر بكِ أن تكوني منظّمة حفلات أعراس بدل أن تكوني محامية في قضايا الطلاق. لكان ذلك أفضل حالاً لمستقبلك". فردّت عليها **سابرينا** بابتسامة.

"نعم ربما. لا بد وأن **كريس** يكرهني. كان لطيفاً جداً تلك الليلة والخاتم بيده، ولكنني عجزتُ عن القبول بالزواج منه. والله يعلم كم أحبّه.

لا أمانع العيش معه في مرحلة ما. ولكنني لا أودّ الزواج رسمياً فحسب. ستصبح مشكلة يصعب حلها في حال ساءت الأمور. أما إن اكتفيت بالسكن معه فيمكنني متى شئت الانفصال عنه، وتوديعه بكل بساطة، والانسحاب من حياته. لن أحتاج إلى منشار كهربائي لأفصل حياتي عن حياته". سألتها **تامي**: "وهل أنتِ المنشار الكهربائي؟"

أكّدت لها: "هذا هو عملي". هكذا كانتْ ترى الأمر. "أنا أتدخّل في جميع شؤونك، في قلبك، ورأسك، ومحفظتك، وأولادك. أقطع كل شيء إلى نصفين وأعطي كل نصف لأحد الوالدين بطريقة منصفة وعادلة. يا للهول من الذي يودّ أن يخوض مثل هذه التجربة؟" "الكثير من الأشخاص يودّون ذلك". لم تكن **تامي** قلقة بهذا الصدد مثل **سابرينا**، ولكنها كانت تأبه للأمر أيضاً. "بالمناسبة ذكّرتني، لم أشأ أن أذكر الأمر لوالدنا، ولكنني أملتُ أن يوقّع عقد ما قبل الزواج". قالت **سابرينا** بعد أن جلست أخيراً: "لا يعقل ألاّ يفعل ويكون بهذا القدر من الغباء". كانت قد أمضت ساعات مستلقية هناك تفكر في **كريس**. "سأرسل له رسالة إلكترونية وأذكّره بهذا الأمر. هذا ليس من شأني ولكن على أحد ما أن يذكّره".

"أترين قصدي؟ أنت تعتنين بنا جميعاً يا **سابرينا**. لمَ تمانعين فعل ذلك مع أطفالك بدلاً من مجموعة من الراشدين؟ سيكون الأمر ممتعاً أكثر مع الأطفال".

"ربما". وابتسمت ولكن لم تبدُ مقتنعة.

ثم نزلتْ إلى الطابق السفلي لتحضر شيئاً ما لتأكله، وعرضت على **تامي** أن تجلب لها شيئاً ما معها. بعد قليل اتصلت **كاندي** لإعلامهما أنها على ما يرام. إذ بعد الحادثة المروعة مع **مارسيللو** باتت تتّصل على الدوام لتطمئنهنّ عليها وتعمد دوماً إلى إخبارهنّ بمكانها. ولم تعد تذهب إلى شقة أحد، وحتى في رود آيلاند، عندما تزور **بول** كانت تنزل في فندق. لم تظنّ **سابرينا** أنهما أقاما علاقة حميمة مع بعضهما البعض بعد.

كانت **كاندي** تأخذ الحيطة الشديدة، ولم يبدُ أن **بول** يمانع ذلك ممّا أعطى انطباعاً جيداً حوله. كان **بول** وسيماً وجدياً. لم يكن من صنف الاستغلاليين الذين يبحثون عن الفتيات الصغار للانقضاض عليهنّ. كان **براد** هو الشخص الذي يعتبر كبيراً جداً على **آني**. ولكن بدا أن فارق السن بينهما ليس له أي تأثير على الإطلاق. **فآني** ناضجة جداً وتبدو أكبر من سنها الحقيقي وخصوصاً الآن. وكان **براد** بمثابة الحامي القوي لها، ممّا طمأن أختيها الكبيرتين وحتى **كاندي**. وقد وافق الجميع على علاقة **براد وآني**.

أمضت **سابرينا وتامي** ليلة هادئة سوياً، تشاهدان الأفلام السينمائية، وتحلاّن الكلمات المتقاطعة في الجريدة سوياً، وترتاحان بعد الأسابيع المضنية التي مرّت عليهما. اتصل **جون بتامي** نهار الأحد وتبادل الحديث معها لفترة. وحمّمت **تامي** الكلبات كلها مساء الأحد. وعاودت **آني** الخروج مع **براد**. كانا سيتناولان العشاء مع بعض الأصدقاء.

علّقت **تامي** وهي تنشف إحدى الكلبات، و**سابرينا** تمرّ بمحاذاتها حاملة بيديها الكثير من المناشف: "نحن نحيا حياة فريدة أليس كذلك؟" فتبادلتا الابتسام وشعرتا بالسعادة لرؤية **كاندي** تعود إلى المنزل.

سألتها **تامي** وهي تجرّ حقيبتها: "كيف سارت الأحوال؟"

"على نحو ممتاز. أمضينا الوقت مع أصدقائه كلهم". كانت مفعمة بالحماس وهي تتكلّم عن عطلة نهاية الأسبوع. وبدا أنها تستمتع بالتواجد مع أشخاص من مثل سنها.

كانت الفتيات جميعاً قد رجعن إلى المنزل في نهاية تلك الليلة. كانت أبواب غرفهنّ مفتوحة، وتمنّت الفتيات لبعضهنّ البعض ليلة هانئة. واستلقت كل واحدة على سريرها وهي تبتسم وتفكّر كم هنّ محظوظات لتواجدهنّ إلى جانب بعضهنّ البعض، بغضّ النظر عمّا يحصل للرجال في حياتهنّ.

الفصل الخامس والعشرون

كـان الـرابع عشر من شباط يوماً ممزوجاً بالفرح والحزن معاً في منـــزلهنّ. حيث استفاقت الفتيات جميعاً مدركات أن والدهنّ سيتزوّج في لاس فيغاس في ذاك اليوم، وكان الأمر يصعب عليهنّ جداً. إذ دفعهنّ إلى الاشـتياق إلى والدتهنّ أكثر. كانت الفتيات حزينات خلال تناول الفطور، ولم يتبادلن الحديث. عمدن إلى إرسال باقة زهور إلى والدهنّ **وليسلي** في غـرفة الفـندق الـذي ينـزلان فيه. وكانت **سابرينا** قد أرسلت له رسالة إلكترونية لتذكّره بعقد ما قبل الزواج قبل أسبوعين. وأجابها أنه قد فكّر في الأمـر وأخـذ التدابير اللازمة ممّا بعث فيها الاطمئنان. على الأقل إن لم ينجح زواجهما فلن ترحل **ليسلي** ومعها كل أملاكه.

بالنسبة إلى الاحتفالات بالفالنتين، كان **بـراد** سيصطحب **آني** إلى العشاء تلك الليلة. وذهلت **تامي** عندما دعاها **جون** للخروج معه إلى العشاء تلك الليلة. اقتـرح أن يذهـبا لتناول العشاء، ثم إلى السينما، ممّا بدا ممتازاً بالنسبة إليها. دون أن يـبدو في الأمر غرابة أو مغالاة في الرومانسية، نظراً لأنهما قد بدأا مـنذ آونة قريبة بالمواعدة. وكان **بول** ينوي التوجّه من براون إلى المدينة تلك اللـيلة ليـرى **كاندي**. كان لدى جميع الأخوات ما يفعلنه ما عدا **سابرينا** التي نـوت أن تبقـى فـي المنـــزل وتنجز بعض الأعمال. وقد شعرت أخواتها بالانـزعاج الشديد عندما تركنها. كانت تحضّر لنفسها قدراً من الحساء، عندما خرجت **تامي** وشعرت بالذنب لتركها في المنـزل وحدها.

قالـت لهـا **سابرينا:** "لا تكوني سخيفة. سأكون على خير ما يرام". ابتـسمت لهـا لتـشجيعها وأخبرت **تامي** أنها تبدو جميلة جداً. وكانت قد أخبرتها أنها أحبّت **جون** كثيراً. فهو حسن المظهر ولكن أكثر من ذلك بدا ذكياً ولطيفاً، ويتمتّع بعقل منفتح. وكان مفعماً بالطاقة ويختزن أفكاراً كثيرة بقدر **تامي**، كما ويعمل معها في الحقل نفسه. وقد أحبّت **بول سميث** أيضاً. فهـو شـاب لا يُضاهى مقارنة بالرجال الذين كانت تراهم عادة يحومون حـول **كاندي** وينتظرون لاستغلالها بطريقة ما. كما وأحبّت **براد**. وأخبرت **آني** كم أنها تبدو جميلة عندما خرجت. كانت **تامي** قد ساعدتها على ارتداء ملابـسها، وصفّفت **كاندي** شعرها وقصّت أطرافه قليلاً. فبدت جميلة جداً عـند وصـول **براد** الذي بدا مجنوناً بها، وقد لوحظ على **آني** الوقوع في غرامه. إذ بدا أن الأمور تأخذ منحى جدياً.

بحلـول الـساعة التاسعة كانت **سابرينا** وحدها، فجلست إلى طاولة المطبخ تحدّق في حسائها، وتفكّر في **كريس**، وتتساءل كيف وصلت الأمور إلـى هـذا الـدرك. لقد خسرتُ الرجل الذي كانت تحبّه منذ أربع سنوات تقريباً. فاستسلمت أخيراً، ورمت الحساء في الحوض. إذ عجزت عن الأكل أو العمـل. جـلّ ما أمكنها فعله هو التفكير فيه وفي كل ما افتقدته منه. لم تـسمع منه كلمة منذ ليلة السنة الجديدة. إذ لم يعاود الاتصال بها من جديد منذ لحظة مغادرته المنـزل، وخاتم الخطوبة الذي رفضت قبوله في جيبه.

جالت في أنحاء الصالون بعض الشيء، وحاولت الجلوس في غرفة الجلوس ومشاهدة التلفاز. لم تقوَ على التركيز، ثم عادت أخيراً إلى غرفتها وبدأت تحدّق إلى خارج الشباك بعد أن بدأ الثلج بالتساقط، ثم وجدت أخيراً أنه لم يعد يسعها التحمل. فقد احتاجت إلى رؤيته ولو لمرة واحدة. فعاودت النـــزول إلـى الطابـق السفلي، وانتعلت حذاءها، وأخرجت معطفاً من الخـزانة، ومشت باتجاه شقته تحت الثلج. طلبته على الهاتف الداخلي في الأسـفل، وسـمعت صوته لأول مرة بعد شهرين تقريباً. كان مجرد سماع

صوته أشبه بالأوكسجين الذي دخل إلى جسدها بعد الافتقار إليه لستة أسابيع. "من؟"

"هذه أنا، هل لي بالصعود؟"

ساد الصمت لفترة طويلة، ثم صدر صوت لدى فتح الباب. دفعت الباب بيدها، وتوجّهت صاعدة إلى شقته. كان واقفاً أمام الباب عابساً، يرتدي قميصاً قطنياً وبنطالاً من الجينز، وحافي القدمين. فالتقت عيناها بعينيه لفترة طويلة وهي تتوجّه بنظرها إليه، ثم مشت ببطء إليه، فتنحّى لها جانباً عندما وصلت إلى الباب. لم يتغيّر شيء، ولا حتى هو تغيّر. كان لا يزال الرجل الذي أحبّته، ولكن لم تستطع إقناع نفسها بالزواج منه.

سألها بنظرة قلق: "هل حصل أي سوء؟" فقد بدت بحالة مزرية ولم تبدُ على ما يرام. "هل أنت بخير؟"

التفتت إليه بحزن. "لا لستُ بخير. هل أنت بخير؟" فأجابها بهزّ كتفيه. فقد كانت ستة أسابيع تعيسة جداً.

عرض عليها: "هل تودّين تناول أي شراب؟" فهزّت برأسها نافية. كانت لا تزال تشعر بالبرد، فجلست على الأريكة وهي مرتدية معطفها. "لِمَ أتيتِ؟" لم تذكّره أن هذا هو يوم الفالنتين. إذ لم يكن بالأمر الهام بالنسبة إليهما، على الرغم من أنه كان هاماً جداً بالنسبة لكل من أخواتها التي كانت كل واحدة منهنّ تسهر برفقة الرجل الذي تهوى حتى لو أنه دخل إلى حياتها في الأونة الأخيرة.

قالت بصراحة: "لستُ أدري لِمَ أنا هنا. وجب عليَّ المجيء. كانت حياتي مروعة من دونك. لستُ أدري ماذا دهاني يا **كريس**. أنا مرتعبة جداً من الزواج. الأمر لا يتعلّق بك بل بي. وها هو أبي يتزوّج بساقطة بعد فترة قصيرة من وفاة أمنا. لِمَ هو ليس خائفاً؟ يجدر به أن يخاف. وبدل ذلك أنا من تخاف. أنا أكره ما يحدثه الزواج للأشخاص بعد أن يسوء الحال".

قال بلطف وهو يجلس مقابلها على كرسي كبير من الجلد يحبّه كثيراً: "الأحوال لا تسوء دوماً". لقد اعتاد على الجلوس على ذاك الكرسي لساعات مع الكلبة. "فأحياناً ينجح الزواج".

"ليس في كل الأحيان. وأظنّ أن هذه هي الأحيان التي لا أراها أبداً. هل يجدر بنا الزواج؟ أليس هناك من شيء آخر بوسعنا فعله؟"

"لقد سبق وفعلنا ذلك. لا أريد أن أبقى على هذا الحال للأبد يا **سابرينا**. أريد من الحياة أكثر من ذلك. ويجدر بك ذلك أيضاً. كنت أنوي الاتصال بك". ثم تردّد. "وأنا أيضاً كنت أفكر في كل ما حصل. أكره أن أتخلّى عمّا أرغب به بشدة ولا يجدر بك التخلّي عنه أيضاً. ماذا لو عشنا سوياً لفترة؟ ليس للأبد وإنما ربما لستة أشهر حتى تعتادي على الفكرة. وربما عندما تغادرين أنت وأخواتك المنزل. بوسعنا تجربة العيش سوياً لفترة. إن شئت بوسعك السكن هنا معي. أو بوسعنا أن نحصل على منزل لنا. لستُ أدري. ربما أوراق الزواج الرسمية ليست بقدر الأهمية التي أحسبها. ربما علينا مجرد العيش سوياً لنرى ماذا يحصل بعدها. وربما بعدها لن تشعري بالخوف الشديد من الخطوة التالية". فخفت صوته عندما هزّت برأسها رافضة ما يقوله.

قالت بتعاسة: "لا تفعل ذلك إن كنتَ لا ترغب به، لا تقم بالتسويات يا **كريس**". محاولة الدفاع عن اهتماماته لأنها تحبّه، ولكنها كانت في حالة تناقض مع ما تريده هي.

قال بوضوح: "أنا أريدك. هذا جلّ ما أريده يا **سابرينا**. هذا كل ما أردته منذ أن التقيت بك. أنتِ وحياتك المجنونة، وأخواتك، ووالدك، وكلبتنا السخيفة... ويوماً ما أطفالنا. أنتِ تعتنين بأخواتك وكأنهنّ بناتك. اتركيهنّ يكبرن. سوف يكبرن على أي حال. يجب علينا أن ننجب أولاداً لنا".

"ماذا لو كرهونا، أو باتوا مدمنين على الكحول، أو في عداد الجانحين؟ ألا يخيفك هذا؟" كانت عيناها ممتلئتين بالخوف. أسِف لحالها

ورغب باحتضانها. ولكنه لم يفعل. إذ ظلّ ينظر إليها متمنياً لو كان الأمر أسهل عليها. قال بوضوح: "هذه الأمور لا تخيفني طالما أنا معك. لا شيء يخيفني. إن كانوا جانحين سنتخلّص منهم ونتجنب غيرهم". ثم ابتسم في وجهها. "أنا أريدكِ فحسب يا حبيبتي. بأية طريقة شئتِ. إن فضّلتِ أن نسكن سوياً فسنفعل ذلك. عديني فحسب أننا في حال أنجبنا أطفالاً نتزوّج على الفور. أودّ أن يكونوا أطفالاً شرعيين. سيشكّل ذلك لهم فارقاً يوماً ما". هزّت برأسها راضية وابتسمت له.

"ربما بعد العيش سوياً لمدة ستة أشهر أغيّر رأيي".

قال: "آمل ذلك". فوقف واقترب منها ليجلس بقربها. ألقى بيده على كتفيها فألقت هي برأسها عليه. افتقدت إلى هذا القرب بينهما منذ ليلة رأس السنة. كانت خسارة **كريس** أسوأ من خسارة قطعة من جسدها.

قالت بنعومة: "أنا آسفة لتصرّفي بحماقة ليلة رأس السنة. كنت خائفة جداً".

"أعلم. لا بأس يا **سابرينا**. ستكون الأمور على ما يرام. سترين..."

"لِمَ أنت واثق إلى هذه الدرجة وأنا خائفة إلى هذا الحدّ؟" ولكن كان قد حصل الكثير خلال السنة الماضية، ممّا أثار خوفها أكثر من أي وقت مضى. فمع رحيل أمها باتت أكثر خوفاً حتى من ذي قبل. وقد كان محقاً. كانت تعتني بجميع الأشخاص المحيطين بها فلِمَ لا تعتني به؟ وربما بأطفالهما لاحقاً؟ قالت وهي تنظر إليه: "أحبّك يا **كريس**".

"أنا أيضاً أحبّك. كنتُ تعيساً جداً من دونك. كنت أفكر في زيارتك الليلة، وخشيت أن تقفلي الباب في وجهي".

هزّت برأسها وقبّلها. لم يحلّا مشاكلهما كلها ولكنها كانت بداية. وعدته قائلة: "سأنتقل للعيش معك عندما نسلّم المنزل. مع أنني سأفتقده جداً. إنه منزل رائع".

سألها: "كيف حال **آني**؟" كان قد اشتاق إلى جميع أخواتها كثيراً. باتت الفتيات أشبه بعائلته، ولطالما كنّ كذلك منذ وقت طويل. كانت خسارته لهنّ كبيرة، وخسارته **لسابرينا** أكبر. كانت تكنّ **لكريس** المشاعر نفسها، ولهذا السبب توجّهت إلى شقته لرؤيته. "إنها تبلي حسناً، فهي تقع في حب **براد**. أظنّ أن علاقتهما جدية. لقد أقنعها بحضور كل أنواع الصفوف، والقيام بالنحت، وإلقاء المحاضرات حول الفن في فلورنسا. يريد منها التدريس هناك في السنة المقبلة. ويحاول إقناعها باقتناء كلب".

"إنه رجل صالح، لقد أحببته". لم يسأل **سابرينا** إن فكّرا بالزواج. إذ كان لا يزال الوقت مبكراً جداً على مثل هذه الخطوة. ما لبثا يتواعدان منذ شهرين فحسب. والوحيد الذي ينوي الزواج في عائلتهنّ هو الذي يفترض به ألاّ يتزوّج وهو والدهنّ. لقد كان عالمهن كله مقلوباً رأساً على عقب.

اصطحبها إلى السرير حينها، وأمضت الليلة معه. تذكّرت الاتصال بأخواتها وقالت إنها على ما يرام، ولكنها لم تخبرهنّ بمكانها. كانت **تامي** مقتنعة أنها مع **كريس** ولم تسألها.

عادت هي و**كريس** إلى المنزل في الصباح، وبدا عليهما بعض الارتباك، ولكنهما سعيدان لعودتهما إلى بعضهما البعض. فقامت أخواتها باحتضانه وكأنه أخ لهنّ قد طال غيابه. شعر الجميع بالسعادة للمّ الشمل من جديد. قالت **سابرينا** بلطف وهي تقبّله: "أهلاً بك في المنزل". وكانت **بولا** تنبح بصوت عالٍ جداً ولوحت بذنبها كبندول الإيقاع.

الفصل السادس والعشرون

كـان شهر آذار شهراً مشوّقاً بالنسبة إلى الجميع. حيث أمضت **تامي** وقتاً ممتعاً مع **جون سبيري**، وفي يوم من الأيام تلقّت اتصالاً لم تتوقّع أن تتلقّـى مثـيلاً له في حياتها. كان لدى الشبكة فكرة لبرنامج جديد، وأرادوا منـها تـسلّم هـذه الفكرة وتطويرها من أجل برنامج يُعرض وقت الذروة انطلاقـاً مـن نيويورك. ويدور البرنامج حول ثلاث شابات يعشن سوياً، طبيبةً، ومحامية، وممثلة ويتمحور حول الأزمات التي تنشأ في حياتهنّ. لقد أرادوا الحـصول علـى ممثلات مشهورات وممثلين ثانويين على قدر من الأهمـية للمشاركة في هذا البرنامج. وسبق وأتوا برعاة للبرنامج، وأرادوا من **تامي** أن تنتجه. كان البرنامج أشبه بذاك الذي نفّذته في لوس أنجلوس، وإنما أكبر وأفضل. إنه البرنامج الذي تتمنّاه بالضبط. لم تصدّق هذا الحظ الجـيد الذي مُنيت به. إنها فرصة مذهلة. فقبلتْ بها على الفور. أرادوا بثّه علـى الهواء في الربيع القادم، ممّا يعني أنه يُفترض بها البقاء في المدينة حتـى بعد إخلائهنّ للمنـزل. وأدركت أنها على الأرجح ستضطرّ إلى بيع منـزلها في لوس أنجلوس، وشراء منـزل آخر هنا. ربما بيت خاص بها مغطّى بحجر رملي. لعل أخواتها يعشن معها، بما أن تجربتهنّ هذه أثبتت نجاحها.

حـضّرت الـشبكة لها مكتباً، ومساعداً، وسكرتيرة. وبوسعها اختيار المنتجـين المـساعدين بنفـسها. كانـوا يعطونها الحرية الكاملة وميزانية

أذهلـتها. جـلّ ما أرادوه هو الحصول على جائزة إيمي للبرنامج. وكانوا واثقين أن بوسع **تامي** جلب هذه الجائزة.

لـم تطـق صبراً حتى تخبر **جون** بمجرد خروجها من المكتب. فلقد أرادوا منها البدء مع حلول حزيران، وهي تنظّم أوقاتها بما يحلو لها. ممّا سـمح لهـا بإعطاء البرنامج الذي تعمل عليه والذي يدعى ***هل يمكن إنقاذ هـذه العلاقة؟ الأمر يعود لكم!*** إشعاراً مسبقاً بتركهم قبل ثلاثة أشهر، من أجـل إيجـاد منـتج بديل عنها. لقد كان هذا البرنامج على الأرجح أسوأ بـرنامج عملـت فيه، ولكنها استمتعت به أكثر ممّا تصوّرت. وبطريقة ما ستشتاق إلى بعض الأشخاص الذين كانوا يعملون معها. لقد خدمها البرنامج جداً فقد أبقاها مشغولة وعاد عليها بمال وفير، ولم تنتظر سوى ستة أشهر حتى حصلت على برنامج أفضل. أما البرنامج الجديد فكان الفرصة الأكبر فـي حـياتها المهنية. وعندما أخبرت **جون** طار فرحاً. قال إنه لا يعلم أي شيء عن هذا الموضوع وصدّقته **تامي**.

أكّـد لهـا: "سوف يكون البرنامج الأروع على التلفاز". فتكلّما حول البرنامج مطولاً عند الغداء، وأخبرت أخواتها بمجرد عودتها إلى المنـزل تلك الليلة.

قالت **كاندي** بحماسة: "ممتاز". وكانت تستعدّ للمغادرة في اليوم التالي من أجل حملة تصوير تمتدّ لأسبوعين في اليابان. ستعود هذه الحملة عليها بالمال الوفير، وقد قرّرت بعد عودتها أن تقوم بزيارة **بول** في براون. وقد كانت **آني** سعيدة مع **براد**. و**كريس** قد عاد. كانت جميع الأخوات راضيات بحياتهنّ.

قامـت أخوات **تامي** بتهنئتها على البرنامج الجديد. وفي اليوم التالي قـدّمت **تامـي** إشعاراً بالاستقالة من البرنامج الذي كانت تعمل فيه. فأسف إيـرفينغ سـولومون لخسارتها، ولكنه قال لها إنها قامت بعمل ممتاز في برنامجه، ورفعت نسبة المشاهدين جداً. هذا ما كانت **تامي** تجيد فعله.

كـان يفترض **بآني** التخرج في ذاك الشهر، ولكن أقنعها **براد** بتمديد فترة دراستها والتدرّب مع كلب مرشد. لم تتحمّس للأمر، ولكنها قالت إنها ستحاول. قامت باختيار كلبتها الخاصة، وستتخرّج مع الكلبة في أيار.

غـادر **باكستر** المدرسة في نهاية شهر آذار، وتواعدا أن يبقيا على اتـصال. كان قد أصبح صديقاً مقرباً جداً منها، وجعل من المدرسة مكاناً أفضل لها منذ البداية. إنه ينقل الشعلة الآن إلى **براد** الذي أراد منها تدريس بعـض الـصفوف الفنية في الربيع. كلٌ من صفي تاريخ الفن والرسم. لم تتصوّر كيف يسعها الرسم دون أن تقوى على النظر، ولكن **براد** اقترح أن تقوم بعمل تجريدي لترى كيف يسير الأمر. كانت قد اكتشفت أن النحت لا يـستهويها، ولكنها أحبّت العمل بالفخار والتنور. وقد صنعت قطعاً جميلة أهدتها إلى **براد**.

إن أفـضل مـا قامت به الفتيات عندما عادت **كاندي** من اليابان في بداية شهر نيسان هو التخطيط للذهاب في رحلة سوياً. كان **جون** و**تامي** قد نظّما رحلة للجميع للتزلج في فيرمونت. وقد أمضوا عطلة نهاية أسبوع في منـــزل قام باستئجاره. مارس الجميع رياضة التزلج ما عدا **آني**، ولكنها اسـتمتعت بالتنـــزه سيراً على الأقدام مسافات طويلة. كانت قد جلبت معها كلبتها الجديدة من أجل مرافقتها. حيث لم تقوما بالتدريب بعد. أطلقت عليها اسم **جيسيكا** وكانت لطيفة جداً. كانت تتّفق مع جميع الكلبات في المنـزل.

أمـضوا وقتاً ممتعاً جداً في رحلة التزلج. وقد ركبت **آني** في رافعة المتزلجين صعوداً ونزولاً. واصطحب **براد آني** للتزلج على المزلجة ليلاً، والتـي لطالمـا أحبّـتها ووجدت أنه لا يزال بوسعها ممارستها طالما أنها تمسك بذراعه. أمضيا وقتاً مذهلاً. وحتى أن **بول** قد أتى من براون ليكون بـرفقة **كانـدي**. ولـم يـشعر **كريس** و**سابرينا** بهذا القدر من السعادة في حـياتهما. كانا مرتاحين باتفاقهما الجديد. إذ إنه لن يتغيّر أي شيء إلى أن تسلّم الأخوات المنـزل بعد أربعة أشهر. وعندها تنتقل هي و**كريس** للعيش

سـوياً. كانـت الأخوات جميعاً قد تكلّمن مع والدهنّ عندما عاد من شهر العسل الذي أمضاه في لاس فيغاس. قال إن كل شيء يسير على ما يرام. وكانت الفتيات ينوين رؤيته قريباً. ولكنهنّ يمنحن أنفسهنّ بعض الوقت قبل ذلك حتى تستقرّ الأمور.

وفي اليوم الأخير من رحلة التزلج، اتفقوا أن يقوموا برحلة سوياً في الـصيف القادم. كانوا يتناقشون حول تحديد المكان، إلى أن اقترحت **آنـي** المـركب. لطالما أحبّت المراكب والإبحار. اتّفق الجميع على النفقات التي يسعهم صرفها في هذه الرحلة، وخطّطوا لها في تموز. عندها يكون **براد**، و**آني**، و**بول** قد أخذوا العطلة، ويأخذ **كريس** و**سابرينا** إجازة. قال **جون** إن بوسعه سـرقة بعض الوقت للقيام بهذه الرحلة. وعندها تكون **كانـدي** قد عـادت من عروض الأزياء الراقية، وبوسع **تامي** وضع مواعيدها الزمنية الخاصة بها لدى تحضيرها للبرنامج الجديد. كان القرار الكبير الوحيد الذي يتحتّم علـيهم أخذه هو تحديد نوع المركب، مركب ذو محرّك أم مركب شراعي. وبالكاد أمكنهم الانتظار.

بعد أسبوعين من رحلة التزلج، اتصلت الفتيات بوالدهنّ لدعوته إلى الغداء. التقين به في نادي 21 وبدا غير مرتاح طيلة الوقت حتى أكثر من ذي قـبل. فـي المرة الأخيرة التي أخبرهنّ فيها عن **ليسلي** بعد العيد بدا مرتعباً. هذه المرة بدا محرجاً كما قالت **سابرينا** لاحقاً.

انتظـر حتـى نهايـة الغداء من جديد لإخبارهنّ. كانت صدمة لهنّ جميعاً، ولكـن ما عاد أي شيء يفاجئهنّ. وأخيراً نطق بما لديه، وقال إن **ليسلي** حامل، وستنجب طفلاً في تشرين الثاني. لقد اكتشفتْ لتوّها الحمل، وظنّـا أنهـا حملت في ليلة الزفاف، وقد كانا غير راغبين بحدوث الحمل وفي غنى عنه.

قالـت **تامـي**: "لم تترك لي أي مجال للكلام يا أبي. أتمنّى لك حظاً سعيداً ولكن هل تتوقّع أنك قادر على تربية طفل جديد؟ أنا نفسي لا أتخيّل

فعل ذلك في سني هذا. ستصبح في عمر الثماني والسبعين عندما يصل هذا الطفل إلى الجامعة".

قال بهدوء: "لا يسعني حرمان **ليسلي** من إنجاب الأطفال. إن الأمر هام جداً بالنسبة إليها".

قالت **كاندي**: "أنا واثقة من أنه كذلك". فبمجرّد أن تنجب **ليسلي** طفلاً، سيصبح لها المزيد من الحقوق في حال حصل الطلاق بينهما، ولكن لم تقل أي منهنّ هذا الكلام لوالدهنّ. كان لا يزال في رأسه بضعة أوهام. فقد بدا مقتنعاً أنهما تزوّجا عن حب. ومن هي لتقول إنهما مخطئان؟ لم يبدر عن **سابرينا** أي رد فعل حتى عندما أعلن عن حمل **ليسلي**. إذ مقارنة مع كل ما مرّوا به في السنة الأخيرة، لم يكن خبر حمل **ليسلي** بمثابة نهاية العالم بالنسبة إليها. كانت **سابرينا** ممتنّة فحسب لأنها لم تكن حاملاً بتوأم.

كان تخرّج **آني** من المدرسة مؤثّراً جداً، وقد حضر حفل التخرج جميع أفراد العائلة والأصدقاء. وقد أقدمت **آني** على إنجاز الكثير من الأعمال تحضيراً لنيل الشهادة، وأبلت حسناً مع الكلبة على الرغم من أنهما كانتا بحاجة إلى بذل المزيد من الجهد.

كانت قد طلبت من والدها حضور حفل تخرجها، ويُفضّل أن يحضر دون زوجته. في البداية جرحه جداً طلبها. كان لا يزال يودّ منهنّ التقرّب من **ليسلي**، ثم أدرك أن **آني** تقصد أنهنّ يردن التواجد مع والدهنّ فحسب وألاّ تتشاطرنهن حبه زوجته الجديدة. لم تذكر أي منهنّ أمر حمل **ليسلي** أو شخصها هي على الإطلاق. أردن مواصلة الإدعاء أنها غير موجودة لأطول مدة ممكنة. بعد تشرين الثاني لن يعود ذلك ممكناً على الإطلاق. إذ لن يتعلّق الأمر **بليسلي** فحسب، ولكن بطفل والدهنّ معها. قالت **سابرينا** إنها فكرة مروعة، وأجمعت الأخريات على ذلك. كانت فكرة وجود والدهنّ مع طفل جديد مخيفة. إذ بدا كبيراً جداً على إنجاب الأطفال. أما الطفل فهو محظوظ لكون **ليسلي** صغيرة في السن.

لم تتواصل معها أي من الفتيات منذ أتت إلى المنزل جالبة الفطيرة. لقد كسبت الكثير بمجرد جلب فطيرة تفاح واحدة وصحن بورسلان مرتجع. لم تكن الفتيات واثقات إن كنّ محقات بشأنها أم لا. أملن أن يكنّ على خطأ، وأن يكون والدهنّ هو المحق. في غضون ذلك تمنّت الفتيات له كل خير. ولكن لم تعد الأمور إلى طبيعتها. أدركن جميعاً مثل والدهنّ أن ذلك سيأخذ وقتاً. فهنّ يحببن والدهنّ كحالهنّ دوماً. ولكن أن يفتحن قلوبهنّ أمام هذه الزوجة الجديدة في هذا الوقت المبكر كان أمراً صعباً. ربما يحدث ذلك في يوم من الأيام ولكن ليس الآن.

في أيار حجزوا قارباً شراعياً من مرفأ نيوبورت، رود آيلاند، لاستخدامه في تموز في رحلة جماعية. كان المركب مجهزاً بطاقم محترف، وبدا لهم المركب جميلاً من الصور التي رأوها له. كان على متنه قبطان وعنصران من الطاقم. وكان يتألّف من أربع حجرات لهم. سوف تكون رحلة لا تنسى.

وقبل يومين من تسلّم المركب من نيوبورت، أُصيبت **تامي** بصدمة شديدة بسبب عرض حصلت عليه. أراد برنامج منافس للبرنامج الذي كانت ستستلمه أن تنتج لهم برنامجهم في الموسم القادم. كان هذا يعني الانتقال مجدداً إلى لوس أنجلوس، وإلى أصدقائها وكل الأشياء التي كرهت تركها في أيلول ولكنها اضطرّت أن تتركها. وبات لديها الآن عرضان، كل من البرنامج الذي تعمل عليه الآن في نيويورك، والبرنامج الجديد الذي عُرض عليها في لوس أنجلوس. بوسعها العودة إلى هناك بعد فترة وجيزة من تركهنّ للمنزل في نيويورك. كان قراراً صعباً ولكن بعد ليلة أمضتها في تفكير عميق، قرّرت أنها أحبّت البرنامج الذي تعمل عليه في نيويورك وأرادت البقاء قريبة من أخواتها. فرفضتْ عرض لوس أنجلوس قبل مغادرتهنّ في رحلة المركب بيوم. أخبرت **جون** بقرارها بعد اتخاذه فارتاح كثيراً لقرارها. كانت علاقتهما قد اشتدّت أواصرها في غضون الأشهر

الستة الأخيرة. حيث بدت **تامي** أكثر سعادة ممّا كانت عليها في السنوات السابقة. أصبح المعتوهون والخرقى في حياتها نسياً منسياً. لم تصدّق أنها حصلت أخيراً على الرجل المناسب في حياتها. كان حسن التكيّف، وحساساً، وذكياً، وكانا مجنونين ببعضهما البعض. وقد أحبّا عائلتي بعضهما البعض.

في الليلة السابقة للإبحار تلقّت الفتيات اتصالاً أثار ذهولهنّ. كانت الأخوات الأربع يوضّبن أمتعتهنّ بحماسة. حيث ستأخذ **كاندي** معها أربع حقائب، وكل من الأخريات ستأخذ معها حقيبة واحدة فحسب. وتمّ تحميل الكلبات على متن المركب. كانت كلبة **آني** لا تزال تخضع للتدريب، لذا لم تنشأ بينهما رابطة قوية بعد، ولكنهما على الطريق إلى ذلك. كان الاتصال من السمسارة، وكانت تريد التكلم معهنّ من أجل المنزل. فأخبرتهنّ أن المالك قد وقع في غرام فيينا، وأخذ مشروع بحثه وقتاً أطول ممّا كان متوقّعاً. وتساءل إن رغبن بالاحتفاظ بالمنزل حتى نهاية السنة وتمديد عقد إيجارهنّ خمسة أشهر أخرى.

جرى بينهنّ نقاش عائلي جدي جداً، فانسحبت **سابرينا** من هذا الأمر آسفة جداً. لم تستطع أن تفعل ذلك **بكريس**، حيث كانت قد وعدت بالانتقال للسكن معه في الأول من شهر تموز. وقد كان صبوراً لمدة طويلة، بحيث ما عادت تجرؤ على تمديد تلك الفترة. كان مستأجرو **كاندي** سينتقلون من شقتها، وهي تفكر في العودة إلى هناك، ولكن أغراها البقاء في المنزل. أما **تامي** ففرحت جداً بهذا الأمر. كانت مشغولة جداً في العمل على البرنامج الجديد، بحيث لم يتسنَ لها الوقت للبحث عن أي منزل آخر أو الانتقال. وابتسمت **آني** فرحاً وقالت إن الأمر يناسب جداً الخطط التي رسمتها في رأسها. كانت قد بلغت لتوّها السابعة والعشرين من عمرها. إذاً على الأقل اثنتان من الأخوات رغبتا بالبقاء في المنزل وربما كنّ ثلاثاً. قالت الأخوات إنهنّ سيفتقدن إلى **سابرينا**، ولكنهنّ أجمعن أنه آن الأوان لها كي تنتقل للسكن مع **كريس**. فلقد انتظر مدة طويلة وكافية.

في صباح اليوم التالي، توجّه الثمانية على متن الطائرة إلى بروفيدينس: الأخوات الأربع ورجالهنّ. أقلّتهم سيارة مقفلة من المطار إلى المرفأ في نيوبورت إلى حيث يوجد المركب الشراعي الذي كان بانتظارهم. كان الأول من تموز وسيبقى معهم مدة أسبوعين. نووا الإبحار حول جزيرة مارتا ونانتاكيت وزيارة أصدقاء على طول الطريق. وخلال الأسبوع الثاني كانوا سيزورون عائلة **بول** في ماين.

وجدت جميع الفتيات صعوبة في تخيّل أنه مضت سنة على رحيل والدتهنّ. شعرن بالامتنان لكون والدهنّ قد ألغى الحفل. كانت هذه طريقة أفضل بكثير لتمضية سنوية أمهنّ. سوياً وبين الأشخاص الذين يحببنهم في مكان مختلف عن المكان الذي كانوا فيه في السنة الماضية عند حصول الحادث.

في صباح الرابع من تموز، أي يوم حصول الحادث أقامت الفتيات احتفالاً على متن المركب، ورمت كل واحدة منهنّ وردة في الماء. فلاحظت **تامي** أن **آني** رمت وردتين.

سألتها بصوت منخفض لاحقاً: "لمَ الوردة الثانية؟"

تردّدت **آني** ثم أجابت: "عيناي".

وجّهوا الشراع بعد فترة وجيزة، وأمضوا النهار حول جزيرة مارتا. وفي وقت العشاء توجّهوا إلى المرفأ لقضاء الليلة. كانت الرحلة سحرية حتى الآن، وعند العشاء ضغط **براد** على يد **آني** مشيراً إليها بالكلام. أخذت **آني** نفساً بانتظار أن تهدأ الضجّة. سادت لحظات من الصمت، ولكن صَعُبَ لفت انتباه الجميع لذا ضرب **براد** على كوب زجاجي بسكين. كانت **آني** تبتسم وتمسك بيده.

قالت وهي تبدو متحمّسة ومخطوفة الأنفاس: "لدينا خبر نودّ أن نزفّه إليكم". فتبادلت **سابرينا** و**كريس** نظرة وابتسما. إن حصل الأمر الذي يدور في بالهما، أمل **كريس** أن يكون معدياً. ولكن ما كان بإمكانه الشكوى.

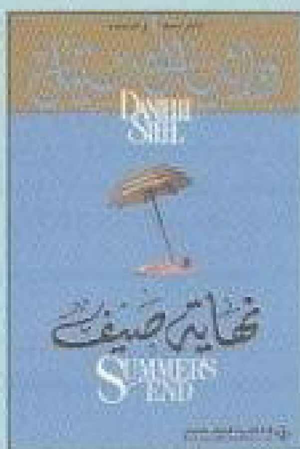
كانت سابرينا تبدو أكثر شجاعة بشأن مستقبلهما في الآونة الأخيرة. وقد ذكرت مرة أو مرتين موضوع إنجاب الأطفال. قالت آني وهي تنظر باتجاه براد: "سوف نتزوّج في كانون الأول". وأضافت: "سوف أعمل في المدرسة مع براد... وسأصبح زوجته". فهلّل الجميع فرحاً وباركوا لهما. قالت سابرينا بعد دقيقة: "اللعنة. وجب عليَّ القيام برهان يتألّف من فقرتين أو ثلاث. ماذا قلتِ في السنة الماضية؟ أنك لن تحظي بموعد غرامي آخر وأنك ستتحوّلين إلى سيدة عجوز ووحيدة... وأنك لن تنجبي أطفالاً. لكنتُ جنيتُ ثروة لو فعلت". فضحك الجميع، في حين ألقى براد بذراعه حول آني وقبّلها. بدا الاثنان سعيدين جداً وهما جالسان بقرب بعضهما البعض. قبّل كريس سابرينا واحتضنها. وذكرت تامي بعد قليل إنها ستذهب في رحلة مع جون وإخوته في آب. واكتفت كاندي وبول بالضحك. ففي سنهما كان الزواج أبعد فكرة تخطر على بالهما. أرادا فحسب تمضية الوقت برفقة بعضهما البعض والاستمتاع بذلك، كما فعلا في الأسابيع الخمسة الماضية.

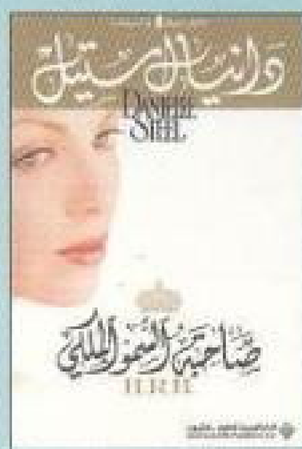
عندما جلسوا على متن المركب نظرت النساء الأربع إلى بعضهنّ البعض. ولم تضطرّ أي منهنّ إلى التلفظ بكلمة. فلقد كانت الفتيات يفكّرن بوالدتهنّ. كانت الهدية التي منّت بها عليهنّ وهي بعضهنّ البعض أكبر هدية تعطيها لهنّ.

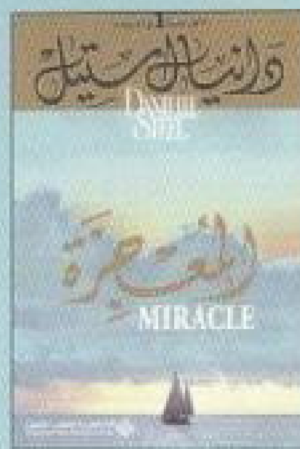
رفعت سابرينا كأسها وقالت: "فلتحيا الأخوات ورجالهنّ". ثم رُفعت الكؤوس الثماني كلها، وشربت الفتيات بصمت نخب والدتهنّ، إضافة إلى الحب الذي كنّ يتشاطرنه فيما بينهنّ، والدروس التي علمتهنّ إياها، والرابطة التي أوجدتها فيما بينهن والتي لا يمكن أبداً كسرها. كانت هذه أفضل سنة بحق في حياتهنّ، بالرغم من جميع مآسيها.

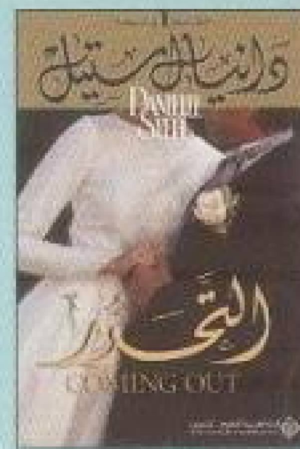
اقرأ أيضاً لدانيال ستيل

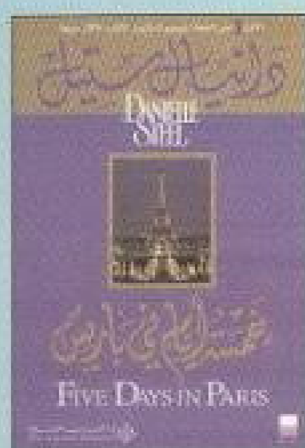


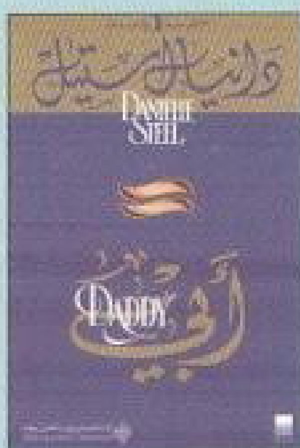


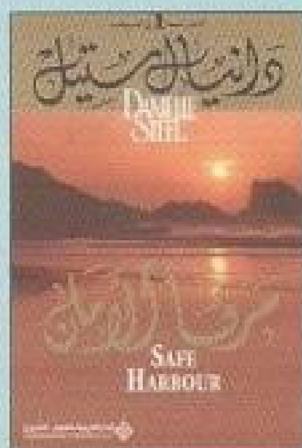


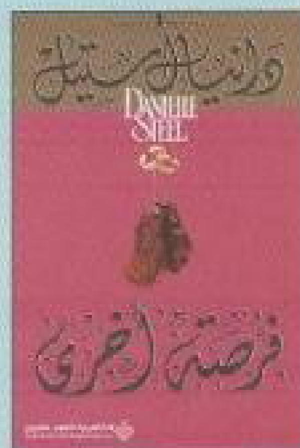


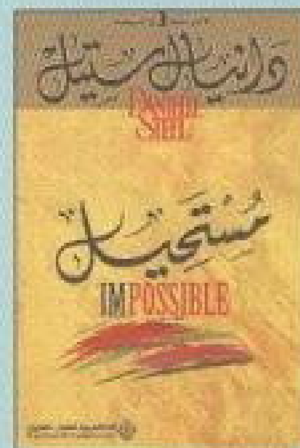


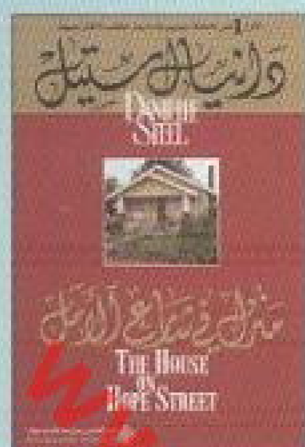


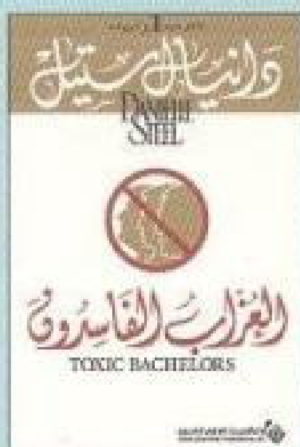


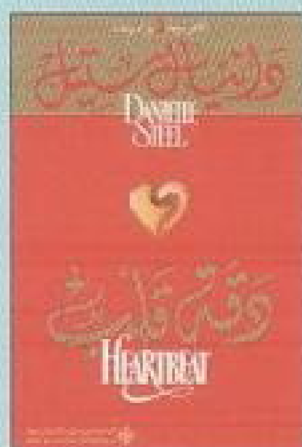


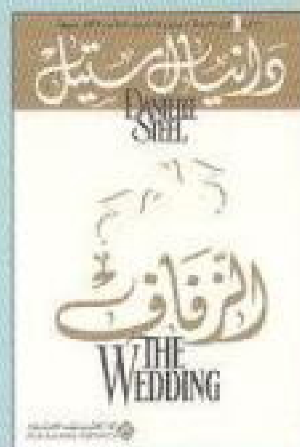


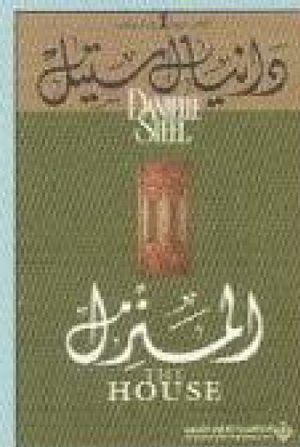


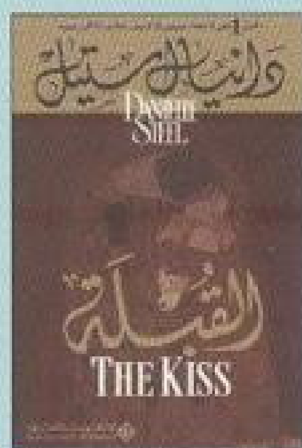




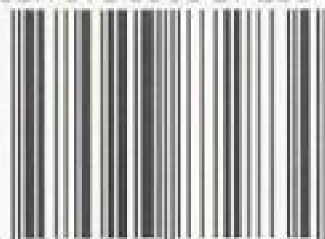








ISBN 978-9953-87-283-4



جميع كتبنا متوفرة على شبكة الإنترنت

في

نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb